

الْحَيَاةُ الْخَرْقَنَةُ

مَابَيِّنَ الْبَعْثَ إِلَى دُخُولِ الْجَنَّةِ أَوِ التَّارِ

تأليف

د. غالب بن علي عواجي

المُجزءُ الثالِثُ

المكتبة العصرية الذهبية

جَسْدَةٌ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٤١ هـ - ٢٠٠٣ م.

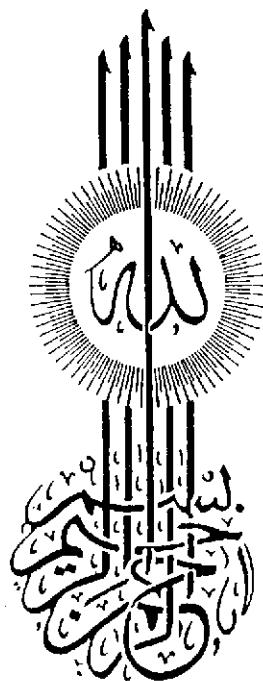
المكتبة العصرية الذهبية

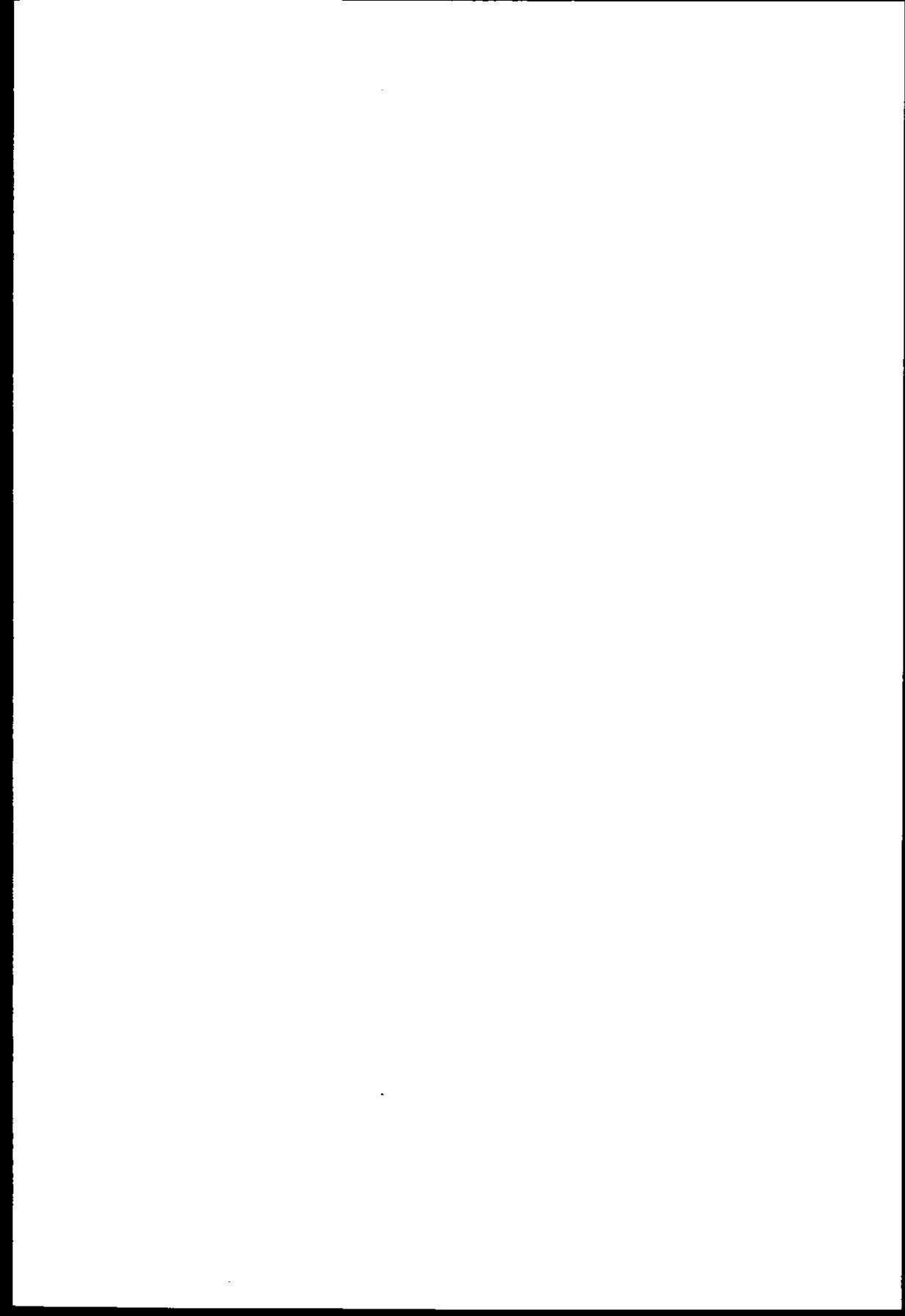
لطباعة ونشر وتسويق

جدة: ٦٧٤٦٥٨ - ٦٩٣٨٨٩

الرياض: ٤٢٦٥٠٨ - ٤٧٤٨٤٤

الدمام:





الباب التاسع

الميزان

ويشتمل على الفصول الآتية:

الفصل الأول: تعريف الميزان:

١- في اللغة.

٢- في الاصطلاح.

الفصل الثاني: أدلة إثبات الميزان:

١- من كتاب الله تعالى.

٢- من السنة النبوية.

الفصل الثالث: وجوب الإيمان بالميزان، وإجماع الأمة على ذلك.

الفصل الرابع: المنكرون للميزان والرد عليهم.

صفات الميزان.

١- المثبتون لصفاته.

٢- النافرون لصفاته.

الفصل الخامس:

الفصل السادس: ما الذي يوزن في الميزان، هل هو العامل؟ أو العمل؟

أو صدف الأعمال؟

١- أدلة وزن العامل.

٢- أدلة وزن العمل.

٣- أدلة وزن صدف الأعمال.

الفصل السابع:

حكمة الله تعالى في وزن أعمال العباد، والرد على من ينكروه.

الفصل الثامن:

مرجحات الميزان.

متى تنصب الموازين؟

لمن ينصب الميزان؟

كيفية الوزن.

الفصل التاسع:

هل هو ميزان واحد يوم القيمة أو موازين متعددة؟

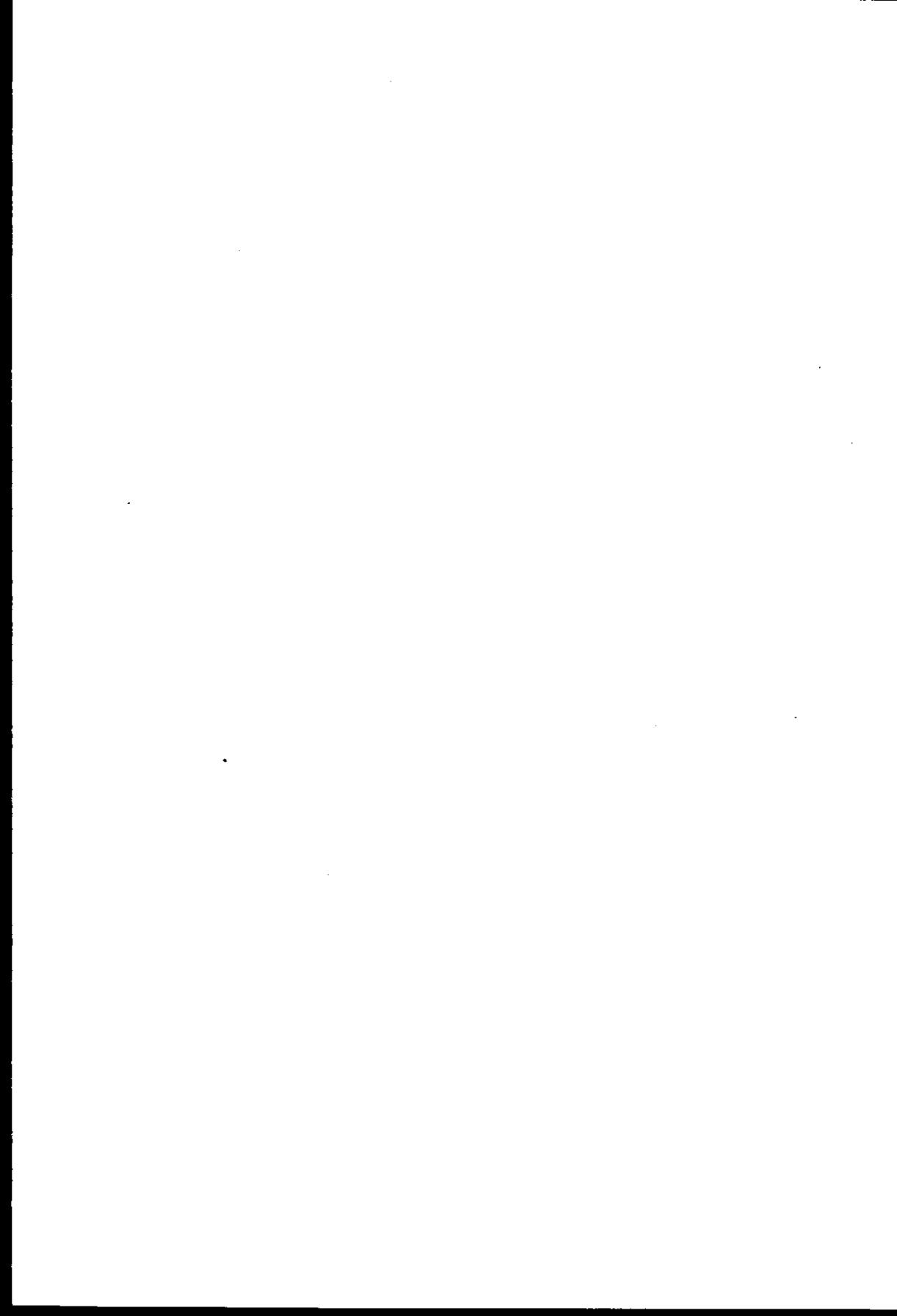
الفصل العاشر:

هل توزن أعمال الجن؟

الفصل الحادي عشر:

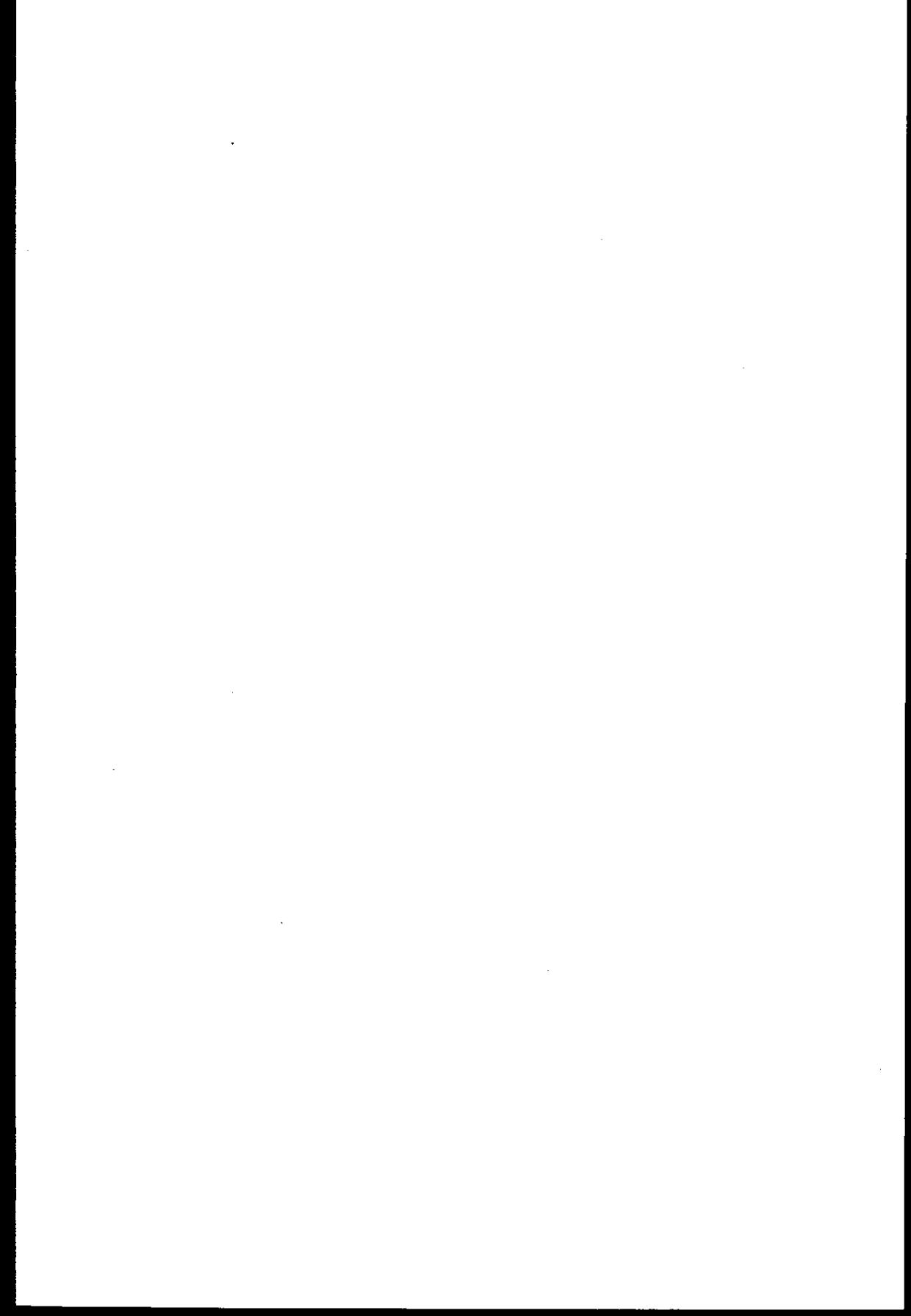
الفصل الثاني عشر:

الفصل الثالث عشر:



الفصل الأول

تعريف الميزان لغة واصطلاحا



الفصل الأول

تعريف الميزان لغة واصطلاحاً

و قبل ذكر تفاصيل ما جاء عن الميزان، وزن الله لأعمال العباد في يوم القيمة؛ نذكر ما قيل في تعريفه لغة واصطلاحاً.

١ - تعريف الميزان في اللغة:

قال الليث : الوزن ثقل شيء بشيء مثله .

و قد أطلقت لفظة الوزن والميزان على عدة معان، فهو يطلق ويراد به بيان قدر الشيء وقيمته، أو خسنه الشيء وسقوطه، كما قال تعالى : ﴿فَلَا تُقْيِمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف : ٥].

قال أبو العباس : قال ابن الأعرابي : العرب تقول : ما لفلان عندنا وزن ، أي قدر ؛ لخسته . ويقال : وزن الشيء إذا قدره ، وزن ثمر التخل إذا خر صه .

و ذكر الأزهري - بعدهما تقدم من تلك المعاني اللغوية : أن الميزان يأتي في باب اللغة مراداً به الميزان ذي الكفافات ، ويأتي مراداً به العدل أيضاً ، كما يأتي ويراد به الكتاب الذي فيه أعمال الخلق .

ثم قال : «وهذا كله في باب اللغة والاحتجاج سائغ»^(١)

(١) انظر : تهذيب اللغة ج ١٣ ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

وقال الراغب: «الوزن معرفة قدر الشيء . . . والمعارف في الوزن عند العامة ما يقدر بالقسط والقبان».

ثم ذكر بعض الآيات التي تدل على أنه يأتي مراداً به المعدلة في جميع ما يتحرر الإنسان من الأفعال والأقوال، مثل قوله تعالى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الشعراء: ١٨٢]، ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ [الرحمن: ٩].

وأنه يأتي بمعنى العدل في محاسبة الناس، كما قال تعالى: ﴿وَنَصْرَعَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾^(١) [الأنبياء: ٤٧]

أما الميزان؛ فهو (الآلية التي يوزن بها الأشياء) ويجمع على: موازين.

(وجائز أن يقال للميزان الواحد - بأوزانه وجميع آله - الموازين، قال الله عز وجل: ﴿وَنَصْرَعَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾^(٢) يريد نصيحة الميزان ذات القسط. وسيأتي تفصيل هذا).

وجاء إطلاق الموازين على الأعمال:

كما قال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحُقُوقُ فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٨].

قال الأزهري: (أراد والله أعلم: فمن ثقلت أعماله التي هي حسناته)^(٣)

وذكر الراغب (أن مجيء الميزان على صيغة الجمع تارة ومجيئه تارة أخرى بالإفراد فإنما هو باعتبار المحاسب والمحاسبين، فمجيئه بلفظ الواحد اعتباراً بالمحاسب، ومجيئه بالجمع اعتباراً بالمحاسبين)^(٤).

(١) انظر: المفردات ص ٥٢٢.

(٢) انظر: تهذيب اللغة ج ١٣ ص ٢٥٦ - ٢٥٧.

(٣) المفردات ص ٥٢٢.

٢- الميزان في الاصطلاح:

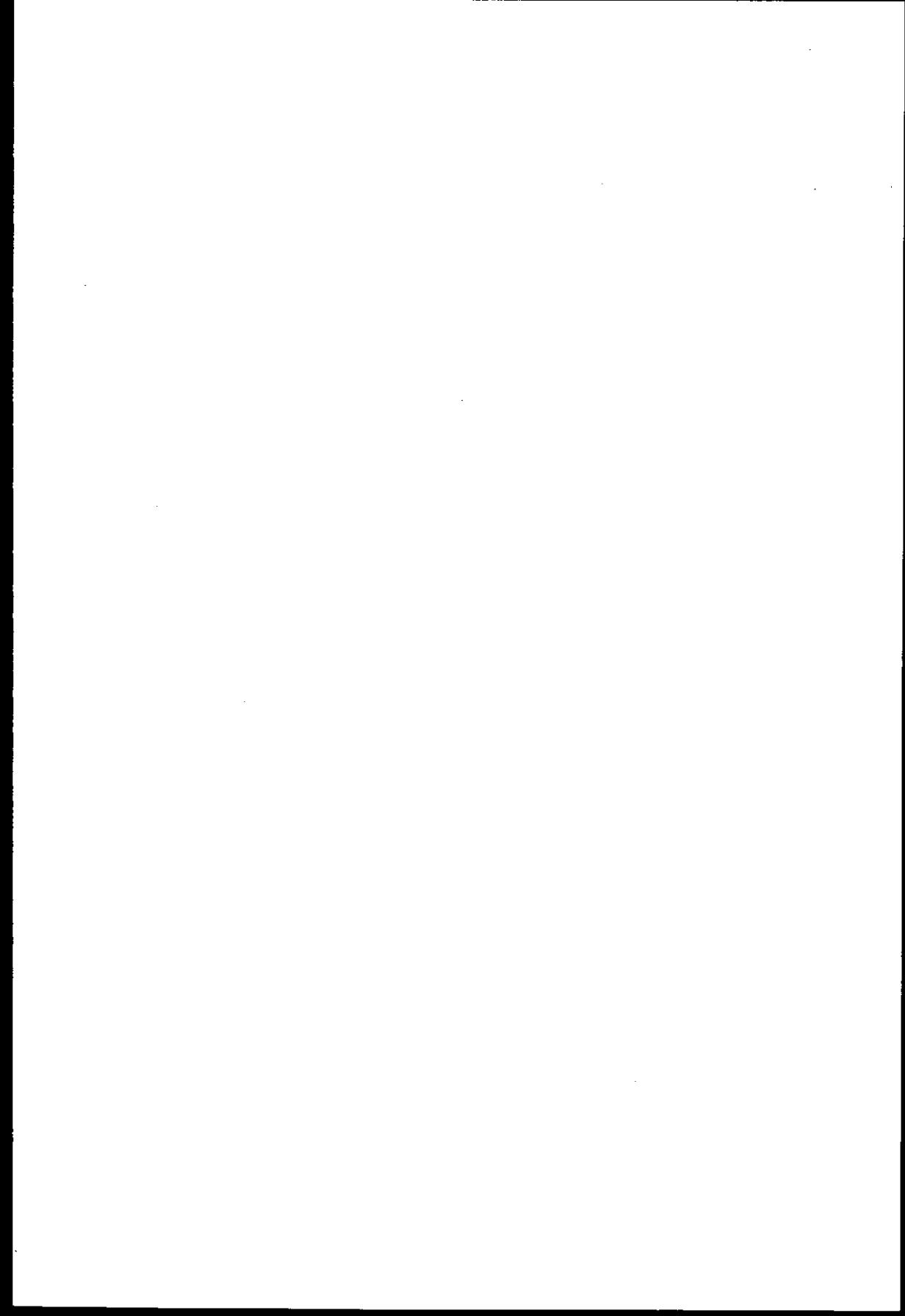
أما المراد بالميزان في الاصطلاح الشرعي فهو الميزان الذي أخبر الله تعالى عنه في كثير من آيات القرآن الكريم.

وأخبر عنه رسوله ﷺ في الأحاديث الشريفة في أكثر من مناسبة، تنويهاً بعزم شأنه وخطورة أمره.

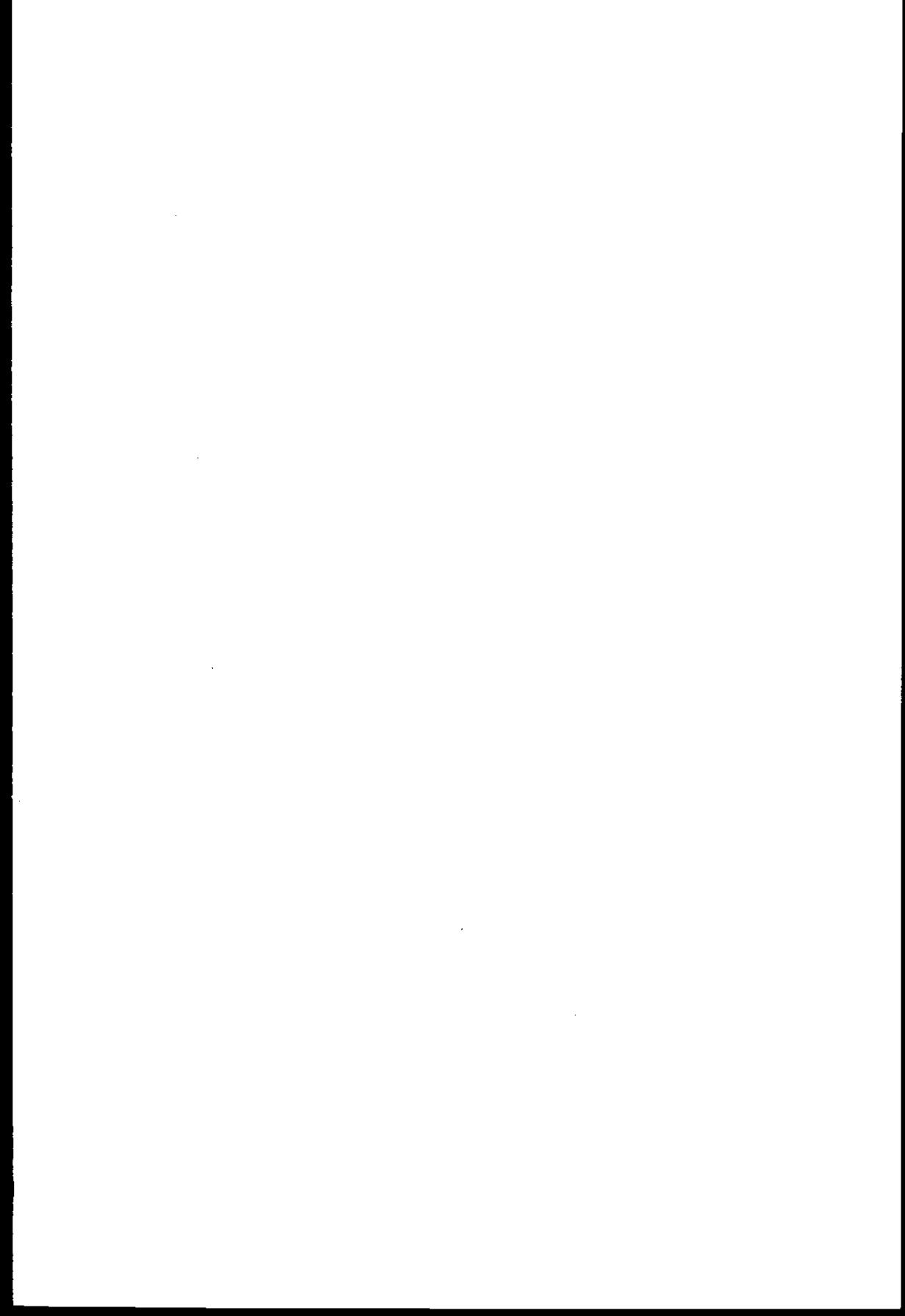
وهو ميزان حقيقي، له لسان وكفتان توزن به أعمال العباد، خيرها وشرها، وقد أخبر الله تعالى عنه في القرآن الكريم إخباراً مجملأً من غير تفصيل لحقيقة، وجاءت السنة النبوية فبيته.

ونوضح كل ذلك فيما يأتي من أبحاث الميزان.





الفصل الثاني
أدلة إثبات الميزان



الفصل الثاني

أدلة إثبات الميزان

ثبت ميزان الأعمال الذي ينصبه المولى جلت قدرته لإظهار مقادير أعمال الخلق الذين يحاسبهم في موقف فصل القضاء ثبوتاً واضحاً، وقد جاء ذكره في كتاب الله تعالى في أكثر من موضع.

و جاء ذكره كذلك في سنة المصطفى ﷺ في أكثر من مناسبة، وأجمع على القول به واعتقاده جميع السلف الصالح من أهل الإسلام من يعتد بقولهم في باب العقائد.

وسنعرض فيما يلي أدلة إثباته:

أ - من كتاب الله تعالى .

ب - ومن سنة نبيه ﷺ .

١ - أدلة إثبات الميزان من القرآن الكريم

١ - قال الله تعالى في كتابه الكريم : « وَالْوَزْنُ يُوْمَئِذَ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقَلَ مَوَازِينَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۚ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِأَيَّاتِنَا يَظْلِمُونَ ۝ » [الأعراف: ٨، ٩]

٢ - وقال تعالى : « وَنَصَّعَ الْمَوَازِينَ الْقُسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلِمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مُثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ۝ » [الأنبياء: ٤٧]

٣ - وقال تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣].

٤ - وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا مَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَإِنَّمَا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمَّهُ هَاوِيَةً﴾ . [القارعة: ٦ - ٩].

٥ - وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَاءَهُ فَجَبَطَ أَعْمَالَهُمْ فَلَا نُقْيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنَافِ﴾ [الكهف: ١٠٥].

ودلالة تلك الآيات على إثبات الميزان أمر ظاهر ، وقد وصف الله فيها الموازين بالثقل والخفة.

ووصفها كذلك بأنها موازين عدل ، وأن من ثقل ميزانه فقد أفلح وعاش عيشة راضية ، ومن خف ميزانه فقد خسر وهو إلى جهنم ، وإذا كان الأمر كذلك ؛ فليستكثر العبد من العمل الصالح إذا أراد ثقل موازينه ، وليطمئن إلى أنه لا يفوته ما قدم من أعمال الخير شيء.

وبعد عرض تلك الآيات تبعها بأدلة أخرى من أقوال المصطفى ﷺ فيما يلي :

ب - أدلة إثبات الميزان من السنة النبوية:

وأما أدلة إثبات الميزان من السنة - وهي كثيرة - فمنها:

إخباره ﷺ بالأمور التي تكون ثقيلة في ميزان العبد إذا فعلها مخلصاً من قلبه ، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «كلمتان حبيتان إلى الرحمن ، خفيتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم»^(١).

(١) صحيح البخاري ج ١٣ ص ٥٣٧ ، ومسلم ج ٥ ص ٥٤٨.

وفي قوله : (كلمتان) إطلاق كلمة على الكلام ، وهو مثل كلمة الإخلاص وكلمة الشهادة ، (والمعنى : محبوب قائلهما) ، (وخص لفظ الرحمن بالذكر لأن المقصود من الحديث بيان سعة رحمة الله تعالى على عباده؛ حيث يجازي على العمل القليل بالثواب الكبير) .

ومعنى وصفهما بالخفة والثقل هو (بيان قلة العمل وكثرة الثواب) .

ومعنى وصفهما بالخفة (إشارة إلى قلة كلامهما وأحرفهما ورشاشهما) . . .

قال الطيببي : الخفة مستعارة للسهولة ، وشبه سهولة جريانها على اللسان بما خف على الحامل من بعض الأمتعة فلا تعبه كالشيء الثقيل ، وفيه إشارة إلى أن سائر التكاليف صعبة شاقة على النفس ثقيلة ، وهذه سهلة عليها مع أنها تثقل الميزان كثقل الشاق من التكاليف .

وقد سئل بعض السلف عن سبب ثقل الحسنة وخفة السيئة فقال : لأن الحسنة حضرت مراتها وغابت حلاوتها ؛ فثقلت ؛ فلا يحملنك ثقلها على تركها ، والسيئة حضرت حلاوتها وغابت مراتها ؛ فلذلك خفت ؛ فلا يحملنك خفتها على ارتكابها^(١) .

وعن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : «الظهور سطر بالإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملأ ما بين السموات والأرض ، والصلوة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، القرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو ؛ فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»^(٢) .

قال النووي عن مزية هذا الحديث : (هذا حديث عظيم ، وأصل من

(١) انظر : فتح الباري ج ١٣ ص ٥٤٠.

(٢) صحيح مسلم ج ١ ص ٥٠١.

أصول الإسلام، وقد اشتمل على مهام من قواعد الإسلام).

أما معنى (الظهور شطر الإيمان) فإن الشطر معناه النصف، وإذا كان الشطر هو النصف؛ فكيف كان الظهور - الذي أصله النظافة والتنزه - نصف الإيمان؟ اختلف العلماء في ذلك.

فقيل معناه:

١- إن الأجر فيه يتنهى تضعيه إلى نصف أجر الإيمان.

٢- وقيل: معناه: إن الإيمان يجب ما قبله من الخطايا، وكذلك الوضوء، لأن الوضوء لا يصح إلا مع الإيمان؛ فصار - لتوقفه على الإيمان - في معنى الشطر.

٣- (وقيل: المراد بالإيمان هنا: الصلاة، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٣]، والطهارة شرط في صحة الصلاة؛ فصارت كالشطر، وليس يلزم في الشطر أن يكون نصفاً حقيقياً).

.. وقد رجع النووي القول الأخير من تلك الأقوال.

وزاد ذكر أنه (يحتمل أن يكون معناه أن الإيمان تصديق بالقلب وانقياد بالظاهر وهو ما شطران للإيمان، والطهارة متضمنة الصلاة، فهي انقياد في الظاهر)^(١).

ولا يستبعد أن يكون القول الأول هو الراجح أيضاً؛ لأن الرسول ﷺ أخبر عن هذه الفضائل في معرض الترغيب في الأجر.

وهذه الألفاظ التي ذكرها الرسول ﷺ من أن «الحمد لله تملأ الميزان»،

(١) انظر: شرح النووي بصحيحة مسلم ج ١ ص ٥٠١.

وبسْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِ اللَّهِ تَمَلًا مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) تُفْضِلُ عَظِيمَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عَبَادِهِ، حِيثُ جَعَلَ جَزَاءَ هَذِهِ الْكَلْمَاتِ الْيَسِيرَةَ ذَلِكَ الْأَجْرُ الْعَظِيمُ حِينَما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ قَوْلَهَا مِنَ الْعَبْدِ، إِذْ إِنَّ ذَلِكَ شَرْطٌ لَا بُدُّ مِنْهُ.

فَلَيْسَ كُلُّ مَنْ قَالَهَا يَحْصِلُ لَهُ هَذَا الْفَضْلُ الْعَظِيمُ بِمَجْرِدِ القَوْلِ وَإِنْ لَمْ تَتَحَقَّقْ فِيهِ أَهْلِيَّةُ قَبْولِهَا، وَاللَّهُ تَعَالَى كَمَا أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ أَنَّهُ لَا يَتَقَبَّلُ إِلَّا مِنَ الْمُتَقِنِّينَ لَا سُوَاهِمْ.

وَأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ عَنْ أَبِي مَالِكَ الْأَشْعَرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوَضُوءِ شَطَرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى تَمَلًا الْمِيزَانَ .. وَالْتَّسْبِيحُ وَالْتَّكْبِيرُ يَمْلأُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالزَّكَاةُ بُرهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءُ، وَالْقُرْآنُ حَجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ»^(١).

وَهَذَا الْحَدِيثُ دَلَالَةُ الْحَدِيثِ السَّابِقِ، وَمَعْنَى إِسْبَاغِ الْوَضُوءِ: أَنْ يَتَمَّ كَامِلًا.

وَالزَّكَاةُ بُرهَانٌ عَلَى إِيمَانِ صَاحِبِهَا، وَالصَّبْرُ ضِيَاءُ لِهِ يَمْشِي مُسْتَضِيًّا بِهِ فِي طَرِيقِ الصَّوَابِ.

وَأَخْرَجَ التَّرمِذِيُّ بِسَنْدِ حَسْنٍ عَنْ جَرِيرِ النَّهْدِيِّ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي سَلِيمٍ قَالَ: «عَدْهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ تَعَالَى فِي يَدِي أَوْ فِي يَدِهِ: «الْتَّسْبِيحُ نَصْفُ الْمِيزَانِ، وَالْحَمْدُ يَمْلأُهُ، وَالْتَّكْبِيرُ يَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصُّومُ نَصْفُ الصَّبْرِ، وَالظَّهُورُ نَصْفُ الْإِيمَانِ».

قَالَ أَبُو عِيسَى: «هَذَا حَدِيثُ حَسْنٍ، وَقَدْ رُوَاهُ شَعْبَةُ وَسَفِيَانُ الثُّوْرَى عَنْ أَبِي إِسْحَاقِ»^(٢) .. وَفِي رِوَايَةِ لِأَحْمَدَ: «وَالظَّهُورُ نَصْفُ الْمِيزَانِ»^(٣).

(١) سنن النسائي ج ٥ ص ٥.

(٢) سنن الترمذى ج ٥ ص ٥٣٦.

(٣) المسند ج ٥ ص ٣٧٠.

وعن مولى لرسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يُخْبَخُ خَمْسًا مَا أَتَقْلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يَتَوَفَّ فِي حِسْبَابِهِ وَالَّذِي»^(١) الْحَدِيثُ.

وهذا الحديث ظاهر في فضائل تلك الأمور التي ذكرت فيه.

وقوله ﷺ: «يُخْبَخُ»: هي كلمة تقال عند المدح والرضى بالشيء، وتكرر للمبالغة^(٢).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خلتان لا يحصيهما رجل مسلم الا دخل الجنة، الا وهما يسير، ومن يعمل بهما قليل: يسبح الله في دبر كل صلاة عشرًا، ويحمده عشرًا، ويكبره عشرًا، قال: فأنا رأيت رسول الله ﷺ يعتقد ما بيده، قال: فتلك خمسون ومانة باللسان، وألف وخمسمائة في الميزان، وإذا أخذت مضجعك تسبحه وتكبره وتحمدك مائة، فتلك مائة باللسان وألف في الميزان، فأياكم يعمل في اليوم والليلة ألفين وخمسمائة سينية؟»

قالوا: وكيف لا يحصيهما؟ قال: يأتي أحدهم الشيطان وهو في صلاته فيقول: اذكر كذا، اذكر كذا حتى ينتقل، فلعله لا يفعل، ويأتيه وهو في مضجعه، فلا يزال ينومه حتى ينام^(٣).

(١) مستند أحمد ج ٣ ص ٤٤٣.

(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج ١ ص ١٠١.

(٣) سنن الترمذى ج ٥ ص ٤٧٨، وقال: حديث حسن صحيح، وقد روی شعبة والثورى عن عطاء بن السائب هذا الحديث وروى الأعمش هذا الحديث عن عطاء بن السائب مختصرًا، وفي الباب عن زيد بن ثابت وأنس وابن عباس رضي الله عنهم. وأخرج الحديث أبو داود في سننه ج ٢ ص ٦١١، وابن ماجه ج ١ ص ٢٩٩. وقد شرح الحديث صاحب تحفة الأحوذى ج ٩ ص ٣٥٦.

وما دامت الحسنة بعشر أمثالها ، فإن الحسنات ستكون كثيرة جداً أكثر من السينات إذ إن الشخص لا يمكن أن يفعل في اليوم ألفين وخمسمائة سينة ، كما أشار إليه الحديث .

وأخبر عليه السلام عن بعض الأعمال ، وأنها تكون ثابتة في ميزان العبد ؛ ثواباً على ما عمل من الأعمال التي يوضحها حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه أنه قال : «من احتبس فرساً في سبيل الله، إيماناً بالله وتصديقاً بوعده؛ فإن شبهه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيمة»^(١) .

وفي هذا الحديث بيان فضل من احتبس فرساً في سبيل الله تعالى .

قال ابن حجر في معنى كون روثه في ميزان العبد : (يريد ثواب ذلك ، لأن الأرواث بعينها توزن) .

وعن فائدة تنصيص رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه على ذكر هذه الأمور ، وأنها تكون في ميزان العبد ؛ يقول ابن أبي جمرة : (يستفاد من هذا الحديث أن هذه الحسنات تقبل من صاحبها ؛ لتنصيص الشارع على أنها في ميزانه ، بخلاف غيرها ، فقد لا تقبل فلا تدخل الميزان)^(٢) .

ومثل الحديث السابق أيضاً ما رواه معاذ عن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه أنه قال : «والذي نفس محمد يده: ما شحب وجهه، ولا أغبرت قدم في عمل تبتغى فيه درجات الجنة. بعد الصلاة المفروضة. كجهاد في سبيل الله، ولا نقل ميزان عبد كدابة تنفق له في سبيل الله، أو يحمل عليها في سبيل الله»^(٣) .

(١) أخرجه البخاري ج ٦ ص ٥٧ والنمساني في سننه ج ٥ ص ٢٢٥ ونحوه في المسند ج ٦ ص ٤٥٥.

(٢) فتح الباري ج ٦ ص ٥٧.

(٣) مسند أحمد ج ٥ ص ٢٤٦.

وأخبر عليه السلام عن ذلك الميزان العظيم، وأنه لا يؤثر فيه الثقل المادي، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه أنه قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم المصرين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة، أقرأوا: ﴿فَلَا تُقْسِمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾»^(١) [الكهف: ١٠٥].

وأخرج الترمذى والإمام أحمد، عن أبي الدرداء، أن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيمة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذىء»^(٢).

وفي هذين الحديثين إثبات وزن العامل وعمله أيضاً.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «توضع الموازين يوم القيمة، فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة، فيوضع ما أحصى عليه فتمايل به الميزان، قال: فيبعث به إلى النار، قال: فإذا أدبر به إذا صانع يصبح من عند الرحمن يقول: لا تعجلوا لا تعجلوا، فإنه قد بقي له، فيؤتى ببطاقة فيها: لا إله إلا الله، فتتوسط مع الرجل في كفة حتى يميل به الميزان»^(٣).

وهذا الحديث - كذلك دليل على وزن العامل، ووزن صحف الأعمال.
ومسألة وزن الله للإنسان وعمله وصحف الأعمال، وما قبل حول ذلك، سيأتي الكلام عنها إن شاء الله فيما بعد مفصلة بأدلةها.

(١) رواه سلم ج ٥ ص ٦٥٥.

(٢) أخرجه الترمذى ج ٤ ص ٣٦٣ وقال (وفي الباب عن عائشة وأبي هريرة وأنس بن مالك وأسماء بن شريك. وهذا حديث حسن صحيح) وأخرجه أحمد في المسند ج ٦ ص ٤٤٢.

(٣) رواه أحمد في المسند ص ٢٢١ ج ٢ وفيه ابن لهيعة.

وعندما ينصب الميزان يبلغ الخوف والهلع بالناس إلى أقصى حدوده؛ بحيث ينسى الحبيب حبيبه، ويذهب فيه كل ذي لب عن أهله وعن كل شيء، إلا فكره في الميزان، وماذا ستكون نتيجة وزن عمله.

قال أبو داود في (باب ذكر الميزان):

عن عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت النار فبكى، فقال رسول الله ﷺ : «ما يبكيك؟» قالت: ذكرت النار فبكى، فهل تذكرون أهليكم يوم القيمة؟ فقال رسول الله ﷺ : أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً: عند الميزان حتى يعلم أي خف ميزانه أو يشقّل؟ وعند الكتاب حين يقال: هاوم اقرعوا كتابي، حتى يعلم أين يقع كتابه: أفي يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره؟ وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم،^(١)

وعن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله، هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيمة؟ قال: «يا عائشة، أما عند ثلاث فلا: أما عند الميزان». حتى يشقّل أو يخف. فلا، وأما عند تطوير الكتب. فإما أن يعطي يمينه أو يعطى شماله. فلا، وحين يخرج عنق من النار فينطوي عليهم ويضغط عليهم، ويقول ذلك العنق: وكلت بثلاثة، وكلت بثلاثة: وكلت بمن ادعى مع الله إليها آخر، ووكلت بمن لا يؤمن بيوم الحساب، ووكلت بكل جبار عنيد، فينطوي عليهم ويطرحهم في غمرات جهنم، ولجهنم جسر أرق من الشّرة، وأحد من السيف إلخ .. الحديث^(٢).

وعن ضخامة الميزان وسعة كفاته، ورد عن سلمان رضي الله عنه عن

(١) أخرجه أبو داود واللفظ له ج ٢ ص ٥٤١.

(٢) أخرجه أحمد ج ٦ ص ١١٠ (وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف وقد وثق، وبقية رجاله رجال الصحيح).

النبي ﷺ قال : «يوضع الميزان يوم القيمة، فلو وزن فيه السموات والأرض لوسعهن، فتقول الملائكة : يا رب، لمن يزن هذا؟ فيقول الله : لمن شئت من خلقي، فيقولون : سبحانك ما عبادناك حق عبادتك»^(١).

ونظراً لهذا المنظر الهائل للميزان ؛ فإن الملائكة قد تقالت عبادتها، رغم أنهم طول أوقاتهم في عبادة الله تعالى وطاعته، فقد رأوا أن أعمالهم لا تساوي شيئاً في جانب هذا الميزان الهائل.

وما أحرى بالإنسان أن يأخذ عبرة من هذا الموقف للملائكة مع ربهم؛ فيستحي من الله، ويقصر عن غيه وإعراضه عن طاعة ربه.

وعن عائشة رضي الله عنها : «خلق الله عز وجل كفتى الميزان ملء السموات والأرض، فقالت الملائكة : يا ربنا، ما تزن بهذا؟ قال : أزن به ما شئت، وخلق الله الصراط كحد السيف أو كحد الموس، فقالت الملائكة : يا ربنا من يجوز على هذا؟ قال : أجيزة عليه من شئت»^(٢).

* * *

(١) ذكره المننري في الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٤٢٥ وأسنده إلى الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم، وذكره السفاريني أيضاً في لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٨٥ وأسنده كذلك إلى الحاكم.

(٢) ذكره صاحب الإتحافات السنية ص ١٩٣ وعزاه إلى الديلمي.

الفصل الثالث

وجوب الإيمان بالميزان وإجماع الأمة على ذلك



الفصل الثالث

وجوب الإيمان بالميزان، وإجماع الأمة على ذلك

بعد أن ثبت ذكر الميزان في كتاب الله تعالى وفي سنة نبيه ﷺ؛ لم يبق مجال لوجود أدنى شك في إنكاره.

وقد تلقى المسلمين الإيمان بوقوعه، ولم يخالف فيه أحد من يعتد بقوله في الإسلام، وقد جعله الرسول ﷺ من الأمور التي تعد من ضروريات الإيمان بالله، كما في حديث جبريل عليه السلام في رواية الإمام أحمد، حينما قال له: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله، واليوم الآخر، والملائكة، والكتاب، والنبين، والموت، والحياة بعد الموت، والجنة، والنار، والحساب، والميزان، والقدر كله، خيره وشره»، قال: فإذا فعلت ذلك فقد آمنت؟ قال: نعم^(١).

قال ابن بطة في الإبانة:

(وقد اتفق أهل العلم بالأخبار والعلماء والزهاد والعباد في جميع الأنصار: أن الإيمان بذلك - يعني الميزان - واجب لازم)^(٢).

ويقول السفاريني: (والحاصل: أن الإيمان بالميزان - كأخذ الصحف -

ثبت بالكتاب والسنة والإجماع)^(٣).

(١) أخرجه أحمد في المسند ج ٤ ص ١٦٤.

(٢) الإبانة ص ٩٧ تحقيق د. رضا.

(٣) ل TAMAM AL-AONAR ج ٢ ص ١٨٤.

وقد ترجم البرديسي لثبوته بقوله:

«باب: في الموازين والكتب» ثم قال: «اعلم أن الموازين حق ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة»^(١).

وقد بوب البخاري على إثبات الميزان وما يوزن فيه بقوله:

«باب: قول الله تعالى: ﴿وَتَضَعُ الْمَوَازِينُ الْقِسْطُ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾
[الأبياء: ٤٧] وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن»^(٢).

ومعلوم أن المراد بالميزان - فيما تقدم - هو الميزان الحقيقي المعلوم بلسان العرب، الذي توزن به الأشياء، لا الميزان بمعنى العدل أو غيره، كما ذهب إليه من شذ قوله.

وقال سفيان بن عيينة: «السنة عشرة، فمن كن فيه فقد استكمل السنة، ومن ترك منها شيئاً فقد ترك السنة: إثبات القدر، وتقدير أبي بكر وعمر، والخوض ، والشفاعة، والميزان، والصراط»^(٣).

وقال الإمام أحمد بن حنبل: «أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم» إلى أن يقول: «والإيمان بالميزان»^(٤) وهو ما قاله أيضاً شيخه علي بن المديني.

وهناك أقوال كثيرة لأهل العلم في إثبات ميزان الأعمال إثباتاً حقيقياً كما أثبته الله تعالى ورسوله ﷺ.

(١) تكملاً شرح الصدور ص ١٥.

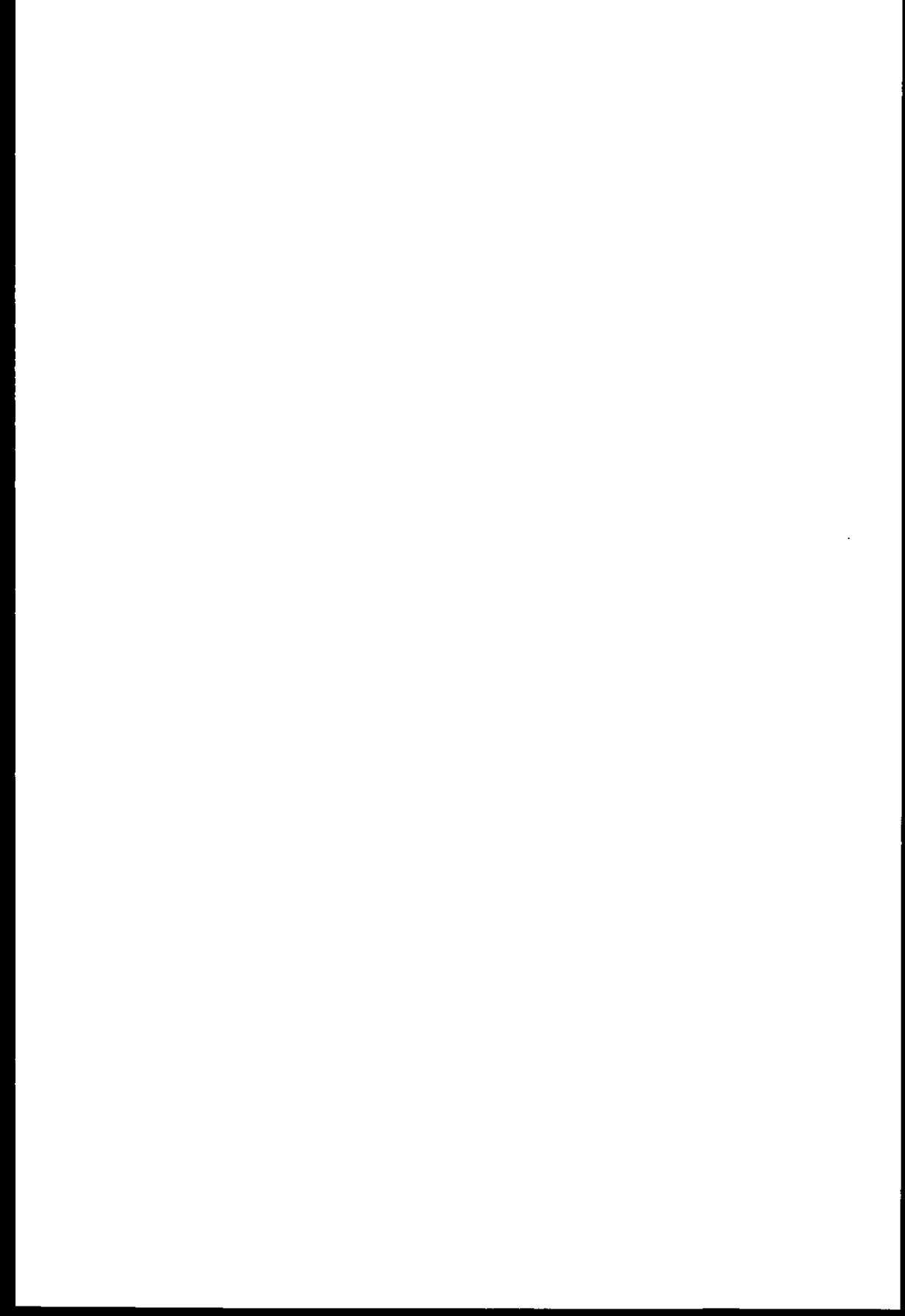
(٢) البخاري ج ٨ ص ٢١٩.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ج ١ ص ١٥٥.

(٤) المصدر السابق ص ١٥٨.

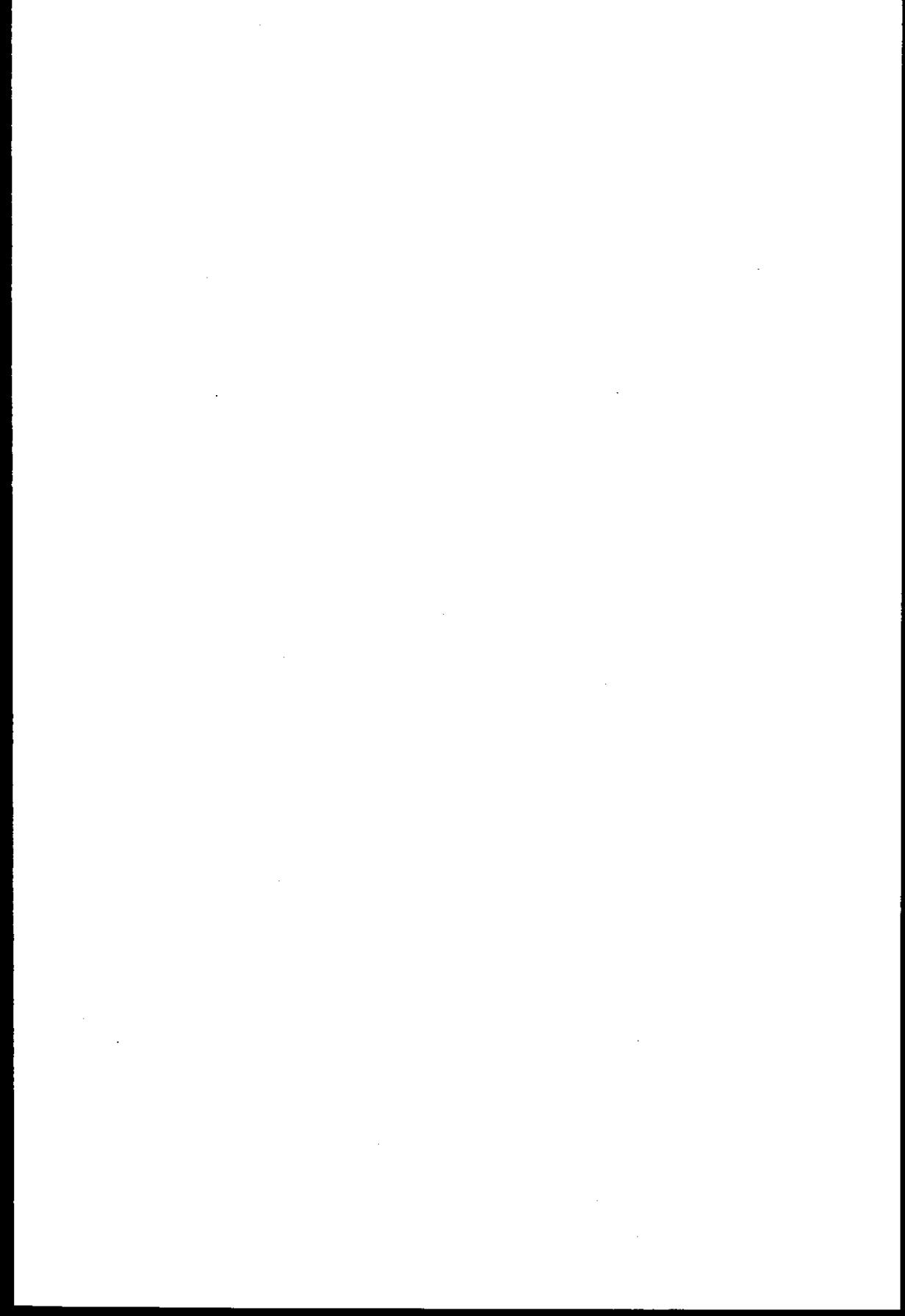
وبعد أن ذكرنا تلك النصوص من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وأقوال علماء الإسلام؛ بعد ذلك كله هل يتصور أن يقدم مسلم يشهد الشهادتين على إنكار الميزان في يوم القيمة؟ هذا ما سنبحثه في الفصل الآتي.

* * *



الفصل الرابع

المنكرون للميزان والود عليهم



الفصل الرابع

المنكرون للميزان والرد عليهم

لم يخالف في ثبوت الميزان - كما سبق أن ذكرنا - أحد من السلف، وذلك لتواتر أدلة وصحتها.

ولقد وجد لبعضهم أقوال تخالف في ثبوته - سالكين في ذلك مسالك أهل البدع - ولبعضهم أقوال أخرى يإنكاره.

وي يكن تقسيم مواقف الناس تجاه إثباته إلى ما يأتي :

(١) منهم من ذهب إلى إنكار الميزان إنكاراً تاماً، دون أن يستند إلى دليل.

(٢) ومنهم من ذهب إلى تأويل ما جاء في إثباته.

(٣) ومنهم من أثبت الميزان، ونفى وزن الأعمال.

(٤) ومنهم من أثبت الميزان مجردًا عن كل وصف.

١ - أما الصنف الأول من هؤلاء: فهم المنكرون للميزان تمام الإنكار:

أ. وعن هؤلاء يقول ابن حزم: «وأما الميزان فقد أنكره قوم؛ فخالفوا كلام الله جرأة وإقداماً، وتنطع آخرون فقالوا: هو ميزان بكتفين من ذهب. وهذا إقدام آخر لا يحل، قال الله تعالى: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسِبُونَهُ هَيْنَا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥] ^(١).

(١) الفصل ج ٤ ص ٦٥.

بـ . ويقول البغدادي عن فرقة تسمى الوزنية :

«وزعم قوم يقال لهم : الوزنية ؛ أن لا حساب ولا ميزان»^(١) .

جـ . وينص ابن فورك . فيما ينقل عنه . على نكران المعتزلة للميزان «بناء منهم على أن الأعراض يستحيل وزنها ، إذ لا تقوم بأنفسها»^(٢) .

دـ . ويقول الأشعري : «و قال أهل البدع بإبطال الميزان ، وقالوا : موازين وليس بمعنى كفات وألسن ، ولكنها المجازات ، يجازيهم الله بأعمالهم وزناً بوزن . وأنكروا الميزان ، وقالوا : يستحيل وزن الأعراض ، لأن الأعراض لا تقل لها ولا خفة»^(٣) .. ولعله يقصد بهؤلاء : المعتزلة .

ويقول الجيلاني عن إنكار المعتزلة للميزان :

« وأنكروا الموازين وعداًب القبر » .. إلخ^(٤) .

ويقول عنهم : « وأكثرهم نفوا عذاب القبر والميزان»^(٥) .

ويقول الإيجي عن إنكار المعتزلة للميزان وحجتهم في نفيه :

« وأما الميزان فأنكروه المعتزلة عن آخرهم ؛ لأن الأعمال أعراض ، وإن أمكن إعادةها فلا يمكن وزنها ، إذ لا توصف بالخفة والشقل ، وأيضاً ؛ فالوزن للعلم بمقدارها ، وهي معلومة لله تعالى ، فلا فائدة فيه ، فيكون قبيحاً تنزيه عنه

(١) كتاب أصول الدين ص ٢٤٦.

(٢) التذكرة ص ٣١٣.

(٣) المقالات ج ٢ ص ١٦٤.

(٤) الغنية ج ١ ص ٩٠.

(٥) الغنية ج ١ ص ٩٢.

الرب تعالى^(١).

وأنكره كذلك الخوارج والمرجئة، حسبما يذكر عنهم الجيلاني بقوله: «وقد أنكرت المعتزلة مع المرجئة والخوارج ذلك، فقالت: إن معنى الميزان: العدل دون موازنة الأعمال»^(٢).

وقد ذكر البغدادي أن الجهمية أيضاً تنكره^(٣).

و قبل أن نذكر بقية الخلاف، أحب أن أنبه إلى أن ما نسب إلى المعتزلة عامة، من القول بإنكار الموازين، أو تأويلها بمعنى العدل، أن في كلامه نظراً، وذلك لأن المعتزلة - كما يظهر من كلام علمائهم - لا ينفون حقيقة الميزان، وقد صرخ به القرآن الكريم كما يقول القاضي عبد الجبار، بل إن القاضي عبد الجبار يذهب في إثباته إلى حد التشبيه له بموازيننا المعروفة في الدنيا، ويرد على من يؤوله بمعنى العدل وببطل قوله.

وهذه بعض أقوال القاضي عبد الجبار في الميزان، التي تبطل قول من نسب إليهم إنكاره أو تأويله بمعنى العدل، فإنه - بعد أن ذكر جملة من أحوال يوم القيمة؛ من وضع الموازين والمسائلة والمحاسبة وإنطاق الجوارح ونشر الصحف وما جرى هذا المجرى - قال: «وجملة ذلك: أن كل هذه الأمور حق يجب اعتقاده والإقرار به».

ثم قال: «أما وضع الموازين فقد صرخ الله تعالى به في محكم كتابه، قال الله تعالى: ﴿وَنَصْعَدُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

(١) المواقف ص ٣٨٤.

(٢) العنية ج ١ ص ٧٢.

(٣) انظر: كتاب أصول الدين ص ٢٤٥.

وقوله: «فَمَنْ ثَقِلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» [المؤمنون: ١٠٢]. إلى غير ذلك من الآيات التي تتضمن هذا المعنى، ولم يرد الله تعالى بالميزان إلا المعقول منه المتعارف فيما بيننا ، دون العدل وغيره على ما يقول بعض الناس، لأن الميزان وإن ورد بمعنى العدل في قوله: «وَأَنَزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ» [الحديد: ٢٥]، فدل ذلك على طريق التوسيع والمجاز، وكلام الله تعالى مهما أمكن حمله على الحقيقة لا يجوز أن يعدل به عنه إلى المجاز، يبين ذلك ويوضحه أنه لو كان الميزان إنما هو العدل؛ لكن لا يثبت للثقل والخفة فيه معنى ، فدل على أن المراد به الميزان المعروف الذي يشتمل على ما تشتمل عليه الموازين فيما بيننا^(١) .

فلعل قول من نسب إليهم إنكار الميزان أو تأويله بالعدل، خاص بطائفة منهم، أو أنه استند إلى أقوال لم تصح عنهم .

ومن أنكره كذلك: الفلاسفة، قال الهراس رحمه الله: «وَأَمَّا أَهْلُ الْمَرْوِقِ وَالْإِلْحَادِ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ فَيُنَكِّرُونَ هَذِهِ الْأُمُورِ، مِنْ سُؤَالِ الْقَبْرِ، وَمِنْ نَعِيمِ الْقَبْرِ وَعَذَابِهِ، وَالصِّرَاطِ، وَالْمِيزَانِ، وَغَيْرِ ذَلِكِ، بَدْعَوْيَّ أَنَّهَا لَمْ تُثْبِتْ بِالْعُقْلِ»^(٢) .

٢ - ومنهم من ذهب إلى تأويل ما جاء في إثبات الميزان، وخرجوا به عن معناه المبادر الصحيح . ومن المعلوم أنه لا ينبغي الخروج عنه . فأولوه بمعنى العدل والقضاء، وقالوا: إن ما ورد في الميزان والوزن إنما هو من ضرب المثل لا غير .

(١) شرح الأصول الخمسة ص ٧٣٥.

(٢) شرح العقيدة الواسطية ص ١٢١.

ومن المعلوم أنه لا ينبغي الخروج عن المعنى الصحيح إلا لعارض قوي أو قرينة ظاهرة.

وينسب هذا القول إلى مجاهد، وإلى الضحاك والأعمش، كما حكاه عنهم القرطبي بصيغة (روي) فيقول:

«روي عن مجاهد والضحاك والأعمش أن الميزان هنا يعني العدل والقضاء، وذكر الوزن والميزان ضرب مثل، كما يقول: هذا الكلام في وزن هذا، وفي وزانه، أي يعادله ويساويه، وإن لم يكن هناك وزن»^(١).

ومثل هذا الرأي ماذكره الأستاذ محمد محمد عبد اللطيف في كتابه (أوضح التفاسير) حيث قال: «والذي يبدو أنه ليس ثمة ميزان، وإنما أريد بالميزان العدل»^(٢).

٣ - ومن الناس من ذهب إلى إثبات الميزان ونفي وزن الأعمال، بحججة أنها أعراض لا تقبل الوزن.

وفي هؤلاء يقول الأشعري:

«و قال قائلون بإثبات الميزان، وأحالوا أن توزن الأعراض في كفتين، ولكن إذا كانت حسناً من سيناته؛ رجحت إحدى الكفتين على الأخرى، فكان رجحانها دليلاً على أن الرجل من أهل الجنة، وكذلك إذا رجحت الكفة الأخرى السوداء؛ كان رجحانها دليلاً على أن الرجل من أهل النار»^(٣).

(١) التذكرة ص ٣١٣.

(٢) أوضح التفاسير ص ٣٩٣.

(٣) المقالات ج ٢ ص ١٦٤.

وهذا القول فيه غموض شديد؛ إذ ما الذي يوضع في تلك الكفات حتى تظهر النتيجة الطيبة أو السيئة؟ فإن وضعها هكذا مجرد عن كل شيء أمر وهمي لا يتحقق به الغرض المقصود من وضع الموازين.

٤ - ومنهم من ذهب إلى القول بإثبات الميزان مجددًا عن كل وصف، فيقولون: «نؤمن بأن هناك ميزاناً في يوم القيمة، لكننا لا نعلم عنه ولا عن وصفه شيئاً، بل نؤمن به فحسب، دون ذكر أي وصف له».

وكمثال على هذا؛ ما يقوله أحمد محمد شاكر في تعليقه على قول الزهري: «إن الوضوء يوزن»، فيما حكاه عنه الترمذى، علق على هذا القول أحمد شاكر - رحمه الله - فقال: «هذا تعليم غير صحيح؛ فإن ميزان الأعمال يوم القيمة ليس كموازين الدنيا، ولا هو مما يدخل تحت الحسن في هذه الحياة، وإنما هي أمور من الغيب الذي نؤمن به كما ورد»^(١).

وكذا ما يقوله محمد رشيد رضا عن الميزان وصفاته:

«ولا نحكم رأينا في صفتة وكيفيتها، فنؤمن إذاً بأن في الآخرة وزناً للأعمال قطعاً، ونرجح أنه بميزان يليق بذلك العالم، يوزن به الإيمان والأخلاق والأعمال، ولا نبحث عن صورته وكيفيتها»^(٢).

ولعل أحمد شاكر ومحمد رشيد ومن قال بهذا القول قد تأثروا بما سبقهم إليه ابن حزم، حيث قرر ذلك بقوله:

«ونقطع على أن تلك الموازين أشياء يبين الله عز وجل بها لعباده مقادير أعمالهم من خير أو شر، من مقدار الذرة. التي لا نحس وزنها في موازيننا

(١) سنن الترمذى ج ١ ص ٧٧.

(٢) تفسير المنار ج ٨ ص ٣٢٣

أصلاً - فما زاد ، ولا ندرى كيف تلك الموازين ، إلا إننا ندرى أنها بخلاف موازين الدنيا» . . . إلى أن يقول:

«وأما من قال - بما لا يدرى - أن ذلك الميزان ذو كفتين ، فإنما قاله قياساً على موازين الدنيا ، وقد أخطأ في قياسه ؛ إذ في موازين الدنيا ما لا كفة له كالقرسطون»^(١) .

وهذا الرأى إن كان يقصد أصحاب إثبات الميزان ، الوارد به وبصفاته الشع ، دون التنطع بعد ذلك من وصفه بأنه من فضة ، أو من ذهب ، أو غير ذلك ؛ فهذا قول صحيح.

وإن كانوا يقصدون إثبات ميزان مجرداً عن كل وصف ؛ فإن ما ورد من إثبات أن له لساناً وكفتين لا يتفق مع هذا القول.

بالإضافة إلى هذا ؛ فإن ما علق به الشيخ أحمد شاكر على عبارة الزهري غير مناسب ، فإن مقتضى نقد عبارة الزهري أن يقول : إن وزن الموضوع لا ينافي تنشيفه ، وأما ما ساقه من وصف الميزان فهذا ما لم يتعرض له الزهري ، حسب ما ذكره عنه الترمذى هنا.

أما إثبات نسبة القول إلى مجاهد من تأويله الميزان بمعنى العدل ، فهو إضافة إلى ما ذكره القرطبي عنه من تأويله ذلك ، فقد أخرج الطبرى أيضاً^(٢) بسانده إلى مجاهد ، أنه فسر الوزن المذكور في الآية ﴿وَالْوَزْنُ يُوْمَلِدُ الْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨] فسره بأنه في هذا الموضع المراد به القضاء والعدل ، خلافاً لما فسره غيره بأنه وزن الأعمال.

(١) الفصل ج ٤ ص ٦٦ .

(٢) جامع البيان ج ٨ ص ١٢٣ ، وفتح القدير ج ٢ ص ١٩٣ .

ولكن الطبرى أخرج عن مجاهد أيضاً أنه قال في الآية «وَالْوَزْنُ يُوْمَئِذٍ الْحَقُّ»، قال: «قال عبيد بن عمير: يؤتى بالرجل الطويل العظيم فلا يزن جناح بعوضة».

فهل يفهم من هذا أنه يقول بالميزان ذي الكفات، إذ إن وزن الرجل ثم لا يزن بعوضة إنما يفهم بالميزان ذي الكفات؟ أم أنه يقول معناه إلى أن المراد به إظهار تفاهته وقلة شأنه؟ احتمال لم يبينه الطبرى حينما ذكر ذلك عنه، فإذا ثبت نسبة هذا القول إلى مجاهد وغيره من نسب إليه هذا القول، أي تأويل الميزان الوارد به الشرع في يوم القيمة بالعدل أو القضاء أو أي تأويل آخر دون إثبات حقيقة الميزان. فإنه يعتبر خروجاً به إلى غير معناه الصحيح، ويكون فتح باب لتأويل كثير من أمور الآخرة والمغيبات إلى معان باطلة لم تدل عليها النصوص.

قال القرطبي رحمه الله عن تأويل هؤلاء:

«لو جاز حمل الميزان على ما ذكروه؛ بجاز حمل الصراط على الدين الحق، والجنة والنار على ما يرد على الأرواح - دون الأجساد - من الأحزان والأفراح، فالشياطين والجن على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القوى المحمودة، وهذا كله فاسد لأنه رد لما جاء به الصادق»^(١).

ولعل الحامل لهؤلاء الذين أولوا المراد بالميزان إلى معنى العدل أو القضاء، وأن ذكرهما هو من باب ضرب المثل، كما يقال: هذا الكلام في وزن هذا - كما زعموا - لعل الذي حملهم هو اعتمادهم على أن ذلك التأويل سائع من جهة اللغة.

ولكن ينبغي أن يلاحظ أنه وإن ساغ ذلك في اللغة، لكنه ليس بسائغ من جهة الشرع، قال الزجاج عن هذا التأويل إنه: «سائغ من جهة اللسان» لكن «الأولى أن نتبع». كما قال الزجاج - ما جاء في الأسانيد الصحاح من ذكر الميزان».

وقد قال القشيري معقبًا على قول الزجاج: «وقد أحسن الزجاج فيما قال؛ إذ لو حمل الصراط على الدين الحق، والجنة والنار على ما يريد على الأرواح دون الأجساد، والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القوى المحمودة ولم يكمل الشوكاني الجواب عن هذا فيما ينقله عن الزجاج، ولعل المعنى ظاهر وهو (أي لكان ذلك تلاعبا بالنصوص وخروجا عما دلت عليه)».

ثم قال الشوكاني متابعا نقله عن الزجاج: «وقد أجمعـت الأمة في الصدر الأول على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل، وإذا أجمعـوا على منع التأويل؛ وجـب الأخـذ بالظـاـهر وصـارت هـذـه الظـاـهرـ نـصـوصـا»^(١).

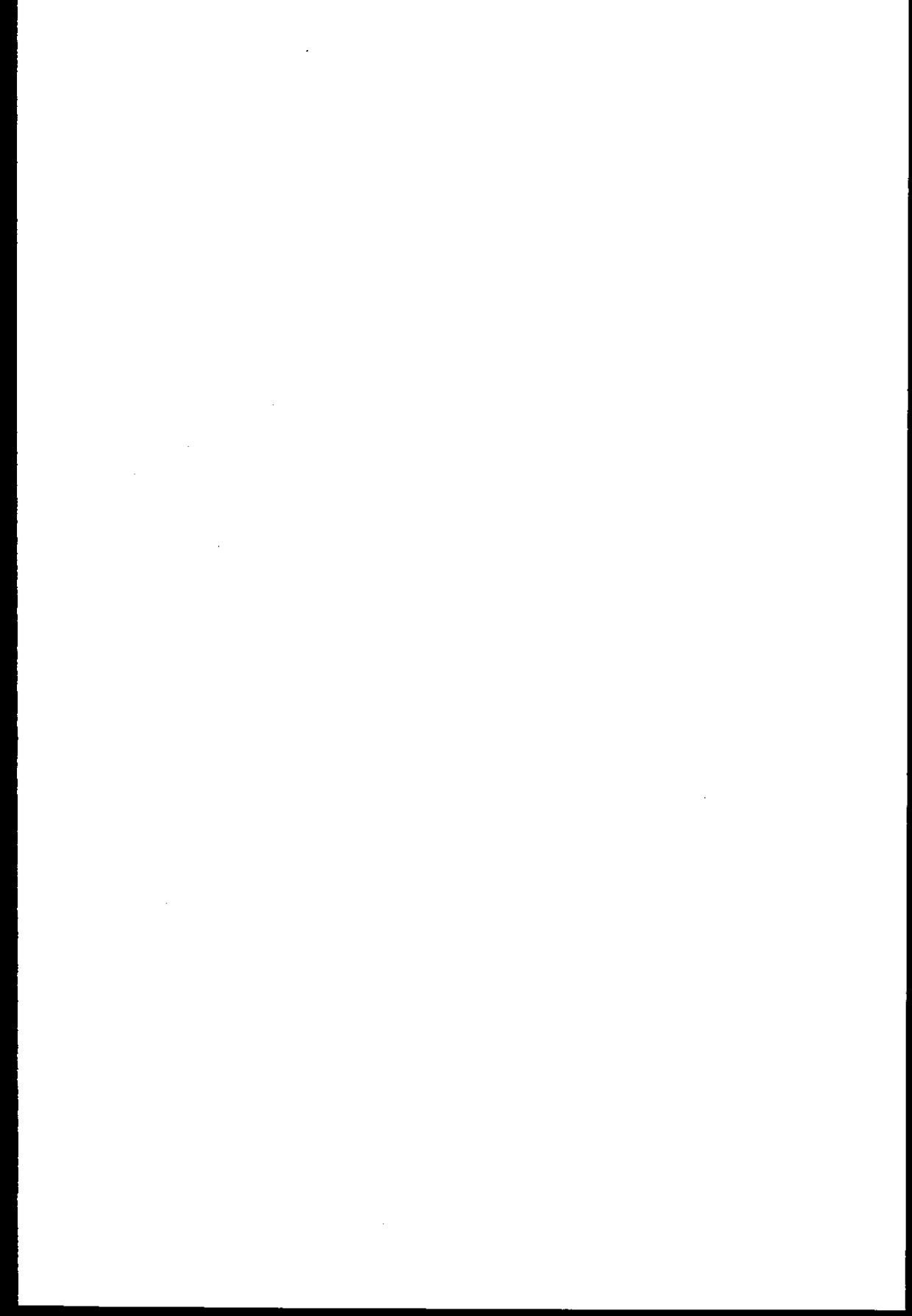
ويذكر الأزهري - وهو من أئمة اللغة - أن لفظة الميزان، وإن كانت سائغة الاستعمال في عدة معان، إلا إنه إذا جاء الشرع بقصرها على معنى؛ وجـب المصـيرـ إلى ذلكـ، فهوـ يقولـ. بعدـ أنـ ذـكـرـ معـانـيـ المـيزـانـ :

«هـذاـ كـلـهـ فـيـ بـابـ الـلـغـةـ، وـالـاحـتجـاجـ سـائـغـ، إـلاـ إـنـ الـأـولـىـ مـنـ هـذـاـ أـنـ نـتـبـعـ مـاـ جـاءـ بـالـأـسـانـيدـ الصـحـاحـ، فـإـنـ جـاءـ فـيـ الـحـبـرـ أـنـ مـيـزـانـ لـهـ كـفـتـانـ. مـنـ حـيـثـ يـنـقـلـ أـهـلـ الثـقـةـ. فـيـنـبـغـيـ أـنـ يـقـبـلـ ذـلـكـ»^(٢).

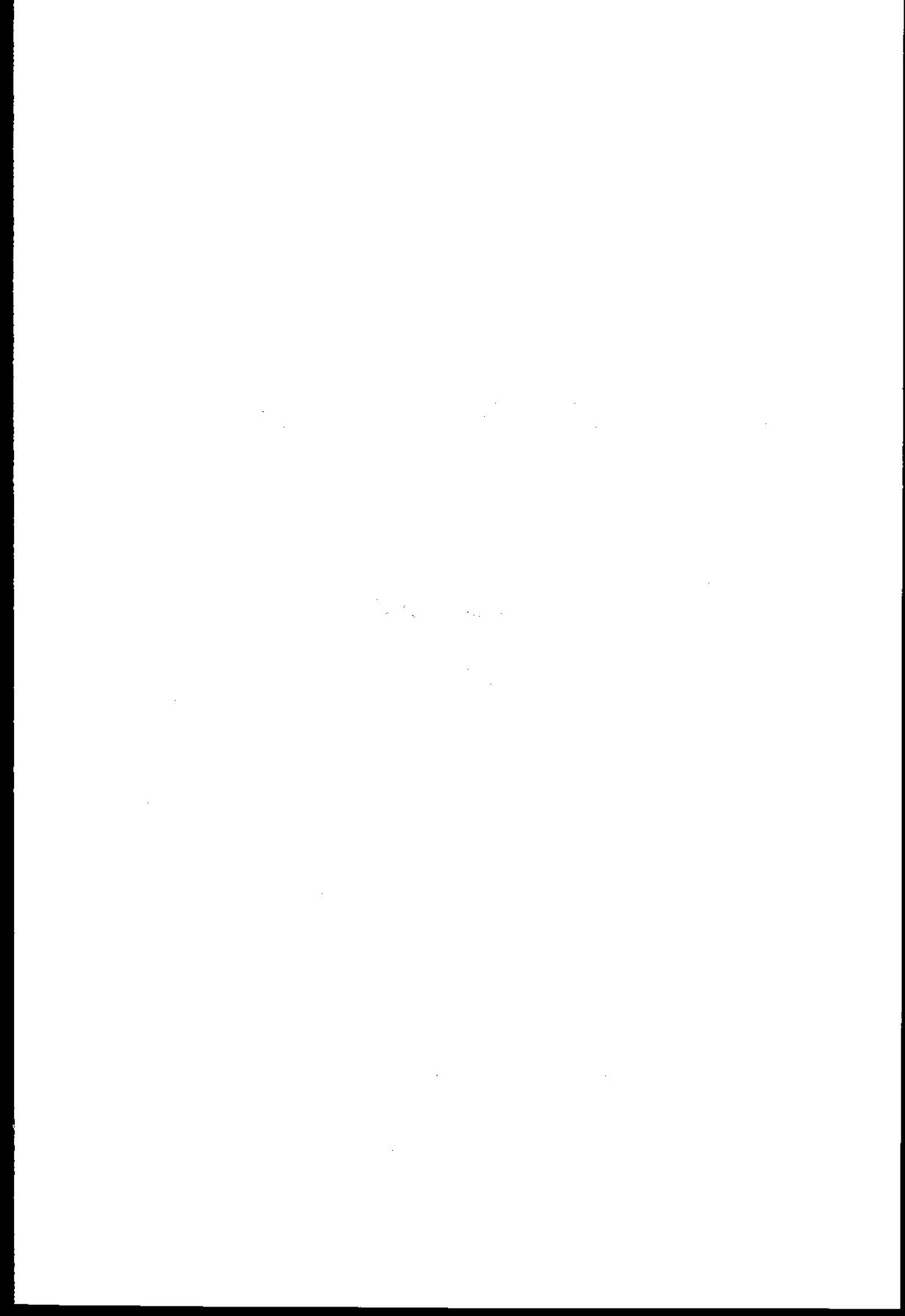
* * *

(١) فتح القدير ج ٢ ص ١٩٠.

(٢) تهذيب اللغة ج ١٣ ص ٢٥٧.



الفصل الخامس
صفات الميزان



الفصل الخامس

صفات الميزان

فيما سبق بحثه يتضح من خلاله أن الميزان له أوصاف خاصة ، فهل تلك الأوصاف التي ثبتت لها من اللسان والكتفين - محل اتفاق بين العلماء المثبتين للميزان ؟ أم أن هناك خلافاً بينهم ؟

الواقع أن العلماء لم يتفقوا على إثبات أوصاف الميزان - وقد تقدمت الإشارة إلى بعض الجوانب في وجوب الإياب بالميزان ، وموافق الناس في ذلك - وأما خلافهم في ثبوت صفاتة فقد انقسموا إلى فريقين :

١ - أما الفريق الأول : فهم المثبتون لصفات الميزان الحسية ، من أن له كفتين . . . إلى آخر أوصافه ، وهؤلاء ، وإن أثبتوها هذا ، لكنهم يرجعون صفة تلك الكفات واللسان إلى علم الله تعالى .

٢ - أما الفريق الآخر : فهم النافون لتلك الصفات .

وستذكر رأي الفريقين فيما يلي :-

(١) المثبتون لصفات الميزان :

يشتبه هؤلاء - وهم جمهور العلماء - أن الميزان له كفتان حسيتان مشاهدتان ، وله لسان كذلك .

يقررون هذه الحقيقة غير ملتفتين إلى من تشمسئ قلوبهم من سمعها ،

لعدم قبول عقولهم لها، وعدم تفهم ما ورد عن المصطفى ﷺ في ذلك. ذلك أن الحق ضالة المؤمن ، وما ورد به الشرع هو الذي ينبغي أن يقدم على هوئي النفس وحكم العقل.

و سنذكر فيما يلي بعض أقوال هؤلاء كأمثلة على ثبوت ما ذكرنا.

قال القرطبي - ردأ على من ينكر الميزان ، ويقول الوزن بأنه من ضرب المثل ، وأن الوزن يراد به العدل والقضاء . قال : « وهذا القول مجاز ، وليس بشيء ، وإن كان شائعاً في اللغة . للسنة الثابتة في الميزان الحقيقي ، ووصفه بكفين ولسان ، وأن كل كفة منها طباق السموات والأرض »^(١) .

ويعزّو القرطبي إلى ابن عباس أنه قال : « توزن الحسنات والسيئات في ميزان له كفتان ولسان »^(٢) .

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس أنه قال : « الميزان له لسان وكفتان ، يوزن فيه الحسنات والسيئات ، فيؤتى بالحسنات في أحسن صورة فتووضع في كفة الميزان ، فتشغل على السيئات ؛ فتؤخذ فتووضع في الجنة و يؤتى بالسيئات في أقبح صورة فتووضع في كفة الميزان فتخف »^(٣) .

ويقول ابن قدامة « والميزان له كفتان ولسان ، توزن به الأعمال ، فـ { من ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون }^(٤) ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون }^(٤) [المؤمنون : ١٠٢ - ١٠٣] .

(١) التذكرة ص ٣٧٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٧٨ .

(٣) الدر المثور ج ٣ ص ٧٠ .

(٤) ابن قدامة في لغة الاعتقاد ص ٣٣ .

ويقول أبو الحسن الأشعري في معرض بيانه لاختلاف الناس في الميزان، ومبيناً رأي أهل السنة: «فقال أهل الحق: له لسان وكفتان، توزن في إحدى كفتيه الحسنات وفي الأخرى السيئات، فمن رجحت حسناته؛ دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته؛ دخل النار، ومن تساوت حسناته وسيئاته؛ تفضل الله عليه فادخله الجنة»^(١).

ويثبت ابن كثير «أن للميزان كفتين حسيتين، ويستدل على هذا من السنة بحديث صاحب البطاقة المشهور وغيره من الأحاديث»^(٢).

وأخرج الطبرى عن ابن جرير قال: «قال لي عمرو بن دينار: قوله: **﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَ الْحِقُّ﴾** قال: إنما نرى ميزاناً وكفتين، سمعت عبيد بن عمير يقول: يجعل الرجل العظيم الطويل في الميزان، ثم لا يقوم بجناح ذباب»^(٣) وهو القول الذي رجحه الطبرى أيضاً.

ويقول ابن أبي العز: «والذى دلت عليه السنة: أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدان»^(٤).

وقال أبو إسحاق الزجاج - كما نقل عنه الحافظ ابن حجر -: «أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيمة، وأن الميزان له لسان وكفتان، ويعيل بالأعمال»^(٥).

(١) المقالات ج ٢ ص ١٦٤.

(٢) النهاية ج ٢ ص ٢٤.

(٣) جامع البيان ج ٨ ص ١٢٣.

(٤) الطحاوية ص ٤٧٢.

(٥) نقله عنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ج ١٣ ص ٥٣٨.

ويقول السفاريني :

«فقد دلت الآثار على أنه ميزان حقيقي ذو كفتين ولسان، كما قال ابن عباس والحسن البصري، وصرح بذلك علماؤنا، والأشعرية وغيرهم، وقد بلغت أحاديثه مبلغ التواتر، وانعقد إجماع أهل الحق من المسلمين عليه»^(١).

ويقول البرديسي : «وانعقد الإجماع على أنه ميزان حسي له كفتان ولسان، يوضع فيه صحف أعمال العباد ليظهر الرابع والخاسر»^(٢).

ويروى من طريق عبد الملك بن أبي سليمان أنه قال : «ذكر الميزان عند الحسن فقال : له لسان وكفتان»^(٣).

وعن سليمان قال : «يوضع الميزان له كفتان، لو وضع في إحداهما السموات والأرض ومن فيهن لوسعته»^(٤).

ويقول الهراس :

«وهناك تنصب الموازين فتوزن بها أعمال العباد، وهي موازين حقيقة كل ميزان منها له لسان وكفتان، ويقلب الله أعمال العباد. وهي أعراض أجساماً لها ثقل، فتوضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة»^(٥).

(١) لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٨٥.

(٢) تكملة شرح الصدور ص ١٤.

(٣) تفسير المنار ج ٨ ص ٣٢٢.

(٤) فتح الباري ج ١٣ ص ٥٣٩.

(٥) شرح العقبيدة الواسطية ص ١٢٣.

ونقتصر في إثبات أن الميزان له لسان وكفتان على ما قدمناه من ذكر أقوال العلماء.

وبهذا يتبيّن أن أهل الحق - أهل السنة والجماعة - يثبتون حقيقة الميزان على ضوء ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، لا يتأولون معناه، ولا يردون ما جاء في وصفه، ويقولون: الله وحده هو الذي يعلم قدرهما وكيفيتهم.

إذ لو لم يكن له لسان وكفتان؛ بل هو يعني العدل والقضاء كما ذهب إليه بعض العلماء، لو لم يكن كذلك لما وصف في السنة النبوية بأن له لساناً وكفتين، وأنه يخف ويُثقل؛ إذ العدل لا يقال فيه تلك الصفات، فصح أنه ميزان حقيقي يزن الله فيه أعمال العباد، فمن رجحت حسناته على سيئاته؛ دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته؛ دخل النار، على ما أعلم من مذهب السلف.

وإذا كنا ثبتت صفات الميزان على ضوء ما جاء به الشرع، فإنه لا ينبغي أن نتكلف فتشيّط له أو صافياً تحتاج إلى إثبات من الشارع، أو نستند إلى أخبار لم تثبت، فإن الغلو في هذا مذموم.

وكمثال على هذا: ما يذهب إليه بعض الناس من أن كفتي الميزان من ذهب^(١)، أو القول بأن كفة الحسنات من نور وكفة السيئات من ظلام^(٢)، أو

(١) الفصل لابن حزم ج ٤ ص ٦٥.

(٢) التذكرة ص ٣١٣.

أن كفة الحسنات عن يمين العرش مقابل الجنة، وكفة السيئات عن يسار العرش مقابل النار^(١).

أو ما يقال إن صاحب الميزان يوم القيمة هو جبريل عليه السلام^(٢). فتلك المسائل كلها تحتاج لإثباتها - فضلاً عن اعتقادها - إلى نص صحيح، فإن بعض العلماء يتسامل فيما يقرره من هذه المسائل، مثل ما يرويه السفاريني بصيغة التضعيف - يروى - (أن داود عليه السلام سأله ربه أن يريه الميزان، فلما رأه غشي عليه، فلما أفاق قال: إلهي من ذا الذي يقدر ييلاً كفة حسناته؟ فقال: إذا رضيت عن عبدي ملائتها بتمرة)^(٣).

أو ما يذكره عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه - غير معزو إلى أحد - أنه قال: «ميزان رب العالمين ينصب للجن والإنس، يستقبل به العرش، إحدى كفتيه على الجنة والأخرى على جهنم، لو وضعت السموات والأرض في إدحاماً لوسعتهن، وجبريل آخذ بعموده ينظر إلى لسانه»^(٤) وكذا ما يروى عن ابن عمر مرفوعاً: «من كبر تكبيرة في سبيل الله، كانت صخراً في ميزانه أثقل من السموات السبع وما فيهن وما تحتهن، وأعطاه الله بها رضوانه الأكبر، وجمع بينه وبين محمد وإبراهيم والمرسلين في دار الجلال: ينظر

(١) المصدر السابق ص ٣١٤، وعزاه إلى الترمذى الحكيم.

(٢) أخرجه الطبرى في جامع البيان ج ٨ ص ١٢٣ عن الحرىث، قال: ثنا عبد العزىز قال: ثنا يوسف بن صهيب، عن موسى، عن بلال ابن يحيى، عن حذيفة.

(٣) ذكره السفاريني في لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٨٤، وعزاه إلى الرازى والشعلبي.

(٤) المصدر السابق ولم يعزه إلى أحد.

إلى الله بكرة وعشياً»^(١).

وفي رواية أخرى عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من كبر تكبره على ساحل البحر، كان في ميزانه صخرة، قيل: يا رسول الله، وما قدرها؟ قال: تمامًا بين السماء والأرض»^(٢).

ويقول السفاريني:

«ظواهر الآثار وأقوال العلماء: أن كيفية الوزن في الآخرة. خفة وثقلًا. مثل كيفية في الدنيا، ما ثقل نزل إلى أسفل ثم يرفع إلى علين، وما خف طاش إلى أعلى ثم نزل إلى سجين، وبه صرح جموع، منهم القرطي».

وقال بعض المتأخرین بل الصفة مختلفة، وإن عمل المؤمن إذا رجع صعد وسفلت سينته، والكافر تسفل كفته لخلو الأخرى عن الحسنات، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُه﴾ [فاطر: ١٠].

وذكر بعضهم في صفة الوزن: أن يجعل جميع أعمال العباد في الميزان في مرة واحدة، الحسنات في كفة النور، وهي يمين العرش جهة الجنة، والسيئات في كفة الظلمة وهي عن يساره جهة النار، ويخلق الله لكل إنسان علمًا ضروريًا يدرك به خفة أعماله وثقلها.

(١) قال السيوطي في اللآلئ المصنوعة «قال ابن حبان لا أصل له، إسحاق يأتي بالموضوعات عن الثقات. قلت. السيوطي. وكذا قال الدارقطني في غرائب مالك إنه موضوع». ص ١٣٧ ج ٢.

(٢) قال ابن عدي: هذا ما وضعه النخعي، وزيد ليس بشيء. اللآلئ المصنوعة ج ٢ ص ١٣٧.

وقيل : بل علامه الرجحان عمود نور يقوم في كفة الحسنات حتى يكسو كفة السيئات ، وعلامه الخفه عمود ظلمه يقوم من كفة السيئات حتى يكسو كفة الحسنات ، لكل أحد^(١) .

والظاهر أن هذه الكيفيات كلها تحتاج إلى إثبات ، فهـي مسألة غبية ، والله تعالى له القدرة على ما يشاء .

(٢) النافون لصفات الميزان:

وهؤلاء قالوا بعكس ما قاله الفريق الأول ، حيث أحجموا عن وصف الميزان بالأوصاف التي تقدمت ، واكتفوا بإثبات أن هناك ميزاناً فقط .

١ - يقول محمد رشيد رضا - في نفي تلك الصفات وفي رده على الزجاج : «إذا لم يكن في الصحيحين ولا في كتب السنة المعتمدة حديث صحيح مرفوع في صفة الميزان ، ولا في أن له كفتين ولساناً ، فلا تغير بقول الزجاج أن هذا مما أجمع عليه أهل السنة ، فإن كثيراً من المصنفين يتساهلون بإطلاق كلمة الإجماع ، ولا سيما غير الحفاظ المتقين ، والزجاج ليس منهم ، ويتساهلون في عزو كل ما يوجد في كتب أهل السنة إلى جماعتهم ، وإن لم يعرف له أصل من السلف ، ولا اتفق عليه الخلف منهم ، وهذه المسألة مما اختلف فيه السلف والخلف كما علمت»^(٢) .

(١) لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٨٨ - ١٨٩ .

(٢) تفسير المدار ج ٨ ص ٣٢٢ .

وقال أيضاً:

«والأصل الذي عليه سلف الأمة في الإيمان بعالم الغيب: أن كل ما ثبت من أخباره في الكتاب والسنة فهو حق لا ريب فيه، نؤمن به، ولا نحكم رأينا في صفتة وكيفيته، فنؤمن إذاً بأن في الآخرة وزناً للأعمال قطعاً، ونرجح أنه ميزان يليق بذلك العالم، يوزن به الإيمان والأخلاق والأعمال، ولا نبحث عن صورته وكيفيته ولا عن كفتيه. إن صع الحديث فيهما. كما صورة الشuranى في ميزانه»^(١).

والواقع أن ما قاله محمد رشيد رضا - من إنكار أن يكون هناك أي إشارة إلى أن الميزان له كفتان من السنة - غير مسلم، فقد جاء في السنة بعض الأحاديث التي تدل على وزن العمل ووزن العامل، كما أخرج البخاري: «يؤتى بالرجل فيوضع في كفة، ويكفوه أيضاً، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، وغيرها من الأحاديث التي قدمنا ذكرها، وفيها إشارة إلى إثبات أن ميزان الأعمال له كفتان».

ثم إن إثبات أن الميزان له كفتان لم يقل به الزجاج وحده، بل هو ما عليه الأئمة الذين قدمنا ذكر أقوالهم.

٢ - ما علقه الدكتور / طه محمد الزيني على ترجمة ابن كثير في إثبات أن للميزان كفتين حسيتين بقوله: «لا يوجد دليل قاطع في القرآن ولا في الحديث على أن كفتي ميزان الحساب يوم القيمة حسيتان - أي يدركان

(١) تفسير المدارج ٨ ص ٣٢٣.

ياحدى الحواس الخمس، وأقرب الحواس إلى إدراك الكفتين اللمس باليد. بل كل ما في القرآن والحديث يحتمل أن يكون الوزن معنوياً، بل هو الأرجح؛ لأن أعمال يوم القيمة أكثرها معنو يقرب إلى الأذهان .. بتشبيهه بالحسيات «^(١)».

وهذا القول من الدكتور / طه الزيني يعتبر بعيداً عما قرره العلماء، ومخالفاً لما جاءت به السنة في وزن الأعمال، وليس ما يذكره من أن أعمال يوم القيمة من الأشياء المتخيلة التي يشبه فيها المعنى بالحسي. فإن القول بهذا يفتح باباً خطيراً من التشكيك في أمور الآخرة، وينبغي على من يقول بهذا أن يعيد النظر فيه.

وقد سبق - في الاستدلال على وجوب الإيمان بالميزان - الإشارة إلى أن نفاة صفات الميزان من المتأخرین قد سبقهم إليه ابن حزم.

* * *



الفصل السادس

ما الذي يوزن في الميزان؟



الفصل السادس

ما الذي يوزن في الميزان؟

حينما ننظر في الأحاديث التي وردت في شأن الميزان نجد أنها تدل على أن الموزونات تشمل ثلاثة أشياء، هي :

- ١ - وزن العامل.
- ٢ - وزن العمل.
- ٣ - وزن صحف الأعمال.

وقد رويت آثار كثيرة في ثبوت وزن كل واحد من تلك الثلاثة الأمور، فإن شاء الله تعالى وزن العمل، وإن شاء وزن العامل، وإن شاء وزن صحف الأعمال، وإن شاء وزن الجميع.

فهل اتفق العلماء على ذلك أو لا؟

الواقع أن فيه خلافاً بينهم ، فبعضهم يثبت الميزان لواحد من تلك الثلاثة الأمور، وبعضهم يثبت وزن الكل ، وحيثند فلا تبقى معارضة ولهذا يقول الحافظ ابن كثير :

«وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار : بأن يكون ذلك كله صحيحاً، فتارة

توزن الأعمال، وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها»^(١).

ويقول العلامة شارح الطحاوية:

«فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال، وثبت أن الميزان له كفتان، والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات»^(٢).

وقد بوب البخاري لثبوت وزن العمل بقوله:

«باب: قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧] وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن»^(٣).

وقال البرديسي: «انعقد الإجماع على أنه ميزان حسي له كفتان ولسان ، يوضع فيه صحف أعمال العباد .

ثم قال في شرحه لكلمة (يوضع فيه صحف أعمال العباد):

«هذا على قول ، وقيل: تمجد الأعمال وتوزن ، وقيل: توزن الذوات؛ لحديث: «يؤتى بالثقل العظيم فلا يزن عند الله جناح بعوضة»^(٤) .

وذكر الشيخ عبد العزيز بن باز في تعليقه على «التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة»، في الجمع بين وزن تلك الثلاثة الأمور فقال:

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/٢٠٢.

(٢) الطحاوية ص ٤٧٥.

(٣) صحيح البخاري ج ١٣ ص ٥٣٧ . الفتح.

(٤) تحملة شرح الصدور ص ١٤.

«الجمع بين النصوص الواردة في وزن الأعمال والعاملين والصحائف: أنه لا منافاة بينها، فالجميع يوزن ، ولكن الاعتبار في الثقل والخلفة يكون بالعمل نفسه ، لا بذوات العامل ولا بالصحيفة»^(١).

وفيما يلي نورد ما جاء في إثبات كل واحد من تلك الثلاثة الأمور بالتفصيل:-

١- أدلة وزن العامل

وردت النصوص بإثبات أن العامل نفسه يوزن كما سبقت الإشارة إليه ، ومن أدلة إثبات ذلك :

«ما أخرجه الشیخان عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة ، وقال : اقرعوا إن شتم : ﴿فَلَا نُقْيِمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزُنَّا﴾ [الكهف : ١٠٥] ^(٢) .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ - : «يؤتى بالرجل الأكول الشروب العظيم فيوزن بحبة فلا يزنها» ، قال : واقرعوا ﴿فَلَا نُقْيِمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزُنَّا﴾ ^(٣) .

(١) التبيهات اللطيفة ص ٤٠.

(٢) أخرجه البخاري ج ٨ ص ٤٢٦ ومسلم ج ٥ ص ٦٥٥ (النووي) وابن حجر ج ٦ ص ٣٥.

(٣) ذكره ابن كثير في النهاية ج ٢ ص ٩٥ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وعزاه ابن حجر إلى ابن مردواية .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه كان يجتني سواكًا من الأرak، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكتفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ : «مَمْ تضحكون؟ قالوا: يا نبِيَّ اللَّهِ مِنْ دُقَةِ سَاقِيهِ، فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلَ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ»^(١).

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عبد الله بن عمرو - رفعه في إحدى روايات حديث البطاقة - أن رسول الله ﷺ قال:

«يُؤْتَى بِرَجُلٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْمِيزَانِ، فَيُخْرَجُ لَهُ تِسْعَةً وَتِسْعَونَ سَجْلًا، كُلُّ سَجْلٍ مِنْهَا مَدُ الْبَصَرِ، فِيهَا ذُنُوبٌ وَخَطَايَا، فَتَوْضِعُ فِي كَفَةٍ، ثُمَّ يُخْرَجُ لَهُ قَرْطَاسٌ مُثْلِثٌ الْأَنْمَلَةِ فِيهَا شَهادَةُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَتَوْضِعُ فِي الْكَفَةِ الْأُخْرَى، فَتَرْجَعُ بِخَطَايَاهِ»^(٢).

وقد علق ابن كثير على هذا الحديث بقوله: «وَهَذَا السِّيَاقُ فِيهِ غَرَابَةٌ، وَفِيهِ فَائِدَةٌ جَلِيلَةٌ وَهُوَ أَنَّ الْعَامِلَ يُوزَنُ مَعَ عَمْلِهِ»^(٣).

وقال ابن جرير في تفسير قول الله تعالى: «فَلَا تُقْيِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا»: «أَيْ فَلَا تُجْعَلُ لَهُمْ ثَقْلًا، وَإِنَّمَا عَنِّي بِذَلِكَ: أَنَّهُمْ لَا تُشَقَّلُ بِهِمْ مُوازِينُهُمْ، لَأَنَّ الْمُوازِينَ إِنَّمَا تُشَقَّلُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحةِ، وَبِنَحْوِ الذِّي قَلَّنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ»^(٤).

(١) أخرجه أحمد ج ١ ص ٤٢١ قال ابن كثير: «تفرد به أحمد، وإسناده جيد قوي».

(٢)، (٣) النهاية ج ٢ ص ٩٣.

(٤) تفسير الطبرى ج ١٦ ص ٣٥.

ويقرر ابن أبي العز وزن العامل مستدلاً بما تقدم في الصحيحين، وهو ما يستدل به كثير من العلماء^(١).

وما تقدم من النصوص ظاهر في وزن العامل، غير أن في بعض أقوال العلماء من يفسر قول الرسول ﷺ في الرجل السمين الكافر أنه لا يزن جناح بعوضة أو حبة يؤوله بأن معنى هذا إشارة إلى حقارته وعدم اتفاعه بسمته، وأنه لا ثواب له.

وفي هذا يقول القرطبي - فيما ينقله عن العلماء - إن معنى هذا الحديث: «أنه لا ثواب لهم، وأعمالهم مقابلة بالعذاب، فلا حسنة لهم توزن في موازين يوم القيمة، ومن لا حسنة له فهو في النار، وقال أبو سعيد الخدري: يؤتى بأعمال كجبال تهامة فلا تزن شيئاً، وقيل: يحتمل أن يريد المجاز والاستعارة، كأنه قال: فلا قدر لهم عندنا يومئذ»^(٢).

وقال السفاريني، نقاًلاً عن الشيخ مرعي في بهجته، بعد أن أورد حديث صاحب البطاقة، قال: «ثبت بهذا الحديث الصحيح أن الموزون صحائف الأعمال، وهو الحق، فإن قيل: قد أخرج الشیخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة، فقد صرخ بأن الموزون نفس بدن الإنسان؛ فالجواب: أن هذا ضربه النبي ﷺ مثلاً للذي يغتر ببعض الأجسام، وهو

(١) انظر: شرح الطحاوية ص ٤٧٣، والأسئلة والأجوبة الأصولية ص ٢٢٢.

(٢) التذكرة ص ٣٧٣.

كتابه عن عدم اكتراث الله بالأجسام، فإن الله لا ينظر للصور وإنما ينظر للأعمال والقلوب، فكم من جسم وسم وهو عند الله من أصحاب الجحيم»^(١).

وهذا جنوح إلى التأويل وابتعاد عن ظاهر الحديث - فيما يظهر - إذ المفهوم من ظاهر الحديث أنه في وزن العامل.

أما قول أبي سعيد الخدري «يؤتى بأعمال كجبار تهامة فلا تزن شيئاً» فالظاهر أنها أعمال فاسدة، إما لأن صاحبها قد استوفى حقها في الدنيا. كما هو الحال في حسنات الكفار. وإما لأنها أعمال رباء لم يرد بها وجه الله، وإنما لغير ذلك، ولا يدل - أيضاً - قول أبي سعيد على عدم وزن العامل، وإنما يدل على أن أعمالاً توزن لا تساوي شيئاً ولا تنفع صاحبها.

وهذا كله جنوح إلى التأويل - كما قلنا - من غير دليل ولا قرينة على إرادة غير الظاهر، وإذا كان وزن العامل يوم القيمة ليس مستحيلاً عقلاً، بل هو من الممكنات الحائزة؛ فينبغي أن يفهم الكلام على ظاهره من أن العامل نفسه يوزن يوم القيمة. إذا شاء الله ذلك.

٢ - أدلة وزن العمل

جاء في السنة النبوية ما يفيد أن العمل يوزن ، ولا التفات إلى ما يقوله بعض أهل البدع من أن الأعمال أمراض لا تقبل الوزن ، فإن قائل هذا القول مبتدع راد للنصوص بهواه .

(١) لوامع الأنوار ج٢ ص٢٨٨ .

ومن الأدلة التي تثبت وزن العمل: ما جاء عن أبي مالك الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «الظهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان»^(١).

وفي الصحيح - وهو خاتمة كتاب البخاري - عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «كلماتتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»^(٢).

وأخرج الترمذى: عن أبي الدرداء، أن رسول الله ﷺ قال: «ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيمة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذىء»^(٣). . أخرجه الترمذى، وقال حديث حسن صحيح.

وأخرجه ابن أبي الدنيا بلفظ: «أثقل شيء يوضع في الميزان خلق حسن»^(٤).

وقال ابن أبي الدنيا - فيما يعزوه إليه ابن كثير عن إبراهيم - في قوله تعالى: «وَنَصَّعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ» [الأنباء: ٤٧] قال: «يجاء بعمل الرجل فيوضع في كفة ميزانه، وي جاء بشيء مثل الغمامه أو مثل السحاب كثرة فيوضع في كفة أخرى في ميزانه، فيرجح، فيقال: أتدرى ما هذا؟ فيقال: هذا العلم الذي تعلمته وعلمته الناس فعلمواه وعملوا به

(١) أخرجه مسلم ج٥ ص٦٥٥ (بشرح النووي).

(٢) أخرجه البخاري ج١٣ ص٥٣٧ (الفتح) ومسلم ج٥ ص٥٤٨ (النووي).

(٣) سنن الترمذى ج٤ ص٣٦٣ وقال حديث حسن صحيح، وأحمد ج٦ ص٤٤٢.

(٤) ذكره ابن كثير في النهاية ج٢ ص٩٣ وعزاه إلى ابن أبي الدنيا.

بعدك^(١).

وقال ابن كثير في قوله ﷺ : «والحمد لله تَمَّا الْمِيزَانُ»: «فيه دلالة على أن العمل نفسه - وإن كان عرضا قد قام بالفاعل - يحييه الله يوم القيمة فيجعله ذاتاً، وتوضع في الميزان»^(٢).

ويقول ابن أبي العز:

«وقد وردت الأحاديث أيضا بوزن الأعمال أنفسها»^(٣).

وهناك روايات - أعرضنا عنها لضعفها - تدل على أن الموضوع يوزن، مثل ما أورده الترمذى عن الزهرى^(٤) ، وكذا ما أورده ابن كثير عن سعيد بن المسيب - فيما يعزوه إلى ابن أبي شيبة . أنهما كرها المندىل بعد الموضوع؛ لأن الموضوع يوزن، فلا ينبغي تنشيفه بالمندىل.

وقد ذكر العلامة شارح الترمذى بعض الأقوال في معنى وزن الموضوع، منها:

- ١ - أن الموزون إنما هو ماء الموضوع، فيكره إزالته بالتنشيف.
- ٢ - أن ما استعمل في الموضوع هو الذي يوزن لاباقي على الأعضاء^(٥).

(١) النهاية ج ٢ ص ١٠٠ ، وعزاه إلى ابن أبي الدنيا.

(٢) النهاية ج ٢ ص ٩٣.

(٣) الطحاوية ص ٤٧٤.

(٤) سنن الترمذى ج ١ ص ٧٧.

(٥) تحفة الأحوذى ج ١ ص ٥٧.

والواقع أنه لم يثبت شيء في وزن الوضوء، والخلاف الذي ذكره صاحب تحفة الأحوذى في تنشيف الأعضاء وعدمهما - لكونهما توزن أولاً توزن - خلاف في أمر غير ثابت، كما يظهر من قول الإمام ابن القيم: «وكل حديث في التنشيف بعد الوضوء فإنه لا يصح»^(١).

كيفية وزن العمل

وزن العمل وهو عرض ما لم تقبله بعض العقول، وحاررت في القول به؛ استشكالاً لإمكانية وقوعه، ولو رجع هؤلاء إلى عقولهم واتهموها؛ لرأوا أنها قد افترضت - حينما نفت ذلك - نقصاً في جانب الله، وهو عدم قدرته سبحانه على ذلك، إذ لا معنى للقول باستحالة ذلك إلا هذا التوهم ولابد.

وحاصل الخلاف في هذه المسألة يمكن تقسيمه إلى ما يأتي :-

- ١ - منهم من ذهب إلى أنه يوزن العمل نفسه.
- ٢ - منهم من ذهب إلى أن العمل - وهو عرض - يحول إلى جسم ثم يوزن.
- ٣ - وبعضهم لم يقل لا بوزن العمل ولا بوزن العرض، بل قال بوزن الصحف.
- ٤ - وبعضهم ذهب إلى أن الله يجعل علامة من نور أو ظلمة في كفتي الميزان، تكون علامة على الحسنات أو السيئات.

(١) المنار المنيف في الصحيح والضعيف ص ١١٩.

والذي تؤيده النصوص من تلك الآراء: هو القول بوزن العمل نفسه، دون القول بتحويله إلى جسم أو غير ذلك من الأقوال السابقة، على أنه لا مانع أن يحول الله الأعراض إلى أجسام، لكن القول بأنه تعالى لا يزنها إلا إذا حولها إلى أجسام يحتاج إلى دليل، فقد رأينا فيما تقدم من النصوص التي تدل على وزن العمل ما يوجب الإيمان بذلك، وهو وزن الله للأعمال أنفسها، وأما الذين نفوا وزن العمل فيقال لهم: ما فائدة ذكر الميزان والوزن ووصفه بالخفة والثقل إن لم يكن هناك عمل يوزن؟ .

إذ كيف يتصور ميزان وصف بصفات ظاهرة معلومة، ثم وصف كذلك في القرآن بالخفة والثقل، ثم لا يكون للأعمال أي وزن؟ فما الذي يتصور أن يوزن أولى من الأعمال التي هيقصد الأول من الحساب والجزاء، والثواب والعقاب؟

وقال ابن أبي العز: «فلا يلتفت إلى ملحد معاند يقول: الأعمال أعراض لا تقبل الوزن، وإنما يقبل الوزن الأجسام، فإن الله يقلب الأعراض أجساماً»^(١).

ويبعد بعضهم جداً فيرجعون وزن الله أعمال العباد - وهي أعراض - إلى النور والظلمة، حيث يجعلان علامة على الخير والشر، فيقولون: «ليس يمتنع أن يجعل الله تعالى النور علمًا للطاعة، والظلمة أمارة للمعصية، ثم يجعل النور في إحدى الكفتين والظلمة في الكفة الأخرى، فإن ترجحت كفة

(١) شرح الطحاوية ص ٤٧٤.

النور حكم لصاحب بالثواب ، وإن ترجمت الأخرى حكم له بالأخرى».

وهذا قول القاضي عبد الجبار ، وهو وإن كان يرد على من يقول أن الميزان هو العدل ، ويبطل قوله ، غير أنه أول تأوياً بعيداً في الموزون وهو قوله الأنف الذكر ، ذلك أن النصوص ترد مثل هذا التأويل ، بل هو قول بعيد ، وأقرب منه قوله الذي وافق فيه غيره من العلماء ، وهو أنه . . «لا يمتنع أن يجعل الطاعات في الصحائف ، ثم توضع صحائف الطاعات في كفة ، وصحائف المعاصي في كفة ، فأيهما ترجمت حكم لصاحب به»^(١) . أما قوله بوزن النور والظلمة وتكون عبارة عن الأعمال ، فهو مخالف لظواهر النصوص التي تدل على وزن العمل نفسه وليس عبارة عن النور والظلمة .

ويذكر السفاريني رأياً لبعض العلماء وهو أنه «توزن نفس الأعمال ، فتصور الأعمال الصالحة بصورة حسنة نورانية ، ثم تطرح في كفة النور ، وهي اليمني المعدة للحسنات ، فتشغل بفضل الله سبحانه ، وتصور الأعمال السيئة بصورة قبيحة ظلمانية ، ثم تطرح في الكفة المظلمة ، وهي الشمال المعدة للسيئات ، فتحتفظ بعدل الله سبحانه ، كما جاء به الحديث» ثم قال «وقيقيل : إن الله تعالى يخلق أجساماً على عدد تلك الأعمال من غير قلب لها»^(٢) .

وهذا القول لا يخرج عن قول القاضي عبد الجبار السابق ، وهو تأويل

(١) شرح الأصول الخمسة ص ٧٣٥ ، وهو قول الحافظ ابن كثير حيث قال بعدم امتناع (أن يوزن بوضع الصحيفة التي كتب فيها) النهاية ج ٢ ص ٩٣ ، ٩٤ .

(٢) لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٨٧ .

يحتاج إلى إثبات، كما ثبت القول بوزن الأعمال، وأما ما وراء ذلك من تلك التفصيات فهي مسائل غبية يتوقف القول بها على صحة الدليل، وقد رد السفاريني هذا القول، لكنه أثبت أن الموزون هو صحف الأعمال.

ونقل السفاريني عن أكثر العلماء قولهم بهذا، وهذا قول ، غير أن الاقتصار على القول بوزن الصحف فقط غير مسلم، إذا لم يؤخذ في الحسبان وزن الأمور الأخرى، ومنها وزن العمل، كما يفهم من أقوال بعضهم، مثل قول السفاريني : «والحق ما قدمناه أن الموزون صحف الأعمال» وذكر من أقوال العلماء في تأييد هذا القول فقال: «صححه ابن عبد البر والقرطبي وغيرهما، وصوبه الشيخ مرعي في بهجته، وذهب إليه جمهور من المفسرين، ويؤيد ذلك حديث البطاقة والسجلات، رواه الترمذى وحسنه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم والبيهقي وقال الحاكم: على شرط مسلم»^(١) ويظهر أن القائلين بوزن الصحف فقط لا يريدون أن يقولوا بوزن الأعمال منفصلة عن الصحف .

ويعزى القرطبي إلى بعض المتكلمين إنكارهم لوزن الأعراض، لكن القرطبي يذكر أن الصحيح هو «أن الموازين تنقل بالكتب فيها الأعمال مكتوبة، وبها تخف، كما دل عليه الحديث الصحيح والكتاب العزيز، قال الله عز وجل: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ [الانفطار: ١٠].

(١) لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٨٧.

ويعزو هذا إلى ابن عمر أنه قال : «توزن صحائف الأعمال».

ولأن الصحف أجسام ، فإن الله يجعل - كما قال القرطبي - : « رجحان إحدى الكفتين على الأخرى دليلاً على كثرة أعماله بإدخاله الجنة أو النار »^(١).

وقد جاء في السنة النبوية ما يفيد قلب الأعراض إلى أجسام ، كما جاء في الصحيح أن البقرة وآل عمران تأثيان يوم القيمة كأنها غمامتان - أو غيابتان ، أو حزقان من طير صواف .

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «اقرُّوا القرآن فإنه يأتي يوم القيمة شفيعاً لأصحابه، اقرُّوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيمة كأنهما غمامتان - أو كأنهما غيابتان أو كأنهما فرقان - من طير صواف تجاجان عن أصحابهما، اقرُّوا سورة البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة »^(٢).

وجاء أيضاً : أن القرآن يأتي صاحبه في صورة رجل شاحب اللون ، فيقول : من أنت ؟ فيقول : أنا القرآن الذي أسررت ليك وأظلمت نهارك .. آخر الحافظ ابن ماجه عن ابن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : «يجيء القرآن يوم القيمة كالرجل الشاحب ، فيقول : أنا الذي أسررت ليك وأظلمت نهارك »^(٣).

(١) التذكرة ص ٣١٣.

(٢) تقدم تخریجه في شفاعة القرآن.

(٣) أخرجه ابن ماجه ج ٢ ص ١٢٤٢ (في الروايد: إسناده صحيح ، رجاله ثقات).

ومن ذلك ما جاء في حديث البراء - في قصة سؤال القبر - وفيه أن المؤمن يمثل له عمله في صورة «رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح»، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح.

وكذلك الكافر؛ فإنه يمثل له عمله في صورة «رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح»، فيقول: أبشر بالذي يسوئك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث.^(١) الحديث.

وقال الإمام مسلم رحمه الله:

(حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وأبو كريب (وتقاربا في اللفظ) قالا: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ : «يجاء بالموت يوم القيمة كأنه كبش أملح (زاد أبو كريب: فيوقف بين الجنة والنار واتفقا في باقي الحديث).

فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هنا؟ فيشربون وينظرون ويقولون: نعم، هذا الموت. قال: ويقال: يا أهل النار هل تعرفون هنا؟ قال: فيشربون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت. قال: فيؤمر به فيذبح، قال: ثم يقال: يا أهل الجنة، خلود بلا موت. وبما أهل النار، خلود بلا موت. قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ **﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُون﴾** [مريم: ٣٩] وأشار

(١) أخرجه أحمد ج ٤ ص ٢٨٧، ٢٨٨ وأبو داود ج ٢ ص ٥٤٥.

بieder إلى الدنيا»^(١).

وقد اختلف العلماء في حقيقة الموت: أهو عرض؟ أم جسم؟ وليس هذا مجال بحثه، غير أن حاصل الخلاف فيه كما يتلخص من كلام العلامة السفاريني:

- ١- أن منهم من يذهب إلى أنه عرض ومعنى.
- ٢- ومنهم من يذهب إلى أنه جسم لا عرض، وأنه مخلوق في صورة كبش، والحياة في صورة فرس.
- ٣- ومنهم من قال هو لا عرض ولا جسم، بل هو عدم محض، وبه قال الزمخشري، وأجابوا عن قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [الملك: ٢] بأن الخلق في هذه الآية التقدير.

وقد ذكر السفاريني بعض الأدلة التي يرجع بها أن الموت جسم لا عرض^(٢).

فإذا كان الموت عرضاً فإن الله تعالى يحييه في يوم القيمة إلى جسم في صورة كبش أملح، ويذبح بين الجنة والنار، وينادي كلا الفريقين؛ لتطمين هؤلاء وتبين أولئك، كما ثبت به النص.

(١) أخرجه مسلم ج ٥ ص ٧٠٥ والبخاري بمعناه ج ١١ ص ٤١٥ وأحمد ج ٢ ص ٤٢٣ عن أبي هريرة، وذكر الألباني أن الإمام أحمد أخرجه بسند صحيح. شرح (الطحاوية) ص ٤٧٥.

(٢) لوابع الأنوار ٢/ ٢٣٥.

وقد نقل الحكيم الترمذى أن مذهب السلف في حديث الإتيان بالموت في صورة كبش فيذبح «الوقوف عن الخروض في معناه، فنؤمن به ونكل علمه إلى الله تعالى»^(١).

وما تقدم تبين لنا أن الله تعالى قادر على أن يقلب الأعراض أجساماً، ثم يزنها، على أنه لا يمنع هذا أن الله تعالى يزن الأعمال دون أن يقلبها إلى أجسام، كما تقدم.

وقد جاءت العلوم الحديثة بوزن الأعراض بآلاتها الخاصة، وكمثال على ذلك: المقاييس التي يستعملها الأطباء لقياس درجة حرارة المريض، فإذا أمكن هذا في حق المخلوق فكيف بالخالق القادر على كل شيء، وربما يكون الأولى عدم الخروض في مثل هذه المسائل. ورد علم ذلك إلى الله تعالى.

٣ - أدلة وزن صدائف الأعمال

أشرنا فيما مضى إلى أن الصحف توزن، وهو قول كثير من علماء السلف.

ومن أدتهم ما أخرجه الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ سَيُخْلِصُ رِجْلًا مِّنْ أَمْتَيِّ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وفي رواية ابن ماجه «يصاح برجل». فينشر عليه

(١) ذكره السفاريني في لوامع الأنوار ٢٣٥ / ٢ وعزاه إلى الحكيم الترمذى.

تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مثل مدار البصر، ثم يقول: أتتكم من هذا شيئاً؟ أظلمكم كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم. فيخرج بطاقة فيهاأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك. فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: إنك لا تظلم.

قال: فتووضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، ونكلت البطاقة، فلا ينقبل مع اسم الله شيء^(١).

وهذا الحديث قد استدل به العلامة ابن أبي العز على صفة الميزان وثبوت وزن الصحف، فقال: «والذي دلت عليه السنة أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدان».

ثم قال: «روى الإمام أحمد من حديث أبي عبد الرحمن قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: قال رسول الله ﷺ، وذكر الحديث^(٢).

وهذا الحديث قد ثبتت صحته وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي وحسنه الترمذى^(٣).

وقد ألف العلامة أبو القاسم حمزة بن محمد بن علي الكتاني كتاباً سماه

(١) أخرجه الترمذى ٥/٢٥ . وابن ماجه في سنته ٤٣٧/٢ . وقال الترمذى بعد إخراجه له: «هذا حديث حسن غريب». والبطاقة: هي الرقة.

(٢) ، (٣) شرح الطحاوية ص ٤٧٢ تعليق الألبانى.

«جزء البطاقة»^(١) وقال عنه: «إنه من أحسن الحديث» وكل من يثبت وزن الصحف فإنه يستدل بهذا الحديث^(٢).

ولعل بعض الناس يستقل هذه الشهادة، وأنها تكون أثقل من كل الصحف المذكورة في الحديث.

ولكن هذه الكلمة - وإن كانت تقال من كل أحد من المسلمين - إلا أن مدار ثمرتها على الإخلاص واعتقاد معناها لا مجرد التلفظ بها، وأن المتكلمين بها ليسوا سواء، فإنهم يتفاوتون أشد التفاوت قبولاً ورداً، وزيادة ونقصاناً، ولهذا ورد في الحديث أن من كان آخر كلامه في الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه دخل الجنة.

كما جاء في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من كان آخر كلامه في الدنيا لا إله إلا الله وجنت له الجنة»^(٣).

ويذكر القرطبي في التذكرة: أن الصلاة على النبي ﷺ تكون في رقعة يلقىها النبي ﷺ في كفة حسنات العبد، فترجح الكفة، ولم يبين القرطبي مستند هذه الرواية إلا عن القشيري في تفسيره، وجاء بها على صيغة شعر بضعفها، وهي قوله:

«وفي الخبر: إذا خفت حسنات المؤمن أخرج رسول الله ﷺ بطاقة

(١) مخطوط بكتبة الشيخ / حماد الأنصاري.

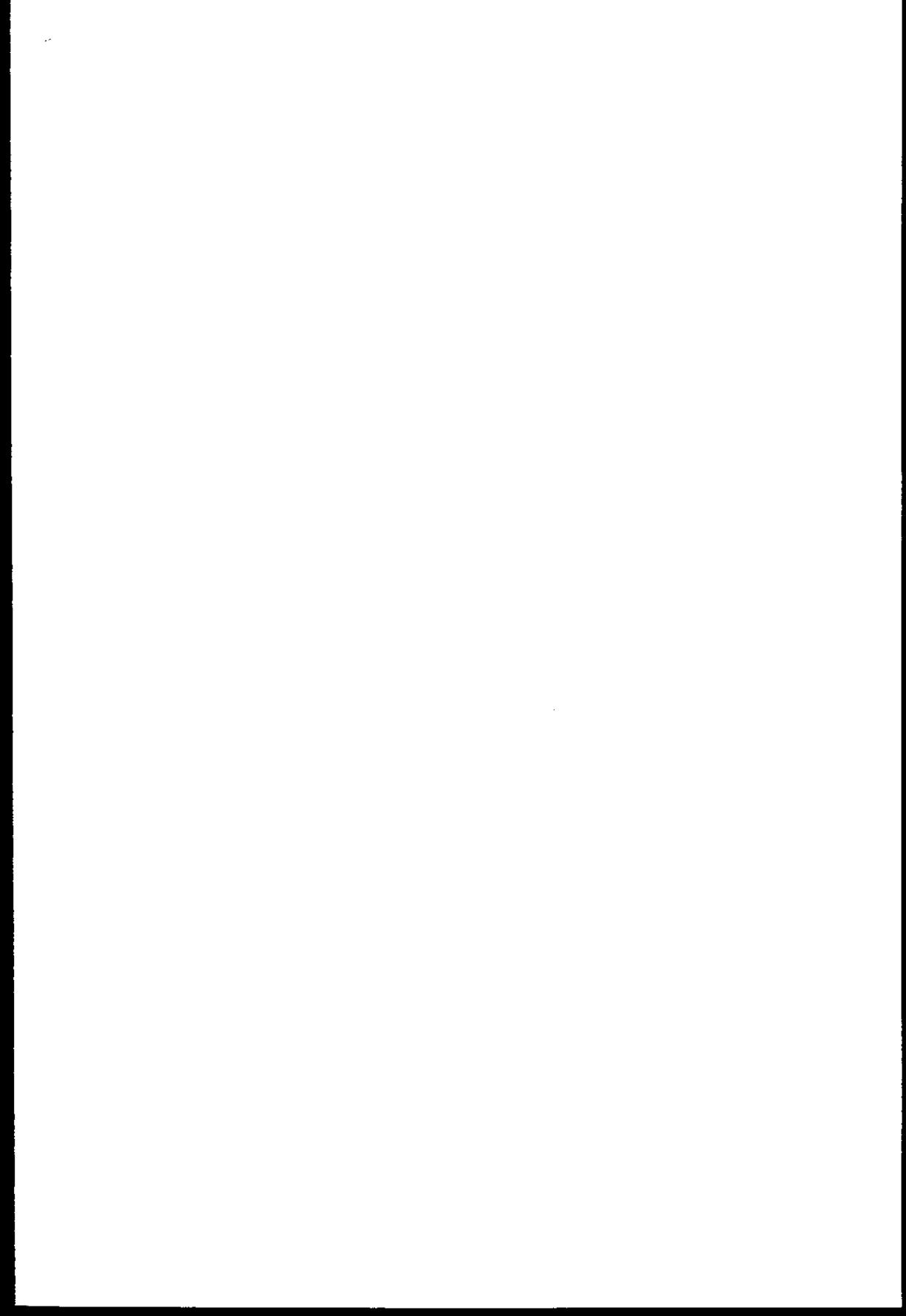
(٢) انظر: الأسئلة والأجوبة الأصولية ص: ٢٢٢.

(٣) قال القرطبي في التذكرة ص: ٣١٦، رواه صالح بن أبي غريب عن كثير ابن هرة عن معاذ.

كالأنملة، فيلقها في كفة الميزان اليمني التي فيها حسناته، فترجح الحسنات، فيقول ذلك العبد المؤمن للنبي ﷺ : بأبي أنت وأمي ما أحسن وجهك، وما أحسن خلقك، فمن أنت؟ فيقول : أنا نبيك محمد، وهذه صلاتك علىَّ التي كنت تصلي علىَّ، وقد وفيتك إياها أحوج ما تكون إليها^(١).

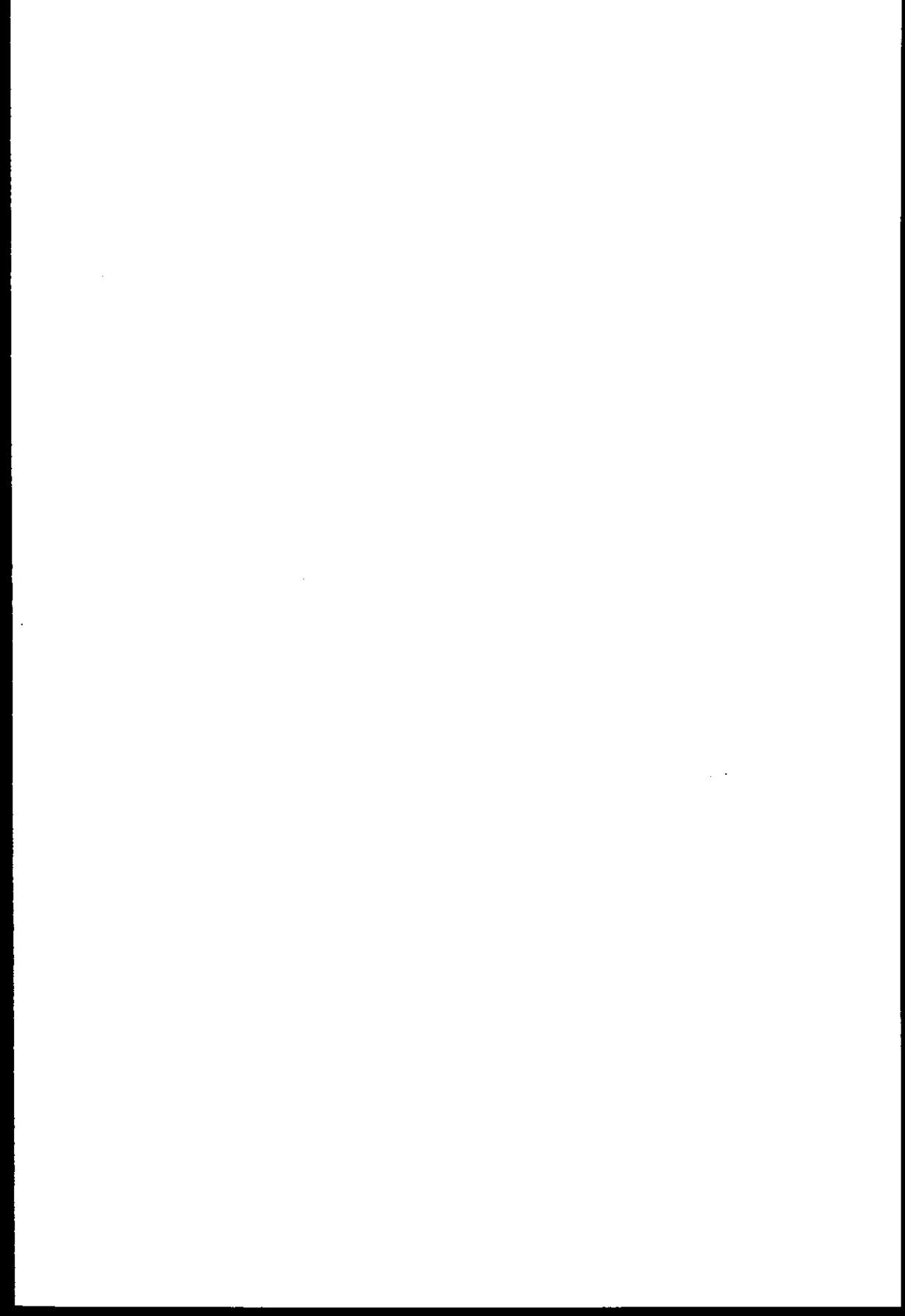
* * *

(١) التذكرة ص : ٣١١.



الفصل السابع

**حكمة الله تعالى في وزن أعمال العباد
والرد على من ينكره**



الفصل السابع

حكمة الله تعالى في وزن أعمال العباد، والرد على من ينكروه

كل مسلم يعلم أن الله تعالى حكيم عظيم، يفعل ما يشاء لحكمة، وقد يُعْرَفُ الناس بعض الحوافر من الحكم، وقد تخفي عليهم، وإذا كان الناس ينزعون العقولاء من بني آدم عن إيتائهم أعمالاً لا حكمة فيها ولا فائدة من ورائها، فكيف بالله سبحانه وتعالى؟!

وليس من صفات المسلم الحق أن يرد ما أخبر الله به، أو يتأنّله بما يطّل
المراد منه.

ومن ذلك أمر الميزان، فقد أخبر الله به، وأخبر به رسوله ﷺ ، فيجب الإيمان بذلك، وأن الله حكمة عظيمة في نصبه يوم القيمة، من أعظمها وأجلها: إظهار أقصى كمال عدله جل وعلا بين عباده، حتى لا يساوى المحسن بالمسيء، ولاظهر التفاوت بين البشر جلياً واضحاً، يقتضي كل مخلوق بذلك كما يقتضون بما يرجحه الميزان في الدنيا، ولو شاء الله أن لا يقيم الميزان ويأخذ العباد بما يعلمه سبحانه من أعمالهم الطيبة أو الخبيثة؛ لما كان في ذلك أي نقص على العباد ولا هضم لحق أي مخلوق ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَيْرُ﴾ [الملك: ١٤].

لكن الله تعالى لم يشأ ذلك، بل أراد أن يعلم العباد بأعمالهم بما

يقتنعون به هم أنفسهم، وحتى لا يبقى حجة ولا اعتراض لمعترض، والله الحجة البالغة.

وفي بيان حكمة الله في إقامة الميزان يقول الشعبي «بأن الحكمة في ذلك : تعريف الله عباده عدد مالهم عنده من الجراء من خير أو شر»^(١).

«وقال الشيخ مرعي - فيما ينسبه إليه السفاريني -: بل الحكمة فيه: إظهار العدل وبيان الفضل ، حيث إنه يزن مثاقيل الذر من خير أو شر»^(٢) «إِنَّ اللَّهَ لَا يُظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنَّ تَكُ حَسْنَةٌ يُضَاعِفُهَا وَيُؤْتَ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا»^(٣) [النساء: ٤٠].

ويقول البرديسي: «وحكمة الوزن ليبين ما يستحقه من العذاب وما يكون فيه من درجات الجنة»^(٤).

ويقول القاضي عبد الجبار - من كبار المعتزلة - عن فائدة وضع الموازين: «وأما فائدته: فهو تعجيل مسرة المؤمن وغم الكافر ، هذا في القيامة ، وفيه فائدة أخرى تتعلق بالتكليف: وهي أن المرء مع علمه أن أعماله توزن على الملا؛ كان عند ذلك أقرب إلى أداء الواجبات واجتناب المقبحات ، وهذه فائدة عظيمة»^(٥).

ويقول الطبرى في رده على من ينكر الميزان والحكمة منه: «فإن أنكر ذلك جاھل بتوجيهه معنى»^(٦) خبر الله عن الميزان وخبر رسوله ﷺ عنه

(١)، (٢) لوعم الأنوار ٢/١٨٨.

(٣) تكملة شرح الصدور ص: ٢٩.

(٤) شرح الأصول الخمسة ص: ٧٣٦.

(٥) هكذا العبارة في الكتاب المشار إليه ولعل معناها فإن أنكر ذلك جاھل بالمراد من معنى خبر الله عن الميزان.

وجهه^(١) وقال : أو بالله حاجة إلى وزن الأشياء وهو العالم بمقدار كل شيء ، قبل خلقه إياه ، وبعده ، وفي كل حال ؟ أو قال : وكيف توزن الأعمال والأعمال ليست بأجسام توصف بالثقل والخفة ؟ وإنما توزن الأشياء ليعرف ثقلها من خفتها ، وكثرتها من قلتها ، وذلك لا يجوز إلا على الأشياء التي توصف بالثقل والخفة والكثرة والقلة ، قيل له في قوله : وما وجه وزن الله الأعمال وهو العالم بمقدارها قبل كونها : وزن ذلك نظير إثباته إياه في أم الكتاب واستنساخه ذلك في الكتاب من غير حاجة إليه ومن غير نسيانه ، وهو العالم بكل ذلك في كل حال ووقت ، قبل كونه ، وبعد وجوده ، بل ليكون ذلك حجة على خلقه ، كما قال جل شأنه في تنزيله : ﴿وَتَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [٢٨] هذَا كَاتَبَنَا يُنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ [الجاثية : ٢٨ ، ٢٩] .

فكذلك وزنه تعالى أعمال خلقه بالميزان : حجة عليهم ولهم ، إما بالتقدير في طاعته والتضييع ، وإما بالتمكيل والتميم^(٢) .

ويقول ابن أبي العز - في رده على الذين ينفون الميزان ، لخفاء الحكمة عليهم ، وقولهم : إنه لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والقوال ، ومدى خطورة هذا الكلام - يقول :

«فعلينا الإيمان بالغيب كما أخبرنا الصادق عليه السلام ، من غير زيادة ولا نقصان ، ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيمة كما أخبر الشارع - لخفاء الحكمة عليه . ويقبح في النصوص قوله : لا يحتاج إلى الميزان

(١) هكذا العبارة في الكتاب.

(٢) جامع البيان / ٨ ، ١٢٤ .

إلا البقال والفوال، وما أحراء بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيمة وزناً، ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده، فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومتذرين، فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه^(١).

ثم إن الذين يحاولون التشكيك في الميزان، أو إنكار حقيقته، لا يستندون على أي دليل يصح الاحتجاج به «بل غاية ما تشبثوا به، مجرد الاستبعادات العقلية، وليس في ذلك حجة على أحد، فهذا إذا لم تقبله عقولهم فقد قبلته عقول قوم هي أقوى من عقولهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم، حتى جاءت البدع كالليل المظلم، وقال كل ما شاء، وتركوا الشرع خلف ظهورهم، وليتهم جاؤوا بأحكام عقلية يتافق العقلاء عليها ويتحدّق بقولهم لها، بل كل فريق يدعى على العقل ما يطابق هواه، ويوافق ما يذهب إليه هواه، ومن هو تابع له.

فتناقض عقولهم على حسب ما تناقضت مذاهبهم، يعرف هذا كل منصف، ومن أنكره فليصنف فهمه وعقله عن شوائب التعصب والتمذهب، فإنه إن فعل ذلك أسف الصبح لعينيه^(٢).

وذكر محمد رشيد رضا «أن حكمة وزن الأعمال بعد الحساب: أنه يكون أعظم مظهر لعدل رب تبارك وتعالى، أي ولعلمه وحكمته وعظمته في ذلك اليوم العظيم، إذ يرى فيه عباده. أفراداً وشعوبأ وأممأ. ذلك

(١) شرح الطحاوية ص: ٤٧٥.

(٢) فتح القدير ٢/١٩٠.

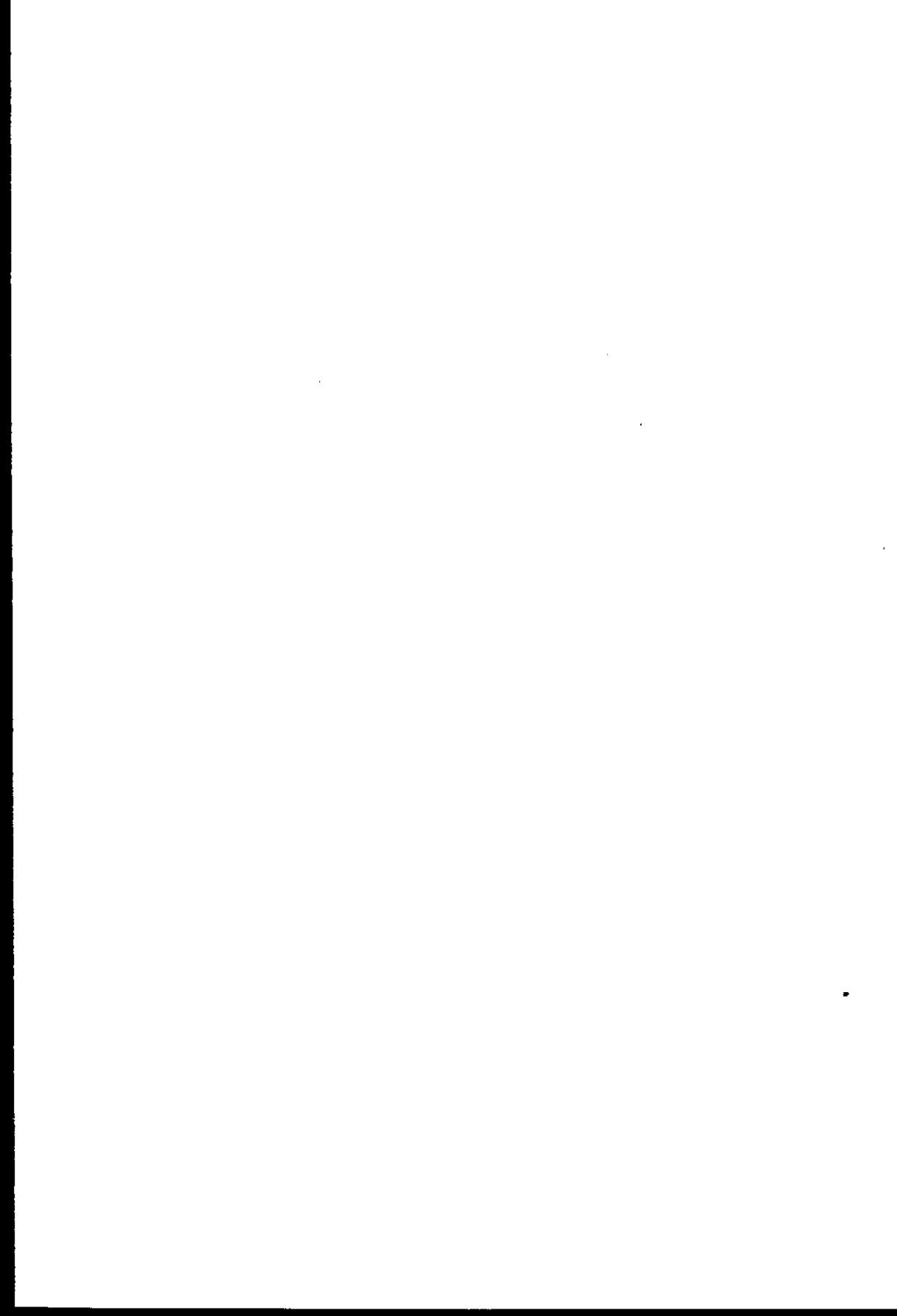
بأعينهم ، ويعرفونه معرفة إدراك ووجادان في أنفسهم ، فإن أعمالهم تتجلى لهم فيها أولاً ، ثم تتجلى لهم ولسائر الخلق في خارجها ثانياً ، فيالله من منظر مهيب ، ويالله من مظهر رهيب ، وما أشد غفلة من قال : « إنه لا حاجة إليه للاستغناء بعلم الله عنه »^(١) .

ومهما قيل في الحكمة فإن الأمر لا يزال يتطلب الإياب الكامل بأن وزن الأعمال هو عين الحكمة ، وأن هذه مجرد استنباطات للعلماء ، وتبقى حقيقة علم ذلك إلى الله وحده .

* * *



الفصل الثامن
موجبات الميزان



الفصل الثامن

مرجحات الميزان

من الطبيعي جداً معرفة أن مرجحات الميزان في يوم القيمة: هو العمل الصالح، والتقرب إلى الله بالأفعال الطيبة، وفق ما أمر به سبحانه أو أمر به نبيه ﷺ.

والأعمال الصالحة كثيرة متنوعة يطول تعدادها، وإن كان بعض العلماء قد ذكر أشياء في ذلك على أنها مرجحات للميزان، مثل ما ذكر البرديسي في قوله: «للميزان مرجحات كثيرة، منها: قول لا إله إلا الله، لحديث البطاقة المشهور المتقدم».

ومنها: الخلق الحسن، لقوله عليه الصلاة والسلام: «ما من شيء يوضع في الميزان يوم القيمة أثقل من خلق حسن»..

ومنها: قضاء حاجة المسلم، ففي الحديث: «من قضى لأخيه المسلم حاجة، كنت واقفاً عند ميزانه يوم القيمة، فإن رجع وإلا شفعت له».

ومنها: قراءة القرآن، وتعليم الناس الخير، ومداد العلماء، واتباع الجنائز، والولد الذي يموت للإنسان فيحتسبه، والصلاحة على النبي ﷺ، وكثرة الاستغفار، والتسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير، والصدقة، وتخفيف العمل على الخادم، والأضحية، وإهالة التراب على قبر المسلم،

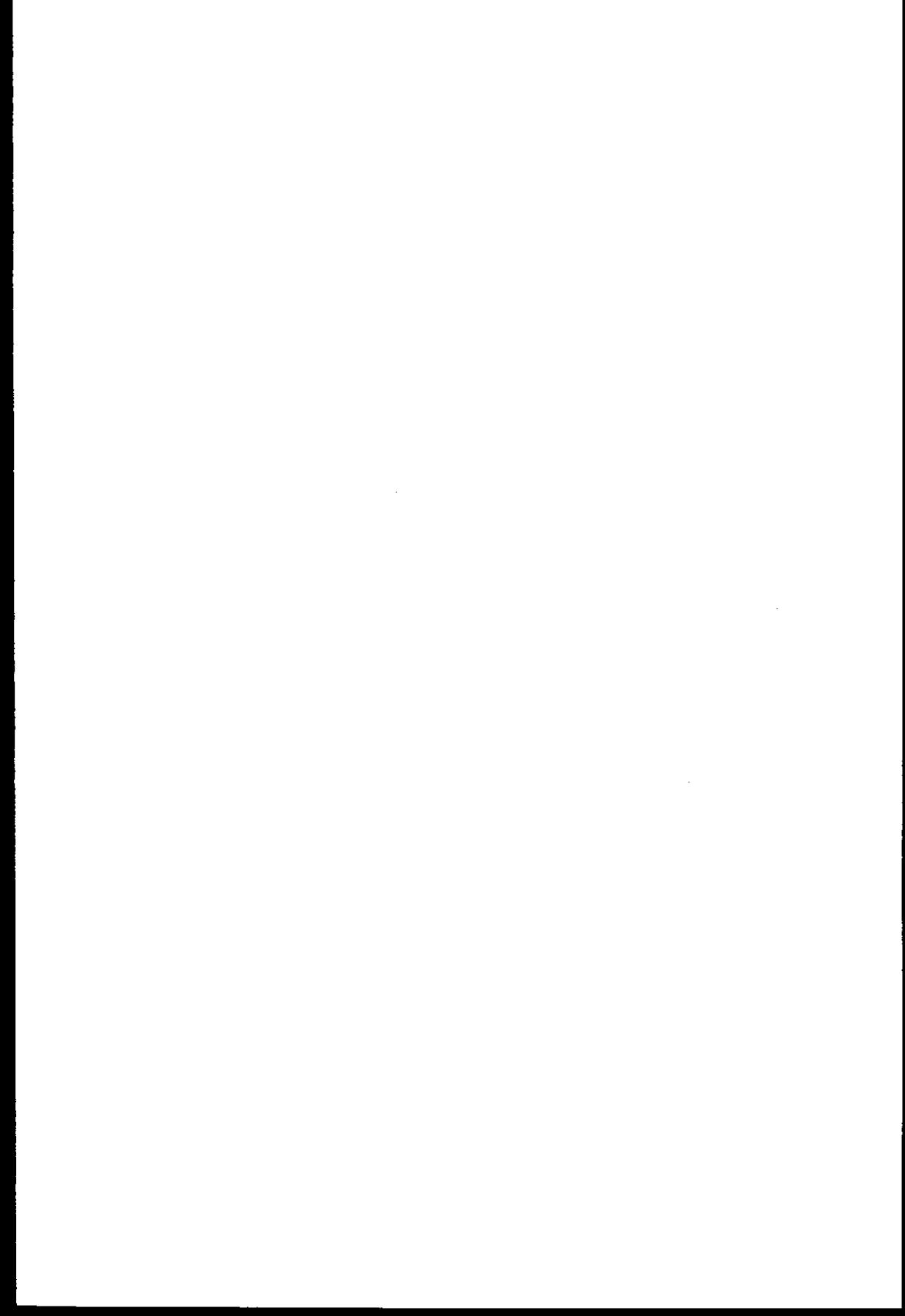
ورجحان الميزان في الدنيا، كما ورد بذلك كله الأحاديث^(١).

وكل هذه المسائل التي ذكرها البرديسي - وغيرها مما لم يذكره - يشملها كلها وجود العمل الصالح، فهو الذي عليه مدار الثقل والخففة.

* * *

(١) تكملة شرح الصدور ص: ٢٩.

الفصل التاسع
متى تنصب الموازين؟



الفصل التاسع

متى تنصب الموازين؟

ما هو معلوم أن الله تعالى ينصب يوم القيمة الموازين لوزن العباد أو أعمالهم أو صحفهم، وذلك لكمال عدله ورحمته بهم، وإذا تقرر هذا، فمتى تنصب الموازين؟ وما ترتيبها بالنسبة لموافقت يوم القيمة؟

الواقع أن ترتيب أعمال يوم القيمة لا يحتاج إلى إعمال فكر؛ لأنها من المسائل الغيبية التي لا مجال للخوض فيها إلا بدليل ثابت عن المصطفى ﷺ.

وحيث إنه لم يرد، فيما تيسر لي الإطلاع عليه، نص يبين تلك الأعمال مرتبة؛ فليس أمامنا هنا إلا ما قاله أهل العلم فيها بحسب اجتهادهم.

فالقرطبي يذكر، نفلاً عن العلماء أنهما قالوا:

«إذا انقضى الحساب، كان بعده وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها، ليكون الجزاء بحسبها»^(١).

وهذا الترتيب مناسب من ناحية الزمن، لأن الله تعالى يحاسب الشخص على أعماله ويقرره بها، ثم بعد ذلك ينصب له الميزان؛ ليكون

(١) التذكرة ص: ٣٠٩.

نتيجة لتلك المحاسبة؛ ليطلع الله العبد على مصدق تلك المحاسبة ظاهراً في ميزانه.

وقال البرديسي: «وقت الوزن عند الفراغ من السؤال والحساب»^(١).

هذا ما يتعلّق بترتيب الميزان والحساب، وهناك مسألة أخرى تتعلق بترتيب الميزان بالنسبة للحوض، هل هو قبله أم بعده؟ فيه خلاف:

١ - فقيل الميزان قبل.

٢ - وقيل الحوض قبل.

والظاهر من النصوص أن الحوض قبل الميزان، وهو ما يقتضيه الحال، ولهذا يقول أبو الحسن القابسي: «والمُسْتَقِرُ أَنَّ الْحَوْضَ قَبْلَ الْمِيزَانِ».

قال القرطبي: «والمَعْنَى يقتضيه، فإن الناس يخرجون عطاشًا من قبورهم - كما تقدم - فيقدم على الصراط والميزان»^(٢).

ومعلوم أنه ليس بعد الحساب والميزان إلا النتيجة النهائية لكتلا الفريقين، ولا يتصور أن يؤخر الحوض بعد الميزان إلا عند القائلين بوجود حوضين: أحدهما قبل الصراط، والآخر بعده.

وموضع تفصيل هذا في بحث الحوض كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

* * *

(١) تكميلة شرح الصدور ص: ٤٩.

(٢) التذكرة ص: ٣٠٢.

الفصل العاشر
لمن ينصب الميزان؟



الفصل العاشر

لمن ينصب الميزان؟

الظواهر من النصوص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تشير إلى أن كل عبد لابد من إقامة الميزان له، غير أن في بعض الروايات ما يفيد اختصاص طوائف من البشر بعدم إقامة الميزان لهم، إما إكراماً وإظهاراً لشرفهم وفضلهم، وإما إظهاراً للذلة وخرابهم.

قال القرطبي: «الميزان حق، ولا يكون في حق كل أحد»^(١).

ويستدل لهذا بما ورد في حديث الشفاعة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه: «فيقول يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة...»^(٢) الحديث.

قال: وإنما يكون ملء بقي من أهل المحشر من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً من المؤمنين، وقد يكون للكافرين على ما تقدم ويأتي، فإذا كان هؤلاء لا يحاسبون؛ فمن باب أولى أن لا يقام لهم ميزان.

وقال البرديسي: «لا يكون لكل أحد، فمن يدخل الجنة بغیر حساب؛ لا يوزن له عمل على أحد القولين، وقيل: إن أهل الصبر لا توزن أعمالهم، بل ينصب لهم الأجر صباً»^(٣).

(١) التذكرة ص: ٣٧٥.

(٢) تقدم تخرجه.

(٣) تكميلة شرح الصدور ص: ١٥.

وتذكر هنا أخبار لم أجده نصاً صحيحاً يثبتها في عدم إقامة الميزان لأهل البلاء في الدنيا، نذكرها للتتبّع عليها وعدم الاغترار بخبر لم يقله الصادق المصدوق، ومن تلك الأخبار ما يلي:

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «تنصب الموازين يوم القيمة، ويؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل الصيام فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان، ولا ينشر لهم ديوان، وينصب عليهم الأجر صباً غير حساب»^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «يؤتى بالشهيد يوم القيمة فينصب للحساب، ويؤتى بالمتصدق فينصب للحساب، ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان، ولا ينشر لهم ديوان، فيصب لهم الأجر صباً، حتى إن أهل العافية ليتمكنون في الموقف أن أجسامهم قرضاً بالمقاريض لما يرون من حسن ثواب الله تعالى لهم»^(٢).

وقال القرطبي - فيما يعزوه إلى أهل العلم - إن الناس في الآخرة ينقسمون إلى ثلاث طبقات:

١ - متقوون، لا كبائر لهم.

(١) ذكره القرطبي في التذكرة ص: ٣١١ وعزاه إلى القاضي منذر بن سعيد البلوطي، وذكره أيضاً أبو عبد الله محمد بن محمد المنجبي الخنبلـي في كتابه «سلية أهل المصائب» وعزاه إلى منجوبه في تفسيره.

(٢) ذكره القرطبي وعزاه إلى أبي نعيم، وقد ذكر القرطبي في التذكرة ص ٣١١ بأنه: « الحديث غريب من حديث جابر الجعفي وقتادة، وتفرد به عن قتادة عن جابر عن ابن عباس عن مجاعة بن الزبير».

٢- مخلطون، وهم الذين يوافقون بالفواحش والكبائر.

٣- كفار.

فأما المتقون: فإن حسناتهم توضع في الكفة النيرة، وصغارهم - إن كانت لهم - في الكفة الأخرى، فلا يجعل الله لتلك الصغار وزناً، وتشغل الكفة النيرة حتى لا تبرح، وترتفع المظلمة ارتفاع الفارغ الحالى.

وأما المخلطون فحسناتهم توضع في الكفة النيرة، وسيئاتهم في الكفة المظلمة، ويكون للكبائر ثقل، فإن كانت الحسنات أثقل - ولو بصوابة^(١) - دخل الجنة، وإن كانت السيئات أثقل - ولو بصوابة - دخل النار، إلا أن يعفو الله، وإن تساويا كان من أصحاب الأعراف، على ما يأتي، هذا إن كانت الكبائر فيما بينه وبين الله، وأما إن كانت عليه تبعات، وكانت له حسنات كثيرة، فإنه ينقص من ثواب حسناته بقدر جزاء السيئات؛ لكثرة ما عليه من التبعات، فيحمل عليه من أوزار من ظلمهم، ثم يعذب على الجميع، هذا ما تقتضيه الأخبار.

ثم ذكر تقسيماً آخر لأحمد بن حرب وهو قوله: «تبعث الناس يوم القيمة على ثلاثة فرق:

١- فرقاً أغنياء بالأعمال الصالحة.

٢- وفرق فقراء.

(١) الصوابة: بالهمزة: ببضة القملة، مختار الصحاح: ص: ٢٨٠.

٣ - وفرقة أغنياء، ثم يصيرون فقراء مفاليس في شأن التبعات».

وقال سفيان الشوري: «إنك إن تلق الله عز وجل بسبعين ذنباً فيما بينك وبينه، أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد»^(١).

وقد ذكر ابن حجر في تعليقه على قول البخاري رحمه الله (باب: قول الله تعالى ﴿وَتَضَعُ الْمُوَازِينَ الْقِسْطُ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنياء: ٤٧] وأن أعمال بنى آدم وقولهم يوزن)^(٢) أن ظاهره التعميم، لكنه يخص بظائفتين:

١ - طائفة كفار لم يعملوا حسنة، فإنهم يقعون في النار من غير حساب ولا ميزان.

٢ - طائفة مؤمنون لا سيئات لهم ولهم حسنات كثيرة زائدة على محض الإيمان، وهم لا يدخلون الجنة بغير حساب، كالسبعين ألف، ومن شاء الله أن يلتحقهم بهم، وهم الذين يرون على الصراط كالبرق الخاطف، وكالريح، وكأجاؤيد الخيل، قال ابن حجر: «ومن عدا هذين من الكفار والمؤمنين يحاسبون، وتعرض أعمالهم على الموازين»^(٣).

ونذكر فيما يلي مزيداً من الإيضاح لمسألة وزن أعمال الكفار.

* * *

(١) التذكرة ص: ٣١٤.

(٢) صحيح البخاري ١٣/٥٣٧.

(٣) انظر: فتح الباري ١٣/٥٣٨.

هل توزن أعمال الكفار

سبقت الإشارة إلى أن عتاة الكفار الذين لا خير معهم لا ينصب لهم ميزان ولا يوقفون لحساب .

وإذا كان المراد من الميزان تقابل حسنات العبد بسيئاته ليكون المصير بعد ذلك حسب نتيجة الوزن ، فما الذي يوجد مع الكافر حتى ينصب له الميزان ، فتتقابل حسناته بسيئاته ليتبين مقادير كل منها؟ فهو لا حسنات له ، إذ إن كفتي ميزانه قد شغلت كلها بالسيئات ، فهل يعني هذا أنه لا ينصب له ميزان ألبته؟ أم أنه ينصب له باعتبار ما قد يوجد عنده من الحسنات ، كالتصدق ، وصلة الرحم ، وما إلى ذلك من أعمال البر؟ .

الواقع أن أقوال العلماء قد اختلفت حول هذه المسألة ، بعضهم يقول : لا توزن ، وبعضهم يقول : توزن ، والمسألة فيما يظهر قابلة لكل الاحتمالات ، وفي هذا يقول القرطبي : «إنما توزن أعمال المؤمن المتقي لإظهار فضله ، كما توزن أعمال الكافر لخزيه وذله ، فإن أعماله توزن تبكيتاً له على فراغه وخلوه عن كل خير ، وكذلك توزن أعمال المتقي تحسيناً حاله ، وإشارة لخلوه من كل شر ، وتزيناً لأمره على رؤوس الأشهاد»^(١) .

وقد وجّه القول في وزن الله لأعمال الكفار وعدم وزنه لها بوجهين : أحدهما : أن الكافر يحضر له ميزان ، فيوضع كفره وسيئاته في إحدى

(١) التذكرة : ص : ٣١٥

كفيه، ثم يقال له: هل لك من طاعة تضعها في الكفة الأخرى؟ فلا يجدها، فيشال الميزان، فترتفع الكفة الفارغة وتقع الكفة المشغولة، فذلك خفة ميزانه، وهذا ظاهر الآية، لأن الله تعالى وصف الميزان بالخفة، لا الموزون، وإذا كان فارغاً فهو خفيف.

والوجه الآخر: أن الكافر يكون منه صلة الأرحام، ومواساة الناس، وعتق الملوك، ونحوها مما لو كانت من المسلم ل كانت قربة وطاعة، فمن كانت له مثل هذه الخيرات من الكفار فإنها تجمع وتوضع في ميزانه، غير أن الكفر إذا قابلها رجح بها، ولم يخل من أن يكون الجانب الذي فيه الخيرات من ميزانه خفيفاً، ولو لم يكن له إلا خير واحد أو حبة واحدة لأحضرت وزنت كما ذكرنا^(١).

ويجزم بعض العلماء بالقول بعدم وزن الله تعالى أعمال الكفار، وإن الوزن خاص بالمؤمنين، ويستدلون على هذا بقوله تعالى:

- ١- ﴿وَقَدِمْنَا إِلَيْ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَمَاءً مُتَّسِرًا﴾ [الفرقان: ٢٣].
- ٢- ﴿مَثُلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾^(٢) [إبراهيم: ١٨].
- ٣- قوله تعالى: ﴿فَلَا تُقْيِمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنَا﴾ [الكهف: ١٠٥].

وفي هذا يقول السفاريني:

«والحق أن الكفار لا يقيم لهم وزناً لقوله تعالى: ﴿فَلَا تُقْيِمُ لَهُمْ يَوْمَ

(١) التذكرة: ص: ٣١٢.

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية ص: ١٢٥ لـ محمد خليل هراس.

الْقِيَامَةِ وَزُنَانِهِ .

وهذا غير مسلم عند من يقول بوزن الله تعالى أعمالهم، ويحيطون عن الآية الكريمة «فَلَا تُقْسِمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزُنَانِهِ» . يحيطون عن الآية الكريمة بأن المراد منها: «أنه تعالى لا يقيس لهم وزناً نافعاً» كما في قوله تعالى: «وَقَدِمَنَا إِلَىٰ مَا عَمَلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مُّنْثُرًا» [الفرقان: ٢٣] . أي كالهباء في عدم نفعه وحصول فائدته»^(١) .

ويقول محمد رشيد رضا: «لكن بعض العلماء يقولون إن الوزن للمؤمنين خاصة لأنه تعالى قال في الكفار «فَلَا تُقْسِمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزُنَانِهِ» قال: وأجاب الآخرون بأن معناه: ما تقدم آنفاً في بحث الوزن في اللغة، من أنه لا يكون لهم قيمة ولا قدر.

واستدل المثبتون كذلك بقوله تعالى من سورة المؤمنين «فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»^(٢) ومن حفظ موازينه فأولئك الذين حسروا أنفسهم في جهنم خالدون^(٣) تلفح وجوههم النار وهم فيها كالجحون^(٤) ألم تكن آياتي تُلَقَّى عَلَيْكُمْ فَكُتُبُمْ بِهَا تُكَذَّبُونَ»^(٥) [المؤمنون: ١٠٢ - ١٠٣].

وظاهر رأي شيخ الإسلام: القول بعدم وزن الله أعمال الكفار، وهذا في قوله: «وَأَمَّا الْكُفَّارُ فَلَا يَحْاسِبُونَ مَحَاسِبَةً مِّنْ تَوْزِينِ حَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ، فَإِنَّهُ لَا حَسَنَاتٌ لَّهُمْ، وَلَكِنْ تَعْدُ أَعْمَالَهُمْ فَتَحْصِسُ فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا وَيَقْرَرُونَ بِهَا»^(٦) .

(١) لوعي الأنوار ٢/١٨٥ .

(٢) تفسير المنار ٨/٣٢٠ .

(٣) شرح العقيدة الواسطية ص: ١٢٥ .

وقد استغرب محمد رشيد رضا قول شيخ الإسلام، واعتبره سهواً منه، سببه ما كان عالقاً في ذهنه من أقوال الذين يذهبون إلى عدم وزن أعمال الكفار، يقول:

«ومن المستغرب أن شيخ الإسلام ابن تيمية قال - بعد ذكر آياتي المואذين في الثقل والخلفة من سورة المؤمنين - إن الكفار لا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، إذ لا حسناً لهم، ولكن تعد أعمالهم فتحصى، فيوقفون عليها، ويقررون بها، ويجزون بها، وهو سهو، سببه - والله أعلم - ما كان علّق بذهنه من هذا القول».

وقال - يرد عليه -: «وما من كافر إلا له حسنات، ولكن الكفر يحيطها فتكون هباء مثوراً، وهي تخصى مع السيئات، وتضبط بالوزن الذي به يظهر مقدار الجزاء وتفاوتهم فيه، واستدلوا على تخفيف العذاب عن الكافر بسبب عمله الصالح بما ورد في الصحيح من التخفيف عن أبي طالب»^(١).

إلى آخر كلامه في الاحتجاج على وزن أعمال الكفار، وأن لهم حسنات يجازون بها في الآخرة، بالتخفيف عنهم، وعدم تساويهم في العذاب.

وقال الهراس - مرجحاً عدم وزن أعمال الكفار -: «والصحيح أن أعمال الخير التي يعملها الكافر يجازى بها في الدنيا فقط، حتى إذا جاء يوم القيمة وجد صحيفة حسناته بيضاء، وقيل: يخفف بها عنه من عذاب غير الكفر»^(٢).

ولعله يشير بهذا إلى ما جاء في السنة النبوية من أن الكافر يطعم

(١) تفسير النار / ٨ . ٣٢٠ - ٣٢١.

(٢) شرح العقيدة الواسطية ص: ١٢٥.

بحسنت ما قدم في الدنيا، حتى إذا جاء يوم القيمة لم يجد له حسنة، كما جاء في صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يعطي بها في الدنيا ويعجزي بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفسد إلى الآخرة لم تكن له حسنات يعجزي بها»^(١) وقد جاء هذا الحديث في صحيح مسلم تحت الترجمة «باب: جزاء المؤمن بحسنته في الدنيا والآخرة، وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا».

قال النووي: «أجمع العلماء على أن الكافر الذي مات على كفره لا ثواب له في الآخرة، ولا يجازى فيها بشيء من عمله في الدنيا متقرباً إلى الله تعالى ، وصرح في هذا الحديث بأنه يطعم في الدنيا بما عمله من الحسنات، أي بما فعله متقرباً به إلى الله تعالى مما لا يفتقر صحته إلى النية، كصلة الرحم، والصدقة، والعتق، والضيافة، وتسهيل الخيرات، ونحوها».

وأما المؤمن فيدخله حسناته وثواب أعماله إلى الآخرة، ويجزى بها مع ذلك أيضاً في الدنيا، ولا مانع من جزائه بها في الدنيا والآخرة، وقد ورد الشرع به فيجب اعتقاده»^(٢).

«ومعنى قوله: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة»، معناه لا يترك مجازاته بشيء من حسناته»^(٣).

وقال محمد رضا معلقاً على هذا الحديث بأنه: «لا يمنع وزنها في الآخرة

(١) صحيح مسلم / ٥٦٧٣ .

(٢) شرح النووي لمسلم / ٥٦٧٤ .

(٣) نفس المصدر ونفس الصفحة .

وأن لا يكون لها مع الكفر والسيئات دخل في رجحان موازينهم^(١).

وجاء أيضاً: أن رسول الله ﷺ سُئل عن عبد الله بن جدعان، وقيل له: إنه كان يقرى الضيف، ويصل الرحم، ويعين في النوائب، فهل نفعه ذلك؟ فقال: «لا؛ لأنَّه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيني يوم الدين»^(٢).

وسأله عدي بن حاتم عن أبيه مثل ذلك ، فقال: «إن أباك طلب أمراً فادركه»^(٣).

وقد أجاب القرطبي - عن جواب الرسول ﷺ لعدي بن حاتم ، وجوابه عن ابن جدعان بعدم انتفاعهما بعملهما الحسنات . بأن ذلك يطلق على التخفيف من العذاب ، وأنهما لا يدخلان الجنة ، لا أن الله لا يجازيهما بحسنهما ، فقد قال الله تعالى: ﴿ وَنَصَّعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطُ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلِمُ نَفْسٌ شَيْئاً ﴾ [الأنباء: ٤٧] . ولم يفصل بين نفس ونفس ، فخيرات الكافر توزن ويجزى بها ، إلا أن الله تعالى حرم عليه الجنة ، فجزاؤه أن يخفي عنه ، بدليل حديث أبي طالب ، فإنه قيل له: يا رسول الله ، إن أبا طالب كان يحروطك وينصرك ، فهل نفعه ذلك؟ فقال: «نعم، وجنته في غمرات من النار فآخر جنته إلى ضحاض ، ولو لا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار)».

وما قاله عليه السلام في ابن جدعان وحاتم ، إنما هو في أنهما لا يدخلان الجنة ولا يتعمدان بشيء من نعيمها^(٤).

(١) تفسير النار ٣٢١/٨.

(٢) التذكرة ص: ٣١٢.

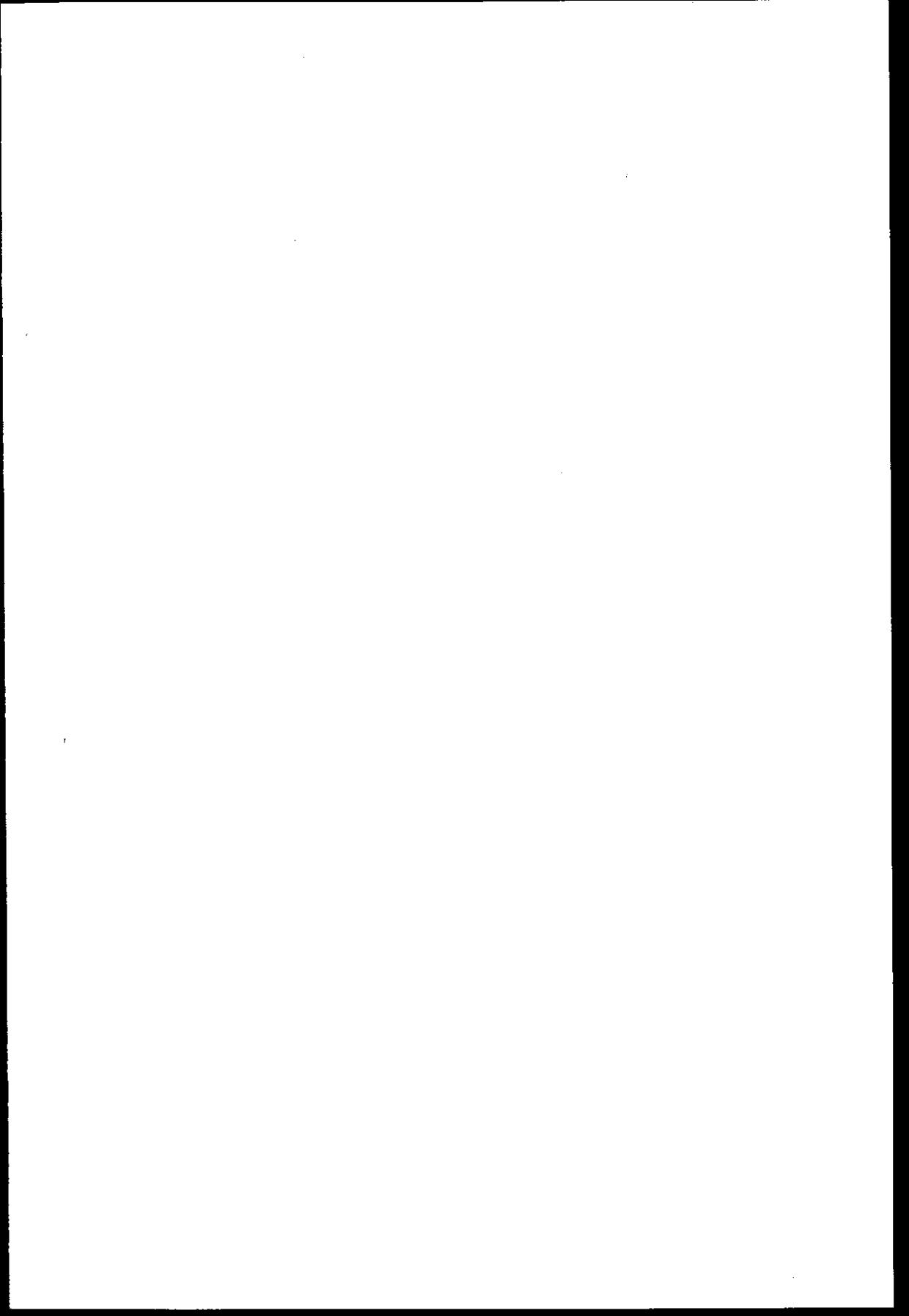
(٣) المصدر السابق.

(٤) التذكرة ص: ٣١٣.

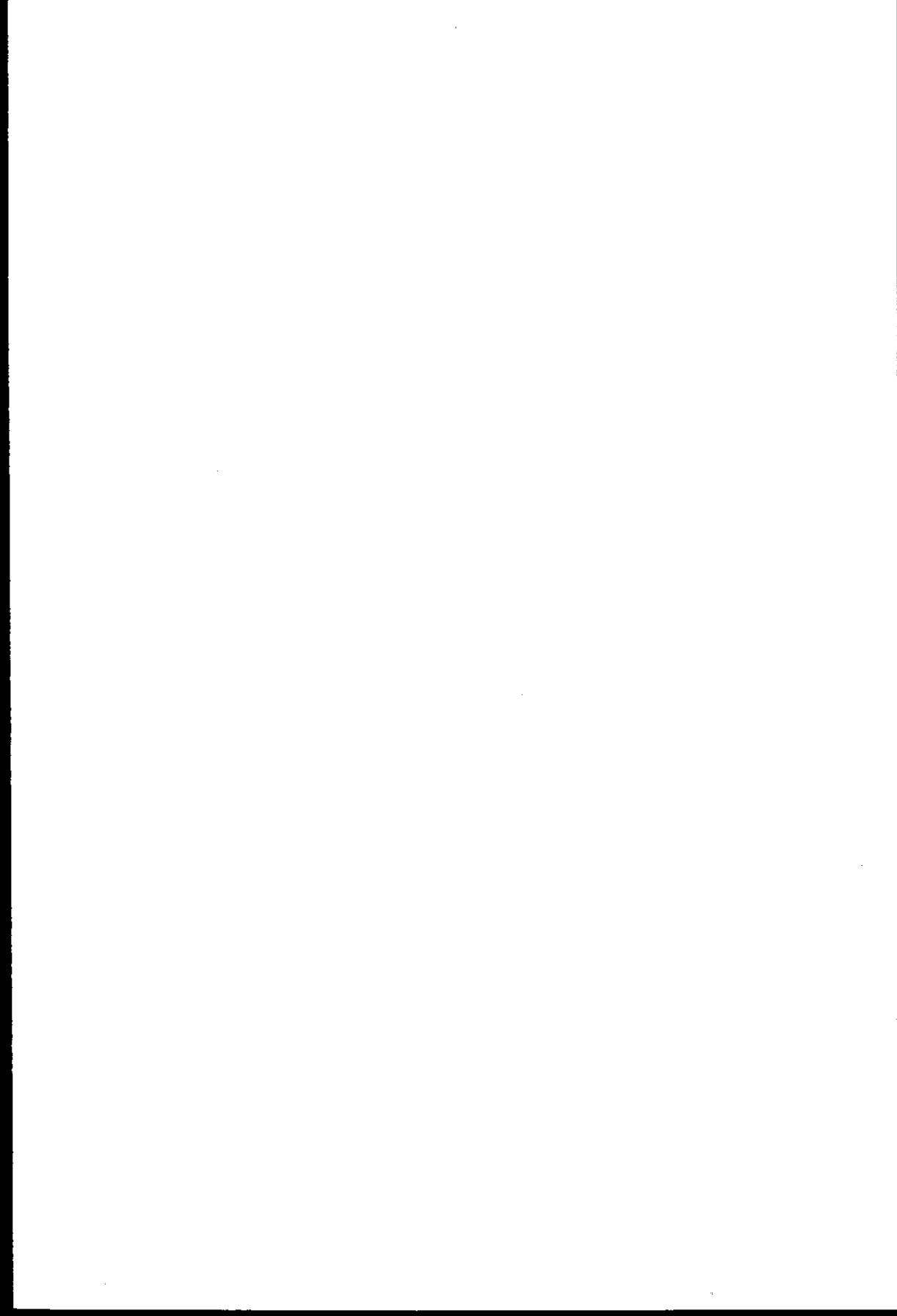
ولا يلزم من ذلك أن الله يخفف عن الكافر بحسنته في الدنيا حتماً فقد يجازيه الله بحسنات ما قدم في الدنيا، وهو الأغلب، للنصوص السابقة، وإذا لم يجازه في الدنيا، فالظاهر أنه يجزيه بها في الآخرة التخفيف عنه.

وأما الاستدلال بحديث أبي طالب على عموم الكفار؛ فإنه لا يدل على أن الكفار يخفف عنهم من عذابها، وإنما ذلك التخفيف خاص بأبي طالب وحده دون سائر الكفار، كما تفيده ظواهر النصوص وأقوال العلماء.





الفصل العادي عشر
كيفية الوزن



الفصل الحادي عشر

كيفية الوزن

وقد اختلف العلماء في كيفية الوزن، فهو على ما عهد من موازين الدنيا، أم أن الأمر يختلف؟

والجواب: أن هذه المسألة مما وقع فيها الخلاف بين العلماء؛ فبعضهم يذهب إلى أنه مثل كيفية الوزن في الدنيا، وبعضهم يذهب إلى عكس ذلك.

وقد أشار القرطبي إلى أن الوزن في الآخرة كيفيته مثل كيفيته في الدنيا^(١)، وهذا ما ذكره البرديسي أيضاً بقوله: «وكيفيته على ما عهد في الدنيا، ما نقل نزل إلى أسفل ثم يرفع إلى عاليين، وما خف طاش إلى أعلى ثم نزل إلى سجين».

ثم قال أيضاً: «وقيل بالعكس»^(٢).

ويذكر كذلك أن علامة الرجحان أو عدمه: أن يقوم عمود يشير إلى التبيّنة، فإذا رجحت الحسنات قام عمود من كفة النور حتى يكسو كفة الظلمة، وإذا رجحت السيئات قام عمود كفة الظلمة حتى يكسو كفة النور^(٣)، أي ليس الوزن على ما عهد في الدنيا.

(١) التذكرة ص: ٣١٢.

(٢) تكميلة شرح الصدور ص: ٢٩.

(٣) المصدر السابق.

وهل توزن أعمال العباد جميعهم في مرة واحدة، أم أن كل شخص توزن أعماله بمفرده؟

نقل البرديسي فيما يعزوه إلى ابن عمر أنه قال: صفة الوزن أن يجعل جميع أعمال العباد في الميزان في مرة واحدة، الحسنات في كفة النور والسيئات في كفة الظلمة، ويجعل الله لكل إنسان علمًا ضروريًا يفهم به خفة أعماله وثقلها.

قال البرديسي: «وهو مخالف لكلام غيره من أن كل شخص توزن أعماله وحده، فتجعل حسناته في كفة، وسيئاته في كفة»^(١).

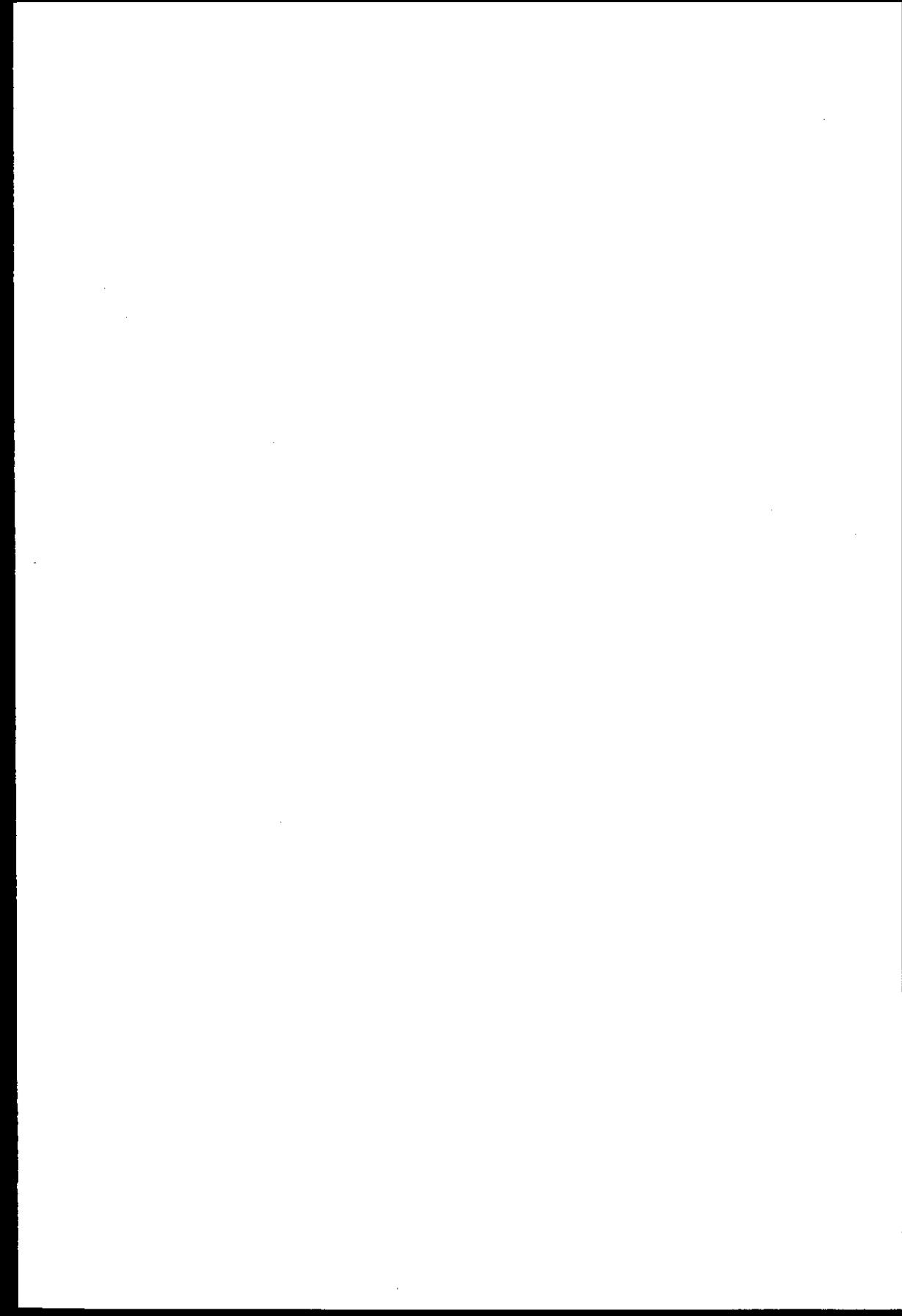
والواقع أن تلك التفاصيل كلها مما يحتاج لإثباته إلى نص؛ إذ لا يعلم كيفية الوزن إلا الله سبحانه وتعالى، وال الصحيح من ذلك هو ما أشار إليه جل وعلا من أن هناك موازين تتصف بالخفة والثقل حسب فعل العبد، وأما هل هي على ما عهدنا من صفة موازين الدنيا أو تختلف؟ فالله أعلم بذلك.

وأما ما نسبه البرديسي إلى ابن عمر، فالله أعلم بصحة ذلك عن ابن عمر، وهي كذلك مسألة تحتاج إلى نص يثبتها، فقد توزن أعمال العباد مرة واحدة، وقد يوزن عمل كل عبد بمفرده، وربما يكون القول الأخير هو الأرجح، كما تفيده ظواهر النصوص.

* * *

(١)، (٢) تكملة شرح الصدور ص: ٢٩.

الفصل الثاني عشر
أهو ميزان واحد في يوم القيمة
أم موازين متعددة؟



الفصل الثاني عشر

أهو ميزان واحد في يوم القيمة أم موازين متعددة؟

هذه المسألة من المسائل التي يجب أن نكل علم حقيقتها إلى الله تعالى، ولأنه لم يثبت بها نص قاطع؛ فقد صارت مسألة خلافية بين العلماء، وقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم الميزان بلفظ الجمع، فقال تعالى: ﴿وَنَصَرُوا فِي عِيشَةِ رَاضِيَةٍ﴾ [الأنبياء: ٤٧] ، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [٦] فَهُوَ فِي عِيشَةِ رَاضِيَةٍ ^(١) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ [٨] فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ^(٢) [القارعة: ٩-٦] ، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [١٠٢] وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسَرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ ^(٣) [المؤمنون: ١٠٢ - ١٠٣] إلى غير ذلك من الآيات.

وجاء في السنة بلفظ الإفراد والجمع.

١ - فمما جاء في السنة بلفظ الإفراد: ما تقدم في الصحيحين في مبحث الأدلة: الحديث الأول، والثاني، والثالث، وغير ذلك من الأحاديث التي أوردنا ذكرها.

٢ - وما جاء بلفظ الجمع ما تقدم في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: «توضع الموازين . . . إلى آخره».

ولهذا فقد اختلفت وجهات العلماء في ذلك، وحاصل الخلاف في هذه

المسألة يرجع إلى الأقوال الآتية:

القول الأول: يجوز أن يكون هناك موازين للعامل الواحد يوزن بكل ميزان منها صنف من أعماله.

القول الثاني: يمكن أن يكون ميزاناً واحداً عبر عنه بلفظ الجمع، كما قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣]، ﴿كَذَّبَتْ قَوْمٌ نُوحٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، وإنما هو رسول واحد.

القول الثالث: إن «المراد بالموازين»: جمع موزون، أي الأعمال الموزونة، لا جمع ميزان^(١).

وهذا ما أشار إليه القرطبي، و قوله: إن الموازين جمع موزون، لا يستقيم مع سياق الآية، وما جاء بعدها من أوصاف، كما قال تعالى: ﴿وَنَصَّعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ فالقسط يأتي - قطعاً - للميزان لا للموزونات.

وقال السفاريني مبيناً عدد الموازين:

اختلف في الميزان هل هو واحد أو أكثر؟

فالأشهر أنه ميزان واحد لجميع الأمم، ولجميع الأعمال، كفتاه كأطباق السموات والأرض، وقيل إنه لكل أمة ميزان.

وقال الحسن البصري: لكل واحد من المكلفين ميزان.

وقال بعضهم: الأظهر إثبات موازين يوم القيمة لا ميزان واحد؛ ل قوله تعالى: ﴿وَنَصَّعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ و قوله: ﴿فَمَنْ تَقْلِتْ مَوَازِينُهُ﴾ قال: وعلى هذا فلا يبعد أن يكون لأفعال القلوب ميزان، ولأفعال الجنوار

(١) التذكرة ص: ٣٢٠.

میزان، ولما يتعلّق بالقول میزان.

قال السفاریني : «أورد هذا ابن عطیة : وقال : «الناس على خلافه ، وإنما لكل واحد وزن مختص به ، والمیزان واحد» .

وقال بعضهم : «إذا جمع الموازين في الآية الكريمة لکثرة من توزن أعمالهم وهو حسن» ^(١) .

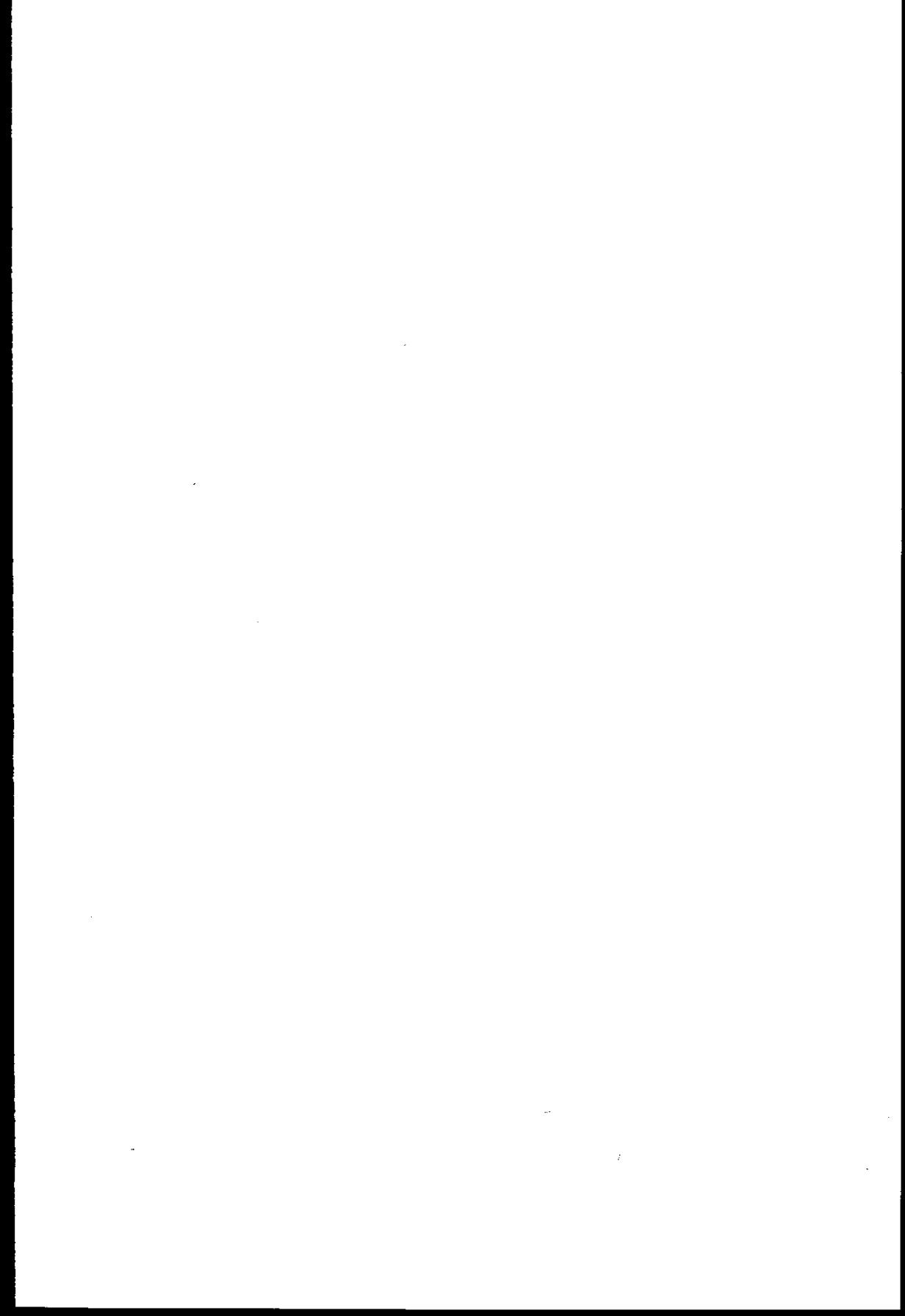
وقد رجح الحافظ ابن حجر : «أنه میزان واحد ، ولا يشكل بکثرة من يوزن عمله ؛ لأن أحوال يوم القيمة لا تکيف بأحوال الدنيا» ^(٢) .

وخلالص ذلك : أن المیزان مرة جاء بلفظ الجمع ، وهو ما عبر عنه القرآن الكريم ، ومرة جاء بلفظ الإفراد وبلغ لفظ الجمع أيضاً ، وهو ما نطقت به السنة ، ولعل الأرجح في ذلك أن يقال : إننا ثبّت أن هناك موازين كما نطق به القرآن ، ولم نكلف البحث عما وراء ذلك من الأمور .

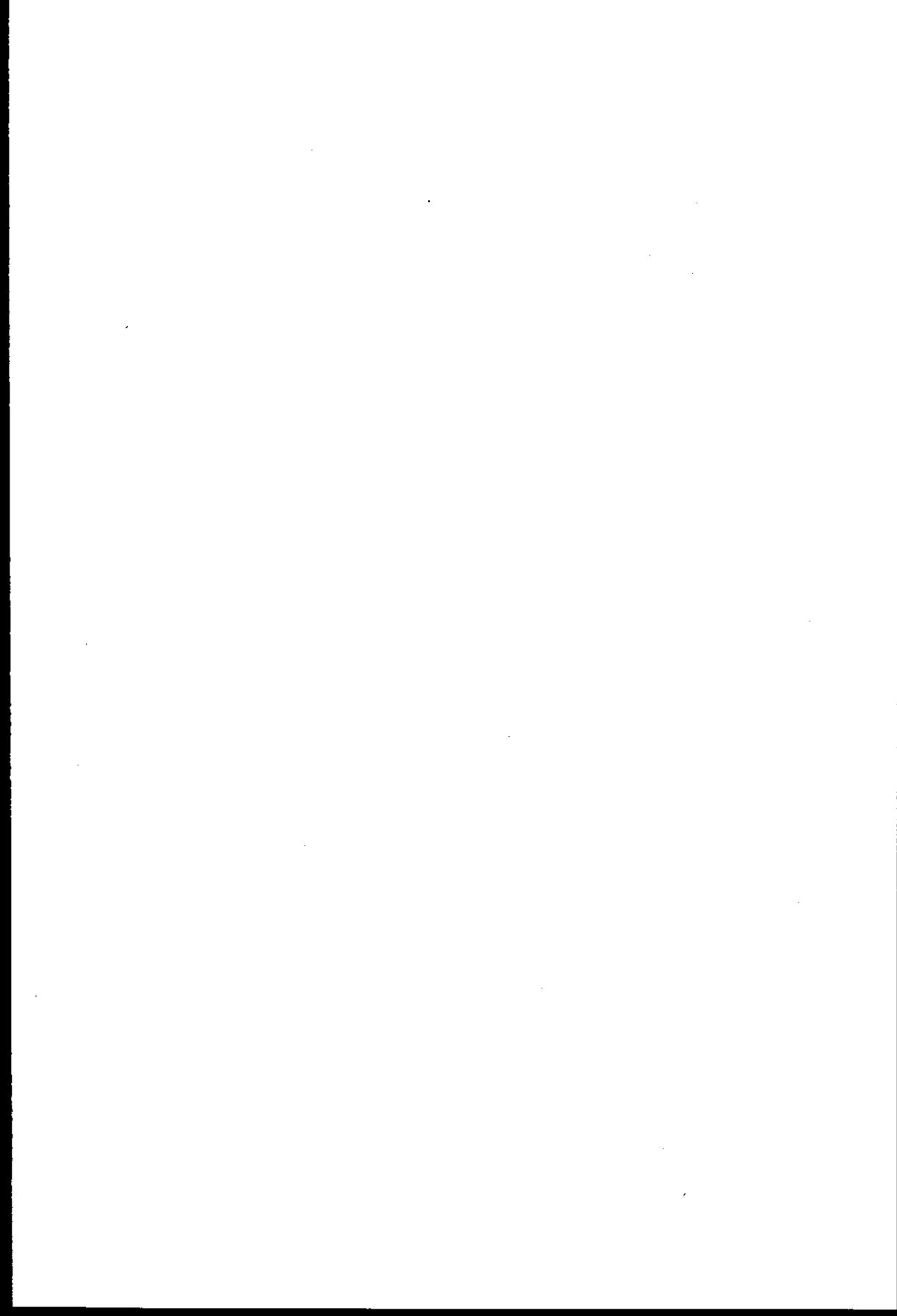
* * *

(١) لوامع الأنوار : ١٨٦/٢ .

(٢) فتح الباري : ٥٣٨/١٣ .



الفصل الثالث عشر
هل توزن أعمال الجن؟



الفصل الثالث عشر

هل توزن أعمال الجن؟

تكلمنا فيما مضى عن أحكام الإنس في الآخرة، وذكرنا لكل موقف فصلاً خاصاً بهم، مثل وجوب الإيذان بالغيب، ثم حشر الخلق إلى الموقف، ثم الموقف، ثم ما يقع فيه من أمور مما ذكرناه مفصلاً.

ولما كان العالم الآخر - الذي يشاطر الناس في التكاليف وفي سكنى هذه الدار، ويشارطهم سكنى الدار الآخرة أيضاً - هم الجن، ولما كانت قد فصلنا هذه المواضيع وجعلناها قاصرة على عالم الإنس، أردنا - استيفاء للموضوع وتكميلاً للبحث - أن نكمل هذه الدراسة بذكر ما يتعلق بالجن من أحكام الدار الآخرة.

وقبل البدء بذلك، نعرف الجن في اللغة وفي الاصطلاح:

المراد بالجن في اللغة:

الجن في اللغة له عدة معانٍ تدور أكثرها حول الاستئثار والاختفاء، وقد عرفهم الليث بقوله: «الجن جماعة ولد الجان، وجمعهم الجنّة».

والجان هو أبو الجن، خلق من نار، ثم خلق منه نسله، ويطلق الجن أيضاً على الحية البيضاء الكبيرة. ويقال لكل ما ستر: قد جن وقد أجن.

«والجَنِينُ: الْوَلَدُ فِي الرَّحْمِ، وَالْجَمِيعُ الْأَجْنَةُ».

وقال الله عز وجل: «فَلَمَّا جَنَ عَلَيْهِ السَّلَيلُ رَأَى كَوْكَبًا» [الأنعام: ٧٦]،
«يُقَالُ جَنٌ عَلَيْهِ وَأَجْنَهُ اللَّيلُ، إِذَا أَظْلَمْ حَتَّى يَسْتَرَ بِظُلْمِهِ» ، «وَسَمَّوْ جَنًا
لَأَنَّهُمْ اسْتَجَنُوا مِنَ النَّاسِ فَلَا يَرَوْنَ، أَوْ لَأَنَّهَا تَنْفِي وَلَا تَرَى»^(١).

وقال الراغب: «أَصْلُ الْجَنِ: سُرُّ الشَّيْءِ عَنِ الْحَاسَةِ، يُقَالُ: جَنُ اللَّيلُ
وَأَجْنَهُ وَجَنٌ عَلَيْهِ فَجَنٌ؛ سُرُّهُ»^(٢).

تعريف الجن في الاصطلاح:

قال الراغب في تعريفهم وبيان الفرق بينهم وبين الملائكة:

«وَالْجَنِ يُقَالُ عَلَى وَجْهِيْنِ:

أَحَدُهُمَا: لِلرُّوحَانِيْنَ الْمُسْتَتِرَةِ عَنِ الْخَوَاسِ كُلُّهَا بِإِزَاءِ الإِنْسَ؛ فَعَلَى هَذَا
تَدْخُلُ فِيهِ الْمَلَائِكَةُ وَالشَّيَاطِينُ؛ فَكُلُّ مَلَائِكَةٍ جَنٌ، وَلَيْسَ كُلُّ جَنٍ مَلَائِكَةً،
وَعَلَى هَذَا قَالَ أَبُو صَالِحٍ: الْمَلَائِكَةُ كُلُّهَا جَنٌ.

وقيل: «بَلْ الْجَنُ بَعْضُ الرُّوحَانِيْنَ، وَذَلِكَ أَنَّ الرُّوحَانِيْنَ ثَلَاثَةُ:
أَخْيَارٌ، وَهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَأَشْرَارٌ وَهُمُ الشَّيَاطِينُ، وَأَوْسَاطٌ فِيهِمُ أَخْيَارٌ وَأَشْرَارٌ،
وَهُمُ الْجَنُ»^(٣).

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهرى ١٠/٤٩٦-٥ وانظر: المغرب في ترتيب المعرف ١٦٦/١
وانظر: القاموس المحيط ٤/٢١٢ والصحاح ٥/٢٩٣ وغير ذلك من كتب اللغة في مادة
«جن».

(٢) المفردات ص: ٩٨.

(٣) المفردات ص: ٩٩.

ويدل لهذا قوله تعالى حاكياً عنهم قوله : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِ فَقَالُوا إِنَا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ① يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَأَمَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرِبِّنَا أَحَدًا ﴾ [الجن: ٢-١].

﴿ وَإِنَّا مِنَ الصَّالِحُونَ وَمِنَ دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَادًا ﴾ [الجن: ١١].
 ﴿ وَإِنَّا مِنَ الْمُسْلِمُونَ وَمِنَ الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحْرُوا رَشَادًا ﴾ [الجن: ١٤].

الأدلة على وجودهم :

الأدلة من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه ﷺ على وجود الجن كثيرة جداً.

وقد اقتضت حكمه الله تعالى أن الإنسان لا يشاهدونهم، مع وجودهم وكثرةهم، وقد استفاضت النصوص بذكرهم، وهم عالم وأم، لا يعلم بتفاصيل أحوالهم وأشكالهم إلا الله سبحانه وتعالى، ولهم قوة على التشكيل والتخييل.

والغرض الآن هو إثبات وجودهم، واشتراكهم مع الإنسان في جميع التكاليف الدنيوية، ثم بيان أحکامهم في الآخرة بالنسبة لما قدمنا من الأبواب.

١- الأدلة على وجودهم من القرآن الكويم:

قال الله تعالى في بيان وجود الجن، وأصل خلقتهم، وأنها من النار:

﴿وَالْجَانُ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلٍ مِّنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَ مِنْ مَارِجِ مِنْ نَارٍ﴾ [الرحمن: ١٥].

وقد بين الله سبب خلقه لهم، وجعله نفس السبب الذي خلق لأجله الإنسان، فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقال تعالى في شأنهم مع ربهم يوم القيمة، وأنهم يختلفون عن الإنس: ﴿فِي يَوْمٍ مِّنْ لَّا يُسَأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾ [الرحمن: ٣٩].

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [الأنعام: ١٣٠].

﴿وَلَقَدْ ذَرَانَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنَّ وَالْإِنْس﴾ [الأعراف: ١٧٩].

﴿وَتَمَتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾

[هود: ١١٩]

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتِ الْجِنَّةَ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾^(١) [الصفات: ١٥٨].

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي يخبر الله تعالى فيها عن الجن، ودورهم مع الإنسان، وعن تكاليفهم، وحضارهم، وسؤالهم، وذكرهم مع الإنس في آيات الوعيد والوعيد في سياق واحد، وما إلى ذلك مما يطول استقصاؤه.

(١) أي علمت الجن أن الذين ينسبون إلى الله البنات إنهم لمحضرون في العذاب يوم القيمة.

انظر: تفسير ابن كثير / ٤ / ٢٣.

فكل هذه الآيات - كما هو ظاهر من سياقها - تدل دلالة صريحة على أن الجن والأنس حكمهم حكم واحد، في الدنيا من ناحية التكاليف، وفي الآخرة من ناحية الثواب والعقاب، وبعد ذكر تلك الآيات نذكر بعض الأحاديث الواردة في السنة بشأنهم.

٢ - الأدلة من السنة على وجود الجن وأصل خلقهم ودخولهم في الثواب والعقاب مع الإنس:

وردت في السنة النبوية أحاديث كثيرة في شأن الجن، ونشير هنا إلى بعض ما جاء بشأنهم، ومن ذلك:

إخباره عليه الصلاة والسلام عن خلق الجن، كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجن من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»^(١).

وأخبر ﷺ عن صعود الجن إلى السماء لاستراق السمع، بما جاء في حديث ابن عباس قال: «وكان الجن يصعدون إلى السماء يسمعون الوحي، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعًا، فأما الكلمة فتكون حقيقة، وأما ما زاد فيكون باطلًا، فلما بعث رسول الله ﷺ منعوا مقاعدهم، فذكروا ذلك لإبليس - ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك - فقال لهم إبليس: ما هذا إلا من أمر قد حدث في الأرض، فبعث جنوده، فوجدوا رسول الله ﷺ قائماً يصلي بين جبلين - أراه قال: بمكة - فأتوه فأخبروه، فقال: هذا الذي حدث في

(١) صحيح مسلم ٤/٢٩٤.

الأرض^(١).

وعن وفودهم عليه، وإسلامهم، وطعامهم، يقول ﷺ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أنه كان يحمل مع النبي ﷺ إداوة لوضوئه وحاجته، فبينما هو يتبعه بها فقال: «من هذا؟» فقال: أنا أبو هريرة، فقال: أبغي أحجاراً استنفس^(٢) بها، ولا تأني بعظم ولا بروثة^(٣)»، فأتيته بأحجار أحملها في طرف ثوبه حتى وضعت إلى جنبه، ثم انصرفت، حتى إذا فرغ مشيit معه، فقلت: ما بال العظم والروثة؟ قال: «هما من طعام الجن، وأنه أثاني وفـدـ جـنـ نـصـيـبـينـ. وـنـعـمـ الـجـنـ. فـسـأـلـونـيـ الزـادـ، فـدـعـوتـ اللـهـ لـهـ لـأـ يـمـرـواـ بـعـظـمـ وـلـاـ بـرـوـثـةـ إـلـاـ وـجـدـواـ عـلـيـهـ طـعـماـ»^(٤).

وقال ﷺ - في قصة الرجل الذي قتل الحياة ثم مات من وقته - : «إن بالمدينة جناً قد أسلموا، فإذا رأيتـ منهم شيئاً فاذنوه ثلاثة أيام، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه، فإنما هو شيطان»^(٥).

ونكتفي بهذه الأحاديث الواردة في شأن الجن.

وقد تبين لنا من عرض الأدلة السابقة من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه ﷺ أنه لا شك ولا شبهة في وجود الجن وخلقهم، وأن الحكمة من

(١) أخرجه الترمذى فى سنته ٥/٤٢٨ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) استنفس: أي استجي.

(٣) الروث: هو رجع ذوات الحافر، النهاية لابن الأثير ٢/٢٧١.

(٤) أخرجه البخارى ٧/١٧١.

(٥) صحيح مسلم ٤/١٧٥٦.

خلقهم هي نفس الحكمة من خلق الإنسان، كما قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ
الْجِنَّةَ وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات : ٥٦].

وإذا كان الله تعالى قد كلفهم بعبادته وتوحيده، فقد اتفقوا مع الإنسان في جميع الأحكام الدنيوية والأخروية في باب الشواب والعقاب، وليس من ينكرهم أي مستند، لا من العقل، ولا من النقل.

وأما مجرد الاستبعاد لوجودهم لأننا لا نشاهدهم فليس بدليل؛ إذ كم من عوالم لا نشاهدهم لا يعلمهم إلا الله تعالى. وكم من أصوات في هذا الكون لا نسمعها، وقد تواترت الأدلة بوجودهم، وأطبق على القول بوجودهم كل عاقل، ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : «ولم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن، ولا في أن الله أرسل محمداً عليه السلام إلىهم، وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن».

أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فهم مقررون بهم - كإقرار الرسل والملائكة - وإن وجد فيهم من ينكر ذلك، وكما يوجد في المسلمين من ينكر ذلك؛ كما يوجد في طوائف المسلمين كالجهمية والمعزلة من ينكر ذلك، وإن كان جمهور الطائفة وأئمتها مقررين بذلك، وهذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء تواتراً معلوماً بالاضطرار، ومعلوم بالاضطرار أنهم أحياء عقلاً فاعلون بالإرادة، بل مأمورون منهـيون»^(١).

وقد عرفنا فيما مضى وجود الجن، وأصل نشأتهم، وأنهم من نار، كما

تقدّم قول الرسول ﷺ في ذلك، وقد ذكرت تفاصيل كثيرة في كتب أهل العلم، مثل: «هواتف الجن للخرائطي»^(١)، «وأكام المرجان في أحكام الجن»^(٢)، وكذا كتاب «عالم الجن والشياطين»^(٣)، وغيرها من الكتب، وفيها تفصيلات لا يتسع المقام لبسط ذكرها هنا؛ إذ الغرض هنا هو ذكر إثبات وجودهم، وأنهم مكلفوون، وأن ما يجري في الدار الآخرة على الإنس يجري عليهم.

وبعد أن انتهينا من ذكر الأدلة على وجود الجن من كتاب الله تعالى ومن سنته نبيه ﷺ ومن أقوال أهل العلم، بقي أن نعرف أحكامهم بالنسبة لأمور يوم القيمة.

وما يجدر بالذكر، أن النصوص قليلة جداً - فيما أعرف - بالنسبة لما ذكر في الجن، من الوقوف في المحسر، والشفاعة فيهم أو منهم، وكذا محاسبتهم، وزن أعمالهم، ومرورهم على الصراط، وشربهم من الحوض، وإيتاء صحفهم . . . إلخ ما ذكرنا من تفاصيل ذلك مع الإنس، ولعل ذلك - فيما أتصور - يرجع إلى أمرين:

- ١- إما لأن تلك الأمور تشمل الجن والإنس، فاكتفي بذكر الإنس.
- ٢- أو أن أمرهم في الآخرة يختلف عن أمر البشر في بعض الأمور ولم تبين التفاصيل الأخرى.

(١) أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل السامي الخرائطي.

(٢) لابن الدين أبي عبد الله عمر بن عبد الله الثبلي الحنفي المتوفي سنة: ٧٦٩ هـ.

(٣) للدكتور / عمر سليمان الأشقر.

وإذا كان الأمر كذلك فإن الوقوف والاكتفاء بالنصوص الواردة فيهم، وترك ما قيل من تفصيلات تحتاج إلى إثبات، هو الأولى، ويكون ذلك كافياً بالنسبة لأمر الجن وأحكامهم.

* * *

هل توزن أعمال الجن؟ وهل يحاسبون؟

أما بالنسبة لموضوعنا الذي نحن بصدده وهو : هل توزن أعمال الجن؟ ، فإننا قد رأينا مما تقدم من النصوص أنهم مكلفوون ، وأنه يقع عليهم الثواب والعقاب ، ومعنى هذا أنهم يحاسبون شأنهم شأن البشر من بني آدم .

وقد أورد القرطبي سؤالاً قال فيه :

«فإن قيل : أخبر الله عن الناس أنهم محاسبون مجازيون ، وأخبر أنه يلا جهنم من الجنة والناس أجمعين ، ولم يخبر عن ثواب الجن ولا عن حسابهم شيء فما القول في ذلك عندكم؟ وهل توزن أعمالهم؟»

وب قبل ذكر إجابتـه ، فإنـ ما يردـ علىـ منـ قالـ بعدـمـ وزـنـ أـعـمالـهـمـ وـحـسـابـهـمـ بـحجـجـ أـنـ اللهـ لـمـ يـخـبـرـ عـنـ ثـوابـهـ وـحـسـابـهـمـ ، أـنـ اللهـ تـعـالـىـ قدـ أـخـبـرـ عـنـ ثـوابـهـمـ وـعـنـ حـسـابـهـمـ وـسـؤـالـهـ لـهـمـ فـيـ آـيـاتـ كـثـيرـةـ ، مـثـلـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ : ﴿فَيَوْمـ إـلـا يـُسـأـلـ عـنـ ذـبـبـ إـنـسـ وـلـاـ جـانـ﴾ [الرحمن: ٣٩].

وقد بينـ المقصـودـ منـ هـذـاـ التـفـيـ فيماـ مضـىـ منـ بـابـ الـحـسـابـ ، كـذـلـكـ فإنـ ماـ يـسـتـدـلـ بـهـ عـلـىـ ثـوابـهـمـ وـعـقـابـهـمـ وـوزـنـ أـعـمالـهـمـ وـحـسـابـهـمـ ، دـخـولـهـمـ فـيـ عمـومـ إـخـبارـ اللهـ تـعـالـىـ عـنـهـمـ فـيـ وـعـدـهـ وـوـعـيـدـهـ .

وأـمـاـ إـجـابـةـ القرـطـبـيـ فـيـ إـثـبـاتـ ثـوابـ الجنـ وـوزـنـ أـعـمالـهـمـ وـحـسـابـهـمـ فـهـوـ أـنـ اللهـ تـعـالـىـ لـمـ قـالـ : ﴿إـنـ الـدـيـنـ آـمـنـوا وـعـمـلـوا الصـالـحـاتـ وـأـخـبـرـوا إـلـىـ رـبـهـمـ أـوـلـيـكـ أـصـحـابـ الـجـنـةـ هـمـ فـيـهـاـ خـالـدـوـنـ﴾ [هـرـودـ: ٢٧].

دخل في الجحمة الجن والإنس، فثبت للجن من وعد الجنة بعموم الآية ما ثبت للإنس، وقال : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَنِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ [الأحقاف : ١٨]، ثم قال : ﴿وَلِكُلِّ دَرْجَاتٍ مَا عَمِلُوا﴾ [الأنعام : ١٣]، وإنما أراد : (لكل من الجن والإنس) فقد ذُكروا في الوعد والوعيد مع الإنس.

وأخبر تعالى أن الجن يسألون فقال خبراً عما يقال لهم : ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَنِ أَلَمْ يَأْتُكُمْ رُسُلٌ مَنْ كُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا﴾ [الأنعام : ١٣٠].

وهذا سؤال ، وإذا ثبت بعض السؤال ثبت كله»، ثم ذكر بعض الآيات التي سيق أن ذكرنا الاستدلال بها، ثم قال : «ولما جعل رسول الله ﷺ زادهم كل عظم ، وعلف دوابهم كل روث ، فلا تستنجوا بهما فإنهم طعام إخوانكم الجان ، فجعلهم إخواننا ، وإذا كان كذلك فحكمهم كحكمنا في الآخرة سواء ، والله أعلم»^(١).

على أنه ما زال الأمر مفتقرًا إلى دليل صريح في وزن أعمالهم كما توزن أعمال البشر

* * *

(١) التذكرة ص : ٣٨١.

إثبات ثواب الجن وعقابهم

وقد ذكر الله تعالى في آيات كثيرة أن الجن يجري عليهم العقاب كما يجري على الإنسان، فقد قال تعالى في شأن توبيقه لهم وعن تعذيبهم هم والإنس. ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّمَا يَأْكُمُ رُسُلُنَا مِنْكُمْ يَقْصُدُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُنَذِّرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمَكُمْ هَذَا قَالُوا شَهَدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهَدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

وفي هذه الآية التصریح بأنهم قد جاءتهم الرسول كما جاءت الإنس، وأنذرتهم أمر الآخرة، وقد اعترفوا بهذا في مقابل تهديد الله وتوبيقه لهم، فمن سعد منهم دخل الجنة ومن شقي منهم دخل النار.

قال تعالى: ﴿قَالَ أَدْخُلُوا فِي أَمْرِنِّي فَدَخَلْتُ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨] ، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ إلخ الآية الكريمة [الأعراف: ١٧٩] ، وقال تعالى: ﴿لَا مُلَائِنَ جَهَنَّمَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسُ أَجْمَعُونَ﴾ [السجدة: ١٣] ، وقال تعالى في خطابه للإنس والجن: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّسَانٌ ﴿٦﴾ فِي أَبَيِّ أَلَاءِ رِبِّكُمَا تُكَذِّبَان﴾ [الرحمن: ٤٦-٤٧].

وقد اختلف العلماء في ثواب الجن على أعمالهم، ألم ثم ثواب؟ أم ليس لهم ثواب إلا مجرد النجاة من النار؟ على قولين:

فقيل: لا ثواب لهم إلا النجاة من النار، ثم يقال لهم: كونوا تراباً مثل

البهائم ، وهو قول أبي حنيفة وحكاية ابن حزم وغيره عنه .

وساق ابن أبي الدنيا بسنده إلى ليث بن أبي سليم أنه قال : « ثواب الجن آن يجاروا من النار ثم يقال لهم : كونوا تراباً . »

وساق أبو حفص بن شاهين بسنده إلى أبي الزناد قال : « إذا دخل أهل الجنة الجن وأهل النار النار ، قال الله تعالى لمؤمني الجن وسائر الأم : كونوا تراباً ، فحيثند يقول الكافر : يا ليتني كنت تراباً . »

والقول الثاني : أنهم يثابون على الطاعة ويعاقبون على المعصية ، وهو قول ابن أبي ليل ، ومالك ، وذكر ذلك مذهب الأوزاعي وأبي يوسف ومحمد ، ونقل عن الشافعي وأحمد بن حنبل ، فقال : نعم ، لهم ثواب وعليهم عقاب ، وهو قول أصحابهما وأصحاب مالك .

وسئل ابن عباس : هل لهم ثواب وعليهم عقاب ؟ فقال : « نعم ، لهم ثواب وعليهم عقاب » : وساق ابن شاهين بسنده إلى ضمرة بن حبيب بن صهيب الربيدي : هل للجن ثواب ؟ فقال : نعم ، قال أرطأة . أحد الرواية : ثم نزع . احتاج . ضمرة بهذه الآية ﴿ لَمْ يَطْمِثُنَّ إِنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴾ [الرحمن : ٥٦]

وذكر ابن أبي ليل أن دليلاً ثواب الجن قوله تعالى ﴿ وَلَكُلُّ درجاتٍ مِمَّا عملوا ﴾ [الأنعام : ١٣٢] وهو ما قاله أيضاً محمد بن رمضان الزيات من علماء المالكية .

وقال حرملة : سئل ابن وهب وأنا أسمع ، هل للجن ثواب وعقاب ؟ قال ابن وهب : قال الله تعالى : ﴿ وَحَقٌّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمُّ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾

مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ》 [فصلت: ٢٥].

وذكر ابن رشد عن ابن القاسم أنه قال: «للجن الثواب والعقاب، وتلا قول الله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا مِنَ الْمُسْلِمُونَ وَمِنَ الْقَاسِطِونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحْرَرُوا رَشْدًا ﴾ [١٤] وَآتَيْنَا الْقَاسِطِونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا» [الجن: ١٤، ١٥].

وقال مغیث بن سمي: «ما خلق الله تعالى من شيء إلا وهو يسمع زفير جهنم غدوة وعشية، إلا الثقلين الذين عليهم الحساب والعقاب»^(١).

وقال البرديسي: «قال الماوردي: اتفق العلماء على أن الجن يعذبون في الآخرة على المعاصي، قال تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ واختلف في مؤمنهم ومطيعهم، هل يدخل الجنة وينعم فيها مجازاة له على طاعته؟ أم لا يدخلونها بل يكون ثوابهم النجاة من النار، ثم يقال لهم: كونوا تراباً كالبهائم؟ ذهب إلى ذلك جماعة، والصحيح أنهم يدخلونها وينعمون فيها بالأكل والشرب وغيرهما، وهو قول الحسن والضحاك ومالك بن أنس وابن أبي ليلى وغيرهم، خلافاً لبعض الحنفية كما تقدم»^(٢).

* * *

وقفهم في المحشر

وإذا كنا قد أثبتنا وقوف البشر في المحشر فإن الجن يقفون أيضاً مع الإنس وقد تقدم في أحاديث نزول الله تعالى لفصل القضاء: أن الملائكة تحيط

(١) بتصرف من كتاب أکام المرجان ص: ٥٥-٥٦.

(٢) تکملة شرح الصدور ص: ٤٧-٤٨.

مبن في الموقف من الجن والإنس وسائل ما خلق الله دائرة.

لكتني لم أجدهم يأتون إلى الأنبياء ويطلبون الشفاعة إلى الله تعالى كما فعلته الإنس، أو أنهم يأتون إلى الموقف بالهيبات والحالات التي يأتي بها البشر.

على أنه لا يمنع ذلك من حصول هذه الأمور، فربما تكون ثابتة فيهم ولكن لم يذكروا، استغناءً بذكر حال الإنس.

* * *

شهادتهم يوم القيمة

و جاء في الحديث: أنهم يكونون من الشهدود يوم القيمة، وقد ورد من حديث ابن أبي صعصعة أن أبا سعيد قال له: «إنني أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في باديتك أو غنمك فأذنت بالصلة فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس إلا شهد له يوم القيمة»، قال أبو سعيد: سمعته من رسول الله ﷺ^(١).

* * *

هل الجن يرون الله في الدار الآخرة؟

اختلف العلماء في وقوع رؤية الجن لربهم، فذهب بعضهم إلى أن الجن لا يرون الله تعالى وأن الرؤية مخصوصة بالإنس، وذهب بعضهم إلى أن الجن يرون ربهم.

(١) صحيح البخاري ٨٧ / ٢ والموطأص: ٧٦.

ومن الذين منعوا رؤيتهم: ابن عبد السلام.

ومن الذين قالوا برؤيتهم: القاضي جلال الدين البلقيني، وابن العماد والشيخ سراج الدين البلقيني، فيما يذكره عنهم الشبلي^(١).

وقد وردت النصوص صريحة في رؤية المؤمنين من البشر له عز وجل، أما رؤية الجن له فلم أستطع معرفة دليله.

* * *

هل يدخل كفار الجن النار ومؤمنهم الجنة؟

أما دخول كفارهم النار فهذا أمر متفق عليه، كما ذكر الشبلي، واستدل هؤلاء الذين قالوا بعذابهم بقول الله تعالى ﴿وَالنَّارُ مَثْوَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١٢]. وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْفَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥].

وأما دخول المؤمن منهم الجنة، فهي مسألة خلافية بين العلماء، ويمكن حصر ذلك الخلاف في الأمور الآتية:

١- أنهم يدخلون الجنة؛ وعليه جمهور العلماء.

٢- أنهم لا يدخلونها؛ بل يكونون في ربضها؛ يراهم الإنس من حيث لا يرونهم، وهذا القول مأثور عن مالك والشافعي وأحمد وأبي يوسف ومحمد.

٣- أنهم على الأعراف.

٤- الوقف^(٢)، أي فلا يحكم لهم بجنة ولا نار.

(١) آكام المرجان ص: ٦٠ - ٦١.

(٢) آكام المرجان ص: ٥٧.

وقد قدمنا ثبوت أن عليهم مثل ما على الإنسان من الثواب والعقاب.

* * *

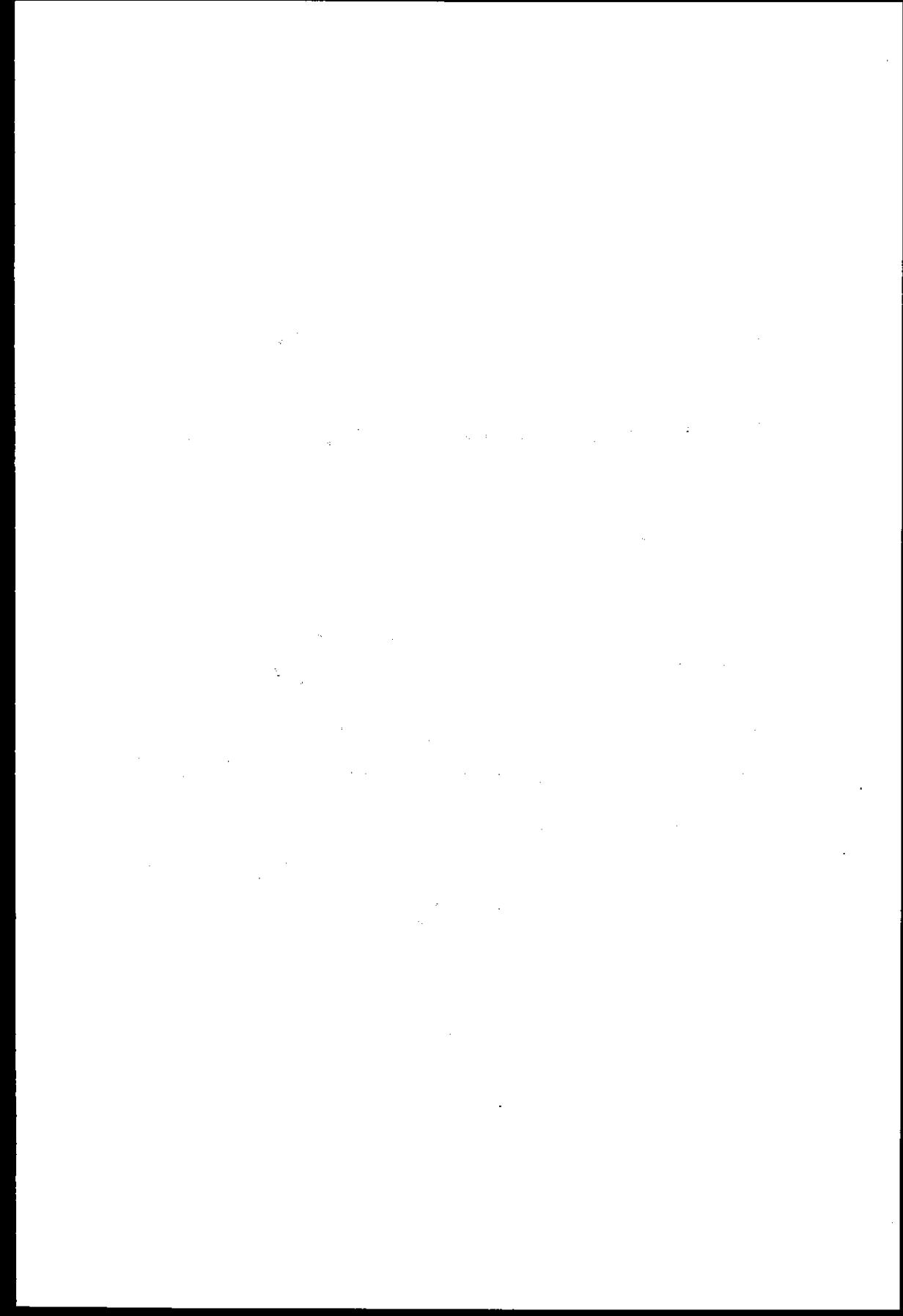
**هل تشارك الجن الإنس في اخذ الصحف باليمن أو
الشمال؟**

**وهل يشربون من المخض؟ وهل يجتازون الصراط؟ وهل
يقفون على القنطرة؟**

لم يتيسر لي الاطلاع على نص يثبت هذه الأمور أو ينفيها، على أنه لا يمنع فيما أرى. أن يكون منهم من يشرب من المخض ومنهم من يزداد عنه، خصوصاً وأنهم مكلفوون مثل الإنس، ونبيهم ونبي الإنس واحد وهو محمد ﷺ ، فإذا كان الله قد أكرم نبيه محمداً ﷺ بهذه الفضيلة له ولأتباعه عموماً، فإن الجن حينئذ يدخلون في هذا التكريم؛ من آمن منهم واستقام، شأنهم شأن الإنس في الشرب والمنع، وكذلك المرور على الصراط والوقوف بالقنطرة وإعطاء الكتاب باليمن أو الشمال، كل هذه الأمور غير مستبعد مشاركتهم الإنس فيها.

والله أعلم بذلك.

* * *



الباب العاشر الصراط

ويشتمل على الفصول الآتية:

تهنيد

الفصل الأول:

تعريف الصراط:

١ - في اللغة.

٢ - في الاصطلاح.

الفصل الثاني:

الأدلة على إثبات الصراط:

١ - من القرآن الكريم.

٢ - من السنة النبوية.

الفصل الثالث:

وصف الصراط والمرور عليه.

الفصل الرابع:

متى يتم المرور على الصراط.

الفصل الخامس:

الحكمة في نسب الصراط.

الفصل السادس:

مسافة الصراط.

الفصل السابع:

المنكرون للصراط.

الفصل الثامن:

هل يمر جميع الخلق على الصراط.

الفصل التاسع:

أول من يجوز الصراط.

الفصل العاشر:

شعار المؤمنين على الصراط.

الفصل الحادي عشر:

الأعمال الموجبة للجواز على الصراط.

الفصل الثاني عشر:

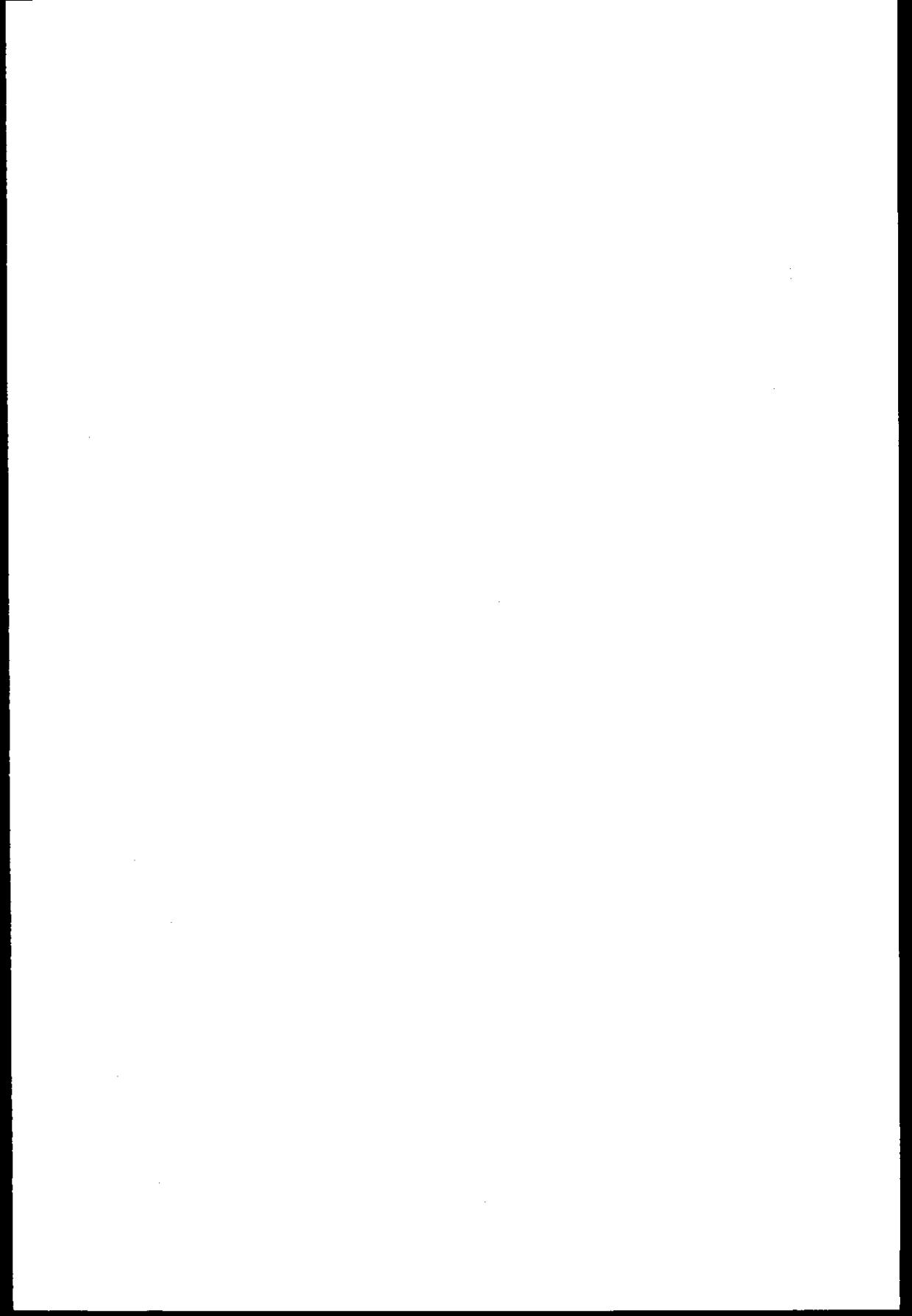
هل الصراط قد خلق أم سيخلق في

يوم القيمة؟.

الفصل الثالث عشر:

هل يبقى الصراط إلى خروج عصاة

الموحدين من النار أم لا؟.



الباب العاشر

الصراط^(١)

نَمْهِيد:

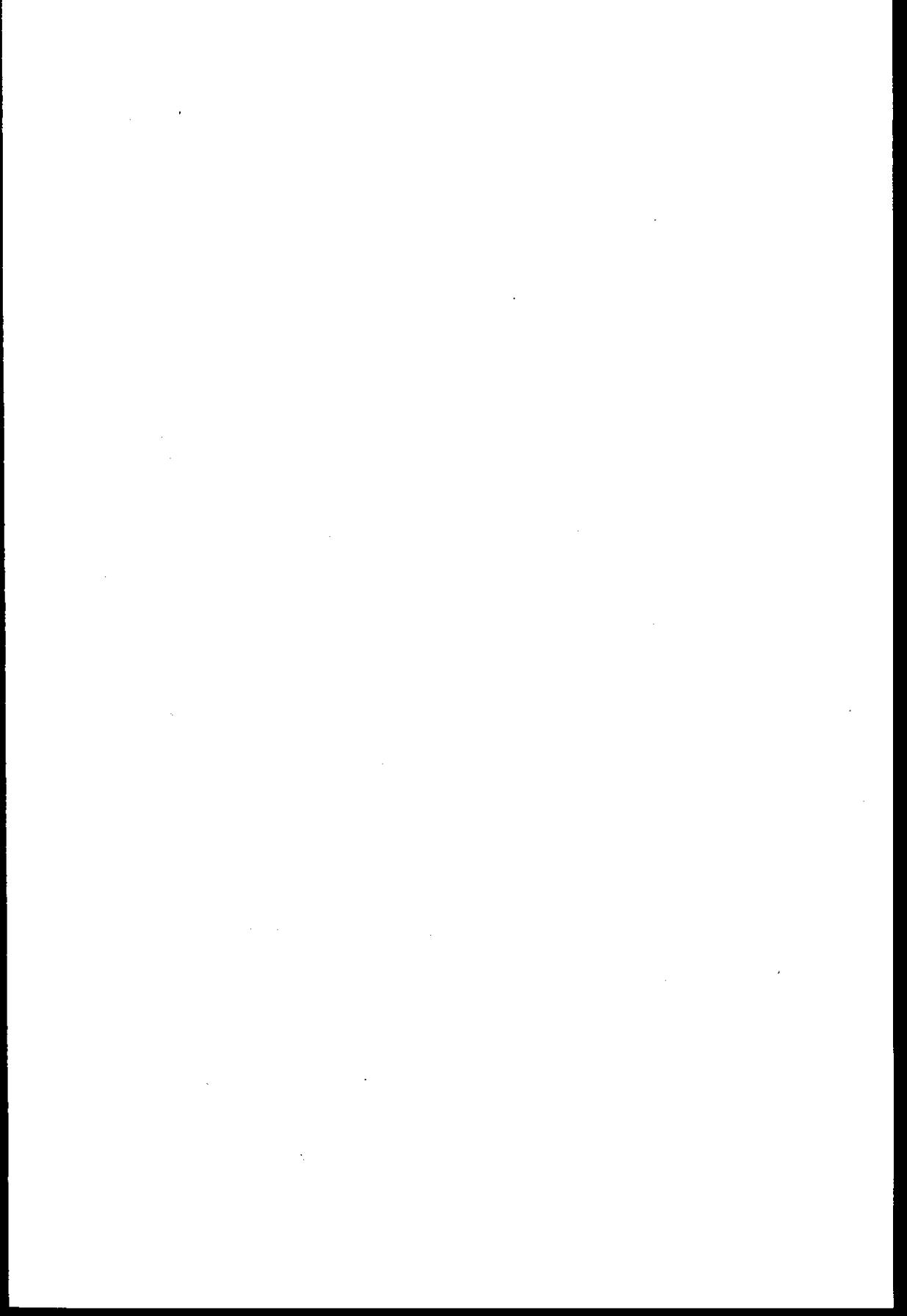
هذه المسألة كغيرها من المسائل الغبية التي يجب الإيمان بها؛ لثبوتها بالقرآن الكريم والسنة النبوية، واعتقاد ما أثبتته النصوص فيها هو الحق دون اللجوء إلى التأويلات في النصوص التي أثبتتها، لاستبعادها في عقول بعض الناس؛ بل نؤمن بها كما جاءت في الشرع من غير تأويل، مجتنبين ما صار عليه أهل البدع من المعتزلة، وغيرهم من نفافها بالكلية، أو أولها بالتأويلات البعيدة عن الصواب، كما سيأتي.

فإن هذا ليس من الإيمان بها، ولا من التسليم لما جاء به الحق فيها، ولا هو بالأمر الذي صار عليه عاممة السلف، كما سنفصل الكلام في ذلك بعرض الأدلة وأقوال أهل العلم.

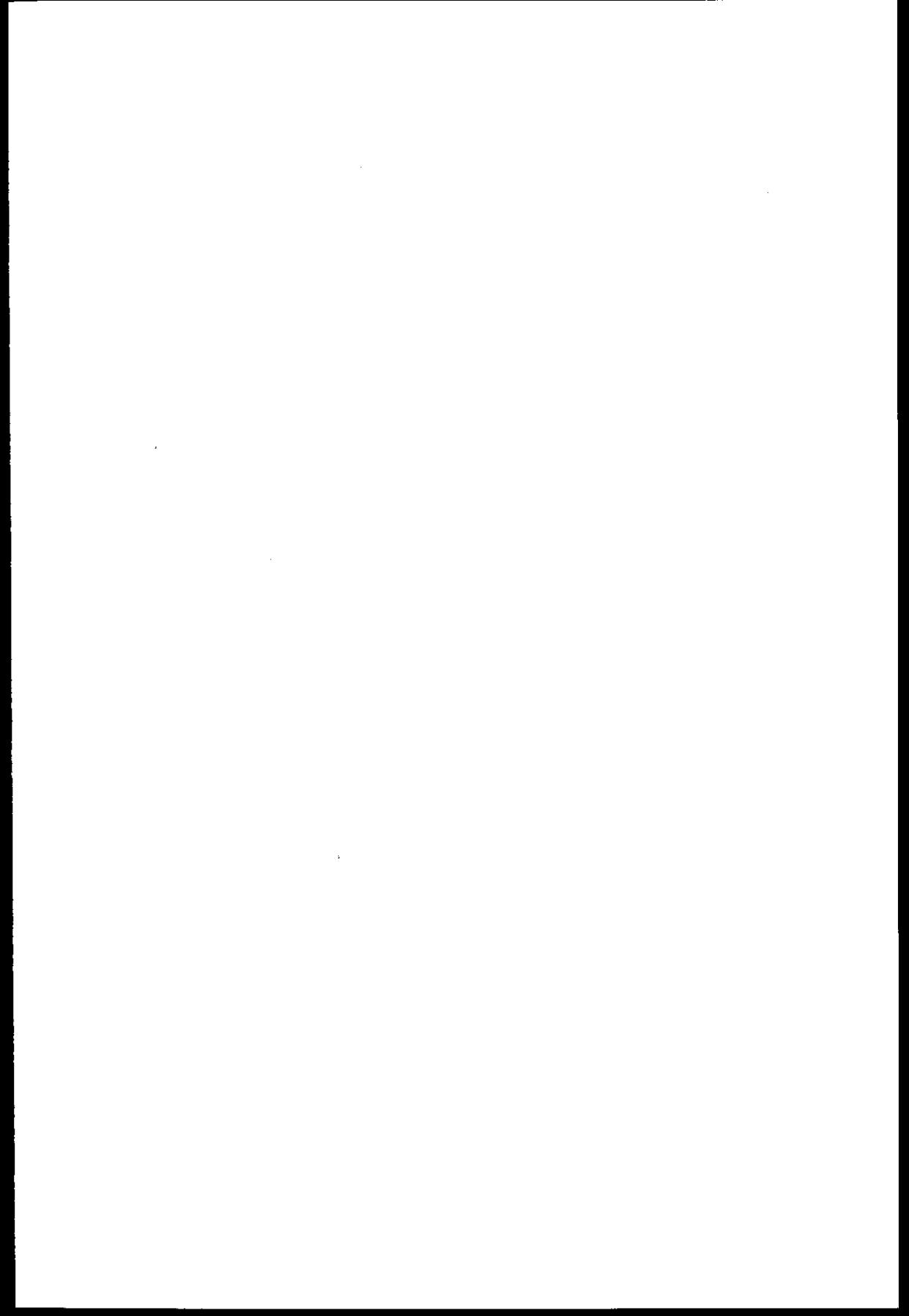
و قبل البحث في تفاصيل ما قيل عن الصراط نعرفه أولاً في اللغة وفي الاصطلاح.

* * *

(١) بعضهم يسميه الصراط، وبعضهم يسميه جسر جهنم، وكلا الأسمين يعني واحد.



الفصل الأول
تعريف الصراط



الفصل الأول

تعريف الصراط

١- تعريف الصراط في اللغة:

الصراط في اللغة بكسر الصاد: الطريق الواضح المستقيم، وهو يستعمل بلفظ الصاد أو السين أو الزاي.

والسراط في الأصل: هو البلع، ومنه سمي صراطاً لأنَّه يسترط المارة فيه لكثرَة سلوكهم به، أي يتعلَّمُونَ.

قال الأزهري فيما نقله عن بعض العلماء - في تعليل تسمية الطريق الواضح صراطاً - : «إِنَّا قَيْلَ الْطَّرِيقَ الْوَاضِحَ سَرَاطاً لِأَنَّهُ كَانَ يَسْتَرِطُ الْمَارَةَ»^(١)

وقال الجوهري: «سَرَطَتِ الشَّيْءُ بِالْكَسْرِ أَسْرَطَهُ سَرَطًا بِلْعَتَهُ، وَاسْتَرَطَهُ ابْتَلَعَهُ»^(٢).

وقال الفيروزآبادي: «الصراط بالكسر: الطريق»^(٣).

وقال الراغب: «الصراط: الطريق المستقيم، قال: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٥٣]، ويقال له: سراط»^(٤).

(١) تهذيب اللغة ج ١٢ ص ٣٣٠.

(٢) الصحاح ج ٣ ص ١٣٠.

(٣) القاموس المحيط ج ٢ ص ٣٨٤.

(٤) المفردات ص ٢٨٠، وانظر: نرَهُ الأعين النواطر ص ٣٨٤، وأنظر اللآلئ البهية ص ٧١.

وقال عن إطلاقه بالسين: «السراط: الطريق المستسهل، أصله من سرط الطعام وزرته: ابتلعته، فقيل سراط تصوراً أنه يبتلعه سالكاً، أو يبتلع سالكه، .. وكذا سمي الطريق اللقم والملتقم اعتباراً بأن سالكه يلتقطه»^(١).

وقال الوزاني: «الصراط: بالصاد، أو السين، أو الزاي المضمة،
ومعنى لغة: الطريق الواضح، مأخوذ من صرطه يصرطه إذا ابتلعه؛ لأنَّه
يتلَعَّم المارة»^(٢).

وقد ذكر الله تعالى لفظة الصراط في القرآن الكريم في تسعه وأربعين موضعأً، على معانٍ مختلفة لكنها متقاربة في المعنى .

ونقل ابن جرير : أن الأمة أجمعـت على أن الصراط المستقـيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه ، وأن هذا الاستعمال كذلك في جميع لغة العرب ^(٣) ، وذكر أن الشواهد على ذلك أكثر من أن تمحـي .

وهذا الإجماع الذي ذكره ابن جرير في معنى الصراط هو أحد المعاني الواردة في معنى الصراط، أما معانيه الأخرى فمنها:

- ١- بيان طريق الهدایة والإرشاد، وهذا رأي ابن عباس.
 - ٢- القرآن الكريم؛ هذا رأي علي بن أبي طالب.
 - ٣- الإسلام، وهذا رأي جابر بن عبد الله، ورواية أخرى عن ابن عباس، ورأي ابن مسعود، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ونواس بن سمعان

(١) المفردات ص ٢٣٠

(٢) النشر الطب ٢ ص ٣٧٩

(٣) جامع البيان ج ١ ص ٧٢-٧٥

الأنصاري.

٤ - دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره، هذا رأي ابن الحنفية^(١).
وهناك أقوال أخرى في معنى الصراط ذكرها أهل العلم من علماء التفسير وغيرهم.

والواقع أن هذه الأقوال ليست متباعدة، فإن لفظة الصراط تصدق عليها جميعاً؛ لأنها ترجع إلى شيء واحد وهو المتابعة لله وللسoul ﷺ، كما ذكر ابن كثير^(٢).

ومن الواضح أن السلف وإن كانوا يفسرون الصراط بمعناه اللغوي - من أنه الطريق أو طريق الهدایة والرشاد - فإنهم ما كانوا يغفلون حقيقته الشرعية.

٢ - تعریفه في الاصطلاح:

يراد به هنا: ما ثبت في السنة النبوية أنه جسر محدود على متن جهنم، أرق من الشعرة وأحد من السيف، يعبره الخلاائق بقدر أعمالهم.

وقد بوب البخاري لإثباته في الشرع بقوله: «باب: الصراط جسر جهنم»، وقال ابن حجر: «أي الجسر المنصب على جهنم، لعبور المسلمين عليه إلى الجنة»^(٣).

ويقول النووي في تعريفه له: «وهو جسر على متن جهنم يمر عليه الناس

(١) جامع البيان ج ١ ص ٧٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٢٧.

(٣) فتح الباري ج ١١ ص ٤٠٦.

كلهم ، فالمؤمنون ينجون على حسب حالهم - أي منازلهم - والآخرون يسقطون فيها»^(١) .

وقال السفاريني : «والحق أن الصراط وردت به الأخبار الصحيحة وهو محمول على ظاهره بغير تأويل ، كما ثبت في الصحيحين ، والمسانيد والسنن والصحاب ما لا يحصى إلا بكلفة ، من أنه جسر مضروب على متن جهنم يمر عليه جميع الخلق»^(٢) .

وقال البرديسي : «وهو جسر محدود على متن جهنم أرق من الشعرة وأحد من السيف ، يجوزه العباد بقدر أعمالهم»^(٣) .

وقال المرداوي في تعريفه شرعاً «وفي الشرع : جسر محدود على جهنم ، فيرده الأولون والآخرون»^(٤) .

وقد اتفق جمهور العلماء على تعريف الصراط بأنه : جسر محدود على متن جهنم يمر عليه جميع الخلق .

وما تقدم من تعريف الصراط بأنه جسر محدود على متن جهنم هو التعريف الواضح المفهوم ، لكن هناك من يعرف الصراط بأنه : «الجسر الذي بين الجنة والنار يمر الناس عليه على قدر أعمالهم»^(٥) ، أو أنه : «قنطرة جهنم بين الجنة والنار»^(٦) .

(١) شرح الترمذ لمسلم ج ١ ص ٤٣٠ .

(٢) لورام الأنوار ج ٣ ص ١٩٢ .

(٣) تكملة شرح الصدور ص ٣٠ .

(٤) اللاتكي ، البهية ص ٧١ .

(٥) انظر : شرح الإبابة ص ٩٦ .

(٦) هذا التعريف للمرداوي في اللائق البهية ص ٧١ ، وهو ما ذكره أيضاً الشيخ / عبد العزيز المحمد السلمان في الأسئلة والأجوبة الأصولية ص ٢٢٥ .

وقد مشى على هذا التعريف بعض العلماء، وفي هذا التعريف إشكال يبدو في قولهم: «بين الجنة والنار»، فإن المفهوم من الأحاديث أن الصراط منصوب على متن جهنم، وتكون جهنم تحته، ولهذا يسقط فيه من يسقط في أثناء عبورهم إلى الجنة.

فإذا كان الصراط بين الجنة والنار، فكيف يتصور سقوط من يسقط فيه، أو خطف الكلالib له في أثناء سيره إلى الجنة وقد تجاوز النار؟ فتعريفه بأنه بين الجنة والنار تعريف مشكل، إلا أن يراد به أنه يبتدىء من أول النار ويستمر عليها إلى أن يصل إلى الجنة، مع أنه في الحقيقة إنما وضع لاجتياز الناس فوق النار.

وقد ثبت أن المؤمنين إذا نجوا من الصراط أوقفوا على قنطرة؛ ليقتضوا مظالم كانت بينهم، وليهدبوا وينقاوا، وهذه القنطرة غير الصراط، وإن كان فيها خلاف سنذكره إن شاء الله عند بحث القنطرة، ولعل هذا التعريف ينطبق على هذه القنطرة عند من يسميها صراطاً آخر.

ولكن الصراط إذا أطلق في الشرع، فإنه يراد به الجسر المنصوب على متن جهنم يعبره البشر إلى الجنة.

ومن أول معناه، وقال أن المراد به: الأدلة الواضحة. كما قال بعض المعتزلة وغيرهم، كما سيأتي بيانه. لاشك أنه أبعد النجعة عن الحقيقة، وعرفه بغير تعريفه الشرعي، وتأول تأويلاً بعيداً، وقصر حقيقته الشرعية على الحقيقة اللغوية، والأحاديث التي صرحت بأوصافه. كما سيأتي ذكرها. من

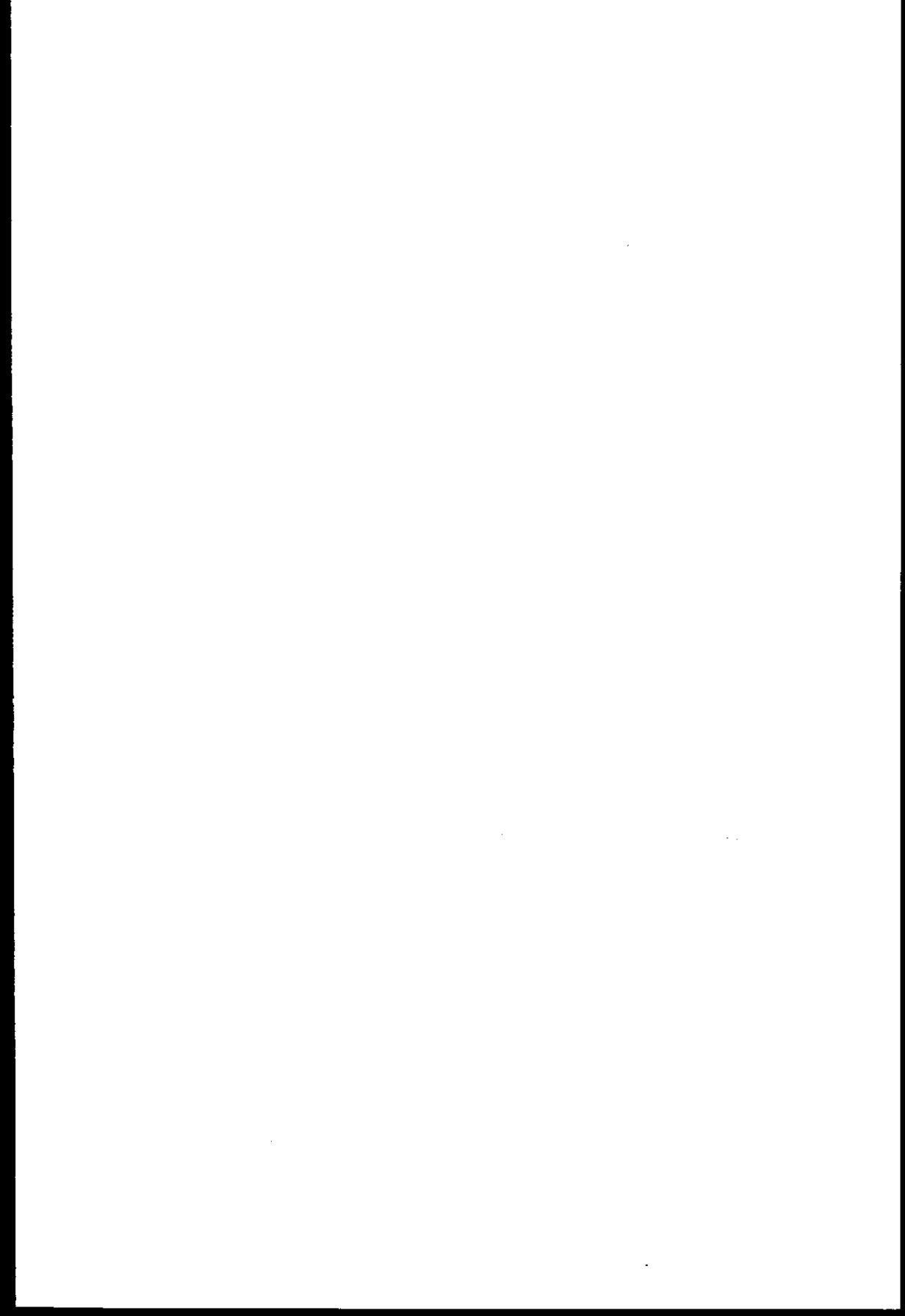
أنه دحض مزلة، وفيه خطاطيف وكالاليب تأبى هذا التعريف وترده.

وقد اتضح مما سبق أن الصراط في اللغة هو: الطريق، وأما في الشرع فهو: جسر على متن جهنم؛ جسر حقيقي يعبره البشر إلى الجنة.

وبعد أن ذكرنا تعريفه لغة واصطلاحاً، نبين فيما يلي أدلة إثباته.

* * *

**الفصل الثاني
الأدلة على إثبات الصراط**



الفصل الثاني

الأدلة على إثبات الصراط

١- من القرآن الكريم:

ثبت الصراط في السنة النبوية بلفظه الصريح كما سنعرض بعض الأحاديث المثبتة لذلك.

أما من القرآن الكريم فإنه لم يأت التصريح به كما جاء في السنة، غير أن هناك آيات بعض العلماء جعلها صريحة في ذكر الصراط، وبعضهم يجعلها إشارة إليه، ويحمل ما ورد في القرآن الكريم من ذكر الصراط على ما يراد به من معناه اللغوي، ومن تلك الآيات قول الله تعالى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصفات: ٢٣].

قال الطبرى في معناها: «أى احشروا هؤلاء المشركين وألهتهم التي كانوا بعدهونها من دون الله فوجهوهم إلى طريق الجحيم»^(١).

وهذه الآية ليست فيها التصريح التام بذكر الصراط في اصطلاح الشرع، إلا أن يقال: إن طريق الجحيم هو أخذهم إلى الصراط، ومنه إلى النار.

وقال الخازن: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾، قال ابن عباس: أي

(١) جامع البيان ج ٢٣ ص ٤٧ تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٤.

دلورهم إلى طريق الجحيم، ﴿وَقِفُوْهُمْ﴾ أي احبسونهم، ﴿إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصفات: ٢٤] لما سيقوا إلى النار ، حبسوا عند الصراط للسؤال»^(١).

وهذا ما أشار إليه صاحب النشر الطيب، وذكر أن «الآية في دلالتها على الصراط الأخرى احتمال وليس بصريح»^(٢).

وعن السر في التعبير بلغة الصراط دون غيرها من الكلمات التي تؤدي هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، قال الرازي عن ذلك: « وإنما قال الصراط - ولم يقل السبيل ولا الطريق وإن كان الكل واحداً - ليكون لفظ الصراط مذكراً بصراط جهنم؛ فيكون الإنسان على مزيد خوف وخشية»^(٣).

ويذكر الوزاني أن أبا الحسن استدل عليه بقوله تعالى: ﴿فَلَا افْتَحْمَ الْعَقَبَةَ﴾ [البلد: ١١]، بأن العقبة هنا: هي الصراط، وهو ما قال به مجاهد والضحاك^(٤).

وفي تفسير العقبة أقوال كثيرة، منها هذا القول (أي تفسير العقبة بأنها الصراط الذي يضرب على جهنم كحد السيف). وهو ما ذكره أيضاً الشوكاني ونسبة إلى مجاهد والضحاك والكلبي^(٥).

وهذا احتمال أيضاً كما قال صاحب النشر الطيب^(٦) وليس بصريح في

(١) تفسير الخازن ج ٤ ص ١٦.

(٢) النشر الطيب ج ٢ ص ٣٨٠.

(٣) التفسير الكبير ج ١ ص ٢٥٧.

(٤) النشر الطيب ج ٢ ص ٣٧٩.

(٥) فتح القدير ج ٥ ص ٤٤٤.

(٦) النشر الطيب ج ٢ ص ٣٨٠.

ثبوت الصراط الآخر، ولهذا يقول الجمل: «العقبة في الأصل الطريق الصعب في الجبل، واقتحامها مجازتها، وليس هذا المعنى مراداً هنا، بل المراد بها هنا: مجاهدة النفس في فعل الطاعات وترك المحرمات، والمراد باقتحامها: فعلها وتحصيلها»^(١).

ومن ذلك قوله تعالى: «وَإِنْ مَنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتَّمًا مَّقْضِيًّا» ^(٢) [٧١] ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ آتَقْوَا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِئْنًا» [مريم: ٧١، ٧٢].

وهي إشارة إلى وجود الصراط، إذ لا يكون الورود إلا بالمرور على الصراط على متن جهنم، على أحد الأقوال التي سذكرها في مبحث الورود.

وقد صرخ عبد الله بن مسعود بذلك كما ذكر الطبرى، حيث قال: «حدثنا خلاد بن أسلم، وساق بسنده إلى ابن الأحوص عن عبد الله في قوله تعالى: «وَإِنْ مَنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا» قال: الصراط على جهنم مثل حد السيف» إلخ كلامه^(٣).

وقال العلامة الجمل في تفسيره لمعنى الورود وأقوال السلف فيه: «وقالت فرقة: الورود: المرور على الصراط، وروى عن ابن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار والسدى، ورواه السدى عن ابن مسعود عن النبي ﷺ، وقاله الحسن أيضاً، فالورود: أن يمروا على الصراط، واحتجوا بقوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقُتْ لَهُمْ مِنَ الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبَعَّدُونَ» [الأنياء: ١٠١] قالوا: فلا يدخل النار من ضمن الله أن يباعد منها، وأجاب

(١) الفتوحات الإلهية ج ٤ ص ٥٣٩.

(٢) جامع البيان ج ٦ ص ١١٠.

الأولون بأن معنى قوله: ﴿أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبَعَّدُونَ﴾ أنهم مبعدون عن العذاب فيها والاحتراق بها، قالوا: فمن دخلها وهو لا يشعر بها ولا يحس منها وجعاً ولا ألمًا فهو مبعد منها»^(١).

وما سبق ذكره يدل على أنه لم يرد في القرآن الكريم نص صريح متفق عليه غير قابل للاحتمال في ذكر الصراط الأخرى وهو الجسر الممدود على جهنم - فيما استطعت معرفته - غير الآية المذكورة سابقاً من سورة مريم.

ولكن بعض العلماء يذكر أن أدلة في القرآن الكريم على هذا المعنى كثيرة لكنه لم يذكر دليلاً على ذلك ، بل يكتفي بذكر القول أن فيه أدلة من القرآن^(٢)

٢- الأدلة من السنة النبوية على إثبات الصراط:

ثبت ذكر الصراط بأوصافه في السنة النبوية في عدة أحاديث ، ونعرض فيما يلي بعض الأدلة المثبتة لذلك ، وأول ما نبدأ به منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال أنس : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة؟ فذكر الحديث ، وهو حديث طويل ، وم محل الشاهد منه قوله ﷺ : «ويضرب جسر جهنم، قال رسول الله ﷺ : فاكون أول من يجيز، ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وبه كلاليب مثل شوك السعدان، أما رأيت شوك السعدان؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فإنها مثل شوك السعدان، غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله، فتختطف الناس بأعمالهم، منهم الصوابق بعمله، ومنهم المخدرل ثم ينجو»^(٣). إلى آخر

(١) الفترحات الإلهية ج ٣ ص ٧٤ .

(٢) انظر: الألائل البهية ص ٧١ .

(٣) أخرجه البخاري ج ١١ ص ٤٤٥ ، وبواب له يقوله: «باب: الصراط جسر جهنم».

ال الحديث في وصف الصراط .

وفي هذا الحديث تصوير دقيق للجسر ، وحالة مرور الناس عليه ، ووصف ما عليه من كلاليب التي تشبه شوك السعدان في الشكل لا في الحقيقة ، حتى ليكاد القارئ يشاهده ، ويشاهد مرور الناس عليه ، واحتلاج الناس فيه ، وبطش جهنم بهم بسبب أعمالهم .

وأما معنى تلك الكلاليب فهي جمع كلوب . قال الأزهري : «والكلاب والكلوب : خشبة في رأسها عقافة منها أو من حديد»^(١) ، وقد ضبط كلمة «الكلوب» بفتح الكاف وضم اللام .

وقال النووي في ضبط الكلمة «كلوب» : إنها «بفتح الكاف وضم اللام المشددة ، وهو حديدة معطرفة الرأس ، يعلق فيها اللحم ، وترسل في التنور . ثم نقل عن صاحب المطالع قوله : إن الكلوب هي خشبة في رأسها عقافة حديد ، وقد تكون حديداً كلها ، ويقال لها أيضاً كلاب»^(٢) .

وهذه الكلاليب إنما شبّهت بشوك السعدان في الصورة الظاهرة كما قلنا ، وإنما كان الكلاليب جهنم ليست بهذه في الحجم ، فقد جاء أن كل كلوب من كلاليب جهنم يأخذ أكثر من ربعة ومضر .

وقد ذهب بعض العلماء في معنى تلك الكلاليب إلى تأويتها بمعنى الشهوات ، فقد نقل الحافظ ابن حجر عن القاضي أبي بكر بن العربي قوله : «هذه الكلاليب هي الشهوات المشار إليها في الحديث الماضي : «حفت النار بالشهوات» . قال : فالشهوات موضوعة على جوانبها ، فمن اقتحم الشهوة

(١) تهذيب اللغة ج ١ ص ٢٥٩ .

(٢) شرح النووي لسلم ج ١ ص ٤٣٠ .

سقط في النار لأنها خطاطيفها»^(١).

وعن الزين بن المنير قوله: «تشبيه الكلاليب بشوك السعدان خاص بسرعة اختطافها، وكثرة الاتشاب فيها، مع التحرز والتصون، تمثيلاً لهم بما عرفوه في الدنيا، وألفوه بال المباشرة، ثم استثنى؛ إشارة إلى أن التشبيه لم يقع في مقدارهما»^(٢).

وبعد أن نقل ابن حجر هذا الكلام لابن العربي، لم يعلق عليه بشيء.

ومثل هذا ما ينقله الوزاني عن أبي طاهر القرزويني في قوله: «وما جاء من الكلاليب: فهو عبارة عن علائق الدنيا، فكما تجذب صاحبها للدنيا كذلك تجذبه للهاوية، والحبو والزحف إشارة إلى تناقل ظهور الناس بالظلمال، وأما الزالون فهم الناكبون في الدنيا عن الصراط المستقيم»^(٣).

وهذه الأقوال تأويلاً تحتاج إلى إثبات، إذ كيف تتفق هذه التأويلات مع وصف الرسول ﷺ لتلك الكلاليب بالكبر؟ ثم بالتمثيل لها بأشياء محسوسة معروفة؟ فكيف تكون الشهوات مثل شوك السعدان تخطف من أمرت بخطفه؟ هذا لا يتفق مع مفهوم الأحاديث، والله أعلم.

ثم إنه لو ساغ تأويل الكلاليب بالشهوات؛ لساغ تأويل كثير من أمور الآخرة، وهو باب لا ينبغي فتحه؛ إذ إنه سيفضي إلى تأويل كل ما جاء به الشرع من أخبار الغيب وأخبار اليوم الآخر، وهذا أمر معلوم البطلان.

وقد بين عليه الصلاة والسلام موضع تلك الكلاليب أين تكون بالنسبة للصراط، من أنها تكون في حافظته وهو ما جاء في صحيح مسلم: «وفي

(١)، (٢) فتح الباري ج ١١ ص ٤٥٣.

(٣) النشر الطيب ج ٢ ص ٣٨٠.

حافتي الصراط كاللاب معلقة، مأمورة بأخذ من أمرت به، الحديث . وسيأتي ذكره.

وورد في بعض الروايات قوله ﷺ : «وبه كاللاب»، أو «عليه كاللاب النار»، أو كما في بعضها الآخر : «وفي جهنم كاللاب»، وليس في هذه الروايات تعارض ، فإنه يتلخص من ذلك أن تلك الكلالب معلقة بالصراط على امتداده ، والصراط على جهنم ، فإذا أضيفت تلك الكلالب إلى الصراط؛ فباعتبار أنها معلقة به ، وإذا أضيفت إلى جهنم؛ فباعتبار أن الصراط على جهنم .

وأما السعدان: فهو جمع ، وواحدتها: سعدانة ، وهو نبات ذو شوك ، يضرب به المثل في طيب مرعاه ، ولهذا يقال: «مرعى ولا كالسعدان» ، وهو ينبت في السهول ، وهو من جيد مراعي الإبل»^(١) .

قال النووي: «وأما السعدان - بفتح السين وإسكان العين المهملة - وهو نبت له شوكة عظيمة مثل الحس克 من كل الجهات»^(٢) .

وقال البرديسي: «شوك السعدان - بفتح المهملة وسكون الثانية وبإهمال الدال - نبت له شوك عظيم من كل الجهات مثل الحسك»^(٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا

(١) مجمع الأمثال ص ٢٧٥ ، وال نهاية لابن الأثير ج ٢ ص ٣٦٧ .

(٢) شرح النووي ج ١ ص ٤٣٠ .

(٣) تكملاً شرح الصدور ص ٣١ .

الرسل، وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم، وفي جهنم كاللبيب مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا : نعم ، قال : فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم من يوقي بعمله، ومنهم من يخربن ثم ينجو^(١) إلى آخر الحديث.

وعنه أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ : «ويضرب الصراط بين ظهرى جهنم، فاكون أنا وأمتى أول من يجيزها، ولا يتكلّم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم كاللبيب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟ قالوا : نعم يا رسول الله، قال : فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم المويق بعمله، ومنهم المخربن أو المجازى أو نحوه^(٢) إلى آخر الحديث.

وأما قوله ﷺ : «فاكون أول من يجيز». وفي الرواية الأخرى «فاكون أول من يجوز». وفي الرواية الثالثة: «فاكون أنا وأمتى أول من يجيزها»؛ فإن المراد من مجموع هذه الروايات هو إثبات أن الرسول ﷺ هو أول الأم جوازاً على الصراط هو وأمته، ثم بعده سائر الأم، كما سيأتي بيانه.

وأما المخربن ثم ينجو: فهذا وصف لصنف من أصناف المارين على الصراط، والمخربن: بالخاء المعجمة، وفي رواية بالجيم، ورجمع ابن قرقوقل الخاء المعجمة والدال المهملة.

والمعنى: أن كاللبيب النار تقطعه فيهوي في النار، كما قال الhero: «ويحتمل أن يكون من المخربن، أي جعلت أعضاؤه كالخربن، وقيل معناه:

(١) صحيح البخاري ج ١٣ ص ٤١٩ ، والمستند ج ٢ ص ٢٩٣ .

(٢) صحيح البخاري ج ١٣ ص ٤١٩ ، ومسلم ج ١ ص ٤٣٠ .

أنها تقطعهم عن حقوقهم بنجا، وقيل: المخردل، المتصروع، ورجحه ابن التين فقال: هو أنساب لسياق الخبر^(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه - من حديث طويل - قال: قال رسول الله ﷺ: ثم يؤتى بالجسر، فيجعل بين ظهري جهنم، قلنا: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب مفلطحة، لها شوكة عقيباء، تكون بتجدد يقال لها: السعدان، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد^{الخ} والركاب، فناج مسلم، وناج مخدوش، ومكدوش في نار جهنم، حتى يمر آخرهم يسحب سحبًا^(٢) الحديث.

وهذا الحديث وصف آخر لمرور الأم على الصراط، وتفاوتهم في سرعة السير وبطئه، وما يقع لهم في أثناء سيرهم من أحوال، فالجسر مدحضة مزلة متزلق شديد لا ثبت عليه قدم^(٣)، والخطاطيف والكلاليب قد نصب لخطف من أمرت بخطفه، فمنهم من يسلمه الله تعالى؛ فلا يحسن بألم تلك الخطاطيف والكلاليب، ومنهم من ينجوا لكنه يصيبه خدوش تؤثر في جلده، ومنهم من تخطفه فتنتهي به إلى مقر جهنم مكدوساً فيها مسروقاً بشدة وعنف من ورائه؛ ليكون فوق من سبق، يكذبون كما تكذب الدواب في سيرها إذا ركب بعضها بعضاً.

(١) انظر: فتح الباري ج ١١ ص ٤٥٤.

(٢) صحيح البخاري ج ١٣ ص ٤٢١.

(٣) قال النwoي في معنى دحض هو «بنتوين دحض وداله مفتوحة والخاء ساكنة، ومزلة: بفتح الميم، وفي الزاي لغتان مشهورتان: الفتح والكسر، والدحض والمزلة بمعنى واحد: وهو الموضع الذي تزل فيه الأقدام ولا تستقر، ومنه، دحضت الشمس: أي مالت، وحجة داحضة: لا ثبات لها» النwoي ج ١ ص ٤٣٧.

فهم ثلاثة أصناف كما بينهم الحديث: قسم يسلم فلا يناله شيء أصلاً، وقسم يخدش ثم يرسل فيخلاص، وقسم يكردش ويلقى فيسقط^(١) ، وكل قسم منها ينقسم أقساماً تعرف بقوله: «بقدر أعمالهم» كما قال ابن حجر^(٢) .

وفي حديث طويل أخبر عَلَيْهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ أَنَّ الْأَمَانَةَ وَالرَّحْمَةَ تَقُومُ مَنْ جَنَبَتِ الْصِّرَاطَ ، فقال: «وتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحْمَةُ فَتَقُومُ مَنْ جَنَبَتِ الْصِّرَاطَ يَمِينًا وَشَمَالًا ، فَيُمْرَأُ إِلَيْكُمْ كَالْبَرْقِ». قال: قلت: بأبي أنت وأمي، أي شيء كمر البرق، قال: ألم تروا البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الريح، ثم كمر الطير وشد الرجال، تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم.

حتى تعجز أعمال العباد، حتى يحيى الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً، قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به؛ فمخدوش ناج ومكدوش في النار، والذي نفس أبي هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفاً^(٣) .

وهذا الحديث بيان لهيئة الناس في مرورهم على الصراط.

وقد أخبر عَلَيْهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ أَنَّ الْأَمَانَةَ وَالرَّحْمَةَ تَرْسَلُ فَتَقُومُ مَنْ جَنَبَتِ الْصِّرَاطَ ، والسبب في قيامهما ذلك: هو لأدائهما الشهادة للشخص أو عليه بما كان يفعله تجاههما، من القيام بهما، وأداء الواجب الذي أمر الله به نحوهما، والوفاء والتمام الذي كان يسير عليه في حياته الدنيا، أو تشهادان عليه بالخيانة والغدر وعدم القيام بالواجب نحوهما.

(١) انظر: شرح النووي لمسلم ج ١ ص ٤٣٨ ، وانظر: تكميلة شرح الصدور ص ٣١.

(٢) فتح الباري ج ١١ ص ٤٥٤.

(٣) صحيح مسلم ج ١ ص ٤٧٥.

قال ابن حجر في معنى إرسالهما على جنبي الصراط : «أي يقفان في ناحيتي الصراط» ، قال : «والمعنى أن الأمانة والرحم لعظم شأنهما وفخامة ما يلزم العباد من رعاية حقهما يوقفان هناك للأمين والخائن والمواصل والقاطع في حاجان عن الحق ويشهدان على المبطل» .

وقال الطبيبي : «ويكفي أن يكون المراد بالأمانة ما في قوله تعالى : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأُمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ [الأحزاب : ٧٢] . وصلة الرحم ما في قوله تعالى : ﴿وَأَنْقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء : ١١] . فيدخل فيه معنى التعظيم لأمر الله ، والشفقة على حلق الله ، فكأنهما اكتفتا جنبي الإسلام الذي هو الصراط المستقيم ، وفطرتي الإيمان والدين القويم»^(١)

فسأن الأمانة والرحم عظيم ، وقد هدد الله ورسوله القاطع بالعذاب الشديد ، واللعن والصمم والعمى في الدنيا ، وقد سبق للرحم يوم خلقها الله أن تعلقت به عز وجل وقالت : «هذا مقام العاذن بك يا رب ، فقال لها : أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ فقالت : بلى يا رب ، قال : فذلك لك»^(٢) .

وأخبر عليهما أن الناس يكونون على الصراط يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها قالت : «سألت رسول الله عليهما عن قوله عز وجل : ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَات﴾ [إبراهيم : ٤٨] فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال :

(١) انظر : فتح الباري ج ١١ ص ٤٥٣ .

(٢) أخرجه البخاري ج ١٣ ص ٤٦٥ «التوحيد» ، ومسلم في كتاب البر ج ٤ ص ١٩٨٠ .

على الصراط»^(١).

وزاد أحمد على الرواية السابقة لمسلم: «إن هذا شيء ما سألهني عنه أحد من أمتي قبلك» ثم ذكر الحديث^(٢).

وهذا الحديث فيه إخبار بسعة الصراط، وأن الناس يكونون عليه حينما يحصل التبديل في الأرض والسموات، وهنا إشكال يرد وهو: أن النصوص قد جاءت بأن الناس يقفون على الأرض المبدلة في الموقف، وهي الأرض التي تطهر لنزول المولى عز وجل.

وهذا الحديث يفيد أن التبديل يحصل والناس على الجسر، ومعلوم أن الجسر متاخر عن الموقف؛ فمعنى هذا أن الناس وقفوا على الأرض قبل تغييرها، وهذا معارض بالأحاديث الأخرى التي يذكر فيها نزول الله في غير هذه الأرض، أي في الأرض التي تطهر لنزول الله تعالى.

والجواب عن ذلك كما ذكره العلامة البهقي رحمة الله بقوله: «فيحتمل أن يكون هذا في وقت خروجهم من القبور إلى أن تبدل الأرض وتند مد الأديم؛ ثم يكونون عليها»^(٣).

وفي رواية لابن ماجه عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يوضع الصراط بين ظهاري جهنم على حنك السعدان، ثم يستجير الناس؛ فناج مسلم، ومحدوخ به ثم ناج، ومحتبس به، ومنكوس فيها»^(٤).

(١) مسلم ج ٥ ص ٦٥٩، والترمذى ج ٥ ص ٢٩٦، وابن ماجه ج ٢ ص ١٤٣٠.

(٢) المستند ج ٦ ص ١٠١.

(٣) انظر: كتاب البعث والنشر بتحقيق الصاعدي ص ٣٩٣.

(٤) ابن ماجه ج ٢ ص ١٤٣٠، وأحمد ج ٣ ص ١١.

وفي لفظ آخر عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ : «ثم يوضع الصراط بين ظهري جهنم، والأنبياء بناحيتيه، قوله: اللهم سلم سلم، اللهم سلم سلم، وإنه لدحض مزلة، وإنه لكلاليب وخطاطيف». قال عبد الرحمن^(١): ولا أدرى لعله قد قال: تخطف الناس، وحسكة تبت بنجد يقال لها: السعدان. قال: ونعتها لهم، فاكون أنا وأمتى لأول من مر، أو: أول من يحيى، قال: فيمررون عليه مثل البرق، ومثل الريح، ومثل أحوايد الخيل والركاب؛ فناج مسلم، ومخدوش مكلم؛ ومكدوس في النار^(٢) إلخ.

وعن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله ﷺ : «شعار المؤمن على الصراط: رب سلم سلم^(٣)».

وعن أنس بن مالك قال: سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيمة، فقال: «أنا فاعل»، قال: قلت: يا رسول الله، فأين أطلبك؟ قال: «اطلبني أول ما تطلبني على الصراط»، قال: قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: فاطلبني عند الميزان، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: «فاطلبني عند الحوض، فإني لا أخطئ هذه الثلاث المواطن»^(٤).

وعن أبي بكرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «يحمل الناس على الصراط يوم القيمة، فتقادع بهم جنبتا الصراط تقادع الفراش في النار، قال:

(١) يعني عبد الرحمن بن إسحاق، أحد رواة الحديث.

(٢) مستند أحمد ج ٣ ص ١٧.

(٣) الترمذى ج ٤ ص ٦٢١ ثم قال: «قال أبو عيسى: هذا حديث غريب من حديث المغيرة ابن شعبة لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق».

(٤) الترمذى ج ٤ ص ٦٢١ قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه».

فينجحى الله تبارك وتعالى برحمة من يشاء^(١) إلى آخر الحديث.

ومن أنس رضي الله عنه قال: حدثني نبي الله ﷺ: «إني لقائم أنتظر أمتي تعبر على الصراط»^(٢). الحديث.

وقد أخبر ﷺ . كما في بعض الأحاديث التي سقناها - أنه قائم على الصراط يدعو لأمته بالنجاة واجتياز الصراط بسلام ، وفي بعض الروايات أخبر ﷺ أن الأنبياء على ناحيتي الصراط يقولون: رب سلم سلم.

ويجاب عن هذا بأن الرسول ﷺ أخبر مرة عن نفسه ، ومرة أخرى عن جميع الأنبياء ، والله أعلم .

وأخرج ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «يؤتى بالموت يوم القيمة، فيتوقف على الصراط؛ فيقال: يا أهل الجنة؛ فيطلعون خائفين وجلين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه، ثم يقال: يا أهل النار؛ فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه، فيقال: هل تعرفون هذا؟ قالوا: نعم، هذا الموت. قال: فيؤمر به فيذبح على الصراط، ثم يقال للفريقين كليهما: خلود فيما تجدون، لا موت فيها أبداً»^(٣).

ونكتفي بذكر ما تقدم من الأحاديث على إثبات الصراط وما يتعلّق به من أمور .

ويتبّع من خلال تلك النصوص أنه: مر رهيب ، وعقبة خطيرة ، عليه من أنواع التعذيب ما لا يعلم، إلا الله ، عليه كاللبيب مثل شوك السعدان ،

(١) مستند أحمد ج ٥ ص ٤٣.

(٢) المستند ج ٣ ص ١٧٨ .

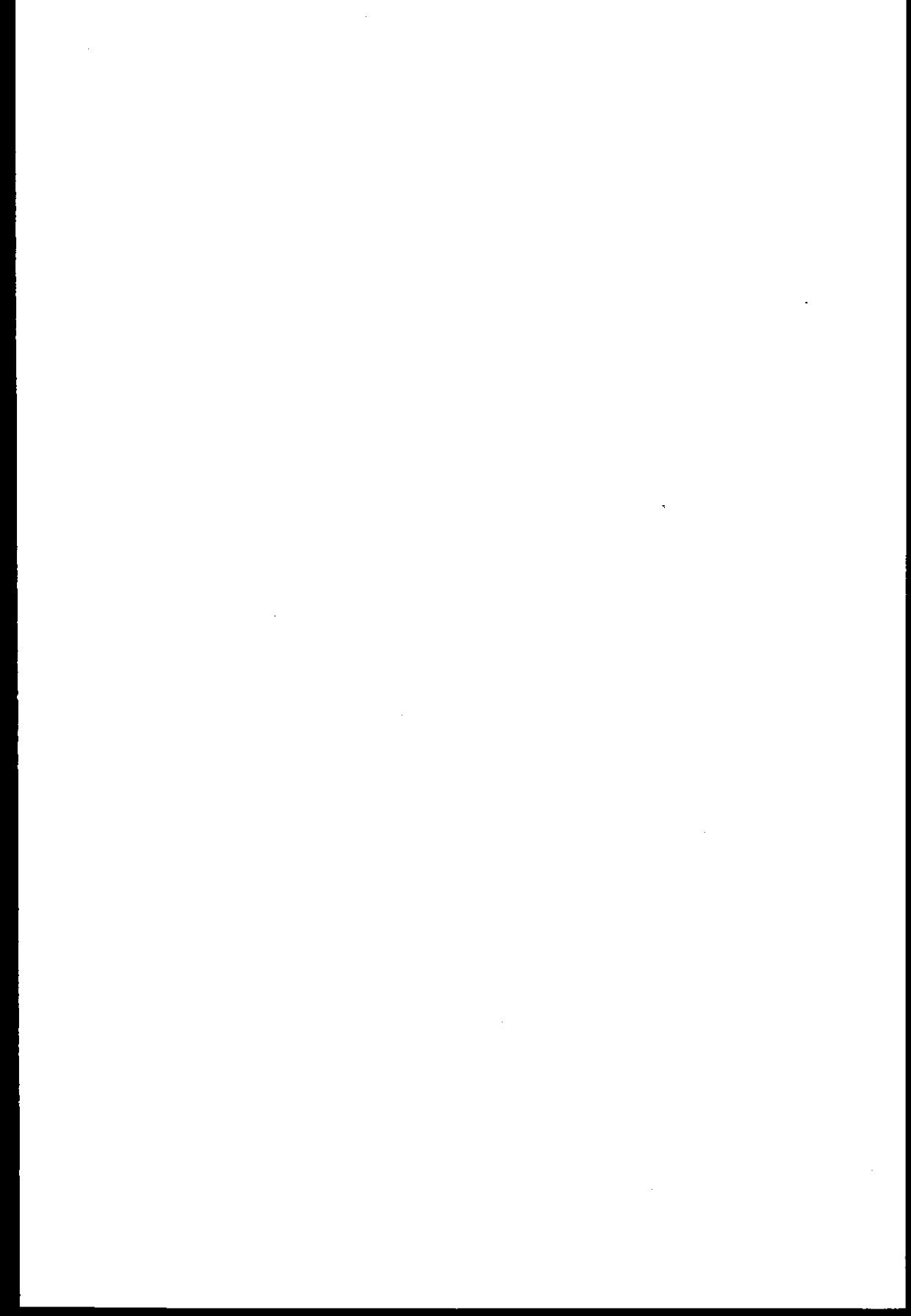
(٣) أخرجه ابن ماجه ج ٢ ص ١٤١٧ .

تخطف من أمرت بخطفه، لا يعلم قدر عظمها إلا الله.

لا يتكلم عليه أحد غير الرسل، ودعاؤهم عليه: اللهم سلم سلم، وهو دحض مزلة، ينزلق فيه المارة بسرعة، وأول من يجيزه الرسول محمد ﷺ . وأمته إكراماً وتشريفاً لهم، وثبت كذلك أن الناس يختلفون في سرعة المرور عليه، ويختلفون في أخذهم لأنوارهم، كل ذلك حسب العمل، وهم يدعون: اللهم سلم سلم.

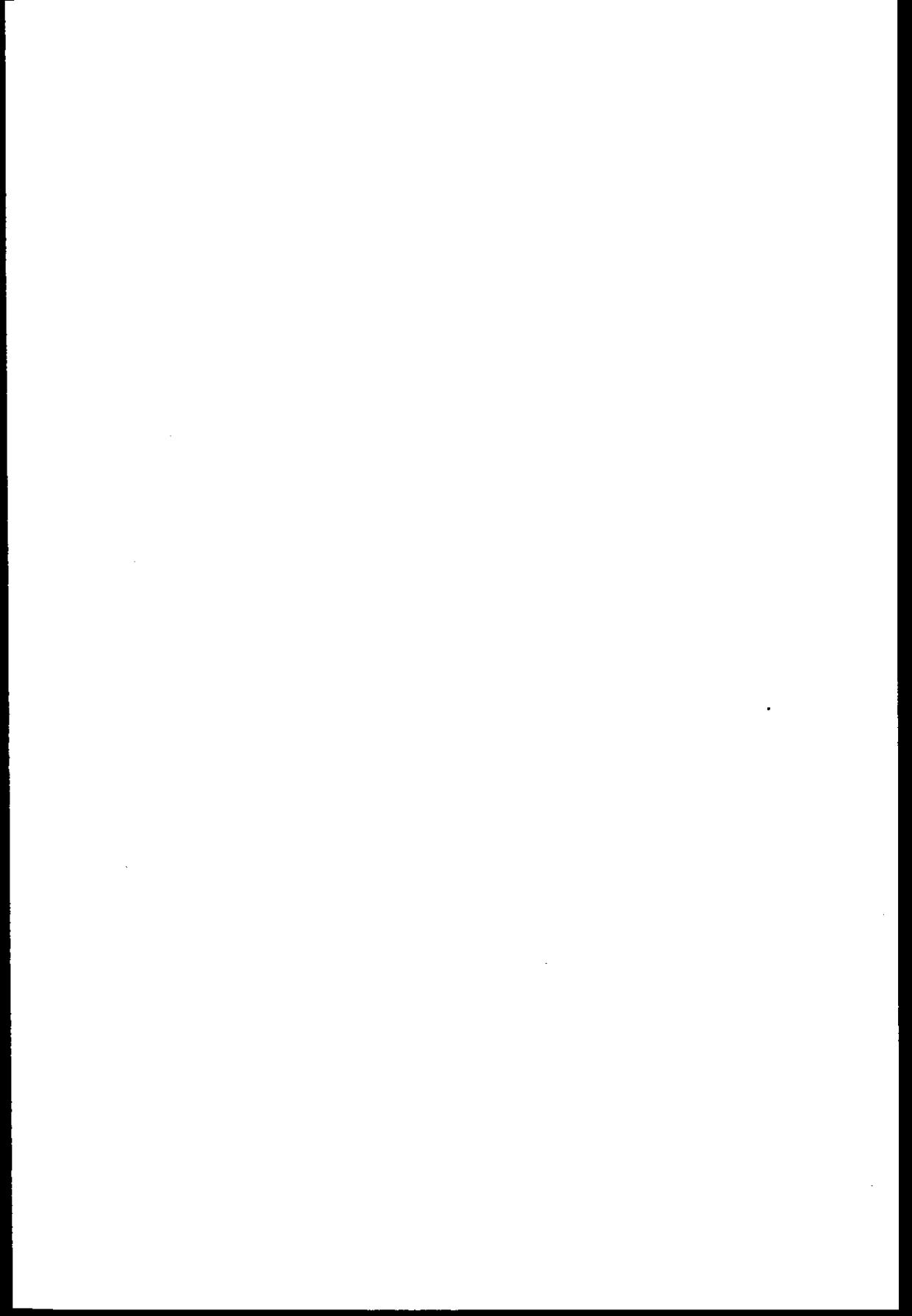
وهذا ولا شك يشير إلى خطورة الصراط والمرور عليه؛ إذ هو مظنة الهلكة إن لم يكتب الله السلامة لمن يجتازه؛ فهذا يسقط، وهذا يزحف، وذاك يمر مسرعاً، وهذا تصيب جوانبه النار، وهذا تخطفه الكلاليب، وحقاً إنه من المسالك الخطيرة الرهيبة، أعناننا الله عليه بفضله ورحمته





الفصل الثالث

وصف الصراط والمروء عليه



الفصل الثالث

وصف الصراط والهروء عليه

وقد اتضح مما سبق أن الصراط يمتاز بصفات عديدة يمكن إيجازها فيما يأتي :

- ١ - أن الصراط مير رهيب جداً، تقف الرسل على جانبيه، يدعون للخلق المارين عليه بالسلامة والنجاة.
- ٢ - أن عليه كلاليب وخطاطيف وحسك مثل شوك السعدان، معلقة به تخطف من أمرت بخطفه.
- ٣ - أنه مدحضة مزلة، فهو على دقته أيضاً متزلق لا تثبت عليه قدم؛ إلا إذا كتبت لها الثبات بأن كان صاحبها من أهل السعادة.
- ٤ - ومن أوصاف الصراط - إضافة إلى ما تقدم - أنه أحد من السيف، وأدق من الشعرة.

وقد خالف بعض الناس في ثبوت هذا الوصف، وذهبوا إلى تأويلاً وأقوال مضطربة، تاركين ما بان ثبوته من أنه أحد من السيف وأدق من الشعرة.

فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أبي سعيد أنه قال: «بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف»^(١).

(١) مسلم ج ١ ص ٤٤١ (النحوبي).

وقد نسب ابن منده هذا القول إلى سعيد بن أبي بلال^(١)، وبعضهم يسميه سعيد بن هلال^(٢).

وفي مسند الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «نجهنم جسر أدق من الشعر وأحد من السيف، عليه كالاليب وحسك يأخذون من شاء»^(٣).

وعن عبيد بن عمير رضي الله عنه: عن النبي ﷺ أنه قال: «الصراط على جهنم مثل حرف السيف، بجنبتيه الكلاليب والحسك، فيركبه الناس فيتخطفون، والذي نفسي بيده إنه ليؤخذ بالكلوب الواحد أكثر من ربعة ومضر»^(٤).
وكان عبيد بن عمير يقول: «أيها الناس: إنه جسر أعلاه دحض مزلة، مر الأول فنجا، ومر الآخر فناج ومخدوش، والملائكة على جنبات الجسر يقولون: رب سلم سلم. قال: وإن الصراط مثل السيف على جسر جهنم، وإن عليه كالاليب وحسكاً، والذي نفسي بيده إنه ليؤخذ بالكلوب الواحد أكثر من ربعة ومضر»^(٥).

وعن أنس عن النبي ﷺ قال: «الصراط كحد الشفرة أو كحد السيف، وإن الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات، وإن جبريل لأخذ بجزتي»^(٦) وإنني لأقول: يا

(١) تحقيق كتاب الإعان ج ٣ ص ٧٨١ للدكتور علي بن محمد ناصر الفقيهي.

(٢) النشر الطيب ج ٢ ص ٣٨١.

(٣) المسند ج ٦ ص ١١٠.

(٤) قال المنذري عن هذا الحديث: إنه رواه البيهقي مرسلاً وموقوفاً على عبيد بن عمير، «الترغيب والترهيب» ج ٤ ص ٤٤٢٩.

ويذكر ابن حجر أنه من مرسلاً عبيد بن عمير، فتح الباري ج ١١ ص ٤٥٤.

(٥) النهاية ج ٢ ص ١٧٩ وعزاه إلى ابن أبي الدنيا.

(٦) حجزتي: أصل الحجزة هي موضع شد الإزار. انظر: النهاية لابن الأثير ج ١ ص ٣٤٤.

رب سلم سلم، فالزالون والزلات يؤمذن كثيرون^(١).

وعن أنس أيضاً عن النبي ﷺ قال «على جهنم جسر أدق من الشعر وأحد من السيف، أعلىه نحو الجنة دحضاً مزلاً، بجنبته كلاليب وحسك من النار، يحبس الله بها من يشاء من عباده، الزالون والزلات يومذن كثيرون، والملائكة بجانبيه قيام ينادون: اللهم سلم سلم»^(٢) إلخ الحديث.

ولابن منيع عن أبي هريرة - رفعه -: «الصراط كحد السيف».

وللطبراني والبيهقي بسنده صحيح عن ابن مسعود قال: «يوضع الصراط على سواء جهنم مثل حد السيف المرهف»^(٣).

وقد روى هذا الحديث الطبراني بإسناد حسن كما يذكر المنذري^(٤).

وهذه الروايات كلها تفيد صحة وصف الصراط بأنه أحد من السيف وأدق من الشعرة.

وقد ذكر الأشعري أن المسلمين اختلفوا في وصف الصراط إلى قولين رئيسيين:

- فريق يثبت الصراط على ضوء ما تقدم من النصوص.

- وفريق آخر يقول ما جاء من هذا الوصف إلى تأويلات بعيدة؛ كالقول بأنه طريق للعبور عليه فحسب، وبعضهم يذهب إلى أبعد من هذا؛ حيث يذكر أن هذا الوصف من ضرب المثل للخففي الغامض بالشيء المعروف.

(١)، (٢) التخيير من النار ص ١٦٩ وعزاه إلى البيهقي.

(٣) التشرط الطيب ج ٢ ص ٣٨٢.

(٤) الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٤٢٥.

وفي هذا يقول: «وأختلفوا في الصراط؛ فقال قائلون: هو الطريق إلى الجنة وإلى النار، ووصفوه فقالوا: هو أدق من الشعر وأحد من السيف، ينجي الله عليه من يشاء».

وقال قائلون: هو الطريق ، وليس كما وصفوه بأنه أحد من السيف وأدق من الشعرة، ولو كان كذلك لاستحال المشي عليه»^(١).

ولكنه . وهو يذكر اختلاف الناس في ذلك - لم يبين من هم الذين وصفوه بتلك الأوصاف ، ومن هم الذين امتنعوا عن وصفه؛ وستشير إليهم .

والواقع أن الخلاف في صفة الصراط لا ينحصر في هذين الأمررين؛ فقد ذكر العلماء أقوالاً أخرى ، فهناك من يقول: «إنه يدق ويتسع بحسب ضيق النور وانتشاره ، فعرض صراط كل أحد بقدر انتشار نوره»^(٢).

وهناك من يذهب إلى التوقف في حقيقته ، كالوزاني ، في قوله: «ولو قيل: بالوقف ما بعد؛ لأن كفيته لا تتلقى إلا من الشارع ، ولم يرد فيه نص صريح»^(٣).

وهناك من يذهب إلى تأويلات أخرى ، كنقل الوزاني والبرديسي عن الكمال - في شرحه لما ورد في مسلم من وصف الصراط أنه أحد من السيف وأدق من الشعرة - «بأن ذلك يضرب مثلاً للخفي الغامض ، وأول كونه أحد من السيف: بسرعة إفاذ الملائكة أمر الله تعالى بإجازة الناس عليه» إلى أن يقول: «وقال بعضهم : كل من الرقة والحدة؛ كناية عن شدة المشقة»^(٤).

(١) المقالات ج ٢ ص ١٦٤.

(٢) ، (٣) النشر الطيب ج ٢ ص ٢٨٢-٢٨٣ ، وانظر: تكميلة شرح الصدور ص ٣١.

(٤) النشر الطيب ج ٢ ص ٢٨٢-٢٨٣ ، وانظر: تكميلة شرح الصدور . ٣١.

ويقول القرطبي: «ذهب بعض من تكلم على أحاديث هذا الباب^(١) في وصف الصراط بأنه أدق من الشعر وأحد من السيف: أن ذلك راجع إلى يسره وعسره على قدر الطاعات والمعاصي، ولا يعلم حدود ذلك إلا الله تعالى؛ لخفايتها وغموضها.

وقد جرت العادة بتسمية الغامض الخفي دقيقاً؛ فضرب المثل له بدقة الشعر؛ فهذا والله أعلم من هذا الباب.

ومعنى قوله: وأحد من السيف: أن الأمر الدقيق الذي يصعب من عند الله تعالى إلى الملائكة في إجازة الناس على الصراط يكون في نفاذ أحد السيف، ومضيئ؛ إسراعاً منهم إلى طاعته وامتثاله، ولا يكون له مرد، كما أن السيف إذا نفذ بحدة وقوة ضاربة في شيء لم يكن له بعد ذلك مرد.

وأما أن يقال إن الصراط نفسه أحد من السيف وأدق من الشعر: فذلك مدفوع بما وصف من أن الملائكة يقومون بجنبه، وأن فيه كلاليب وحسكاً، أي أن من يمر عليه يقع على بطنه، ومنهم من ينزل ثم يقوم، وفيه أن من الذين يرون عليه من يعطي النور بقدر موضع قدميه، وفي ذلك إشارة إلى أن للمارين عليه مواطن الأقدام، ومعلوم أن رقة الشعر لا يتحمل هذا كله.

ثم قال أيضاً: وقال بعض الحفاظ: «إن هذه اللفظة ليست بثابتة»^(٢).

ولكن القرطبي وهو ينقل هذه الآراء لم يوافق عليها كما سيأتي. وذهب القرافي كذلك إلى إنكار أن يكون الصراط أدق من الشعراة وأحد

(١) وهو يشير إلى رأي الزركشي كما في تكملة شرح الصدور ص ٣٢.

(٢) التذكرة ص ٣٣٣.

من السيف، كما ينقله عنه الشيخ الطيب في قوله: «وقال القرافي: لم يصح في الصراط أنه أدق من الشعر وأحد من السيف شيء»، والصحيح أنه عريض، وفيه طريقان يمنى ويسرى، فأهل السعادة يسلك بهم ذات اليمين، وأهل الشقاوة ذات الشمال، وفيه طاقات؛ كل طاقة تنفذ لطبقة من جهنم»^(١).

وقال السفاريني: « وأنكر العلامة القرافي كون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف ، وسقه إلى ذلك شيخه العز بن عبد السلام »^(٢) .

ويقول السفاريني عن القرافي إنه - تبعاً للبيهقي - يقول ما جاء في وصف الصراط - السابق الذكر - : بأن أمره أدق من الشعر، فإن يسر الجواز عليه وعسره على قدر الطاعات والمعاصي، ولا يعلم حدود ذلك إلا الله تعالى، وقد جرت العادة بضرب دقة الشعر مثلاً للغامض الخفي، وضرب حد السيف لإسراع الملائكة في المضي لامتثال أمر الله وإجازة الناس عليه»^(٣) .

ويذكر الوزاني أن هذا الرأي لم ينفرد به القرافي، « بل قال به جماعة من المحققين كعزال الدين والزرκشي والبيهقي »^(٤) .

وقد أيد الشيخ علي الأجهوري رأي القرافي، وذكر أنه: لا ينبغي أن يعدل عنه لحديث عائشة رضي الله عنها في ذكر وقوف الناس على الصراط، يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات، كما نقله عنه الوزاني في قوله: « وقال الشيخ علي الأجهوري: الظواهر تدل لما قاله القرافي؛ فلا يعدل عنها، منها: حديث أن الناس يكونون عليه يوم تبدل الأرض غير الأرض؛

(١) النشر الطيب ج ٢ ص ٣٨١.

(٢)، (٣) لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٩٣.

(٤) النشر الطيب ج ٢ ص ٣٨١.

وهو في الصحيح^(١).

والواقع أن تلك الأقوال تأويلاً؛ فقد رأينا مما سبق ثبوت وصف الصراط بأنه جسر أدق من الشعرة وأحد من السيف، وأما الآراء السابقة، فيتضح من استعراضنا الآتي لها، أنها ليس عليها دليل.

أما رأي القرافي الذي تقدم؛ فإنه يرد عليه أنه نفي صفات وأثبت صفات أخرى تحتاج إلى دليل، وكان الأولى أن يقول بما جاء به الدليل، فإذا ثبته أن فيه طريقين يمنى ويسرى، وأنه عريض، وأن فيه طاقات؛ لا يتفق مع مفهوم الأحاديث الصحيحة المتقدمة التي تفيد أنه طريق واحد كما وصف في الأحاديث السابقة.

ولهذا يذكر صاحب النشر الطيب أنه قد تعقبه ابن ناجي بحديث مسلم عن أبي سعيد.^(٢)

وقد انتقده أيضاً صاحب إضاءة الدجنة فقال:

و ما يقال أنه أرق من شعر صدقه فهو حق
وفي صحيح مسلم ما أرشدنا إليه والضرير فيه أنشأ
والسرب لا يعجزه إمضاهم عليه إذ لم يعيه إنشاؤهم
وللقرافي هناك لام يتطبه من أجله ملام^(٣)

وأما الاستدلال بحديث عائشة - في ذكر أن الناس يكونون على الصراط

(١) النشر الطيب ص ٣٨٣.

(٢) النشر الطيب ج ٢ ص ٣٨١.

(٣) المصدر السابق.

يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات - على أن الصراط ليس بذلك الوصف (أي أدق من الشعرة وأحد من السيف)؛ فإنه لا يتم الاستدلال به على نفي صفة الصراط المراد إثباته.

وذلك أن الجسر هذا الذي يقف عليه الناس؛ لا يلزم منه أن يكون المقصود به جسر جهنم، فقد ذهب بعض العلماء إلى أن هذا مكان آخر يقف عليه الناس، وليس هو الجسر الذي يررون فوقه إلى الجنة، أو لعل المراد بهذا الجسر: الظلمة التي هي دون الصراط ، والتي فيها تقسم الأنوار.

وهذا ما ذهب إليه الأبي أيضاً في شرحه لصحيح مسلم؛ حيث قال: «الصراط يحتمل أنه الصراط المعروف ، ويحتمل أنه اسم لوضع غيره تستقر الخلق عليه ، وكأنه الأظهر ، للحديث المتقدم ، وقد سألته عائشة : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض؟ قال : «هم في الظلمة دون الجسر»^(١) .

ثم ما الذي يمنع أن تكون قدرة الله تعالى افتضت أن الصراط يكون بتلك الدقة ، وهو مع ذلك يستوعب الخلق حينما يتم تبديل السموات والأرض؟ فقدرة الله تعالى لا يحدها حد.

وأما قول من ذهب إلى التوقف في صفة الصراط بحججة أنه لم يرد به نص ، أو ورد عن الصحابة دون التصریح برفعه ، فإنه قول يحتاج إلى إثبات؛ إذ النصوص تشهد بخلافه.

وقد تقدم في الأدلة ما يثبت وصف الصراط بالصورة المذكورة ، كما

(١) شرح الأبي لمسلم ج ٧ ص ١٩٤.

أخرج مسلم عن أبي سعيد، ورؤساء يردون هذا الحديث، ثم يتكلفون في رده أجوية غير مقنعة؛ فهم يعللون ردهم له: تارة بأنه من قول أبي سعيد، وتارة بأنه لعله أخذه عن بعض أهل الكتاب، وتارة يحكمون عليه بالإرسال، كما ذكر صاحب النشر الطيب ذلك عن ذروق.

وقد استنبط الوزاني من قول أبي سعيد: «بلغني»: «أنه لم يسمعه من النبي ﷺ - وهو الظاهر كما يقول الوزاني - وإنما لرفعه، وإنما سمعه من غيره - أي صاحبي آخر - ولم يذكره، هذا إذا قلنا إنه سمعه من صاحبي، وأما إن قلنا إنه تلقاه من أهل الكتاب، أو من أخذه منهم؛ فليس بحديث أصلاً»^(١).

وفي قول الوزاني: «أن أبو سعيد يحتمل أنه سمع هذا الكلام من صاحبي آخر ولم يذكره، أو أنه تلقاه من أهل الكتاب، أو من أخذه منهم» كلها احتمالات لا تقوى على نفي صحة وصف الصراط بذلك، فلو أن أبو سعيد سمعه من صاحبي آخر على أنه حديث عن رسول الله ﷺ ، وتحرج أبو سعيد فلم يقل: سمعت النبي ﷺ ؛ لما عد هذا قادحاً في صحة رفعه؛ فإن الصاحبي حينما يقول: «بلغني» لا يحتمل إلا أنه بلغه عن الرسول ﷺ ؛ سواء كان ذلك مباشرة، أو عن صاحبي آخر، ولا شك أن كلام الصحابة له حكم الرفع، وخصوصاً في مثل هذه المسائل الغيبة.

ويبعد أن يكون أبو سعيد الخدري سمعه من أهل الكتاب - كما يذكر الوزاني في تعليقه على قول أبي سعيد: «بلغني»، بأنه يحتمل أن يكون عن

النبي ﷺ، أو عن أهل الكتاب الذين أمرنا ألا نصدقهم ولا نكذبهم»^(١). فلو أنه بلغه عن أهل الكتاب؛ لكان الظن به أن يبين ذلك، فسكته دليل على أنه بلغه عمن يرتضى قوله، ولكنه لم يشاً التصرير بمناسبة ذلك إلى الرسول ﷺ، ولو أن أبا سعيد كان يعتقد بطلان هذا الوصف لما أخبر به إخبار مقر بذلك، مع أن هذا الوصف ورد أيضاً عن غيره بروايات مرفوعة عن أبي هريرة وابن مسعود وسعيد بن هلال.

وخلاصة القول: أنه يتضح مما سبق في وصف الصراط: أنه أحد من السيف، وأدق من الشعرة، وأن قول من ذهب إلى أنه من ضرب المثل للخي الغامض بالشيء المعروف، أو أن كونه أحد من السيف بسرعة إنفاذ الملائكة لأمر الله، وأن كلاماً من الرقة والحدة كنایة عن شدة المشقة، أو أن ذلك الوصف للصراط راجع إلى يسره وعسره على قدر الطاعات . . . إلى آخر أقوالهم السابقة؛ فإنها كلها تأويلات لا تتفق مع ظواهر النصوص، وليس لأهلها ما يستندون عليه في هذا النفي؛ إلا مجرد الاستبعاد لأن يكون الصراط بهذا الوصف الدقيق، مع ما جاء أن الملائكة تقف على جانبيه، وأن الناس يمشون عليه، وأن عليه كاللباب وحسكاً، إلى آخر أوصافه التي تدل - بزعمهم - على نفي أن يكون أحد من السيف وأدق من الشعرة . . . وقد سبق أن ذلك غير مستحيل على الله تعالى.

وعلى هذا؛ فإن القول الراجح: أن هذه الأوصاف، وإن كانت واردة في

الصراط ، فإنها لا تمنع أن يكون الصراط بهذا الوصف من الدقة ، ويشي عليه الناس ؛ فإن قدرة الله تعالى ليس لها حدود .

ويدل لهذا الترجيح أمور :

- ١ - ورود روايات وأخبار تفيد ذلك ، كما ذكرت سابقاً .
 - ٢ - أن هذه الصفات هي التي قواها جمهور العلماء واعتقدوا صحتها ، كما تدل عليه أقوالهم الآتية :
- * قال الحافظ أبو عبد الله عبيد الله بن بطة العكברי : « جاء في الحديث : أنه أحد من السيف وأدق من الشعرة » ^(١) .
 - * وقال النووي : « وأصحابنا المتكلمون وغيرهم من السلف يقولون إن الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف ، كما ذكره أبو سعيد الخدري رضي الله عنه » ^(٢) .
 - * وقال السفاريني : « قال العلماء : الصراط أدق من الشعرة ، وأحد من السيف ، وأحمر من الجمرة » ^(٣) .
 - * وقال القرطبي - يرد على من يزعم استبعاد وصف الصراط بأنه أحد من السيف وأدق من الشعرة - :

(١) كتاب الإبارة ص ٩٦ . تحقيق د. رضا نعسان .

(٢) شرح النووي لسلم ج ١ ص ٤٣٠ .

(٣) لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٩٠ .

«ما ذكره هذا القائل مردد بما ذكرنا من الأخبار ، وأن الإيمان يجب بذلك ، وأن القادر على إمساك الطير في الهواء؛ قادر على أن يمسك عليه المؤمن؛ فيجريه أو يشيه ، ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا عند الاستحالة ، ولا استحالة في ذلك للآثار الواردة في ذلك ، وبيانها بنقل الأئمة العدول ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور»^(١).

٣- أن الذين نفوا ثبوت تلك الصفات؛ ليس لهم مستند في نفيهم إلا الاستبعاد العقلي أن يكون بهذه الصفة وي Yoshi علية البشر ، ولكن هذا الاستبعاد - كما قدمنا - لا يدل على أن الصراط لا يكون بذلك الوصف الذي يثبته أهل السنة «أنه أحد من السيف وأدق من الشعرة»؛ لأن الله قادر على أن ي Yoshi علية ما هذه صفتة ، وليس ذلك على الله بعزيز.

فقد عرف في الدنيا - بالمشاهدة - أن من أتقن رياضة شيء ، سهل عليه ما يصعب على غيره ، وقد ذكر كثير من الناس: أن بعض من أتقن الرياضة يستطيع أن Yoshi على الحبل الدقيق ، فإذا كان هذا يحصل في الدنيا من البشر؛ فكيف يعجز الله تعالى أن Yoshiهم على الصراط؟ .

فنفي صفة الصراط بحججة أنه لا يمكن المشي عليه وهو بهذه الدقة والحدة تأويل بعيد جداً، وذلك التأويل باطل - كما قال السفاريني: «لوجوب حمل النصوص على حفائقها»، «وليس العبور على الصراط بأعجوب من المشي على الماء ، أو الطيران في الهواء ، أو الوقوف فيه»^(٢).

أما من ناحية مرور الخلق على الصراط: فقد سبقت الإشارة إليه في

(١) الذكرة ص ٣٣٣.

(٢) لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٩٢.

الأحاديث السابقة، وقد بيّنت تلك الأحاديث أنَّ الْخَلْقَ يختلفون في مرورهم عليه اختلافاً عظيماً، ومتفاوتاً غاية التفاوت، قوة وبطئاً، صعوداً وإنحداراً، فوزاً وخسارة، ذلك أنَّ السير عليه يكون بطريقة لا مثيل لها في الدنيا، ويركب لا عهد للناس به، ذلك المركب هو العمل، وعلى كثرته أو قلته يكون السير على الصراط.

ولأنَّ الناس أعمالهم مختلفة؛ فإنَّ العبور عليه يكون كذلك مختلفاً.

فقسم من الناس يمرون عليه مثل طرف العين، وهؤلاء أعلى الناس مرتبة وأشرفهم منزلة.

وقسم آخر يمرون مثل البرق، وهؤلاء مثل أهل المنزلة السابقة، أهل الأعمال الكثيرة والدرجات العظيمة العالية.

وبعدهم قسم يمرون كالريح، وهم أقل من السابقين وأكثر من بعدهم وهم على خير كثير وفوز عظيم.

وبعدهم قسم آخر، وهم أناس يمرون مثل أجاؤيد الخيل، وهؤلاء أقل عملاً وفوزاً من سبقهم، وهم أول درجات الضعف في المرور على الصراط.

ثم يأتي بعدهم من يمر كأجاؤيد الركاب

ثم بعد هؤلاء الفضلاء تأتي الأقسام الأخرى، وهم الذين يخاف عليهم، وهؤلاء يعبرون بعد الجهد والمشقة، ومنهم من يخرج ويتم العبور، ومنهم من لم تكتب له السعادة مطلقاً أو مؤقتاً؛ فتختطفهم النار ويهوون فيها.

وأول هؤلاء من يخرج وهو ناج مسلم، لكنه بعد أن ينس ورأى أنه من الهالكين، ولكنه أحسن حظاً من يليه، وهم الذين ينجون ويتمون العبور على الصراط؛ لكن بعد أن أصابتهم الخدوش؛ ورأوا من الأهوال ما توقعوا به السقوط لو لا لطف الله بهم.

وهؤلاء حينما يخرجون؛ يلتفتون إلى النار ويقولون: الحمد لله الذي نجانا منك بعد أن أراناك، لقد أعطانا الله ما لم يعط أحداً.

ثم يأتي بعد أولئك، آخر الناجين وأضعفهم سيراً، وهم من يسحبون سحباً، أو يزحفون زحفاً على الصراط، وربما فيهم من كان في الدنيا يقطع المسافات الطويلة في ساعات قليلة؛ بل في لحظات، ولكنه هنا، بطل حوله وقوته؛ فليس له مركب إلا عمله، الذي لم يسعفه في هذا الموقف الخطير كما أسعدته قوته في الدنيا.

ثم يبقى القسم الأخير: وهم من ساء حظه وغلبت عليه شقوته، وهؤلاء لا يتمون المرور؛ بل يكدسون ويسقطون في جهنم، تخطفهم الكلاليب من كل جانب؛ لأنهم ليس لهم ما يمنعهم منها كما حصل لمن سبقهم.

وهناك أحوال كثيرة في صفة مرورهم عليه، وكلها تدل على أن المرور على الصراط إنما يتم وفق مقدار العمل الصالح الذي قدمه الشخص لنفسه في حياته الدنيا؛ فهو المركب الوحيد هنا.^(١)

وعن ابن مسعود رضي الله عنه -أن رسول الله ﷺ قال- في صفة مرورهم ذلك، وتوزيع الأنوار عليهم:- «فيعطيون نورهم على قدر أعمالهم»،

(١) انظر: صحيح البخاري ج ١٣ ص ٤٢١ وج ١١ ص ٥٤٤، وانظر: صحيح مسلم ج ١ ص ٤٣٨ وص ٤٧٥ وكذا ص ٤٣٠.

وقال : « فممنهم من يعطى نوره مثل العجل بين يديه ، ومنهم من يعطى نوره فوق ذلك ، ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة يمينه ، ومنهم من يعطى دون ذلك يمينه ، حتى يكون آخر من يعطى نوره على إبهام قدمه يضيء مرة ويطأ مرة ; إذا أضاء قدم قدمه ، وإذا أطفأ قام . »

قال : فيمر ويمررون على الصراط ، والصراط كحد السيف ، دحضاً مزلاً ، فيقال لهم : امضوا على قدر نوركم ، فممنهم من يمر كان قد ضاض الكوكب ، ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يمر كالطرف ، ومنهم من يمر كشد الرجل ، يرهل رملأ .

فيمررون على قدر أعمالهم ، حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه : تخرّيده وتعلق يد ، وتخرّيده وتعلق رجل ، وتصيب جوانبه النار ، فيخلصون ، فإذا خلصوا ، قالوا : الحمد لله الذي نجانا منك بعد أن أرناك ، لقد أعطانا الله ما لم يعط أحداً .^(١)

وعند ابن أبي حاتم في التفسير - من طريق أبي الزعرا عن ابن مسعود في صفة مروارهم على الصراط - : أنهم يرون « كمر البرق ، ثم الريح ، ثم الطير ، ثم أجود الخيل ، ثم الإبل ، ثم كعدو الرجل ، حتى إن آخرهم رجل نوره على موضع إبهامي قدميه ، ثم يتكتفأ به الصراط »^(٢) .

وقد اختلف العلماء في إعطاء المنافقين أنواراً يمشون بها كالمؤمنين ، هل يحصل ذلك أو لا ؟ اختلفوا فيه إلى قولين ذكرهما ابن رجب رحمه الله بقوله :

« وقد اختلف السلف : هل يقسم للمنافق نور مع المؤمنين ثم يطفأ ؟ أو لا يقسم له نور بالكلية ؟ على قولين :

١ - قول من ينفي ذلك ، وأنه لا يقسم له نور بالكلية ، قال صفوان

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٢ ص ٣٧٦ .

(٢) فتح الباري ج ١١ ص ٤٥٣ .

ابن عمرو: «حدثني سليم بن عامر سمع أمامه يقول: يغشى الناس ظلمة شديدة - يعني يوم القيمة - ثم يقسم النور؛ فيعطي المؤمن نوراً ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئاً، وهو المثل الذي ضربه الله في كتابه، قال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الظَّلَمَاتُ فِي بَحْرٍ لَّجَّيَ يَغْشَاهُ مَوْرٌ مَّنْ فَوْقَهُ مَوْرٌ مَّنْ فَوْقُهُ سَحَابٌ ظَلَمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠].

فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن، كما لا يستضيء الأعمى ببصر البصير ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْبَسْ مِنْ نُورِكُمْ قَبْلَ أَرْجُعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَّمِسُوا نُورًا﴾ [الحديد: ١٣].

قال: وهي خدعة الله التي خدع بها المنافقين، قال عز جلاله: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]؛ فيرجعون إلى الموضع الذي قسم فيه النور؛ فلا يجدون شيئاً، فينصرفون إليهم ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ﴾ إلى قوله ﴿وَبَشَّسَ الْمَصِيرَ﴾ [الحديد: ١٣ - ١٥].

قال سليم^(١): «فلا يزال المنافق مغترأً حتى يقسم النور ويعيز الله بين سبيل المؤمن والمنافق»^(٢).

٢ - «أنه يقسم للمنافقين النور مع المؤمنين؛ كما كانوا مع المؤمنين في الدنيا، ثم يطفأ نور المنافق إذا بلغ السور»^(٣).

(١) يعني الراوي عن أبي أمامة وهو سليم بن عامر.

(٢) التخويف من النار ص ١٧٢ وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٣) المصدر السابق وعزاه إلى مجاهد.

وروى عتبة بن يقطان عن عكرمة عن ابن عباس قال: ليس أحد من أهل التوحيد إلا يعطى نوراً يوم القيمة، فأما المنافق فيطفأ نوره، فالمؤمن يشفق مما يرى من إطفاء نور المنافق؛ فهم: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ [التحريم: ٨].

وقال آدم بن أبي إياس: أنبأنا المبارك بن فضلة عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «يدفع يوم القيمة إلى كل مؤمن نور، وإلى كل منافق نور؛ في Mishon معه، فبينما نحن على الصراط، إذ غشينا ظلمة؛ فيطفأ نور المنافق ويضيء نور المؤمن، فعند ذلك قالوا: ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا﴾ حين يطفئ نور المنافقين»^(١).

وفي الختام أود التنبيه إلى أن أخباراً وردت، في صفة مرور البشر على الصراط، تحتاج إلى إثبات، منها: ما قيل من أنه لا يمر على الصراط أحد إلا بجواز فيه التصریح له بدخول الجنة؛ وهذا كالخبر الذي أورده ابن كثير عن سليمان الفارسي أن رسول الله ﷺ قال: «يعطى المؤمن جوازاً على الصراط: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان، ادخلوه جنة عالية قطوفها دانية»^(٢).

فهذا الخبر فيه نظر؛ لأن ظواهر الأحاديث الصحيحة تدل على خلافه، وأن المؤمن يمر على الصراط بهيات مختلفة دون جواز، وإنما جوازه عمله لا غير.

وهناك أحاديث أخرى - من هذا القبيل - موضوعة، مثل حديث: إن أبا بكر رضي الله عنه قال لعلي رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(١) التخويف من النار ص ١٧٣.

(٢) النهاية لابن كثير ج ٢ ص ١٨٩ وعزاه إلى الحافظ الضياء المقدسي.

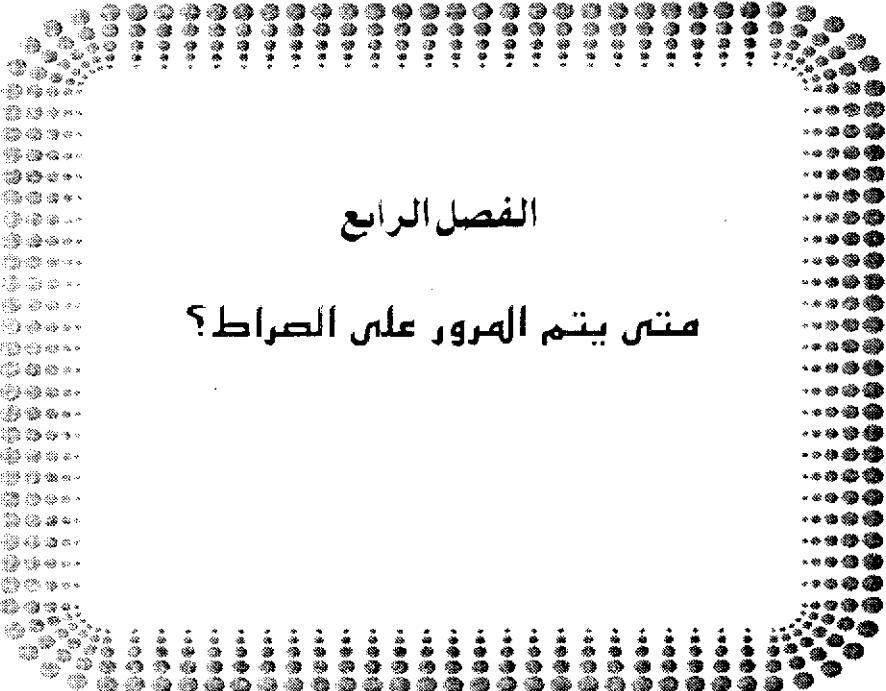
«على الصراط عقبة لا يجوزها أحد إلا بجواز من علي بن أبي طالب»، فقال علي: سمعت رسول الله ﷺ يقول لي: «يا علي لاتكتب جوازاً لمن سب أبا بكر وعمر»، فهذا الحديث قد رواه الخطيب وقال: موضوع؛ من عمل القصاص»^(١).

وكذلك ما يروى عن علي رضي الله عنه، حديث: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، ونصب الصراط؛ لم يجز أحد إلا من كان معه براءة بولالية علي رضي الله عنه»، وهذا الحديث رواه الحاكم عن علي مرفوعاً، قال ابن الجوزي : موضوع، وقال صاحب الميزان : هذا خبر باطل.

ورواه الخطيب عن ابن عباس قال: قلت للنبي ﷺ: يا رسول الله للنار جواز؟ قال: «نعم»، قلت: وما هو؟ قال: «حب علي بن أبي طالب»، وفي إسناده محمد بن فارس بن حمدان العبدلي، قال أبو نعيم: راضي غال، وقال الخطيب: هذا الحديث باطل، وفي الميزان : هذا موضوع.

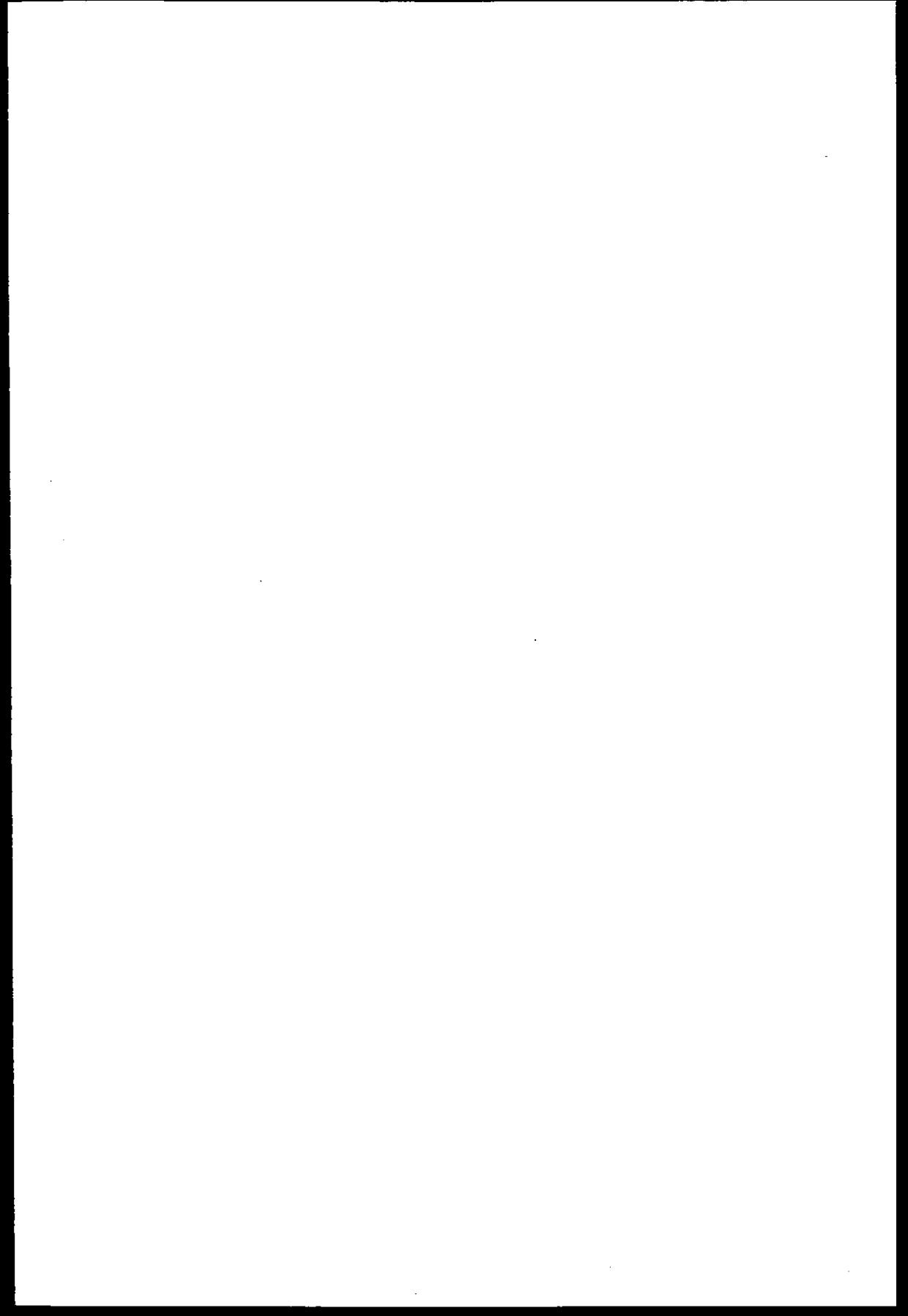
* * *

(١) انظر: الفوائد المجموعة ص ٣٨١.



الفصل الرابع

حتى يتم المرور على الصراط؟



الفصل الرابع

متى يتم المرور على الصراط؟

ترتيب المرور على الصراط من المسائل التي لم تحدد بنص ثابت - فيما رأيت - إلا أنه بالنظر إلى الترتيب الزمني؛ فإنه يمكن أن يقال: إنه يقع بعد الأمور التي تتم في الموقف؛ من العرض والحساب والصحف والميزان، وذلك يكون قبل انصراف الخلائق.

وهذا هو ما أشار إليه البرديسي في قوله: «فإذا وقع السؤال، ونصبت موازين الأعمال، وتطايرت الكتب عن اليمين والشمال؛ وضع الصراط على متن جهنم»^(١)، وهو ما نقله أيضاً عن القرافي بقوله: «قال القرافي: وقت المرور عليه بعد الحساب»^(٢).

وترجح القول بأنه يقع بعد هذه الأمور التي تتم في الموقف؛ نظراً إلى أن الغرض من وضع الصراط إنما هو لانصراف الناس إلى أماكن استقرارهم من الجنة أو النار، فهو متأخر عن كل ما يقع في الموقف.

قال العلامة علي بن أبي العز الحنفي: «ونؤمن بالصراط، وهو جسر على جهنم، إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف، إلى الظلمة التي هي دون الصراط...». وذكر حديث عائشة، ثم قال: وفي هذا

(١) تكملة شرح الصدور ص ٣٠.

(٢) المصدر السابق ص ٣٢.

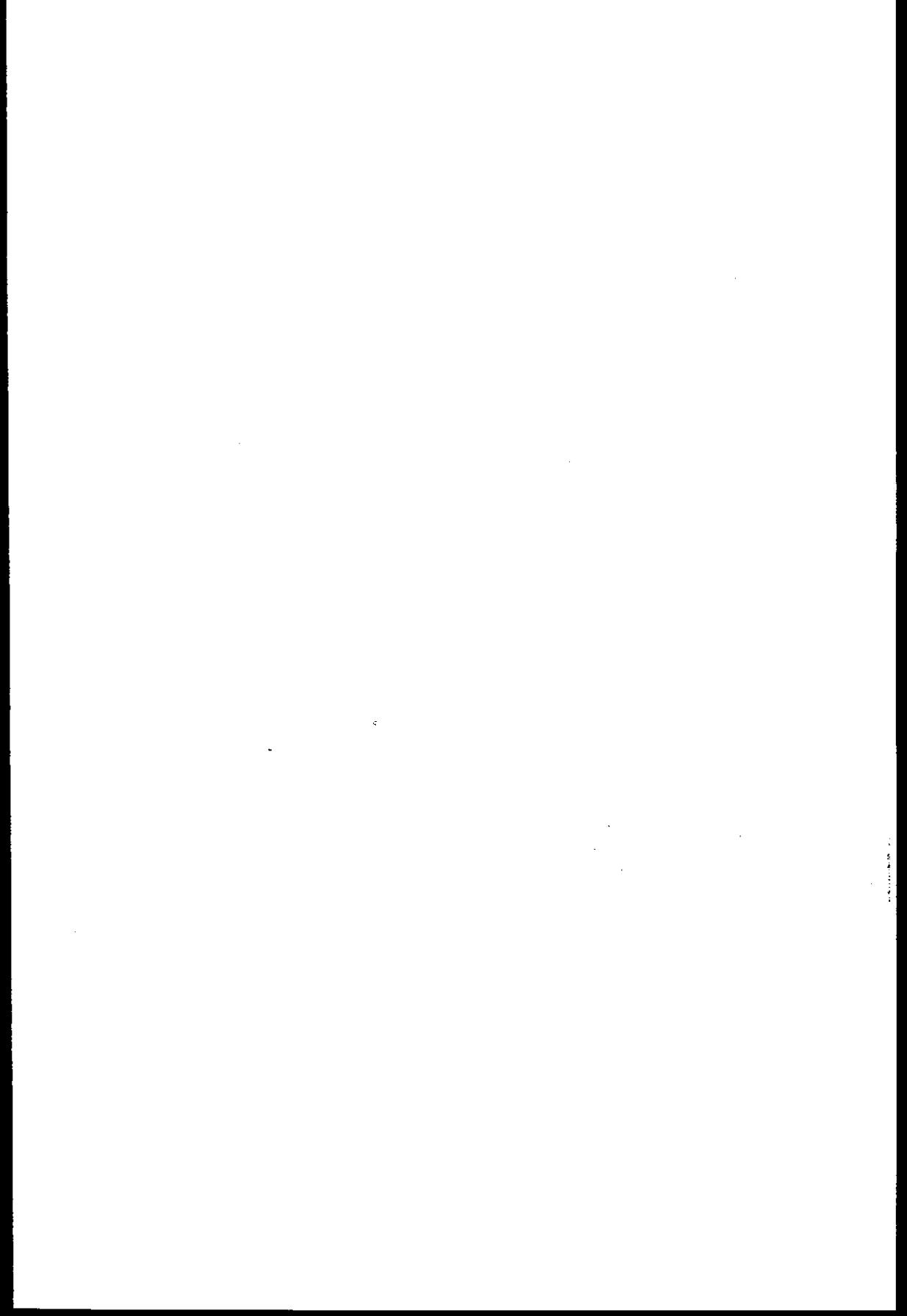
الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين، ويختلفون عنهم، ويسقطهم المؤمنون،
ويحال بينهم بسور ينبعهم من الوصول إليهم^(١).

ويظهر أن الناس جميعهم يتخلون من الموقف إلى الظلمة - التي هي دون
الجسر - كما أفادته النصوص.

* * *

الفصل الخامس

الدكمة في نصب الصراط



الفصل الخامس

الحكمة في نصب الصراط

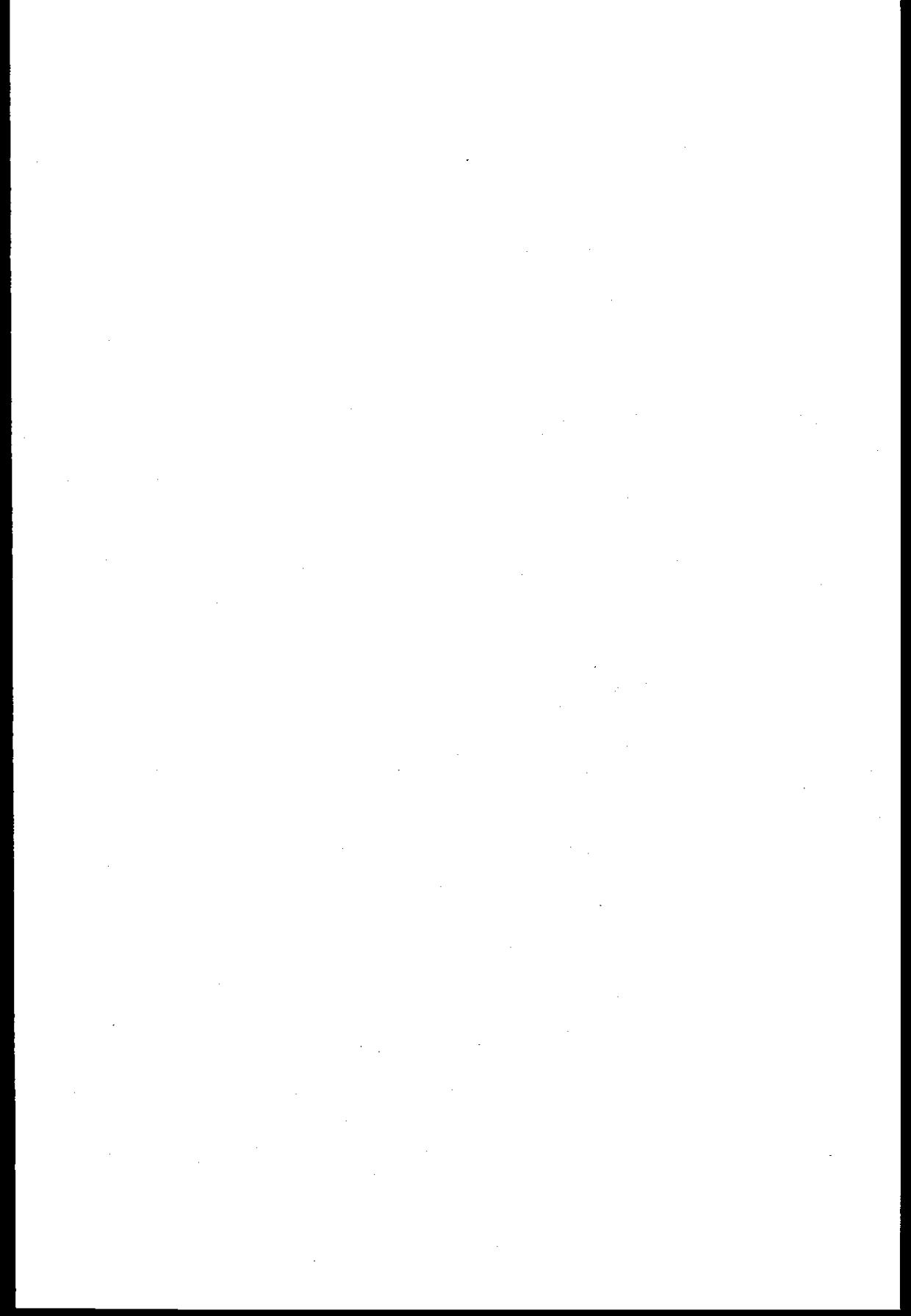
لله تعالى حكم في خلقه، وفي كل أمر من الأمور، بعضها مما يكون للعقل في استنباطه مجال، وبعضها لا يستطيع إدراك شيء منها؛ لضعفه وقصوره عن إدراكتها.

ومن تلك المسائل التي ليس للعقل في تفصيلها مجال إلا بالاستناد إلى النص: الحكمة من نصب الصراط؛ إذ إن الله تعالى لو شاء أن يجتاز الخلق إلى الجنة وإلى النار دون نصب الصراط لكان ذلك ممكناً في مقدور الله تعالى؛ إذ ليس الغرض من نصبه ليستطيع الخلق السير، وإنما في ذلك حكم كثيرة وأسرار عظيمة.

ومع ذلك فإن بعض العلماء يحاولون استنباط بعض الحكم، ويجهدون عقولهم في ذلك، قال البدر الزركشي: «الحكمة في نصبه: ظهور عظيم فضل الله تعالى للمؤمنين في النجاة من النار، ومصير الجنة بعد أسر لقلوبهم، ولتحسر الكافر بفوز المؤمنين بعد اشتراكهم في الورود»^(١).

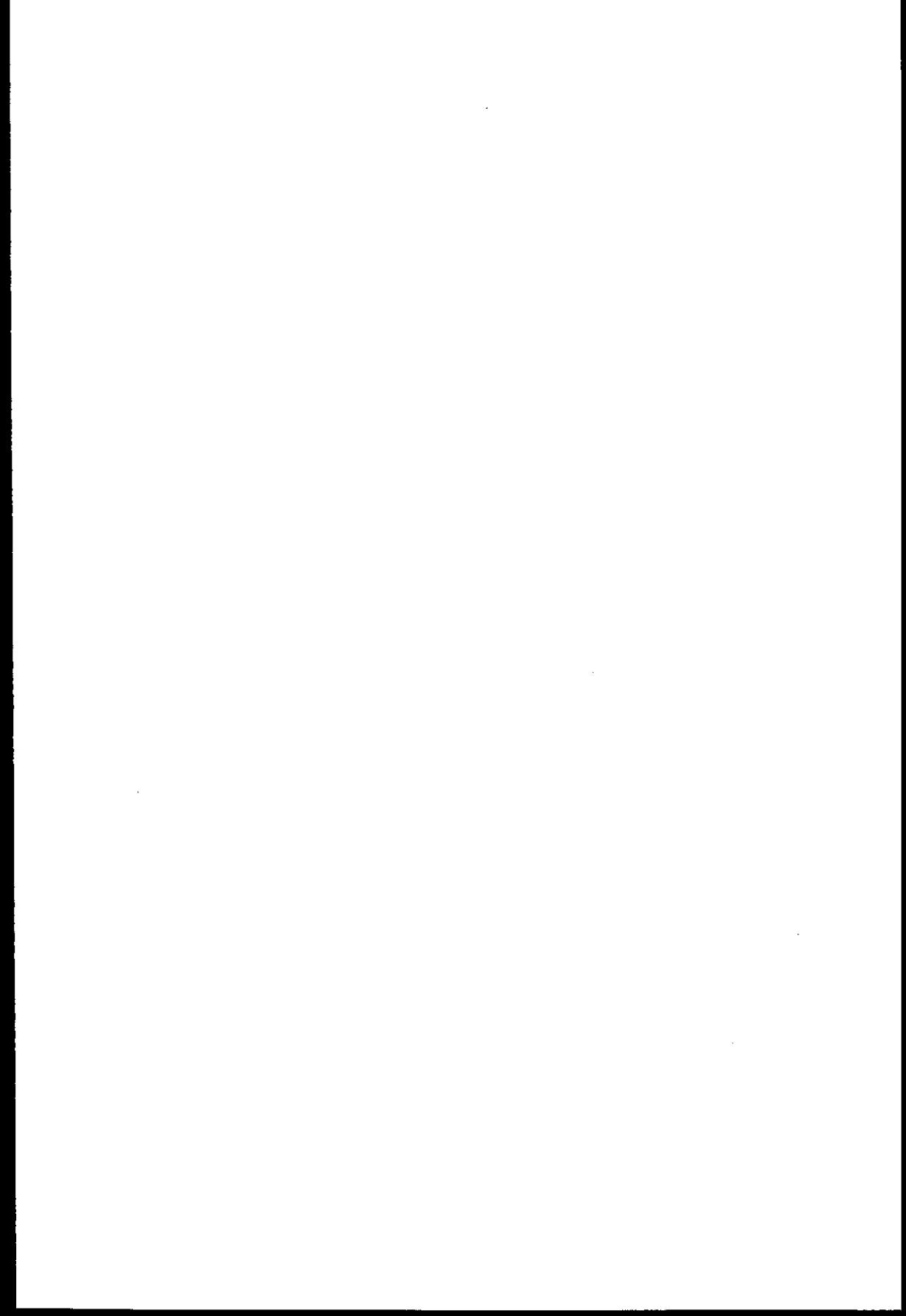
ولعل هناك حكماً آخر لم يطلع عليها أحد إلا الله سبحانه وتعالي، وليس تكلف القول في البحث عن الحكم مما كلفنا به، وإنما المهم في هذا هو الإيمان بما ورد به النص من نصب الصراط ومرور الناس عليه على الحالات التي وصفها رسول الله ﷺ.

(١) تكملة شرح الصدور ص ٣٢



الفصل السادس

مسافة الصراط



الفصل السادس

مسافة الصراط

لم أجد نصاً صحيحاً يثبت مسافة الصراط، ومقدار ما يجتاز العابرون عليه من الزمن، وحيث أن المسائل الغيبية - ومنها هذه المسألة - لا يصح فيها القول إلا بدليل ثابت؛ فإني سوف أورد هنا ما قاله بعض أهل العلم في مقدار السير عليه، وحكم هذه الأقوال للتنبية عليها.

ومن ذلك: ما جاء عن الفضيل بن عياض قال: «بلغنا أن الصراط مسيرة خمسة عشر ألف سنة: خمسة آلاف صعود، وخمسة آلاف هبوط، وخمسة آلاف مستوى، أدق من الشعرة، وأحد من السيف، على متن جهنم، لا يجوز عليه إلا ضامر مهزول من خشية الله»^(١).

وفي رواية أخرى عنه أنه قال لبشر بن الحارث: «يا بشر، مسيرة الصراط خمسة عشر ألف فرسخ، فانظر كيف تكون على الصراط»!^(٢).

وروى فيض بن إسحاق عن الفضيل قال: «الصراط أربعون ألف فرسخ»^(٣).

ويعزى ابن كثير بسنده إلى أبي واعظ الزاهد أنه قال: «بلغني أن الصراط

(١) فتح الباري ج ١١ ص ٤٥٤ ، ل TAM م الأنوار ج ٢ ص ١٩١ .

(٢) التخريف من النار ص ١٧٥ .

(٣) المصدر السابق ص ١٧٦

ثلاثة آلاف سنة: ألف سنة يصعد الناس عليه، وألف سنة يستوي الناس، وألف سنة يهبط الناس»^(١).

ويقول القرطبي: «فمنهم من يجوز الصراط على مائة عام، وآخر يجوز على ألف»^(٢).

وقال الوزاني فيما ينقله عن الغزالى: «وفي كلام الغزالى أن منهم من يجوز على مائة عام، وآخر على ألف عام»^(٣).

وعن الأقهسي قوله: «ورد في بعض الأحاديث مسيرة ثلاثة آلاف سنة: ألف سنة صعود، وألف استواء، وألف هبوط»^(٤).

وقال الوزاني: «وقيل: خمسة عشر ألف سنة: خمسة آلاف صعود، وكذا الاستواء والهبوط»^(٥).

ويقول الجيلانى: «إن طوله ثلاثة مائة سنة من سنى الآخرة، يجوزه الأبرار، وتزل عنه الفجار، وقيل: ثلاثة آلاف سنة من سنى الآخرة»^(٦).

وقال محمد بن السمك: «سمعت رجالاً من زهاد أهل البصرة يقولون: الصراط ثلاثة آلاف سنة: ألف سنة يصعدون فيه، وألف سنة يستوي بهم، وألف سنة يهبطون منه»^(٧).

وقال البرديسي: «قال الأكثرون: الصراط جسم ، طرفه في أرض

(١) النهاية لابن كثير ج ٢ ص ١٨٠ وانظر: ص ١٧٩.

(٢) التذكرة ج ٣٣٠.

(٣)، (٤)، (٥) النشر الطيب ج ٢ ص ٣٨٠.

(٦) الغنية ج ١ ص ٧١.

(٧) التخريف من النار ص ١٧٦.

القيامة، وطرفه الثاني في أرض الجنة، وهو على متن النار، وقالوا: إن أرض القيامة تكون على النار، وعليه يكون اجتماع الخلائق بأسرهم، ويكون الذهب للجنة على الصراط، ولا سبيل لها إلا عليه، وهو المعنى بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارْدَهَا﴾^(١).

ونسب إلى الأقفيسي قوله: «قال الأقفيسي: في بعض الأحاديث مسیرته ثلاثة آلاف سنة: ألف سنة صعود، وألف سنة هبوط، وألف سنة استواء»^(٢) وهو ما نقله عنه الوزاني كما سبق ذكره.

والواقع أن تلك الأقوال وغيرها مما ورد في تحديد مسافة الصراط؛ مما لم يتضح دليله، وتتكلف القول بالتحديد، دون دليل ظاهر فيها، مما لا ينبغي، ولا أدل على هذا من البون الشاسع فيما ذكروه من المسافات.

ومعلوم أن سبب ذلك يرجع إلى عدم وجود نص قاطع عن النبي ﷺ وتبقى هذه الأقوال الواردة عن بعض العلماء أقوالاً لا يثبت بها مثل هذا الأمر الغيبي.

أضف إلى هذا أن العلماء وهم يذكرون تلك المسافات لم يجزموا برفعها إلى رسول الله ﷺ بسند صحيح؛ بل صدروا كلامهم عند الإخبار لهذه المسافات بصريح لا تدل على الجزم؛ بل يقولون: روي، وقيل، وبلغنا.

والظاهر الذي يتبيّن من النصوص أن المسافة التي يقطع بها الجسر من الأمور التي لا تنضبط، وذلك لاختلاف الأعمال التي هي مطية السير عليه،

(١) تكميلة شرح الصدور ص ٣٢.

(٢) المصدر السابق ص ٣٢.

فمن كان في هذه الحياة مستقيماً على الصراط المعنوي، من التمسك بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، قوياً في دينه، مسرعاً إلى طاعة الله ومرضاته؛ استقام على ذلك الصراط الحسي وسار عليه بسرعة كلمح البصر أو البرق أو الريح أو جياد الخيل، إلى غير ذلك مما ورد به النص، ومن لم يستقيم عليه؛ لم يستقم على الصراط الحسي وزل عنه وتأخر في سيره؛ فهو يزحف، أو يسحب سجناً، أو يقوم مرة ويقف أخرى.

قال أبو طاهر القزويني: «ومن اعتاد المرور في الدنيا على صراط الإسلام؛ هان عليه المرور على صراط الآخرة، ومن لم يتعود بذلك في الدنيا؛ صعب عليه وزلت قدمه، وهل هذا الصراط إلا مثال محسوس للصراط المعنوي وبالجملة، فسرعة مرور الناس على صراط الآخرة وبطؤهم يكون على حسب مبادرتهم إلى مرضاه الله وبطئهم عنها»^(١).

وما تقدم من الأقوال التي تحدد مسافة الصراط فإنها - إضافة إلى عدم ثبوتها - لم تكن مقبولة لدى جميع العلماء، فقد حكم الحافظ ابن حجر على رواية الفضيل بن عياض بأن خبرها: «معرض لا يثبت»، وعلى رواية سعيد ابن أبي هلال بأن خبرها: «مرسل أو معرض»^(٢).

والوزاني - بعد أن نقل بعض تلك الأقوال التي ذكرناها عنه في تحديد مسافة العبور على الصراط - ذكر أن القول الحق في هذا: «هو عدم التعويل على عدد»^(٣).

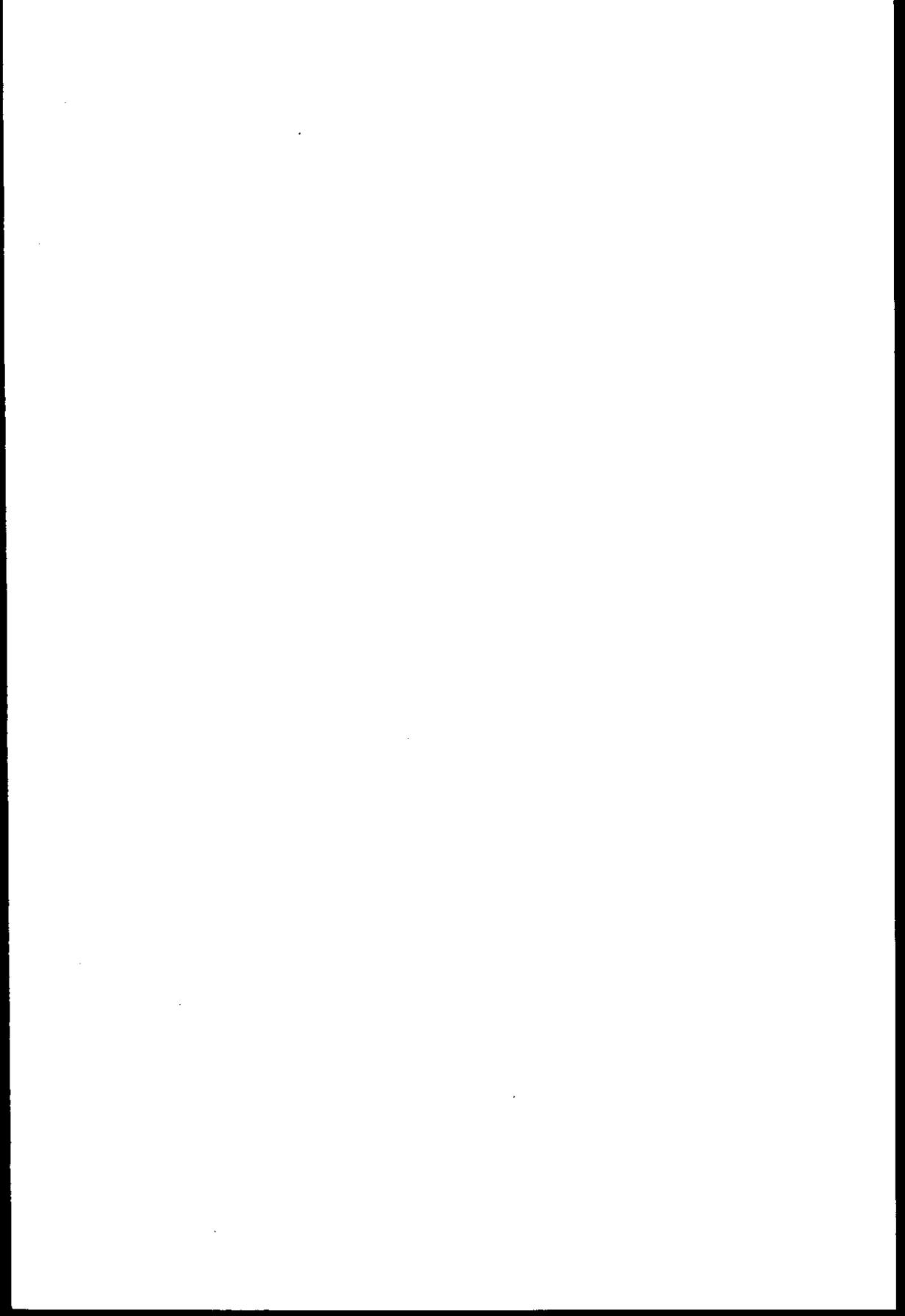
(١) الشرط الطيب ج ٢ ص ٣٨٠.

(٢) فتح الباري ج ١١ ص ٤٥٤.

(٣) الشرط الطيب ج ٢ ص ٣٨٠.

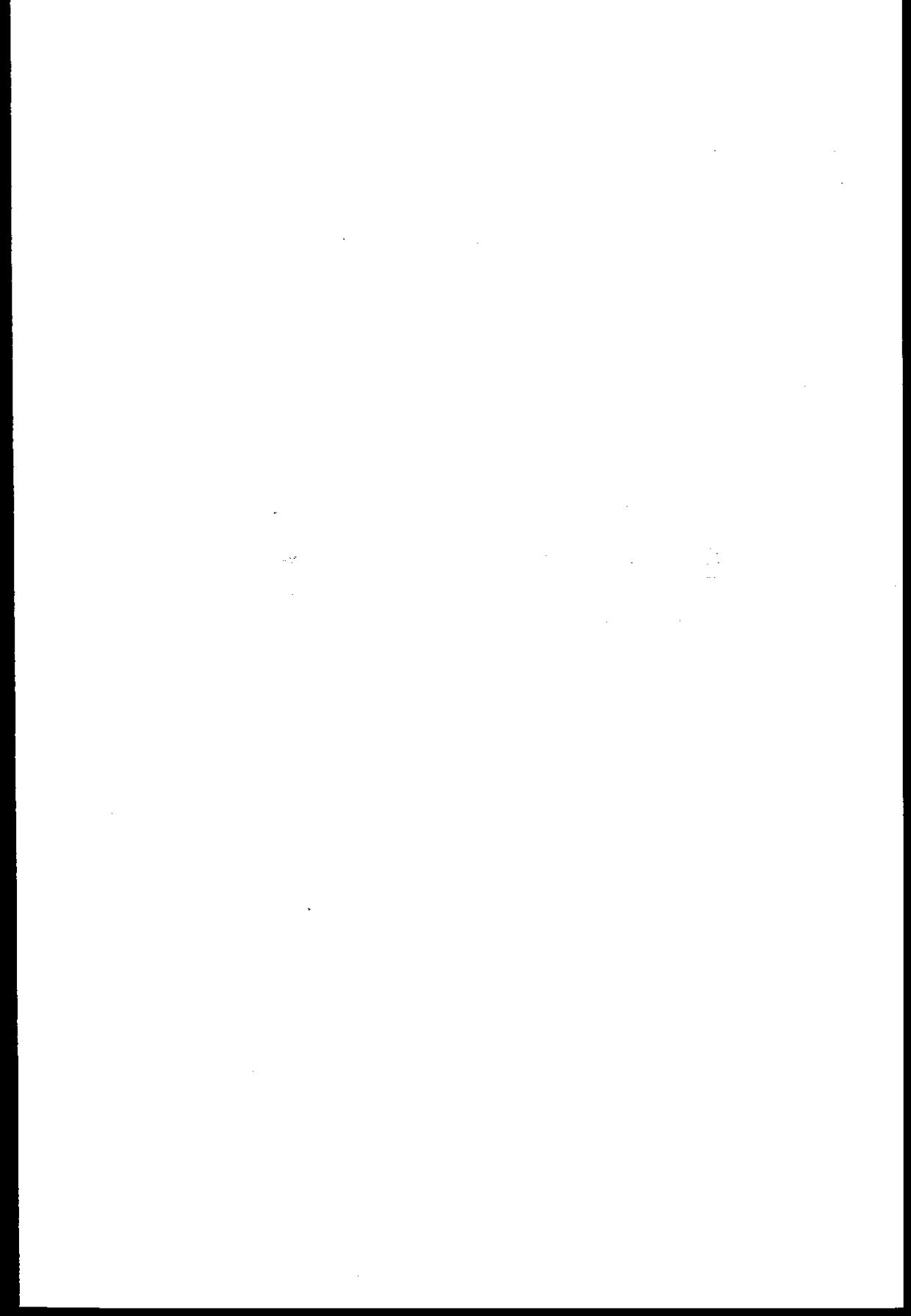
وعلى هذا؛ فإن القول بتحديد مسافة العبور على الصراط بمدة محددة أمر غير ثابت، وأن مرد ذلك إلى العمل، كما تفيده النصوص؛ فتكون السرعة والبطء إنما هو نتيجة للعمل لا لطول المسافة ولا لقصرها، والله أعلم بحقيقة ذلك.

* * *



الفصل السابع

المنكرون للصراط



الفصل السابع

المنكرون للصراط

بعرض ما تقدم من الأدلة التي ثبتت الصراط، والأدلة التي ثبتت صفاته؛ يتضح جلياً أن ثبوت الصراط أمر حق لا جدال فيه، وأن الإيمان به واجب، وأن المنكرين له مهما تمسكوا به من تلمسات بعض الأدلة فإنها داحضة مردودة، تردها الأدلة الثابتة التي توافت.

أما أولئك المنكرون فليس لهم ما يتمسكون به، لا من العقل ولا من النقل، ويتمثل إنكارهم فيما يأتي :

١ - قسم أنكروه مطلقاً.

٢ - وقسم أنكر الصفات الواردة له في الشرع وأرجعها إلى معان أخرى بتأويلات باطلة.

أما الذين نسب إليهم إنكاره مطلقاً فهم المعتزلة، فيما يذكر بعض العلماء عنهم، كما في قول الشيخ الطيب: « وأنكره المعتزلة رأساً، قالوا: لأنه لا يمكن العبور عليه، وإن أمكن؛ فهو تعذيب للمؤمنين»^(١).

ويقول الوزاني عنهم: « وحملوا الصراط الوارد في الأحاديث على معناه اللغوي، فقالوا: المراد به طريق الجنة وطريق النار» ومعنى هذا أنهم

(١) الشرط الطيب ج ٢ ص ٣٨٠ وانظر: لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٩٢.

ينكرون الصراط الوارد به وبصفاته الشرع ..

ونقل عنهم أيضاً أنهم يقولون عن الصراط إن «المراد به الأدلة الواضحة»^(١) .

وهو كذلك ما يذكره عنهم السفاريني في كتابه لوامع الأنوار^(٢) .

ولكن بالرجوع إلى كتب المعتزلة، فإننا نجد القاضي عبد الجبار يفسر الصراط بأنه الطريق فقط، وأن إثبات صراط أحد من السيف وأدق من الشعرة إنما هو من وصف الحشوية - كما يزعم - غير أنه لم يرتض قول كثير من مشايخهم - فيما يذكر - من ذهابهم إلى أن الصراط المراد به الأدلة الواضحة .

ويظهر بوضوح من تعريف القاضي عبد الجبار للصراط بأنه لا يثبت صراحة ذلك الصراط الوارد به وبصفاته الشرع فهو يقول: وهو طريق بين الجنة والنار، يتسع على أهل الجنة ويضيق على أهل النار إذا راموا المرور عليه»^(٣) .

وهذا التعريف الذي أثبتته عبد الجبار لا ينطبق على الصراط الذي قدمنا وصفه من السنة النبوية، بل هو إثبات للصراط دون صفاته المذكورة في الأحاديث التي مر ذكرها.

وزعم القاضي عبد الجبار أن ما ورد من وصف الصراط بأنه أحد من السيف وأدق من الشعرة، وأن المكلفين يكفلون اجتيازه والمرور به، فمن

(١) النشر الطيب ج ٢ ص ٣٨٠ .

(٢) لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٩٣ .

(٣) شرح الأصول الخمسة ص ٧٣٧ .

اجتازه فهو من أهل الجنة، ومن لم يكن ذلك فهو من أهل النار، زعم أن هذا الوصف إنما يعتقد الحشووية؛ لأن تلك الدار - في زعمه - «ليست هي بدار تكليف حتى يصح إيلام المؤمن، وتتكليفه المرور على ما هدا سبيله في الدقة والحدة».

وهذا غير مسلم، فقد ذكر بعض العلماء في الرد على المعتزلة وأمثالهم أن التكليف لا ينقطع حتى يدخل أهل الجنة وأهل النار النار والشواهد على ذلك كثيرة؛ منها السؤال في القبر، ومنها التكليف باجتياز الصراط، إلى غير ذلك.

ثم يعود القاضي فيذكر عن كثير من مشائخهم أنه ليس هناك صراط حسي، لا واسع ولا ضيق، وأن ما ورد من ذكر الصراط فإما يراد به المعاصي والطاعات، كما في قوله : «وقد حكى عن كثير من مشايخنا أن الصراط إنما هو الأدلة الدالة على هذه الطاعات التي من تمسك بها نجا وأفضى إلى الجنة، والأدلة الدالة على المعاصي التي من ركبها هلك واستحق من الله تعالى النار».

ولكنه لم يرتضى هذا القول؛ حيث رد بقوله : «إن «ما لا وجه له» لأن فيه حملًا لكلام الله تعالى على ما ليس يقتضيه ظاهره».

وإن هذا القول - فيما يذكر القاضي - لم يحك إلا عن عبادة منهم^(١).

ويتحصل مما سبق تقريره من مذهب المعتزلة: أن بعضهم ينفي الصراط مطلقاً، وأن بعضهم يثبته لكن بغير وصفه الذي نص عليه الحديث، وإنما

(١) شرح الأصول الخمسة ص ٧٣٧، ٧٣٨.

يشتبونه على أنه طريق واضح بين الجنة والنار، يضيق على أهل العصيان ويتسع للمؤمنين.

وظهر كذلك أن من نسب إلى المعتزلة القول بإنكار الصراط مطلقاً، وأنهم يؤولونه بالأدلة الدالة على وجوب الواجبات وقبح الموبقات؛ ليس دقيقاً في حكمه؛ لأن هذا الرأي ليس لجميعهم، وإنما هو رأي تفرد به عبادة. حسب ما ذكر القاضي عبد الجبار. وهو من كبار علماء المعتزلة.

وإذا كان المعتزلة ينكرون الصراط وما ورد من صفاتاته؛ فإنهم لم يكونوا وحدهم في هذا الإنكار؛ بل قد شاركتهم فيه فرقة الإباضية، كما يذكر ذلك الطالبي في كتابه «آراء الخوارج»، فيقول عنها بأنها «تعتقد أن الصراط والميزان معنويان»، ثم قال - ناقلاً عن أحد علمائهم وهو المصعي - «وذكر عبد العزيز المصعي صاحب كتاب «معالم الدين»^(١) أن الإباضية تنكر الصراط»^(٢).

وإذا كان أولئك قد نفوا وجود الصراط؛ فإن زعيم المنكرين لوجوده هو الجهم بن صفوان، فهو ينكر أن يكون في يوم القيمة صراط مادي ينصب على جهنم ليعبر عليه البشر قبل ذهابهم إلى الجنة، وهو في إنكاره هذا ليس له ما يستند عليه من الشرع، ولم تعرف له حجة ولا برهان، شأنه شأن غيره

(١) هذا الكتاب مخطوط بدار الكتب المصرية كما يذكر الطالبي، وهذا النقل عنه من ص ٢٦٠.

(٢) آراء الخوارج ص ١٨٠، ثم قال الطالبي عن كلام المصعي: «ولعله يقصد بذلك نكران الصراط الحسي».

أما بالنسبة لفرقة الإباضية: فهي فرقة قائمة بنفسها حسب ما يذكرونه في كتبهم، وينسبون مذهبهم إلى عبد الله بن إياض، وعند علماء الفرق السابقين كالأشعرى والشهرستاني وأبن حزم والبغدادي وغيرهم يذكرونهم في عداد الخوارج. انظر «الخوارج تاریخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها».

من ينفي الصراط الحسي في يوم القيمة دون دليل.

قال خالد العلي : «ولا تذكر المصادر الحجج والبراهين التي استند عليها الجهم في نفي الصراط المادي»^(١).

وقد تلمس له بعض الحجج في هذا الإنكار ، وهي حجج أو اعتذارات غير مجدية بجهنم في نفي الصراط ، فيقول : «وربما كان نفي جهنم لفكرة الصراط متأتيا عن اعتقاده بأن المؤمن يذهب إلى الجنة مباشرة ، وأن لا حاجة للجسر ليختبر عليه العباد ، فالمؤمنون يذهبون إلى الجنة ، والكفار إلى النار ، وذلك لأن جهناً يعتقد أن الإيمان لا يقبل الزيادة ولا النقصان ، فمن كان في قلبه إيمان دخل الجنة بدون اختبار .

ومن جهة أخرى قد يكون اعتقاد جهنم أن الإسلام هو الصراط ، وبذلك يدخل الجنة كل من اتبع الإسلام وأمن به ، وتكون النار مصير من حاد عنه وزاغ عن طريقه»^(٢).

وأما القسم الآخر - وهم الذين ينكرون صفات الصراط ، - فقد تقدم ذكرهم في مبحث وصف الصراط .

وإذا كان قد وجد من ينفي الصراط أو صفاته - وهو اعتقاد خطأ - فإنه قد وجد في الجانب المقابل من يغالى في إثبات الصراط حتى يصل في إثباته إلى الخرافات ونفي حقيقة الصراط ، حيث يذهب إلى القول بأن الصراط هو شعرة من شعر جفون مالك خازن النار .

(١) جهنم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي ص ٢٤٣ .

(٢) جهنم بن صفوان ص ١٤٤ .

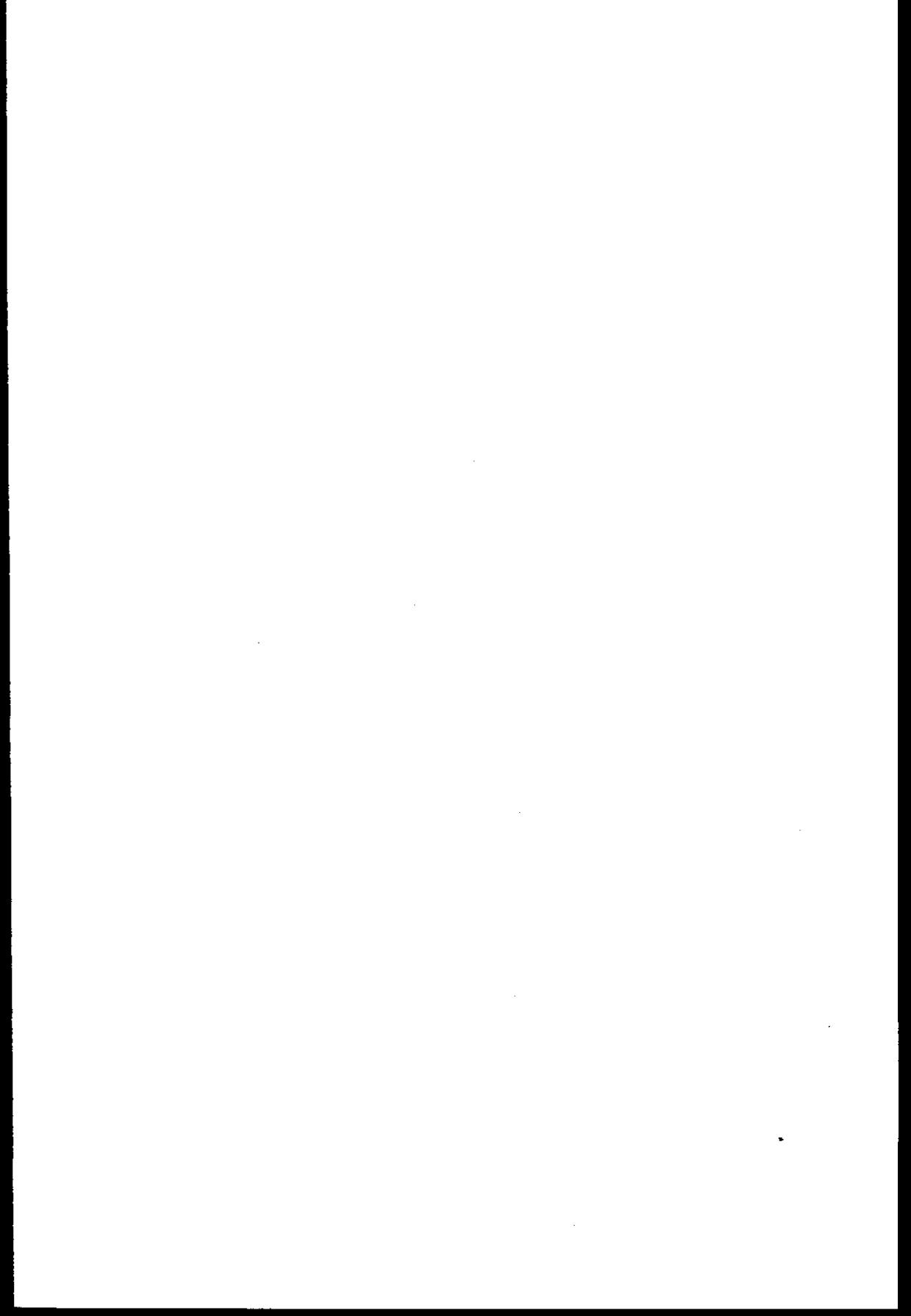
وهؤلاء النفاة والمبتوون هم على طرفي نقىض؛ فإن النفاة أنكروا ما ثبت وقوعه، وهؤلاء أثبتو ما لم يثبت وقوعه، وهؤلاء في إثباتهم هذا قد نفوا الصراط المحقّي؛ حيث أثبتوه شعرة من شعر جفون مالك خازن النار.

والقول الحق هو الوسط بلا إفراط ولا تفريط، وقول هؤلاء بأن الصراط شعرة من شعر جفون مالك خازن النار قول ساذج، وقد شنع عليه السفاريني بقوله: «ومن الخرافات الباردة زعم من زعم أن ماهية الصراط شعرة من شعر جفون مالك خازن النار، وهو كلام تنبو عنه المسامع ويكتبه كل سامع - وإن نقله الحافظ برهان الدين الحلبي - فلا ينبغي أن يلتفت إليه ولا يعول عليه»^(١).

* * *

الفصل الثامن

هل يمر جميع الخلق على الصراط؟



الفصل الثامن

هل يمر جميع الخلق على الصراط؟

وإذا كان الصراط قد نصب لأجل مرور الأم عليه؛ كما هو الغرض من نصبه، فهل يمر فيه جميعهم أم أن هناك من يستثنى من الخلق فلا يمر عليه؟ اختلف العلماء في هذه المسألة إلى فريقين:

فمنهم من يذهب إلى القول بأن بعض الخلق لا يمر عليه تشريفاً لهم، كالأنبياء، على الخلاف الذي ذكره في مبحث الورود، أو إهانة لهم وتعذيباً، كعذابة الكفار والمرجعين؛ بل يذهب بهم مباشرة إلى النار قبل وضع الصراط.

ومنهم من يذهب إلى أن الكل يمر عليه.

وقد أشار ابن حجر إلى أن بعض الكفار لا يرون عليه؛ بل يقذفون في النار قبل وضع الصراط^(١)، ولعله يريد عذابة الكفار لا جميعهم، ويكون مرور الكفار الآخرين على الصراط زيادة في تعذيبهم.

وينقل صاحب النشر الطيب عن الحليمي أنه زعم أن الكفار «لا يرون عليه»، ثم قال: «ولعله أراد الطائفة التي يرمى بها في النار من الموقف من غير مرور عليه، كذا قال بعضهم»، قال: «وسائل السيوطي: هل يمر إبليس

(١) فتح الباري ج ١١ ص ٤٥٢.

والكافار عليه ألم لا؟ فأجاب بقوله: صرخ ابن برجان في الإرشاد بأن الكفار لا يرون عليه، وفي الأحاديث ما يشهد له، وفي أحاديث أخرى ما يقتضي خلافه وأنهم يرون».

وهذا يحمل في نظره على المنافقين، لدلالة بعض الروايات على ذلك، إلى أن يقول: «وعرف أن من تلقطه عنق من النار من الكفار لا يمر عليه، وكذا بعث النار الذي يخرج من الخلق قبل نصب الصراط».

وهل يتحقق أهل الكتاب بالمنافقين في مرورهم على الصراط ألم لا؟ .

أجاب صاحب النشر الطيب بقوله: «والظاهر أنه لا يمر على الصراط من الكفار إلا المنافقون وأهل الكتاب اليهود والنصارى، فهذه الفرق الثلاث ورد في الحديث أنهم يحملون عليه فيسقطون منه في النار، وكذا من ينصب له الميزان من الكفار، وهم طائفة مخصوصة يرون عليه، ينظرون أوزانهم لأن الميزان على الصراط»^(١).

وهو جواب البرديسي أيضاً.

وكون الميزان على الصراط مسألة تحتاج إلى إثبات؛ ذلك أن الظاهر من النصوص أن الحساب والميزان كل ذلك يقع في الموقف لا على الصراط الذي هو في الأصل موضوع لعبور الخلق عليه لا لحسابهم.

وقال البرديسي نقاًلاً عن شرح الجوهرة: «ير عليه جميع العباد، مكلفهم وغيرهم، ذكورهم وإناثهم، سعيدهم وشقيهم، فدخل الأنبياء والصديقون، والعارفون، والشهداء، والصالحون، والمرتابون، والمنافقون والزنادقة، والسلمون»^(٢).

(١) النشر الطيب ج ٢ ص ٣٧٩، وانظر: تكميلة شرح الصدور ص ٣٢.

(٢) تكميلة شرح الصدور ص ٣٢.

وقال الحكيم: «الكافار لا يرون على الصراط ، قيل: وهو محمول على انتهاء المرور لا على ابتدائه»^(١) .

وذهب ابن رجب الحنبلي إلى أن المشركين لا يرون على الصراط ، فهو يقول: «واعلم أن الناس منقسمون إلى مؤمن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً، ومشرك يعبد مع الله غيره، فأما المشركون فإنهم لا يرون على الصراط ، وإنما يقعون في النار قبل وضع الصراط»^(٢) .

ثم استدل لهذا بما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال: «يجمع الله الناس، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه؛ فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتابع من كان يعبد القمر القمر، ويتابع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها أو منافقوها ، شك إبراهيم - فيأتיהם الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هنا مكانتنا حتى يأتيانا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتיהם الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون أنت ربنا؛ فيتبعونه، ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فاكون أنا وأمتى أول من يجيزها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم»^(٣) إلخ الحديث في وصف الصراط والمرور عليه .

... وما جاء كذلك عن أبي سعيد الخدري ، وفيه قوله ﷺ : «ينادي مناد: ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبيهم،

(١) تكملة شرح الصدور ص ٣٢.

(٢) التخريف من النار ص ١٧١.

(٣) صحيح البخاري ج ١٣ ص ٤٢١.

وأصحاب الأولان مع أولانهم، وأصحاب كل إله مع آلهتهم، حتى يبقى من كان يعبد الله من برأ أو فاجر وغبرات من أهل الكتاب.

ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب، فيقال لليهود: ما كنت تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله، فيقال: كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد، فما تريدون؟ قالوا: نريد أن تسمينا، فيقال: أشربوا، فيتساقطون.

حتى يبقى من كان يعبد الله من برأ أو فاجر، فيقال لهم: ما يحبكم وقد ذهب الناس؟ فيقولون: فارقناهم ونحن أحوج منها إليهم اليوم، وإنما سمعنا منادياً ينادي: ليتحقق كل قوم بما كانوا يعبدون، وإنما ننتظر ربنا، قال: فيأتיהם الجبار في صورة غير صورته^(١) التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فلا يكلمه إلا الأنبياء، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون: الساق^(٢)؛ فيكشف عن ساقه؛ فيسجد له كل مؤمن، ويبقى من كان يسجد لله رباء وسمعة، فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً.

ثم يؤتى بالجسر، فيجعل بين ظهري جهنم، قلنا: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بتجدي قال لها السعدان^(٣) إن الحديث في وصف المرور عليه.

ثم قال ابن رجب: «فهذا الحديث صريح في أن كل من أظهر عبادة شيء سوى الله - كالمسيح والعزيز - من أهل الكتاب فإنه يلتحق بالمرسلين في الوقع في النار قبل نصب الصراط، فعباد الأصنام والشمس والقمر وغير

(١)، (٢) لا يمنع أهل الحق إطلاق الصورة والساقي على الرحمن عز وجل، لورود النصوص بطلاقهما عليه جل وعلا، على صفة لا نعلمها، كما بينا ذلك فيما سبق.

(٣) صحيح البخاري ج ١٣ ص ٤٢١.

ذلك من المشركين تتبع كل فرقة منهم ما كانت تعبد في الدنيا، فترد النار مع معبودها أولاً.

وقد دل القرآن على هذا المعنى في قوله تعالى في شأن فرعون ﴿يَقْدِمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمُوَرُوذُ﴾ [هود: ٩٨].

وأما من عبد المسيح والعزيز من أهل الكتاب، فإنهم يختلفون مع أهل الملل المتسبين إلى الأنبياء، ثم يردون في النار بعد ذلك»^(١).

قال: «وقد ورد في حديث آخر أن من كان يعبد المسيح يمثل له شيطان المسيح فيتبعونه، وكذلك من كان يعبد العزيز، وفي حديث الصور أنه يمثل لهم ملك على صورة المسيح، وملك على صورة العزيز، ولا يبقى بعد ذلك إلا من كان يعبد الله وحده في الظاهر. سواء كان صادقاً أو منافقاً. من هذه الأمة وغيرها، ثم يتميز المنافقون عن المؤمنين بامتناعهم من السجود، وكذلك يمتازون عنهم بالنور الذي يقسم للمؤمنين»^(٢).

وير الناس على الصراط ولكن من عدا المؤمنين لا يكملون عبوره؛ بل يتسرّطون فيه، وتحطفهم كالالب النار، كل واحد في المكان الذي شاءه الله له، إلا من يلتقطهم عنق النار، فهؤلاء لا يرون عليهـ كغلاة الكفارـ بل يخطفهم هذا العنق قبل اجتياز الأم على الصراط.

وصفة هذا العنق حسب ما تفيده بعض الروايات أن له لساناً وعينين تبصران، وأذنين تسمعان. ومن تلك الروايات ما يروى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا جمع الله الناس في صعيد

(١) التخويف من النار ص ١٧١.

(٢) التخويف من النار ص ١٧٢.

واحد يوم القيمة؛ أقبلت النار يركب بعضها بعضاً، وخرزتها يكفونها، وهي تقول: وعزه ربى لتعلن بيني وبين أزواجي أو لأغش الناس عنقاً واحداً، فيقولون: من أزواجك؟ فتقول: كل متكبر جبار^(١).

وخرج الإمام أحمد والترمذى من حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يخرج يوم القيمة عنق من النار، لها عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق، تقول: إني وكلت ثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إليها آخر، وبالمحورين»^(٢).

قال ابن رجب عن هذا الحديث:

«وقد قيل إنه ليس بمحفوظ بهذا الإسناد^(٣)، وإنما يرويه الأعمش عن عطية عن أبي سعيد، فقد روى الأعمش وغير واحد عن عطية عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «يخرج عنق من النار يتكلم يقول: وكلت اليوم ثلاثة: بكل جبار عنيد، ومن جعل مع الله إليها آخر، ومن قتل نفساً بغير نفس، فتنطوي عليهم فتقذفهم في غمرات جهنم، خرجه الإمام أحمد وخرجه البزار، ولفظه: «يخرج عنق من النار يتكلم بلسان طلق ذلق، لها عينان تبصر بهما، ولها لسان تتكلم به، فتقول: إني أمرت بمن جعل مع الله إليها آخر، وبكل جبار عنيد، وبكل من قتل نفساً بغير نفس، فتنطلق بهم قبل سائر الناس بخمسة أيام»^(٤).

(١) التخريف من النار ص ١٦٤ وعزاه إلى أبي على الموصلي من حديث أبي الهيثم.

(٢) سنن الترمذى ج ٤ ص ٧٠١ وقال حسن غريب صحيح.

(٣) التخريف من النار ص ١٦٤ .

(٤) المستند ج ٣ ص ٤٠ .

قال ابن رجب: «وقد روي عن عطية عن أبي سعيد موقفاً»^(١).
 وأخرج الإمام أحمد كذلك عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: «يخرج
 عنق من النار، فتنطوي عليهم ويتفيض عنقهم، ويقول ذلك العنق؛ وكلت بثلاثة، وكلت
 بثلاثة، وكلت بثلاثة؛ وكلت بمن دعا مع الله إلهًا آخر، وكلت بمن لا يؤمن يوم
 الحساب، وكلت بكل جبار عنيد، فينطوي عليهم فتطرحهم في غمرات جهنم»^(٢).

وقد ذكر العلامة ابن رجب كثيرًا من الروايات في هذا المعنى، من
 خروج عنق النار، عن أسماء بنت يزيد عن النبي ﷺ من رواية شهر بن
 حوشب، ومن رواية أبي النهال سيار بن سلامة عن شهر عن ابن عباس
 موقفوًا.

وعن أبي هريرة كما جاء في حديث الصور الذي خرجه إسحاق بن
 راهويه وأبو يعلى الموصلي وغيرهما.

وعن أبي هريرة أيضًا معزواً إلى تخریج ابن أبي الدنيا من طريق الشعبي
 عن أبي هريرة.

و بما رواه عبد الله ابن الإمام أحمد بإسناده إلى أبي عبد الله الجدلي عن
 عبادة بن الصامت و كعب»^(٣).

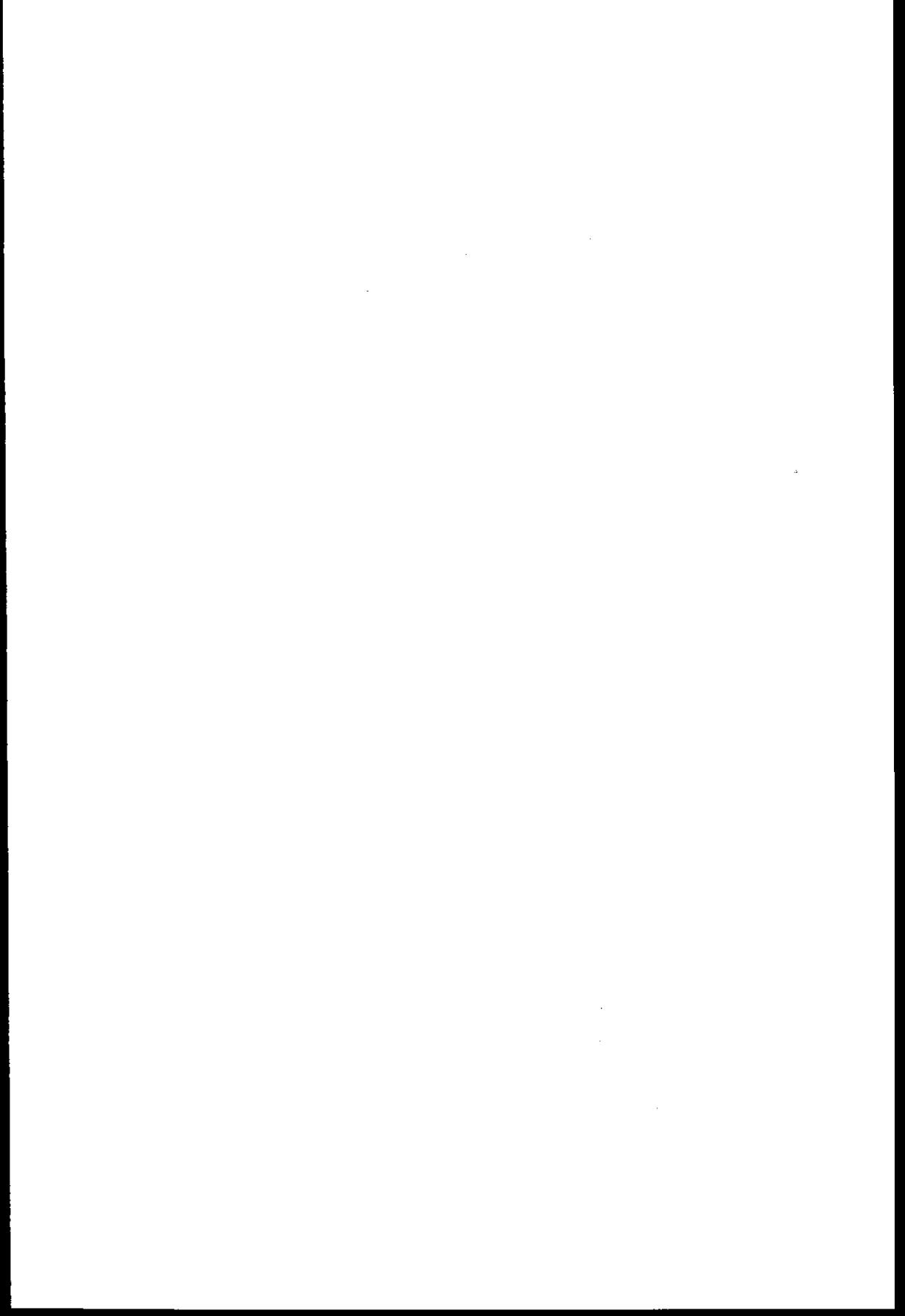
وكل تلك الروايات تفيد أن الكل ير على الصراط، إلا من غلا في
 الطغيان من الأصناف الذين مر ذكرهم.

* * *

(١) التخريف من النار ص ١٦٤.

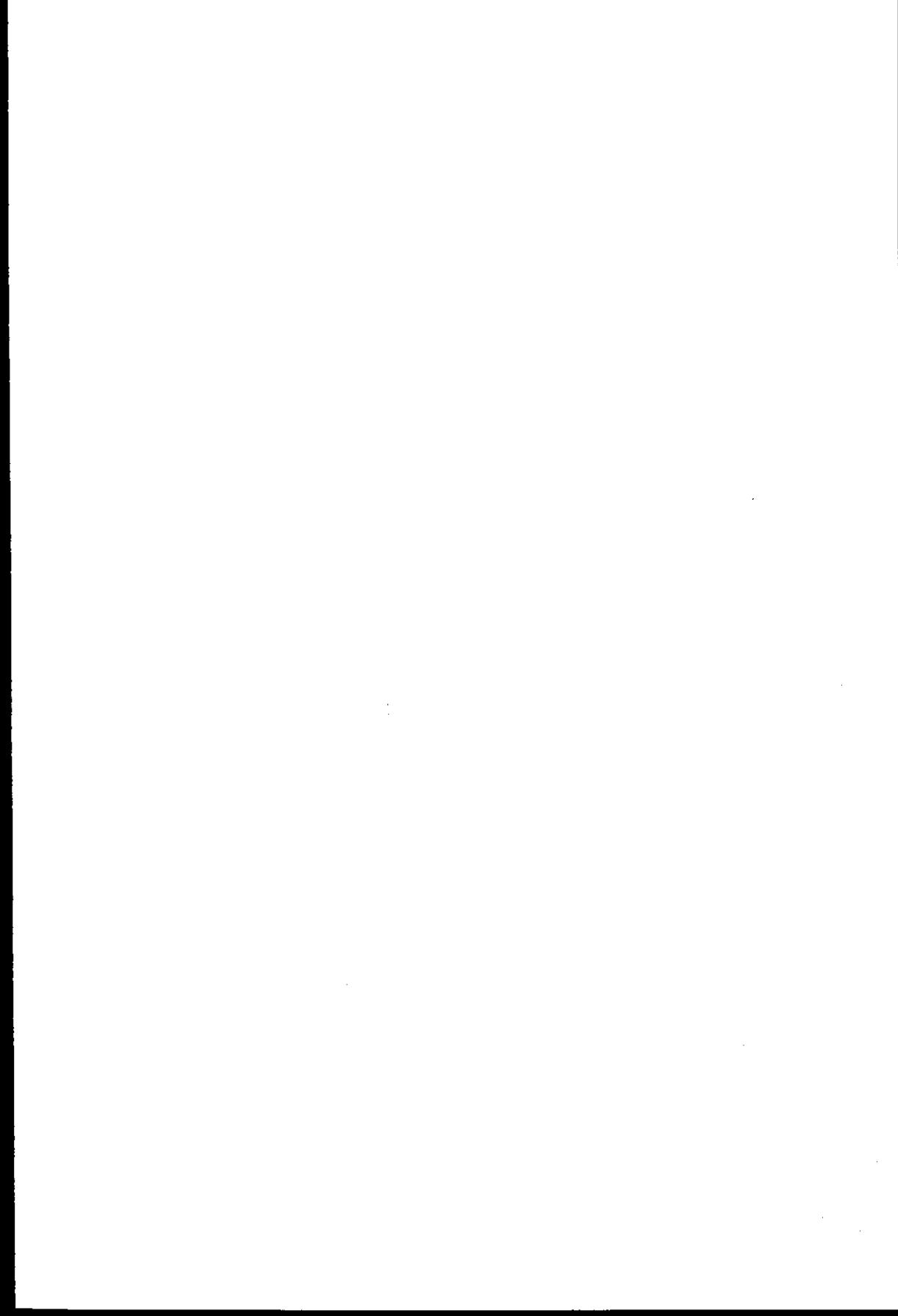
(٢) المستجد ٦ ص ١١٠.

(٣) انظر: التخريف من النار ص ١٦٣ - ١٦٥.



الفصل التاسع

أول من يجوز الصراط



الفصل التاسع

أول من يجوز الصراط

ثبت أن الرسول محمدًا ﷺ وأمته هم أول من يجوزون الصراط؛ تكريماً وتشريفاً لهم؛ وإظهاراً لمكانة نبينا محمد ﷺ وأمته بين الأمم، وقد قال ﷺ . كما في حديث أبي هريرة . «ويضرب جسر جهنم، قال رسول الله ﷺ : فاكون أول من يجيز»^(١) وهذه رواية البخاري .

وفي رواية الإمام مسلم قال ﷺ : «ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فاكون أنا وأمي أول من يجيز»^(٢) .

ومعنى «أول من يجيز»: أي أول من يقطعه ويضي عليه ، قال النووي في ضبط هذه الكلمة إنها «بضم الياء وكسر الجيم، والزاي آخره، ومعناه: يكون أول من يضي عليه ويقطعه، ويقال: أجزت الوادي وجزته، لغتان بمعنى واحد، وقال الأصمسي: أجزته: قطعته، وجزته: مشيت فيه»^(٣) .

وقال القرطبي: «يحتمل أن تكون الهمزة هنا للتعددية، لأنه لما كان هو وأمته أول من يجوز على الصراط، لزم تأخير غيرهم عنهم حتى يجوز، فإذا أجاز هو وأمي فكأنه أجاز الناس»^(٤) .

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ٤٤٥.

(٢) صحيح مسلم ج ١ ص ٤٣٠.

(٣) شرح النووي ج ١ ص ٤٣٠.

(٤) انظر: فتح الباري ج ١١ ص ٤٥٢.

وصفة ذلك أنه يناديه مناد ليعبروا وهم بين الأُمّ؛ فيقوم الرسول ﷺ حين يسمع ذلك النداء، ثم تتبعه أمته، كما في حديث عبد الله بن سلام وفيه: «ثم ينادي مناد: أين محمد وأمته؟ فيقوم، فتتبعه أمته براها وفاجرها، فيأخذون الجسر، فيطمس الله أبصار أعدائه، فيتهاقرون عن يمين وشمال، وينجو النبي والصالحون»^(١).

وعن ابن عباس مرفوعاً: «فتفرج لنا الأُمّ عن طريقنا، فنمر غرّاً محجلين من آثار الظهور، فتقول الأُمّ: كادت هذه الأمة أن يكونوا أُنبياء»^(٢)

وقال البرديسي: «أول من يجوز عليه محمد وأمته، فيمر أولهم كالبرق الخاطف، ثم كالطير، ثم كالخيل، ثم عدواً، ثم مشياً، ومن الناس من يزحف زحفاً، ومن الناس من يسحب سحبًا، فمنهم من يسلم، ومنهم من يزل فيقع في جهنم، ومنهم من تخطفه كلاليب فتلقيه في النار، ويسمع للواقعين جلبة عظيمة وصياح عظيم يدهش العقول، والملائكة والأُنبياء يقولون: رب سلم رب سلم، ولا ينطق يومئذ إلا الرسل»^(٣).

ثم ذكر أن في بعض الروايات: «ثم عيسى وأمته، ثم موسى بأمته، يدعون نبياً نبياً، حتى يكون آخرهم نوحًا وأمته»^(٤).

غير أن الذي في الصحيح - كما تقدم - هو مرور النبي ﷺ وأمته قبل

(١) ذكره ابن حجر ج ١ ص ٤٥٢ وعزاه إلى الحاكم، وهو في المستدرك ج ٤ ص ٥٨٦.

(٢) ذكره ابن حجر ج ١١ ص ٤٥٢.

(٣) تكملة شرح الصدور ص ٣٠.

(٤) المصدر السابق نقلًا عن شرح الجوهرة.

الأم، وأما ما ذكره البرديسي من تلك الروايات؛ فإنه يتوقف القول بها على صحتها، وهو لم يذكر منها شيئاً.

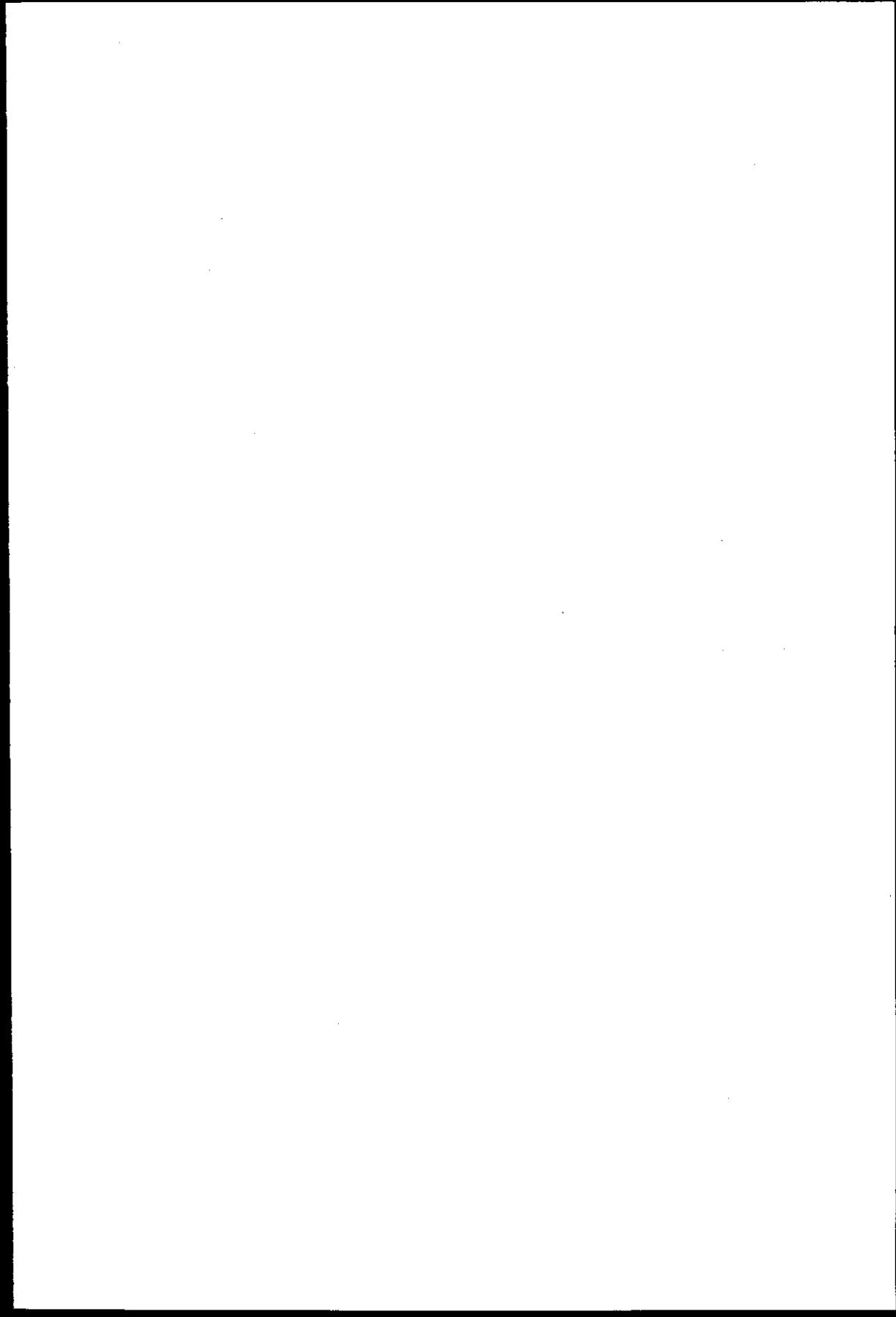
وكذا ما قيل من أن مرور الأنبياء على الصراط يكون على عكس

ترتيبهم^(١).

فallah أعلم بصحة ذلك.

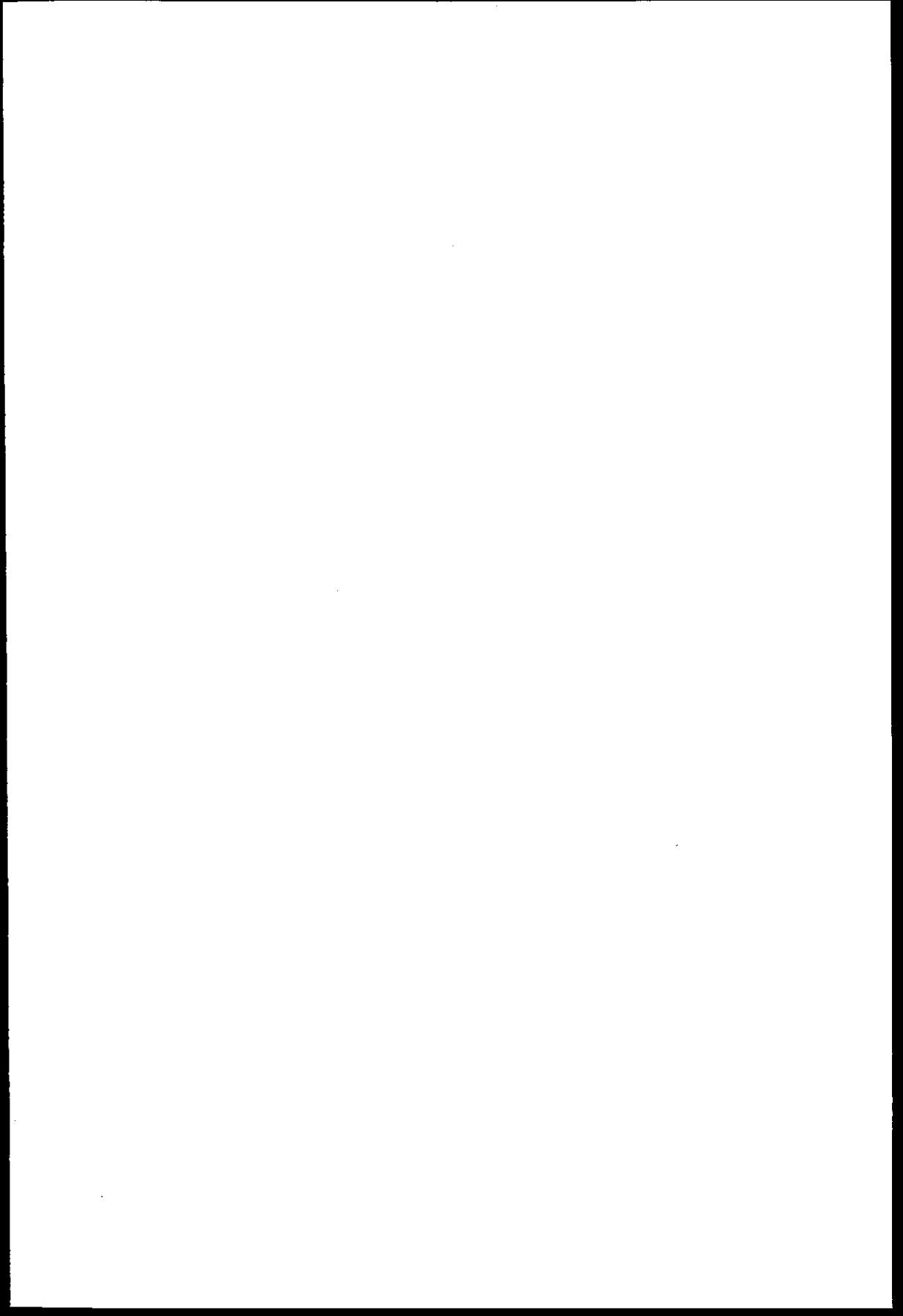
* * *

(١) ذكره البرديسي ص ٨٥ معزوا إلى القرطبي.



الفصل العاشر

شعار المؤمنين على الصراط



الفصل العاشر

شعار المؤمنين على الصراط

عندما يعبر الناس الصراط ، تلهج الألسنة بالدعاء إلى الله تعالى أن ينجي هؤلاء المارين ويخرجهم منه بسلام ، ويكون هذا الدعاء أو الشعار - كما وردت تسميته في بعض الأحاديث : - «اللهم سلم سلم».

وهل هذا الدعاء يقوله الرسل أم كل المؤمنين؟

اختلت الروايات ؛ فبعضها يذكر أن هذا الدعاء خاص بالرسل ؛ لأنهم هم الذين يتكلمون فقط ، ولكمال شفقتهم ورحمتهم للخلق ، وبعضها يذكر أنه يقال من كل المؤمنين الذين يعبرون الصراط .

وفي صحيح البخاري ما يفيد أن القائلين هذا الدعاء هم الرسل ؛ فإن من عداهم لا يتكلمون ، كما في حديث أبي هريرة : «فأكون أول من يحيى ، وداعي الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم»^(١) وهذا صريح في اختصاص الرسل بهذا الدعاء .

وأصرح منه ما في الرواية الأخرى : «فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل ، وكلام الرسل يومئذ: «اللهم سلم سلم»^(٢) .

وفي حديث آخر قال : «فأكون أنا وأمتي أول من يحيىها ، ولا يتكلم يومئذ إلا

(١) ، (٢) انظر : الأدلة من السنة على إثبات الصراط .

الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم،^(١)

وهذا ظاهر في أنه لا يتكلم إلا الرسل فقط.

وهناك روایات أخرى تفيد أن المؤمنين يتكلمون أيضاً، ويدعون الله بالسلامة، وشعارهم هو ذلك الدعاء: «اللهم سلم سلم».

وهذا ما يفيده حديث المغيرة بن شعبة الذي أخرجه الترمذى، وفيه: «شعار المؤمن على الصراط: رب سلم سلم».^(٢)

ومثله ما جاء عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ قال: «شعار أمتي إذا ركبوا على الصراط: لا إله إلا أنت».^(٣)

وهذا يفيد أن كل المؤمنين يقولون هذا الشعار، وأن الشعار أيضاً ليس مقصوراً على قولهم: رب سلم سلم، وهذا الحديث لو صح لكان فيه زيادة إخبار بدعاء آخر، لكن الحديث فيه راو ضعيف، وفيه راو مجهول.

قال الهيثمى عن سند الحديث:

«وفيه من وثق على ضعفه، وعبدوس بن محمد لم أعرفه».^(٤)

ويذكر ابن رجب أن في هذا الحديث نكارة.^(٥)

قال الحافظ ابن حجر:

(١) انظر: الأدلة من السنة على إثبات الصراط.

(٢) سنن الترمذى ج ٥ ص ٦٢١ وقال: حديث غريب، قال: «وفي الباب عن أبي هريرة».

(٣) ذكره الهيثمى في مجمع الروايدج ج ١٠ ص ٣٥٩ وعزاه إلى الطبرانى.

(٤) مجمع الروايدج ج ١٠ ص ٣٥٩.

(٥) التخويف من النار ١٧٠.

«ولا يلزم من كون هذا الكلام شعار المؤمنين أن ينطقوا به؛ بل تنطق به الرسل، يدعون للمؤمنين بالسلامة، فسمى ذلك شعاراً لهم».

قال: «وبهذا تجتمع الأخبار»^(١).

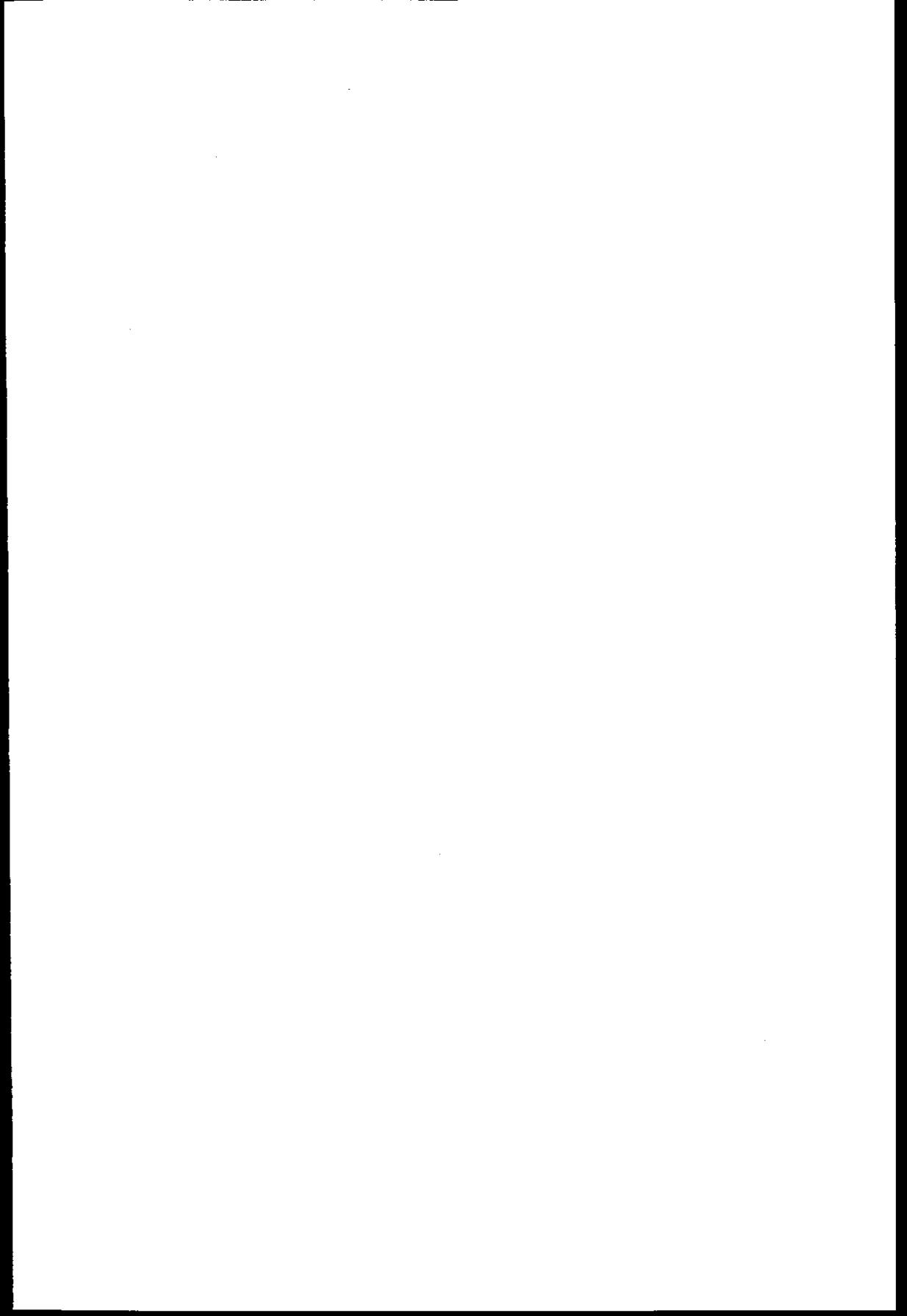
وقد جمع النووي بين الروايات التي تفيد عدم كلام الأم على الصراط واختصاص الرسل بالدعاء: اللهم سلم سلم، وبين ما جاء في بعض الأحاديث من تسمية هذا الدعاء شعاراً للمؤمنين؛ جمع بين تلك الروايات بأن ما ورد من عدم كلام الأم؛ فإنه خاص بحال الإجازة على الصراط، وما ورد من كلامهم؛ بأنه في مواطن القيامة الأخرى.

وهذا الجمع ذكره عند معنى قول الرسول ﷺ: «ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل»، حيث قال: «معناه لشدة الأحوال، والمراد: لا يتكلم في حال الإجازة، وإنما في يوم القيمة مواطن يتكلم الناس فيها، وتحادل كل نفس عن نفسها، ويسأل بعضهم بعضاً، ويتلاومون، ويخاصم التابعون المتبوعين»^(٢).

* * *

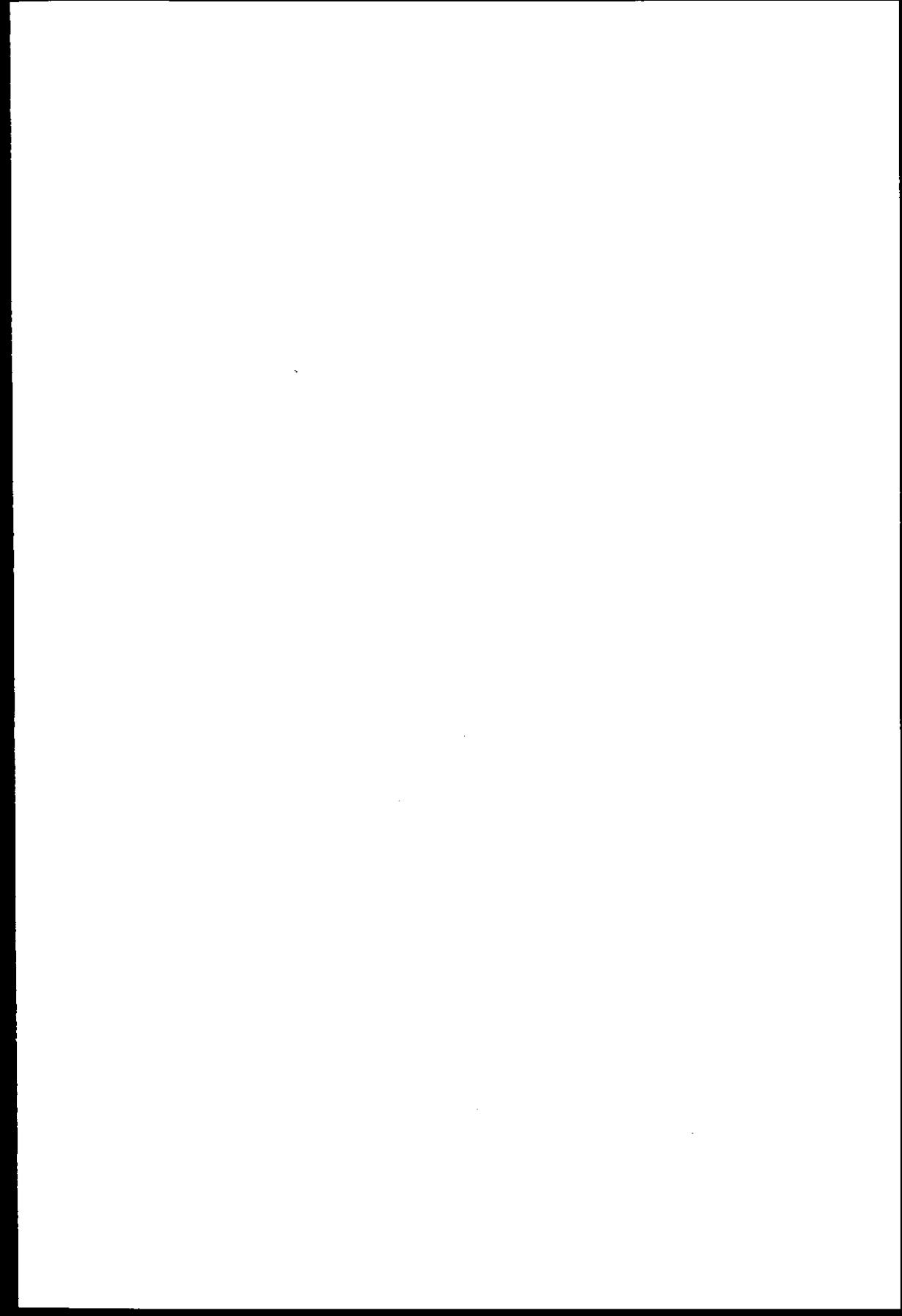
(١) فتح الباري ج ١١ ص ٤٥٢.

(٢) شرح النووي لسلم ج ١ ص ٤٣٠.



الفصل الحادي عشر

الأعمال الموجبة للجواز على الصراط



الفصل الحادي عشر

الأعمال الموجبة للجواز على الصراط

هذه الترجمة هي ما أشار إليها البرديسي، حيث عدد أموراً يذكر أنها من الأعمال الموجبة للجواز على الصراط، وقبل أن نذكرها نقلأً عنه، فإن مما ينبغي ملاحظته قبل كل شيء، هو أن الجواز على الصراط وعدمه إنما يرجع إلى ما جاء في النصوص النبوية من أنها الأعمال، فكل عمل طيب خالص لوجه الله، يرجى من ورائه الجواز على الصراط، كما أن قلة العمل أو عدمه؛ هو الذي يبطئ بالشخص أو يسقطه في النار.

وما ذكره البرديسي أو غيره من العلماء في عد الخصال التي توجب سرعة السير على الصراط؛ فإنما هو من باب زيادة التفصيل، فقال:

«الأعمال الموجبة للجواز على الصراط»:

منها ما أخرجه الطبراني وابن حبان وغيرهما في مكارم الأخلاق عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «من كان وصلة لأخيه المسلم في حاجة حتى يقضيها؛ ثبت الله قدسيه يوم قتل الأقدام».

ومنها: «من أحسن الصدقة في الدنيا؛ جاز على الصراط عدلاً، أي آمناً غير خائف، ومنها: «ألا تحدث حدثاً في دين الله برأيك».

ومنها ما ورد: «المساجد بيوت المتقين، وقد ضمن الله لمن كانت المساجد

سيوطهم بالروح والراحة والجواز على الصراط مع رضوان الله.

ومنها ما ورد أن «أسرع الناس مروراً على الصراط الذين يرضون بحكم الله، وأشتبه لهم رطبة بذكر الله». ومنها التخفيف من أثقال الدنيا^(١).

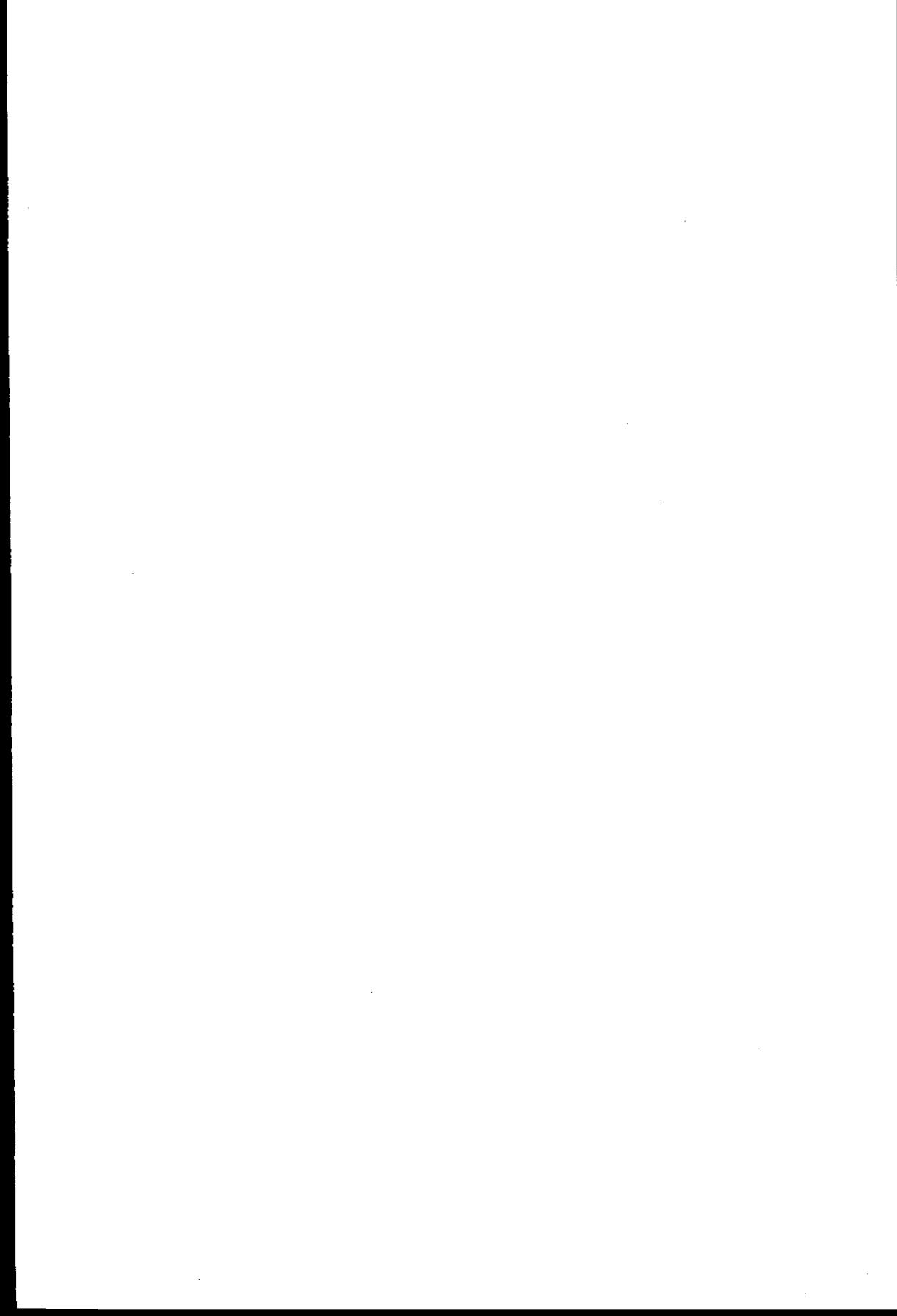
وهذه المسائل لاشك أنها أعمال طيبة، فإذا تقبلها الله تعالى كانت من الأسباب التي تنجي صاحبها من الوقوع في النار، وكانت سبباً لاجتياز الصراط بأمان، والروايات التي استدل بها هي من باب الترغيب، بغض النظر عما قيل في الحكم عليها.

* * *

(١) تكميلة شرح الصدور ص ٣٢.

الفصل الثاني عشر

**هل الصراط قد خلق أو سيخلق
في يوم القيمة؟**



الفصل الثاني عشر

هل الصراط قد خلق أو سيخلق في يوم القيمة؟

هذه المسألة لم أجده فيها نصاً من القرآن الكريم ولا من السنة النبوية ينص على وجود الصراط أو عدمه الآن، ولذلك فإنه يحتمل أن يكون قد وجد منذ أن وجدت النار، كما يحتمل أن ينشئ الله خلقه في يوم القيمة لغرض إجازة الناس عليه، والذي يقول بوجوده الآن يلحظ ما اتفق عليه جميع السلف من وجود الجنة والنار الآن، ولكن هل الصراط موجود بوجود النار أو لا؟ كل ذلك قابل للإمكان.

قال عياض فيما ينقله عنه البرديسي :

«يجوز أن الله تعالى يحدث الصراط يوم الجزاء، أو أن يكون مخلوقاً موجوداً الآن كجهنم».

وقال البرديسي : «قال في شرح الجوهرة: قلت: وفي كلام ابن الفاكهاني أنه موجود، وفي كنز الأسرار - نقلأً عن بعضهم - جواز أن يخلق الله تعالى حين يضرب على متن جهنم، ويجوز أن يكون خلق حين خلقت جهنم»^(١).

(١) تكميلة شرح الصدور ص ٣٢.

وظاهر كلام السفاريني يشعر بالجذم بوجوده الآن، حيث قال: «إن الصراط مخلوق الآن»^(١).

والواقع أن كل ما قيل عن وجوده أو عدم وجوده مجرد احتمالات. كما قلنا. والله تعالى هو وحده العالم بحقيقة ذلك.

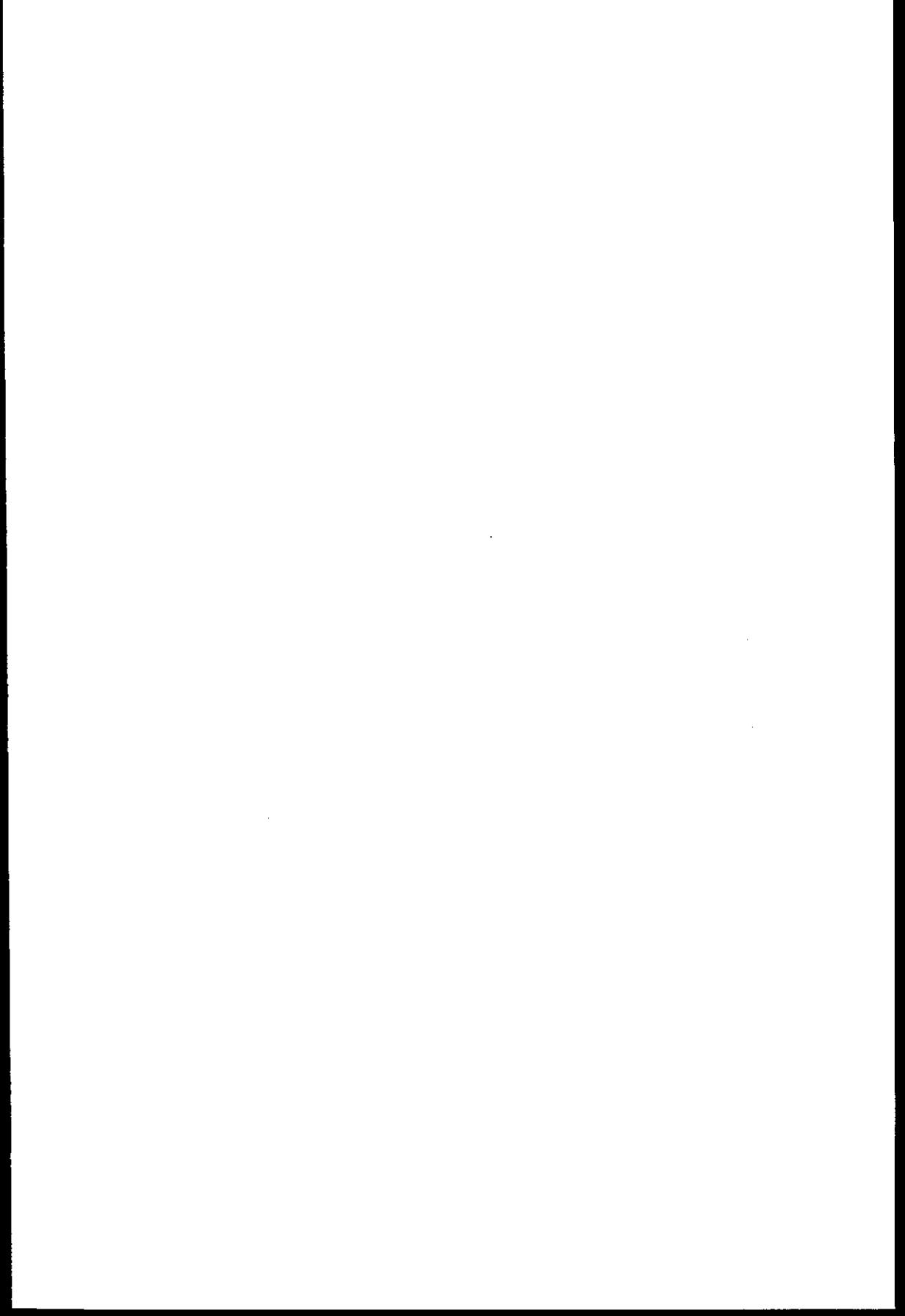
* * *

(١) لوعم الأنوار ج ٢ ص ١٩٤.

الفصل الثالث عشر

هل يبقى الصراط إلى خروج عصاة

الموحدين من النار أو لا؟



الفصل الثالث عشر

أيogenic الصراط إلى خروج عصاة الموحدين من النار أهـم لـ؟

هذه المسألة كسابقتها؛ لم يرد فيها نص أو إشارة بالنفي ولا بالإثبات، قال الحليمي: «لم يثبت أن الصراط يبقى إلى خروج عصاة الموحدين من النار؛ فيتجاوزونها عليه إلى الجنة، أو يزال ثم يعاد لهم أو لا يعاد، أو تصعد به الملائكة إلى السور الذي في الأعراف»^(١).

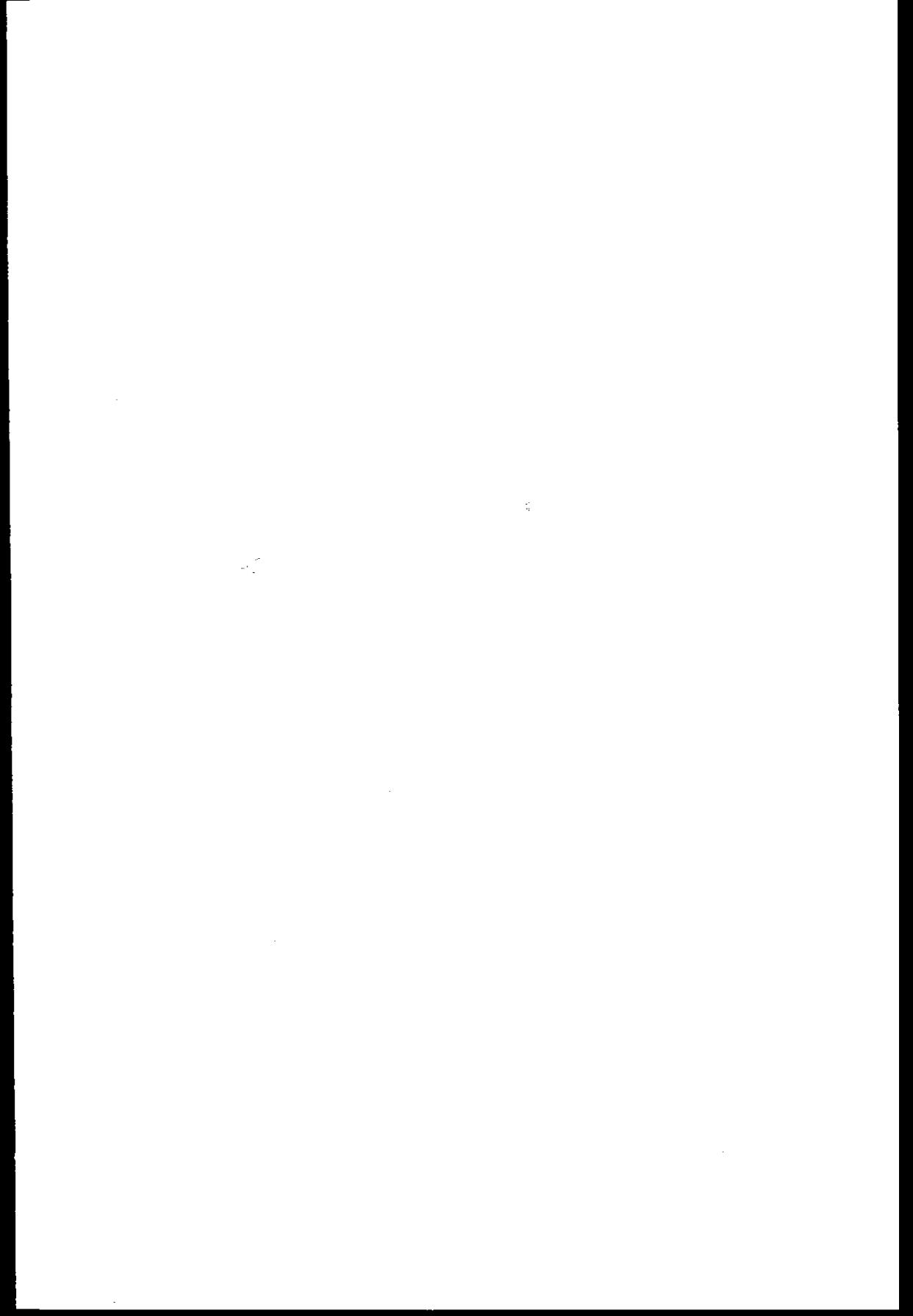
وهذه الاحتمالات كلها تحتاج إلى نص صحيح لاعتقادها، ولعل التوقف في إثبات أحد الأمرين أو نفيه وترك هذه المسألة وسابقتها إلى علم الله تعالى أولى.

إنما لبحث الصراط: فإننا سنخصص الكلام عن القنطرة، والورود، وأصحاب الأعراف بأبواب مستقلة، نبين فيها المراد بالقنطرة، ومدى اتصالها بالصراط، وأقوال العلماء في ذلك، وكذلك الورود، نبين فيه المراد منه، واختلاف العلماء فيه، والقول الراجح من اختلافاتهم.

ثم نبين ما جاء بشأن أصحاب الأعراف، ما هو الأعراف؟ ومن هم أهله؟ وأرجح الأقوال في ذلك، إلى غير ذلك مما سيأتي تفصيله بشأن تلك الأمور.

* * *

(١) لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٩٤ وعزاه إلى الحليمي، وانظر: تكميلة شرح الصدور ص ٣٢.

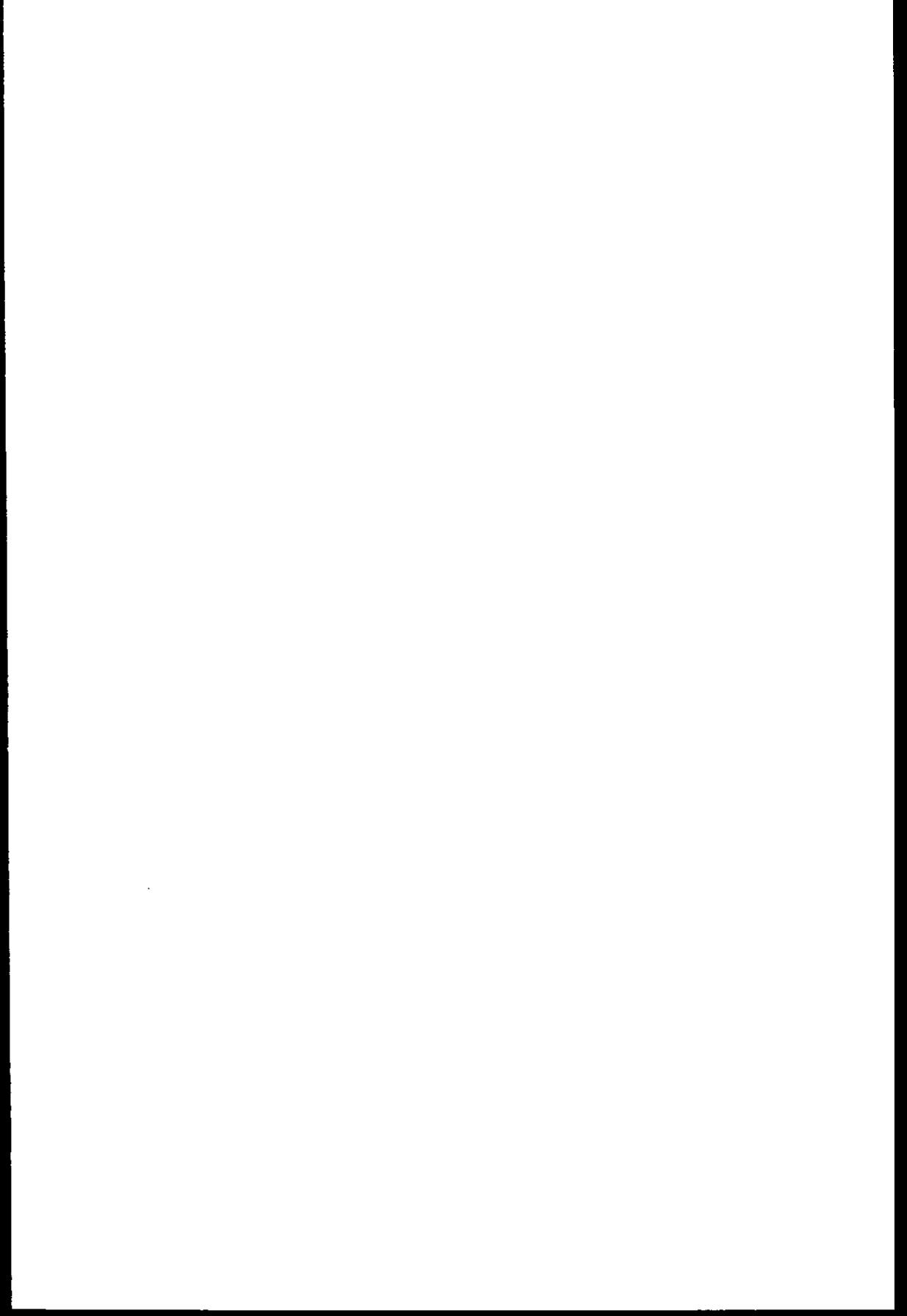


الباب الحادي عشر في القنطرة

ويشتمل على الفصول الآتية:

تمهيد

- | | |
|---------------|---|
| الفصل الأول: | أدلة إثبات القنطرة. |
| الفصل الثاني: | موقع تلك القنطرة. |
| الفصل الثالث: | هل هي قنطرة واحدة أو هي قناطر متعددة؟ والرابع في ذلك. |
| الفصل الرابع: | لماذا أخر الله حساب هؤلاء إلى القنطرة؟. |



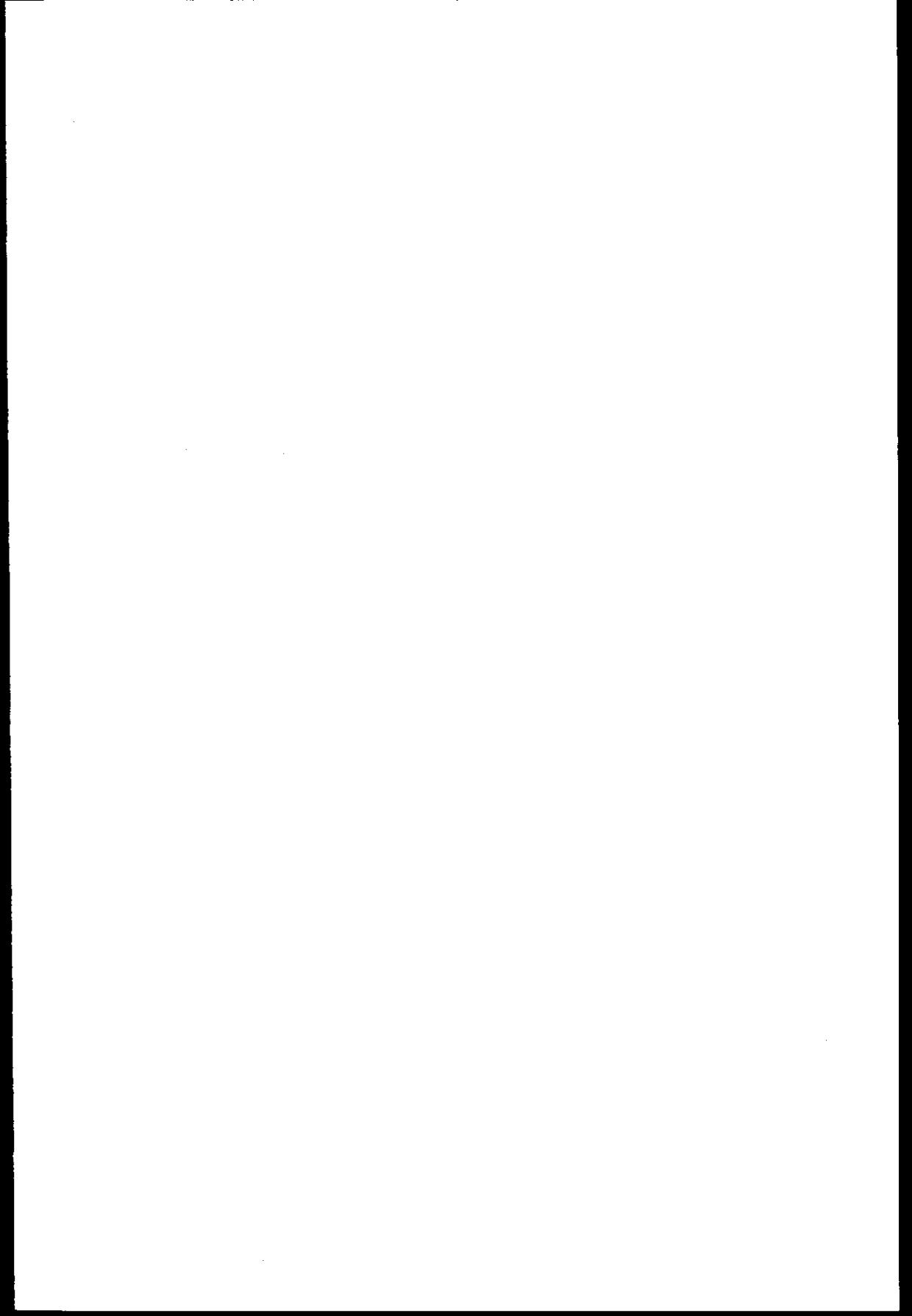
الباب الحادي عشر القنطرة

نَهْيٌ:

هذه القنطرة ثبتت في السنة النبوية، وهي خاصة لسلك المؤمنين إلى الجنة، حيث يقفون عليها ليقتضي بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا؛ أذن لهم بدخول الجنة، كما ورد بذلك الحديث، وهي أشبه ما تكون بتصفيية الذهب بجعله نقياً خالصاً من كل شائبة مهما دقت.

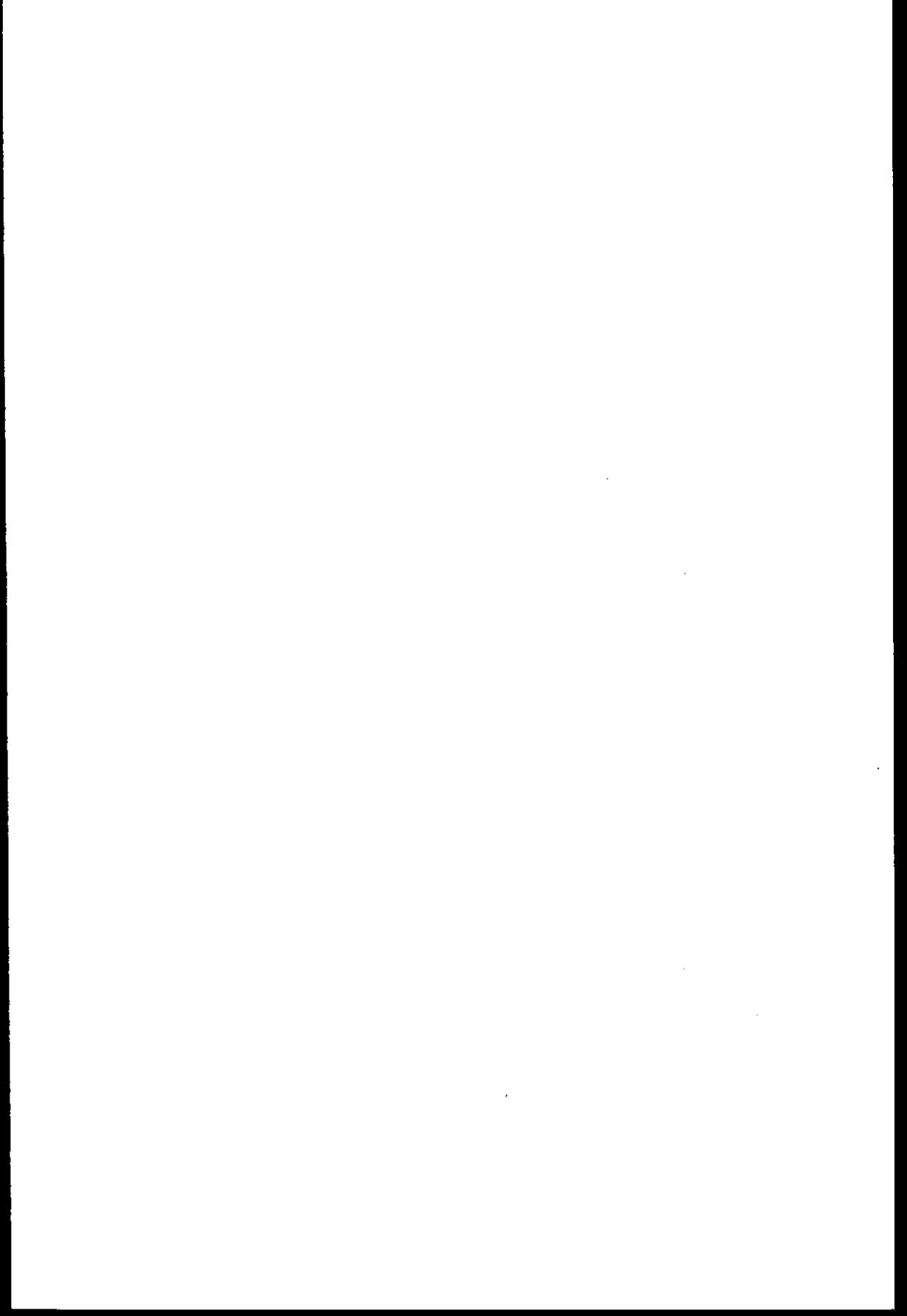
وقد اختلف العلماء فيها: هل هي صراط مستقل وله ميزات خاصة به؟ أم إنها من تتمة الصراط العظيم المنصوب على متن جهنم؟ .. والخلاف المشار إليه إنما هو في موضعها لا في ثبوتها، فهي ثابتة بما لا شك فيه، كما يتضح من أدلة الآية.

* * *



الفصل الأول

أدلة إثبات القنطرة



الفصل الأول

أدلة إثبات القنطرة

فمن الأدلة على إثباتها: ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا خلس المؤمنون من النار، حبسوا بقسطرة بين الجنة والنار، فيتناصرون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا؛ إذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفسي بيده لأحد them بمسكته في الجنة أدل بمنزله كان في الدنيا»^(١).

وقال قتادة: «قال بعضهم: ما يشبه لهم إلا أهل جمعة حين انصرفوا من جمعتهم»^(٢).

والمراد بهذا التناصص بينهم أي «تبعد ما بينهم من المظالم، وإسقاط بعضها البعض»^(٣) حتى يخلصوا من الآثام بمقاصدها بعضها البعض، قال ابن حجر: «ويشهد لهذا الحديث قوله - في حديث جابر الآتي ذكره في التوحيد -: «لا يحل لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد قبله مظلما»^(٤).

وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح من مرسيل الحسن قال: «بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «يحبس أهل الجنة بعد ما يجوزون الصراط، حتى يؤخذ

(١) صحيح البخاري ج ٥ ص ٩٦ وفي ج ١١ ص ٩٧ وأخرجه أحمد ج ٣ ص ١٣.

(٢) المسند ج ٢ ص ٧٤.

(٣) فتح الباري ج ٥ ص ٩٦.

(٤) المصدر السابق.

لبعضهم من بعض ظلاماتهم في الدنيا، ويدخلون الجنة وليس في قلوب بعضهم على
بعض غلٌ^(١).

وهو شاهد كذلك - كما يذكر ابن حجر - لحديث أبي سعيد الخدري
رضي الله عنه^(٢).

* * *

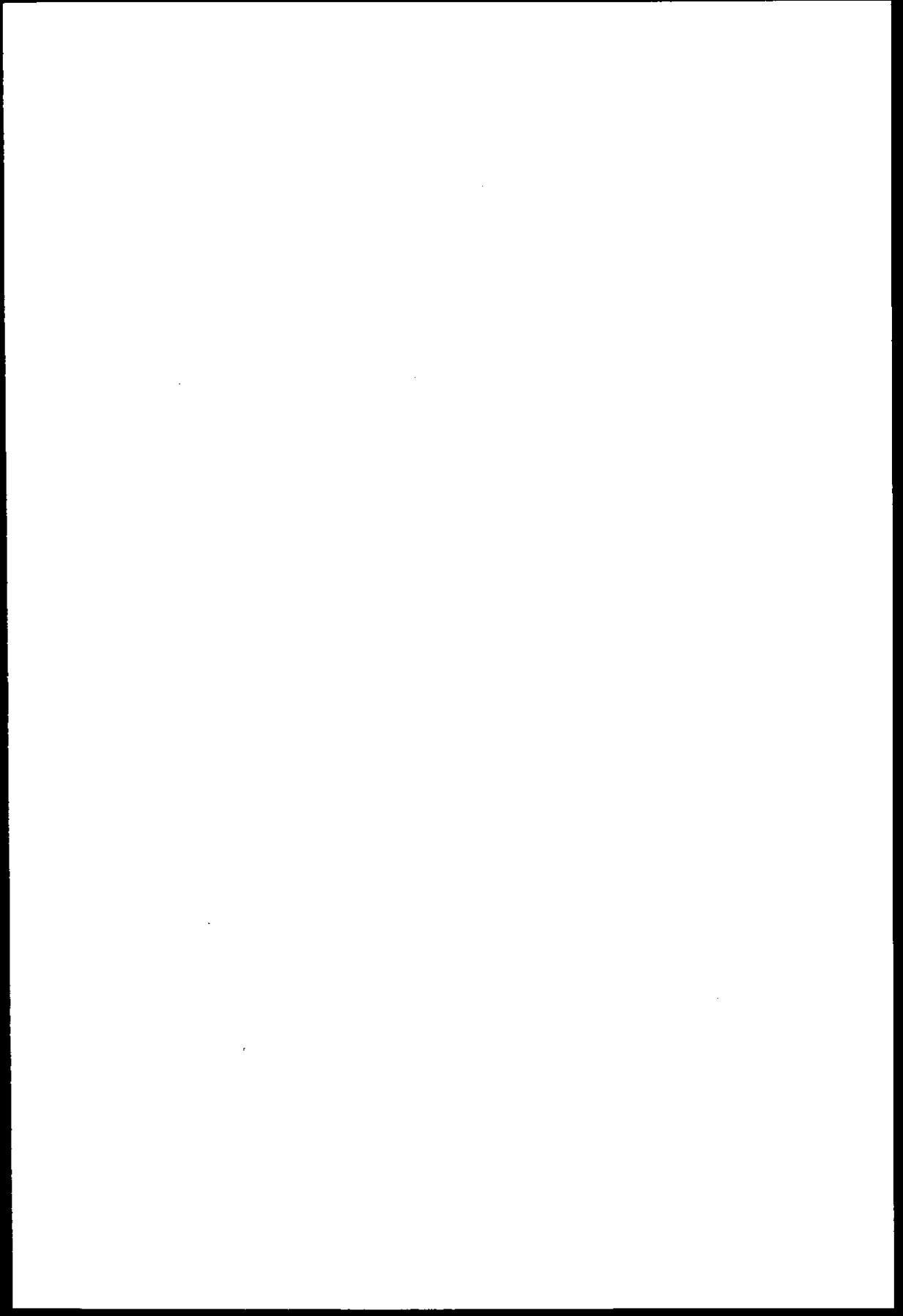
(١) فتح الباري ج ١١ ص ٣٩٩.

(٢) نفس المرجع السابق.



الفصل الثاني

موقع تلك القنطرة



الفصل الثاني

موضع تلك القنطرة

أما موضع تلك القنطرة؛ فقد اختلف العلماء. كما أشرنا سابقاً. في موضعها، وحاصل الخلاف يرجع إلى أمرين :-

الأمر الأول: أن تلك القنطرة هي جزء من الصراط، وتتمة له.

الأمر الثاني: أنها صراط مستقل بين الصراط الأول والجنة، خاصة بنكتبت لهم السعادة.

وبعض العلماء لم يترجح لديه أحد الأمرين.

قال ابن حجر: «واختلف في القنطرة المذكورة، فقيل: هي من تتمة الصراط، وهي طرف الذي يلي الجنة، وقيل: إنهم صراطان»^(١).

وذهب القرطبي إلى القول بأن القنطرة ليست من الصراط الأول العظيم المنصوب على متن جهنم، وإنما هي صراط ثان، وقد بوب على هذا بقوله: «باب: ذكر الصراط الثاني، وهو القنطرة التي بين الجنة والنار»، وذكر أن المؤمنين إذا خلصوا من صراط جهنم «حبسو على صراط آخر خاص لهم» قال: «ولا يرجع إلى النار من هؤلاء أحد. إن شاء الله. لأنهم قد عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم، الذي يسقط فيها من أوبقه ذنبه،

(١) فتح الباري ج ١١ ص ٣٩٩.

وأربى على الحسنات بالقصاص جرمه»^(١).

ونقل القرطبي - عن مقاتل أيضًا - ما يفيد أنه يرى أن القنطرة صراط آخر، وذلك في قوله: «قال مقاتل: إذا قطعوا جسر جهنم؛ جسوا على قنطرة بين الجنة والنار؛ فيقتضي بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا وطيبوا؛ قال لهم رضوان وأصحابه: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم﴾ بمعنى التحية ﴿طَبِّعْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِين﴾^(٢) [الزمر: ٧٣].

وينقل السفاريني عن السيوطي ترجيحه لكون القنطرة طرف من الصراط الذي يلي الجنة؛ أي أنه يرى أنها جزء من الصراط وتتممه له؛ حسب نقل السفاريني الآتي:

«قال الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه «البدور السافرة في علوم الآخرة»: والأول - يعني أنه طرف الصراط الذي يلي الجنة - هو المختار الذي دلت عليه أحاديث القنطر والحساب على الصراط»^(٣).

أما الإمام ابن كثير فإنه يجعلها بعد نهاية النار، وكأنه يجعلها صراطًا مستقلًا منصوبًا على هول لا نعلمه، فهو بعد أن ذكر كلام القرطبي ورأيه في هذه القنطرة من إنها صراط ثان؛ قال معلقاً عليه: قلت: هذه بعد مجاوزة النار، فقد تكون القنطرة منصوبة على هول آخر، مما يعلمه الله ولا نعلمه نحن، وهو أعلم»^(٤).

فهو لم يترجح لديه - حسبما يظهر من كلامه - هل هي صراط آخر أو هي

(١)، (٢) التذكرة ص ٣٣٩.

(٣) ل TAMMAM AL-AHNAR ج ٢ ص ١٩٠ وعزاه إلى السيوطي في البدور السافرة (مخطوط).

(٤) النهاية ج ٢ ص ٩٥.

متصلة بالصراط العظيم الذي هو على متن جهنم؟ .

وكذلك ابن حجر ، فإنه لم يرجع أياً من القولين حيث قال :
 «والذي يظهر أنها طرف الصراط مما يلي الجنة ، ويحتمل أن يكون من
 غيره بين الصراط والجنة»^(١) .

والراجح فيما يظهر :

أن القنطرة صراط مستقل ، وليس متصلة بالصراط العظيم الذي يعبر
 عليه جميع البشر ، وذلك :

١ - أن قوله ﷺ : «حبسو بقنزارة بين الجنة والنار» يدل على أن هذه
 القنطرة منفصلة عن جهنم ؛ لأن الصراط فوق النار ، ويتدلى إلى انتهائهما ، ثم
 تبدأ بعد ذلك القنطرة التي هي بين الجنة والنار ، كما هو ظاهر الحديث .

وإذا كانت منفصلة . وهي صراط آخر . فكيف وصلوها والصراط قد
 انتهى؟ .

لم أجده في ذلك جواباً ثابتاً ، ولعله والله أعلم أنهم مشوا على شيء لا
 نعلمه ، وأن هناك قناطر ، ولكن هذه القنطرة هي التي يقف عليها المؤمنون .

٢ - أن المقصود من وضع الصراط العظيم غير المقصود من وضع
 القنطرة ؛ إذ الصراط المقصود من وضعه ليسقط عنه أعداء الله إلى النار ، وأما
 القنطرة فليست كذلك ، وإنما هو لحكمة أرادها الله تعالى ، لتنقية أحبابه
 من التبعات الخفيفة التي بقيت عليهم ، حتى يدخلوا الجنة وليس في
 صدورهم غل .

(١) فتح الباري ج ٥ ص ٩٦

- ٣ - أن القنطرة قد اختصت بمعزيا زائدة عن الصراط ، ومن أهمها :
- ١ - أنه لا يسقط فيها أحد .
 - ٢ - أنها لا تقصاص مظالم خاصة بين أهل الجنة .
 - ٣ - أن ذلك القصاص فيما بينهم لا يستنفذ حسناً أحد منهم .

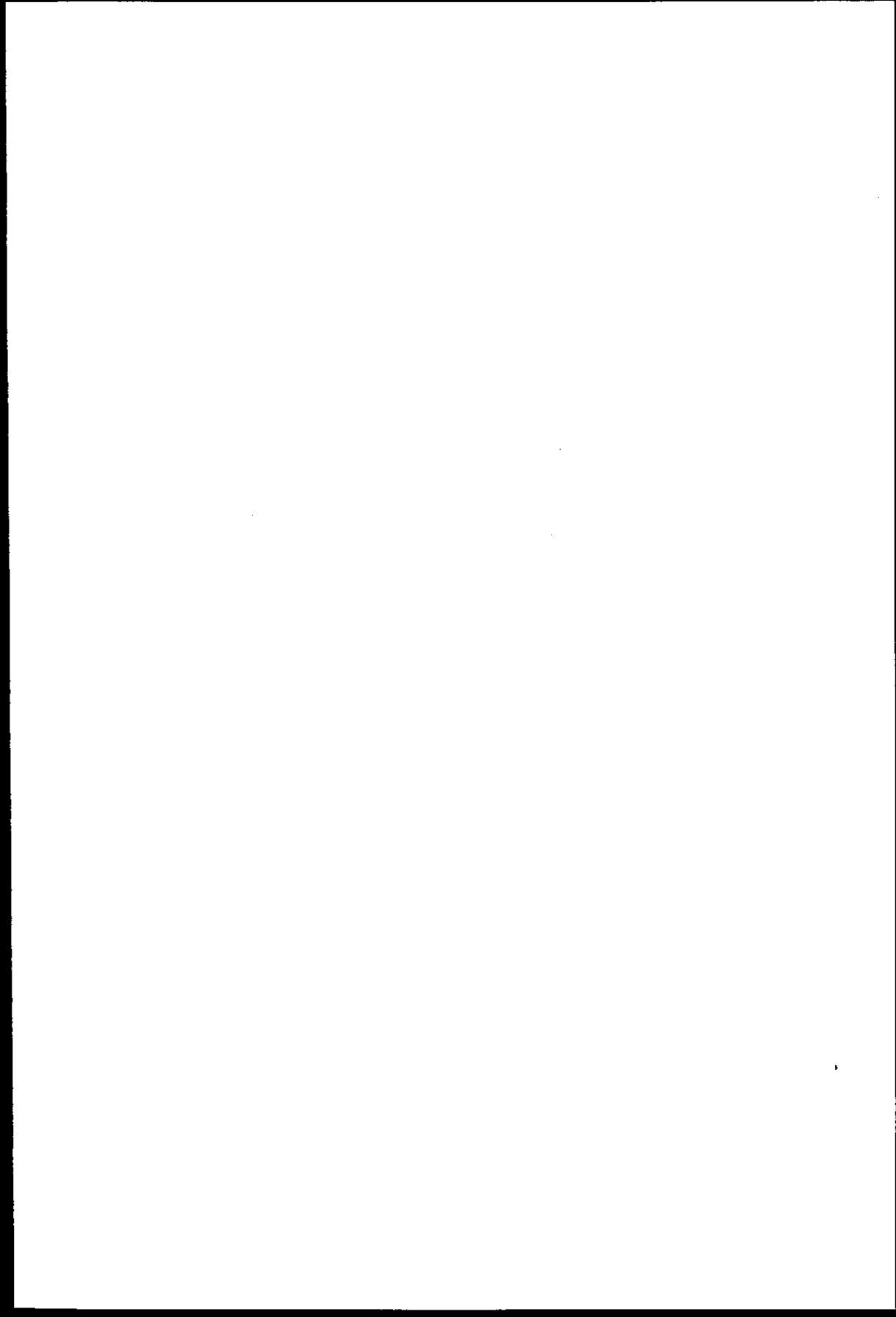
* * *

الفصل الثالث

أهي قنطرة واحدة أم قناطر

متعددة؟

والراجح في ذلك



الفصل الثالث

أهي قنطرة واحدة، أم قناطر متعددة؟ والراجح في ذلك

ظهر مما سبق أن الأدلة كلها تدل على وجود قنطرة يعبر عليها المؤمنون إلى الجنة؛ قنطرة واحدة وليس قناطر متعددة، غير أن بعض العلماء يذكر أنها قناطر متعددة، و يجعلونها متصلة بالجسر ، بما فيه هذه القنطرة .

كما نقل القرطبي عن بعض أهل العلم أن الناس لا يتمون العبور على الصراط حتى يجتازوا سبع قناطر ، كل قنطرة يسأل عليها عن فعل من الأفعال ، فقد روي عن بعض أهل العلم أنه قال : لن يجوز أحد الصراط حتى يسأل في سبع قناطر .

فأما القنطرة الأولى : فيسأل عن الإيمان بالله ، وهي شهادة أن لا إله إلا الله ، فإن جاء بها مخلصاً والإخلاص قول وعمل - جاز .

ثم يسأل على القنطرة الثانية عن الصلاة ، فإن جاء بها تامة جاز .

ثم يسأل على القنطرة الثالثة عن صوم شهر رمضان ، فإن جاء به تاماً جاز .

ثم يسأل على القنطرة الرابعة عن الزكاة ، فإن جاء بها تامة جاز .

ثم يسأل على القنطرة الخامسة عن الحج والعمرة ، فإن جاء بهما تامتين جاز .

ثم يسأل في القنطرة السادسة عن الغسل والوضوء، فإن جاء بهما تامين جاز.

ثم يسأل في القنطرة السابعة - وليس في القناطر أصعب منها - فيسأل عن ظلامات الناس^(١).

وهذا ما ذكره البيهقي رحمه الله عن مقاتل بن سليمان، وذكر أيضاً رواية أخرى عن عبد الله بن مسعود فيها: «وراء الصراط ثلاثة جسور»، وذكر أن هذا الخبر موقوف على ابن مسعود، ومرسل بينه وبين سالم بن أبي الجعد، ورواه أبو فزارة عن سالم بن أبي الجعد من قوله، غير مرفوع إلى عبد الله، قال البيهقي: «وإن صح؛ فإنما أراد - والله أعلم - أن ملائكة الرب يسألونه عمما فرط فيه»^(٢).

ويقول السفاريني: «وفي بعض الآثار أن فيه سبع قناطر، يسأل كل عبد عند كل قنطرة منها عن أنواع من التكليف»^(٣).

وفي مجمع الزوائد عن سليمان بن حبيب المحاريبي، عن أبي أمامة الباهلي - من حديث طويل - قال فيه:

«إن في جهنم جسراً له سبع قناطر، على وسطه العصاة، فيجاء بالعبد، حتى إذا انتهى إلى القنطرة الوسطى قيل له: ماذا عليك من الدين؟ وتلا هذه الآية ﴿وَلَا يَكُتُّمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢] قال: فيقول: يا رب على كذا وكذا، فيقال له: أقض دينك، فيقول: مالي شيء وما أدرى ما أقضى منها، فيقال: خذوا من حسانته،

(١) التذكرة ص ٣٢٩.

(٢) الأسماء والصفات ص ٥٤٦.

(٣) لواع الأنوار ج ٢ ص ١٩١.

فما يزال يؤخذ من حسناته حتى ما تبقى له حسنة . . .^(١) إلخ الحديث.

وهذا الحديث في سنته راويان ضعيفان، وما ثبت في الصحيح من أنها قنطرة واحدة هو الذي ينبغي اعتقاده.

فيظهر أن القول بتعذر القنطر يفتقر إلى دليل يثبته؛ إذ الثابت أنها قنطرة واحدة لعبور أهل الجنة إليها.

وأيضاً فإن القرطبي - وهو يذكر تعدد القنطر - يصدر الكلام بقوله: «روى عن بعض أهل العلم»، والسائل الغبية الاعتقادية لا تثبت بمثل هذا الكلام، ثم إن تلك الأسئلة التي تقع على القنطر المذكورة من أوليات ما يسأل عنه العبد في الموقف عند الحساب؛ لأنها مشتملة على جميع ما يحاسب عليه العبد، ويتحدد مصيره بموجب النتيجة التي تسفر عنها.

وكذلك قول السفاريني، ليس فيه الجزم برفعها إلى رسول الله ﷺ، وقوله: «وفي بعض الآثار» كقول القرطبي: «روى عن بعض أهل العلم».

وأما الحديث الذي ذكره الهيثمي معزواً إلى الطبراني فإن في سنته راوين ضعيفين، وهما: كلثوم بن زياد، وبكر بن سهل الدمياطي.

وفي الحديث كذلك ما تدل ظواهر النصوص على خلافه، وهوأخذ الحسنات فوق الجسر، فإن ظواهر النصوص تدل على أن الحسنات تؤخذ في الموقف أثناء الحساب والميزان، وليس هناك حساب آخر على الجسر غير ما ورد في القنطرة.

(١) مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٥٤ قال: «رواه الطبراني» وفيه كلثوم بن زياد بن بكر بن سهل الدمياطي، وكلاهما وثق وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح.

فالراجح من كل ما تقدم أنها قنطرة واحدة، تكون بعد عبور الجسر ، جعلها الله للمؤمنين خاصة ، الذين نجوا من النار باجتياز الصراط ، وهذا هو الثابت في الصحيح .

ثم إن ظاهر الحديث الذي مر معنا- الذي فيه أن القناطر داخل جهنم - يعارضه الحديث الصحيح الذي فيه أن الصراط فوق جهنم ، فكيف يمكن الجمع بين الحدبيين ، الذي ينص الصحيح منهما أن الصراط فوق جهنم ، وينص الآخر على أن القناطر في داخل جهنم؟ .

وبالإضافة إلى ذلك فإن القناطر التي ذكرت خاصة بالمؤمنين ، الذين يسألون عن الشهادة والصوم والزكاة . . . إلخ فكيف يكون ذلك وقد تجاوزوا الصراط؟ وكيف يدخلون جهنم ليجوزوا على هذه القناطر ويسائلوا عن هذه الأمور ، التي يقع عليها الحساب في الموقف ولا بد؟ .

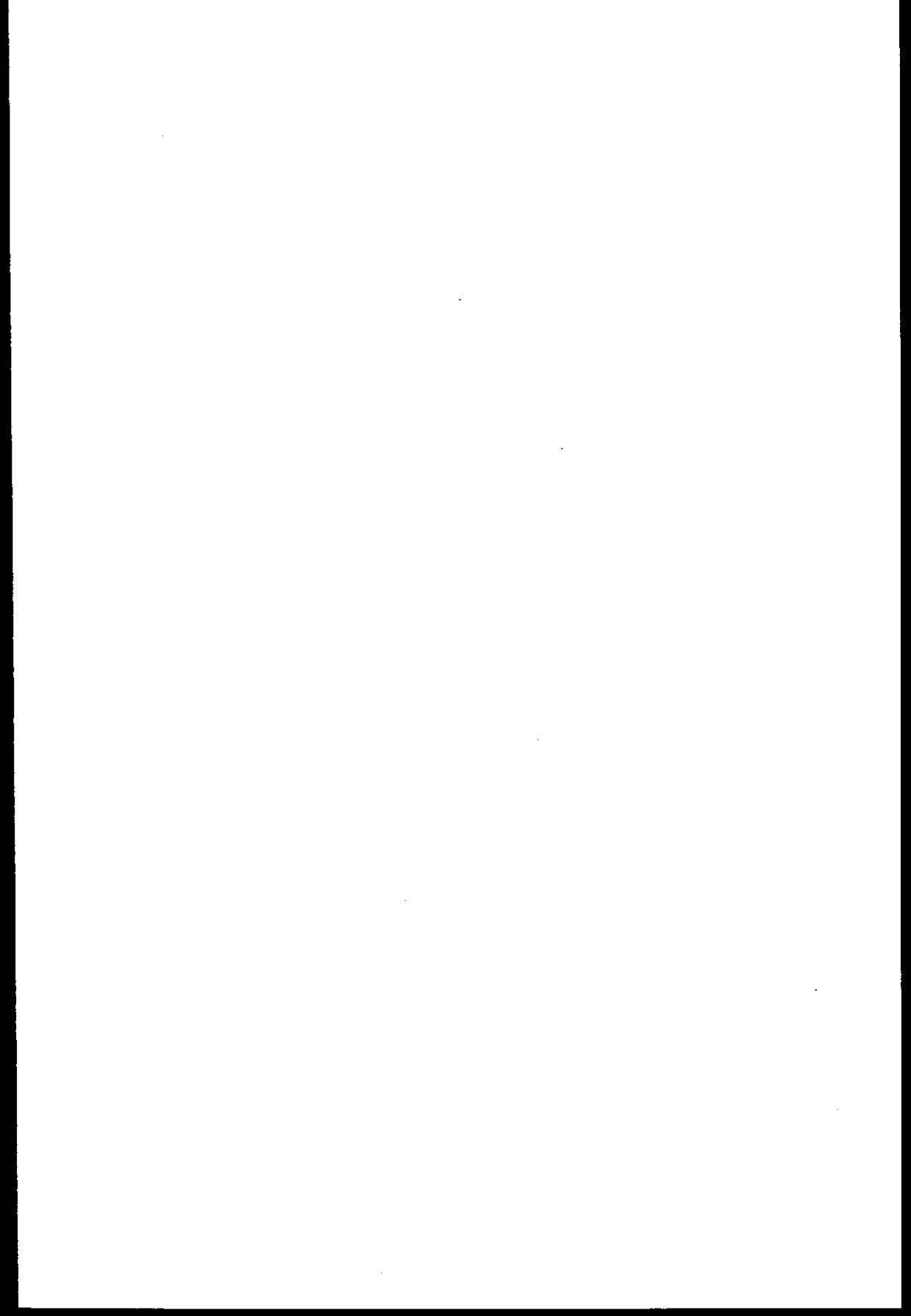
فكل ذلك مما يدل على ضعف هذا الحديث ، ويؤكّد أنه صراط واحد وقنطرة واحدة .. والله أعلم .

وما ينبغي التنبيه إليه : أن ما يذكره بعض العلماء من أن الجنة تكون بعد الصراط مباشرة؛ فيه إيهام وإغفال لذكر القنطرة ، ولا يصدق هذا إلا على الخارجين من النار؛ لأنهم إذا خرجوا منها فإنهم لا يحبسون على القنطرة لعدم الداعي لذلك .

وقد ذكر القرطبي أن الدارقطني أورد حديثاً في هذا ، يفيد أن الجنة بعد الصراط ، ولم يذكر القرطبي الحديث إلا أنه أجاب عنه بجوابين ، فقال :

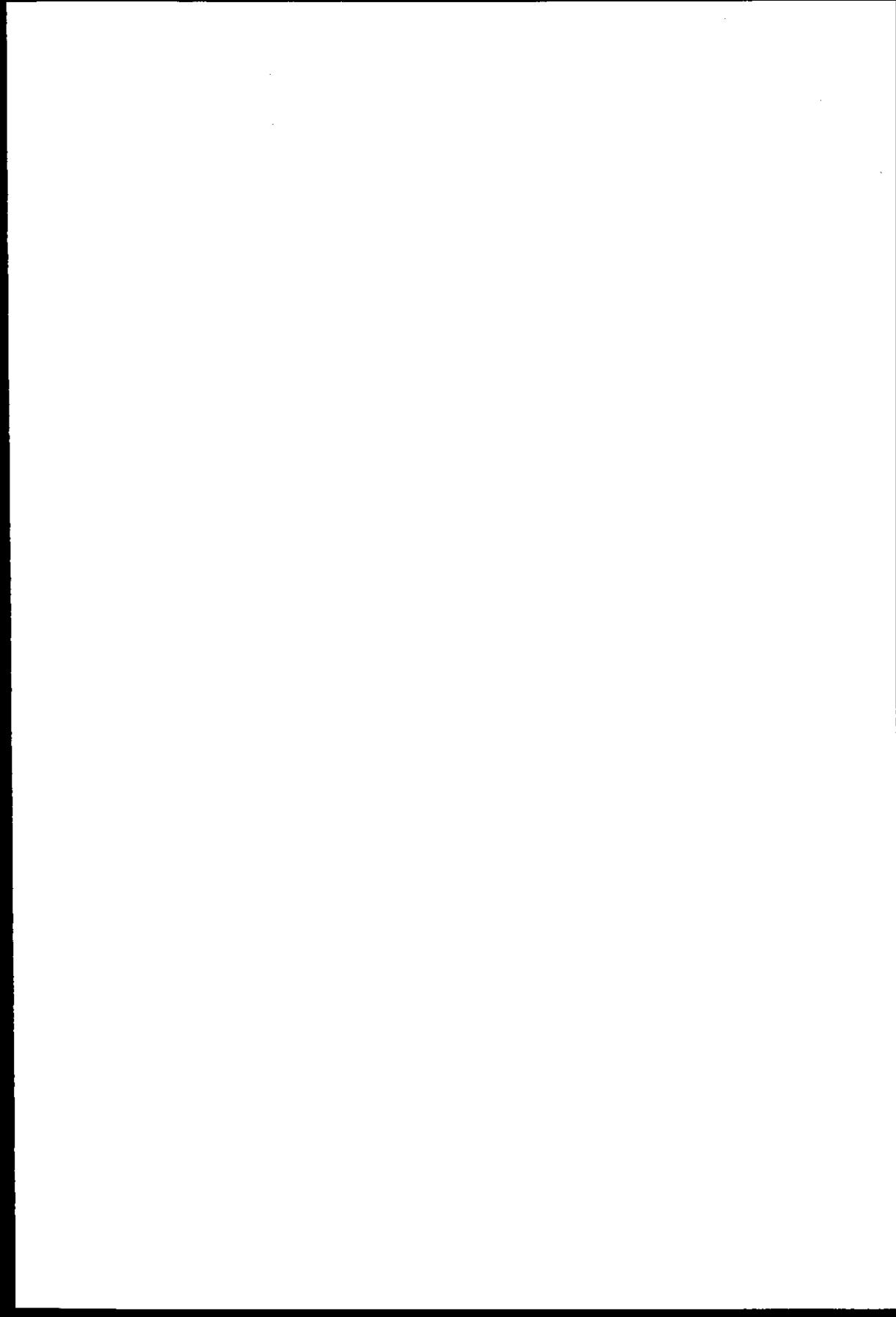
«ولعله أراد بعد القنطرة، بدليل حديث البخاري، أو يكون ذلك في حق من دخل النار وخرج بالشفاعة، فهو لاء لا يحبسون؛ بل إذا خر جوا بشوا على أنهار الجنة»^(١).

* * *



الفصل الرابع

**لماذا أخر الله حساب هؤلاء إلى
القنطرة؟**



الفصل الرابع

لماذا أخْرَ الله حساب هُؤُلَاءِ إِلَى القنطرة؟

وقد يستشكل بعض الناس وقوع القصاص بين أهل الجنة على القنطرة، مع أنهم قد نجوا من حساب الموقف وفازوا، لأن الله تعالى لا يترك في حسابه لعباده في الموقف أي ذنب، فكيف بقيت هذه الذنوب ليحاسبوا عليها في القنطرة؟ وما معنى هذا التناقض؟

أما معنى هذا القصاص فقد سبق أن ذكرنا كلام ابن حجر رحمة الله عن معناه، من أن المراد به «تتبع ما بينهم من المظالم وإسقاط بعضها بعض»^(١).

وقال القرطبي: «هُؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ هُمُ الَّذِينَ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّ الْقَصَاصَ لَا يُسْتَنْدُ حَسَنَاتِهِمْ»^(٢).

ولم يتيسر لي الجواب عن مسألة ترك حساب هؤلاء السعداء إلى أن وصلوا إلى القنطرة، إلا أنه يمكن أن يقال في الجواب عن ذلك أحد وجهين: الأول: أن الله تعالى لا يسأل عما يفعل وهو يسألون، ومadam النص قد ثبت بذلك فليس لأحد أن يعترض على ريه؛ ويسائله لماذا أبقيت حساب هؤلاء إلى هذا المكان؟

(١) فتح الباري ج ٥ ص ٩٦.

(٢) عن فتح الباري ج ١١ ص ٣٩٩.

الثاني: أنه لا يلزم أن يحاسب الله المؤمنين عن كل شيء في مكان واحد، خصوصاً عن مثل هذه التبعات التي لا تؤثر في دخولهم الجنة ونجاتهم من النار، فربما أن الله تعالى أخرها لتكون سعادتهم أكمل، ولتكون بهشامة استعداد تام لدخول الجنة وهم على طهارة تامة من الغل وشوائب النقص الأخرى . . والله أعلم بحقيقة ذلك.

* * *

الباب الثاني عشر الورود

ويشمل الفصول الآتية:

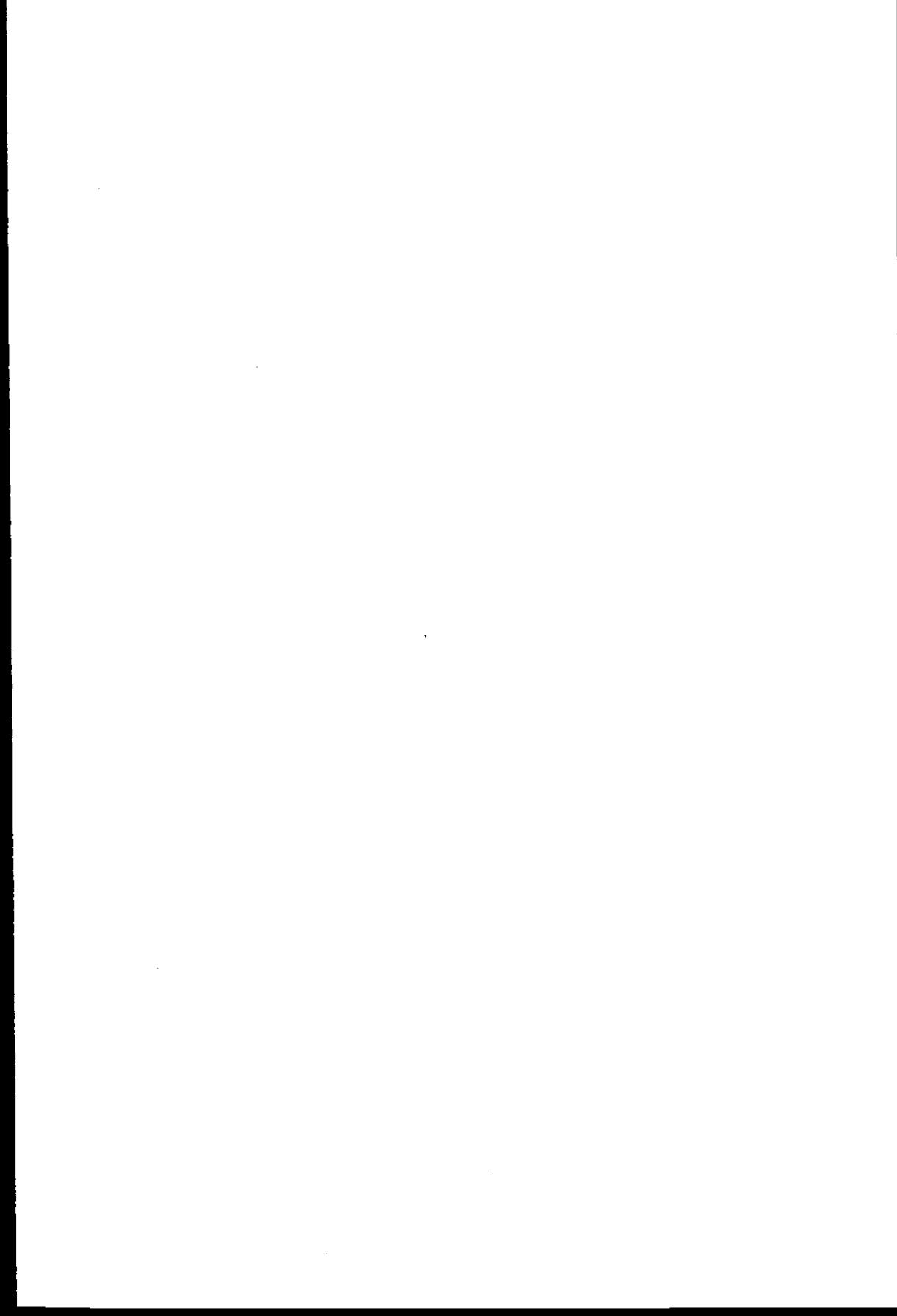
تمهيد

الفصل الأول: أقوال العلماء في معنى الورود،
وذكر أدلة كل قول.

الفصل الثاني: القول الراجح في معنى الورود.

الفصل الثالث: مسألة: هل يستثنى الأنبياء من ورود
النار واجتيازها؟.

الفصل الرابع: مسألة أخرى: ما فائدة دخول أهل
السعادة النار واجتيازها فوقها وقد
كتب الله لهم النجاة؟.



الباب الثاني عشر

الورود

نَهْيٌ:

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارْدَهَا كَانَ عَلَى رِبِّكَ حَتَّمًا مَّقْضِيًّا ۚ ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ آتَقْوَا وَنَذِرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا حِيشًا ۝ ۚ ۷١-٧٢﴾ [مريم: ٧١-٧٢].

وقد جاءت لفظة الورود في القرآن الكريم - مراداً به الدخول في النار - في ستة مواضع ، في قوله تعالى في الآيات الآتية :

١ - ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارْدَهَا ۝ ۚ ۷١﴾ [مريم: ٧١].

٢ - ﴿ يَقْدُمُ قَوْمٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدُهُمُ النَّارُ ۝ ۹٨﴾ [هود: ٩٨].

٣ - ﴿ وَيَسْنَ الْوِرْدُ الْمُوْرُودُ ۝ ۹٨﴾ [هود: ٩٨].

٤ - ﴿ لَوْ كَانَ هُؤُلَاءِ آلَهَةً مَا وَرَدُوهَا ۝ ۹٩﴾ [الأنياء: ٩٩].

٥ - ﴿ وَتَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا ۝ ۸٦﴾ [مريم: ٨٦].

٦ - ﴿ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ۝ ۹٨﴾ [الأنياء: ٩٨].

وكان ابن عباس يستند إلى هذه الآيات في تفسيره للورود بالدخول في النار ، فهل الورود المذكور في هذه الآيات يراد به الدخول في النار؟ أو مجرد المرور من غير إحساس بها؟ .

الواقع أن هذه المسألة هي من المسائل التي وقع فيها الخلاف بين العلماء في زمن الصحابة ومن بعدهم.

أقوال العلماء في معنى الورود وذكر أدلة كل قول:

اختلف العلماء في المراد بهذا الورود إلى أقوال كثيرة، يمكن إيجازها فيما يليه :

- ١ - الورود المذكور في الآية : يراد به الدخول في النار.
- ٢ - يراد به المرور عليها ؛ أي فوق الصراط .
- ٣ - يراد به الدخول ، ولكنه عنى به الكفار دون المؤمنين .
- ٤ - أنه عام لكل مؤمن وكافر ، غير أن ورود المؤمن المرور ، وورود الكافر الدخول .

- ٥ - ورود المؤمن ما يصبه في الدنيا من حمى ومرض .
 - ٦ - أنه يردها الجميع ، ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم .
- وتلك أشهر الأقوال .

وهناك أقوال أخرى ذكرها بعض أهل العلم منها :

- ٧ - القول بالتوقف في معنى الورود .
- ٨ - ومنها القول بأن المراد بالورود هنا هو الإشراف والاطلاع والقرب منها ؛ حيث يكونون وهم في الموقف يشاهدون النار ؛ فینجیهم الله ما شاهدوه .

ونبدأ الآن بذكر عزو تلك الأقوال إلى أهلها ثم الترجيح فيما يأتي :

أما الذين فسروه بالدخول، من السلف: فمنهم ابن عباس، وابن مسعود وعبد الله بن رواحة، وجابر بن عبد الله، وأبو ميسرة، وابن جريج، وخالد ابن معدان.

أما ابن عباس، فقد اشتهر رأيه هذا، في جوابه لนาفع بن الأزرق في مساءلات نافع لابن عباس المشهورة، فقد جاء نافع يسأل ابن عباس عن معنى الآية، فقال ابن عباس: الورود: الدخول، وقال نافع: لا؟ فقرأ ابن عباس: ﴿إِنْكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارْدُونَ﴾ أورود هو أم لا؟ وقال: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدُهُمُ النَّارَ وَبِشْرَ الْوَرَدُ الْمُوْرُودُ﴾ أورود هو أم لا؟ أما أنا وأنت فستدخلها، فانظر هل تخرج منها أم لا؟، وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك، قال: فضحك نافع^(١).

وفي رواية أخرى لعطاء بن أبي رباح قال: «قال أبو راشد الحروري - يعني نافع بن الأزرق - ذكروا هذا؛ فقال الحروري: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيْبَهَا﴾ [الأبياء: ١٠٢] قال ابن عباس: وبذلك، أ Mengon أنت؟ أين قوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدُهُمُ النَّارَ وَبِشْرَ الْوَرَدُ الْمُوْرُودُ﴾، وقوله: ﴿وَتَسْوُقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا﴾، وقوله: ﴿وَإِنْ مَنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، والله إن كان دعاء من مضى: اللهم أخرجنني من النار سالماً وأدخلني الجنة غائباً»^(٢).

والروايات عن ابن عباس في هذا كثيرة وبطرق متعددة؛ يرى أن الورود المذكور في الآية يراد به الدخول لكل أحد؛ مسلماً كان أم كافراً، وهو المشهور عنه^(٣).

(١)، (٢) جامع البيان ج ١٦ ص ١٠٩.

(٣) تفسير الدر المشور ج ٤ ص ٢٨٠ - ٢٨١.

قال الجمل: «وهذا هو تفسير ابن عباس الصحيح عند أهل السنة»^(١). وأما جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ فقد جاء عن أبي سمية أنه قال: اختلفنا هاهنا في الورود؛ فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال بعضنا: يدخلونها جميعاً؛ ينجي الله الذين اتقوا، فلقيت جابر بن عبد الله، فقلت: إنا اختلفنا هاهنا في ذلك، فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال بعضنا: يدخلونها جميعاً، فأهوى بأصبعيه إلى أذنيه وقال: «صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الورود: الدخول»، لا يبقى برولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمنين ببرداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم، حتى إن للنار - أو قال لجهنم - ضجيجاً من بردهم، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين»^(٢).

وأخرج الطبرى بسنده إلى خالد بن معدان قال: «قال أهل الجنة بعدما دخلوا الجنة: ألم يعدنا ربنا الورود على النار؟ قال: قد مررتم عليها وهي خامدة».

وأخرج كذلك عن غنيم بن قيس قال: «ذكروا ورود النار، فقال كعب: تمسك النار للناس كأنها متن إهالة»^(٣) حتى يستوي عليها أقدام الخلائق، برهم وفاجرهم، ثم يناديها مناد: أن أمسكي أصحابك ودعني أصحابي، قال:

(١) الفتوحات الإلهية ج ٣ ص ٨٣.

(٢) الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٤٢٧ - ومجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٦٠، والدر المشور ج ٤ ص ٢٨٠ وقال: رواه أحمد ورواته ثقات، والبيهقي بإسناد حسن، وهو في المسند ج ٣ ص ٣٢٨.

(٣) معنى إهالة: قال ابن الأثير: «كل شيء من الأدھان ما يؤتدم به إهالة، وقيل: ما أذيب من الإلية والشحوم، وقيل الدسم الجامد، ومنه حديث كعب في صفة النار: كأنها متن إهالة: أي ظهرها» النهاية ج ص ٨٤.

فيخسف بكل ولی لها، ولھي أعلم بهم من الرجل بولده، ويخرج المؤمنون ندية أبدانهم، قال: وقال كعب: ما بين منكبي الخازن من خزنتها مسيرة سنة، مع كل واحد منهم عمود له شعبتان، يدفع به الدفعه فصرع به في النار سبعمائة ألف»^(١).

وأخرج عن أبي إسحاق، قال: «كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه قال: يا لیت أمي لم تلدني، ثم يبكي، فقيل: وما يبكيك يا أبو ميسرة؟ قال: أخبرنا أنا واردوها، ولم يخبرنا أنا صادرون عنها»^(٢).

وعن قيس بن أبي حازم قال: «بكى عبد الله بن رواحة في مرضه، فبكت امرأته، فقال: ما يبكيك؟ قالت:رأيتك تبكي فبكيت، قال ابن رواحة: إنني قد علمت أنني وارد النار، فما أدرى: أناج منها أنا أم لا؟»^(٣).

وقال أبو عمرو داود بن الزبرقان: سمعت السدي يذكر عن مرة الهمданی عن أبي مسعود: «إِنَّ مَنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا» قال: «داخلها»^(٤).

وأخرج الحاکم عن ابن مسعود أنه سئل عن قوله: «إِنَّ مَنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا» قال: «إِنَّ مَنْكُمْ إِلَّا داخلها»^(٥) والروايات عن ابن مسعود كثيرة يفسر الورود في النار بالدخول فيها^(٦).

وما يدل على أن الورود، المراد به الدخول: ما جاء عن سهل بن معاذ

(١) ، (٢) جامع البيان ج ١٦ ص ١٠٩.

(٣) المصدر السابق ص ١١٠.

(٤) المصدر السابق ص ١١٠.

(٥) انظر: الدر المثور ج ٤ ص ٢٨١.

(٦) المرجع السابق ص ٢٨١.

عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من حرس وراء المسلمين في سبيل الله متطوعاً، لا يأخذه سلطانه بحرس، لم ير النار بعينه، إلا تحلة القسم، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ مَنْكُمْ إِلَّا وَارْدُهَا﴾»^(١).

وكذا ما جاء عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «من مات له ثلاثة لم تقسمه النار إلا تحلة القسم» يعني الورود^(٢).

هذا ما يتعلق بالرأي الأول وهو تفسير الورود بالدخول في النار، وهل ذلك يشمل الأنبياء والرسل وخاصة المؤمنين أو لا؟ سيأتي جوابه في مسألة خاصة به بعد عرض آراء العلماء في الورود.

٢ - أما الرأي الثاني وهو تفسير الورود بالمرور عليها:

فهو رأي قتادة وغيره من علماء السلف وفي هذا يقول الطبرى: «حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد عن قتادة: ﴿وَإِنْ مَنْكُمْ إِلَّا وَارْدُهَا﴾؛ يعني: «جهنم، مر الناس عليها».. وفي رواية أخرى عن معمر عن قتادة بما سبق»^(٣).

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «لا يدخل النار إن شاء الله. من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها» قالت: بلى يا رسول الله، فأنتهرها، فقالت حفصة: ﴿وَإِنْ مَنْكُمْ إِلَّا وَارْدُهَا﴾، فقال النبي ﷺ: «قد قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ آتَقْوَا وَنُنَذِّرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِئْنَا﴾»^(٤).

(١)، (٢) جامع البيان ج ٦ ص ١١٤.

(٣) جامع البيان ج ٦ ص ١١٠.

(٤) صحيح مسلم ج ٥ ص ٣٦٤، والطبرى في جامع البيان ج ٦ ص ١١٢.

قال النووي عن معنى الحديث «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة . . . إلخ» :

«قال العلماء : معناه لا يدخلها أحد منهم قطعاً . كما صرخ به في الحديث الذي قبله . حاطب . وإنما قال : إن شاء الله؛ للتبرك لا للشك»^(١) .

وحدث حاطب الذي أشار إليه النووي هو ما رواه جابر رضي الله عنه : أن عبداً لحاطب جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطباً ، فقال : يا رسول ، ليدخلن حاطب النار ، فقال رسول الله ﷺ : «كذبت ، لا يدخلها ؛ فإنه شهد بدرًا والعديبية»^(٢) .

«وما قول حفصة : «بلى» ، وانتهار النبي ﷺ لها ؟ فقلت : ﴿وَإِنْ مَنْكُمْ إِلَّا وَأَرْدُهَا﴾ ، فقال النبي ﷺ : وقد قال : ﴿ثُمَّ نَجِيَ الَّذِينَ آتَقْوَا﴾ . فيه دليل للمناظرة والاعتراض والجواب ، على وجه الاسترشاد ؛ وهو مقصود حفصة ؛ لأنها أرادت رد مقالته ﷺ ، والصحيح أن المراد بالورود في الآية المرور على الصراط ؛ وهو جسر منصوب على جهنم»^(٣) .

ويقول ابن أبي العز : «وأختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى : ﴿وَإِنْ مَنْكُمْ إِلَّا وَأَرْدُهَا﴾ ما هو ؟ والأظهر والأقوى : أنه المرور على الصراط ، قال تعالى : ﴿ثُمَّ نَجِيَ الَّذِينَ آتَقْوَا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِئْنَا﴾ .

ثم قال في تعليقه على حديث حفصة المتقدم :

«أشار ﷺ إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها ، وأن النجاة من الشر لا

(١) شرح النووي ج ٥ ص ٣٦٤.

(٢) صحيح مسلم ج ٥ ص ٣٦٥.

(٣) شرح النووي ج ٥ ص ٣٦٦.

تستلزم حصوله؛ بل تستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه عدوه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه، يقال: بجاه الله منهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا﴾ [هود: ٥٨]، ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا﴾ [هود: ٦٦]، ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا﴾ [هود: ٩٥] ولم يكن العذاب أصحابهم ولكن أصحاب غيرهم، ولو لا ما خصهم الله به من أسباب النجاة لأصحابهم ما أصحاب أولئك، وكذلك حال الوارد في النار، يرون فوقها على الصراط، ثم ينجي الله الذي اتقوا ويدر الظالمين فيها جثياً^(١).

اما الرأي الثالث: وهو القول بأن الورود هو الدخول ولكنه عنى الكفار دون المؤمنين، فإن هذا الرأي يعزى إلى ابن عباس أيضاً، وقد ذكر هذا عنه الطبرى، دون تعين اسم الراوي عن ابن عباس؛ بل قال بسنته عن شعبة قال: أخبرنى عبد الله بن السائب عن رجل سمع ابن عباس يقرؤها ﴿وَإِنْ كُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾؛ يعني الكفار، قال: لا يردها مؤمن^(٢). ويعزى كذلك إلى عكرمة أن المراد بالورود هنا ورود الكفار^(٣).

ويذكر ابن كثير عنهما أنهما كانا يقرآن الآية ﴿وَإِنْ مِنْهُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ يعني الكفار^(٤).

قال الحمل: «المناسبة الآيات التي قبل هذه، فإنها في الكفار، وهي قوله: ﴿فَوَرِبِّكَ لَتَحْسُرُنَّهُمْ﴾، ﴿ثُمَّ لَتُحَضِّرُنَّهُمْ﴾، ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾، ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أُولَئِي بِهَا صِلْيَانِ﴾، ﴿وَإِنْ مِنْهُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٦٨ - ٧١] وكذلك قرأ عكرمة وجماعة، لكن الأكثرون على أن

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٠٩.

(٢) جامع البيان ج ٦ ص ١١٠.

(٣) جامع البيان ج ٦ ص ١١٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ١٣٢.

المخاطب العالم كلهم كما تقدم^(١).

أما الرأي الرابع: وهو أن الورود عام لكل مؤمن وكافر، غير أن ورود المؤمن: المرور، وورود الكافر: الدخول؛ فهذا رأي ابن زيد، وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

قال الطبرى: «حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَإِنْ مَنْكُمْ إِلَّا وَارْدَهَا﴾: ورود المسلمين: المرور على الجسر بين ظهريها، وورود المشركين أن يدخلوها، قال: وقال النبي ﷺ: «الزالون والزلات يومئذ كثير، وقد أحاط الجسر سماطان من الملائكة، دعواهم يومئذ: يا الله، سلم سلم»^(٢).

أما الرأي الخامس: وهو أن ورود المؤمن ما يصيبه في الدنيا من حمى ومرض: فإنه يعزى هذا القول إلى مجاهد أنه قال: «الحمى حظ كل مؤمن من النار، ثم قرأ ﴿وَإِنْ مَنْكُمْ إِلَّا وَارْدَهَا﴾»، ويستدل له بما أسنده الطبرى إلى أبي هريرة قال: «خرج رسول الله ﷺ يعود رجلاً من أصحابه وبه وعك، وأنا معه، ثم قال: إن الله يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن لتكون حظه من النار في الآخرة»^(٣).

أما الرأي السادس: وهو أن معنى الورود: هو أن يردها الجميع، ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم؛ فهذا القول يعزى أيضاً إلى عبد الله بن

(١) الفتوحات الإلهية ج ٢ ص ٧٤.

(٢) جامع البيان ج ٦ ص ١١١.

(٣) جامع البيان ج ٦ ص ١١١. وقال ابن كثير عن حديث أبي هريرة إنه «غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه»، التفسير ج ٣ ص ١٣٣.

مسعود^(١) ، وقد سبق أن أشرنا إلى أنه يفسر الورود بالدخول.

ومن الأدلة لهذا القول : ما أخرجه الترمذى والإمام أحمد، عن عبد الله ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : «يرد الناس النار، ثم يصدرون منها بأعمالهم، فاؤلهم كلمع البرق، ثم كالرياح، ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب في رجله^(٢) ، ثم كشد الرجل، ثم كمشيه».

قال الترمذى بعد أن أخرجه : «هذا حديث حسن»^(٣).

وهو مرفوع من رواية السدى عن مرة الهمданى عن عبد الله بن مسعود، ورواه شعبة عن السدى فلم يرفعه ، وقال عبد الرحمن بن مهدي - أحد رواة الحديث : «قلت لشعبة : إن إسرائيل حدثني عن السدى عن مرة عن عبد الله عن النبي ﷺ ، قال شعبة : وقد سمعته من السدى مرفوعاً ولكنني عمداً أدعه»^(٤).

والحاصل أن الحديث مرفوع

أما بالنسبة للقول السابع؛ وهو القول بالتوقف :

فهو ما ذكره الشوكانى بعد أن نسبه إلى كثير من العلماء ، وذلك في قوله : «وقد توقف كثير من العلماء عن تحقيق هذا الورود، وحمله على ظاهره؛ لقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقُتْ لَهُمْ مِنْتَ الْحُسْنَى أُوْكِنَ عَنْهَا مُبَعِّدُون﴾ [الأنباء : ١٠١] ، قالوا : فلا يدخل النار من ضمن الله أن يبعده

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١٣٢.

(٢) أي كعدوه وجريه.

(٣) أخرجه الترمذى ج ٥ ص ٣١٧.

(٤) سنن الترمذى ج ٥ ص ٣١٧ والمستند ج ١ ص ٤٣٣.

عنها^(١).

فسبب توقفهم عن تحقيق القول في الورود: أن الله أخبر أن من سبقت لهم الحسنة لا يردون النار، وأخبر في سورة مريم أنه ما من أحد إلا وسيرد النار؛ فصاروا إلى التوقف.

لكن الآية - ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقُتْ لَهُمْ مِنَ الْحُسْنَىٰ . . .﴾ إلى آخرها. تقوي قول من ذهب إلى أن الورود يراد به المرور العادي وعدم الدخول؛ وهو ما يذهب إليه بعض العلماء.

وفي هذا يقول الشوكاني: «وما يدل على أن الورود لا يستلزم الدخول: قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدِينَ﴾ [القصص: ٢٣]، فإن المراد أشرف عليه لا أنه دخل فيه، وقول زهير:

فلما وردن الماء زرقاً جمامه وضعن عصى الحاضر المتخيماً^(٢)
 أما القول الثامن - وهو ما ذكره العلامة الجمل عن بعض الفرق بقوله «وقالت فرقة: الورود هو الإشراف والاطلاع والقرب، وذلك أنهم يحضرون موضع الحساب وهو قرب جهنم؛ فيرونها وينظرون إليها في حالة الحساب، ثم ينجي الله الذين اتقوا مما نظروا إليه، ويصار بهم إلى الجنة، ويذر الطالبين؛ أي يأمر بهم إلى النار»^(٣). فهو قول بعيد عن معنى الآية والمراد بها.

(١) فتح القيدير ج ٣ ص ٣٣٤.

(٢) فتح القيدير ج ٣ ص ٣٤٤.

(٣) الفتوحات الإلهية ج ٣ ص ٧٤.

القول الراجح في معنى الورود:

بعد عرض ما سبق؛ اتضح أن معنى الورود الذي ذكره الله يحتمل معانٍ كثيرة، ولهذا فقد اختلفت كلمة العلماء في تعريفه، والمراد منه، إلى الأقوال التي ذكرناها، والواقع أن تلك الأقوال منها ما هو قريب، ومنها ما هو بعيد، إلا أنه يمكن أن يقال:

إن القول السادس منها - وهو أنه يردها الجميع، ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم - هو الراجح؛ لتصريح الآية به ﴿إِنَّ مَنْ كُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، ﴿ثُمَّ نُعَجِّي الَّذِينَ أَتَوْا وَنَذِرُ الطَّالِبِينَ فِيهَا جِئِيًّا﴾؛ بالإضافة إلى ما ثبت عن رسول الله ﷺ في وصف الصراط ومرور الناس عليه بحسب أعمالهم.

ولهذا يقول الطبرى في ترجيحه:

«وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون؛ فينجيهم الله، وبهوي فيها الكفار، وورودهموها هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من مرورهم على الصراط المنصب على متن جهنم، فناج مسلم ومكذس فيها»^(١).

وقال الشوكاني: «ولا يخفى أن القول بأن الورود: هو المرور على الصراط أو الورود على جهنم وهي خامدة فيه؛ جمع بين الأدلة من الكتاب والسنة؛ فينبغي حمل هذه الآية على ذلك؛ لأنه قد حصل الجمع بحمل الورود على دخول النار؛ مع كون الداخل من المؤمنين مبعداً من عذابها، أو بحمله على المصي فوق الجسر المنصب عليها؛ وهو الصراط»^(٢).

(١) جامع البيان ج ٦ ص ١١٢.

(٢) فتح القدير ج ٣ ص ٣٤٤.

وقد رجح ابن أبي العز أيضًا القول بأن الورود يراد به المرور على الصراط كما سبق^(١).

مسالة:

ذكرنا فيما مضى أن من معانى الورود: هو أن الكل يدخل النار، كما هو رأى ابن عباس وغيره من السلف، وإذا كان الأمر هكذا فهل الأنبياء يشملهم هذا الورود أو لا؟

والجواب: أن ظاهر الآية يدل على أنهم كغيرهم من الأمم، في المضي على الصراط واجتيازه، وأن الخطاب يشمل الجميع.

وذهب صاحب الفتوحات الإلهية إلى القول باستثناء الأنبياء، ولم يذكر دليلاً على استثنائهم، غير ما ذكر من أن ذلك لا يقال في حقهم؛ تأدباً لجنابهم، وإن كان ظاهر الآية - كما يذكر في قول - يفيد مرور جميع الخلق على الصراط دون استثناء أحد حتى الأنبياء^(٢).

ثم قال «فإن قيل: فهل يدخل الأنبياء النار؟ قلنا: لا نطلق هذا في حق الأنبياء أدباً معهم، ولكن نقول: إن الخلق جمِيعاً يردونها، كما دل عليه حديث جابر وغيره، فالعصاة يدخلونها بجرائمهم، والأولياء والسعداء يدخلونها بشفاعتهم، فيُنَجَّى الداخلين بون»^(٣).

ويشهد لمرور الأنبياء على الصراط، ما تقدم ذكره في الأدلة على ثبوت الصراط، من قول الرسول ﷺ: «فَأَكُونُ أَوْلُ مَنْ يَجِيزُ، فَأَكُونُ أَنَا وَأَمْتَي أَوْلَى

(١) شرح الطحاوية ص ٤٠٩.

(٢) الفتوحات الإلهية ج ٣ ص ٧٣.

(٣) المصدر السابق ص ٧٤.

من يجيزها، ولا يعارض هذا ما جاء من أنه يقف على جانب الصراط، ويدعو لأمته : « رب سلم سلم »، فقد يقع هذا بعد أن يجتاز الصراط.

وإذا كان من أتباعه عليه السلام ، وأتباع غيره من الأنبياء عليهم السلام، من يجتاز مثل الطرف؟ فكيف بجتاز الرسل عليهم السلام .

مسألة:

ويتحقق بالسؤال السابق سؤال آخر وهو: إذا كان الله قد كتب النجاة لأولئك وأنهم لا يدخلون النار ولا يعذبون بها، فما فائدة دخولهم النار^(١)؟

والجواب: أنه وإن كان بعض العلماء يذكر حكمة في هذا، فإن أول ما يقال: إن الله تعالى له الحكم والأمر؛ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، ولاشك أن الله تعالى حكماً عظيمة في خلقه وأفعاله، نؤمن بهذا؛ سواء أظهرت لنا الحكمة أم لم تظهر، نؤمن بما جاء به الشرع، ونعتقد أن فيه حكماً عظيمة وأسراراً جليلة.

ومن ذلك: مرور المؤمنين على الصراط وهم من كسبت لهم السعادة، فلا يقال: ما الفائدة؟؛ على وجه الاعتراض، ولكن نؤمن بهذا، ولا مانع أن يكون الله قد ألهم بعض خلقه القول الصواب في ذلك.

أما ما ذكره أهل العلم في الحكمة فهو:

١ - أن ذلك مما يزيدهم سروراً إذا علموا الخلاص منه.

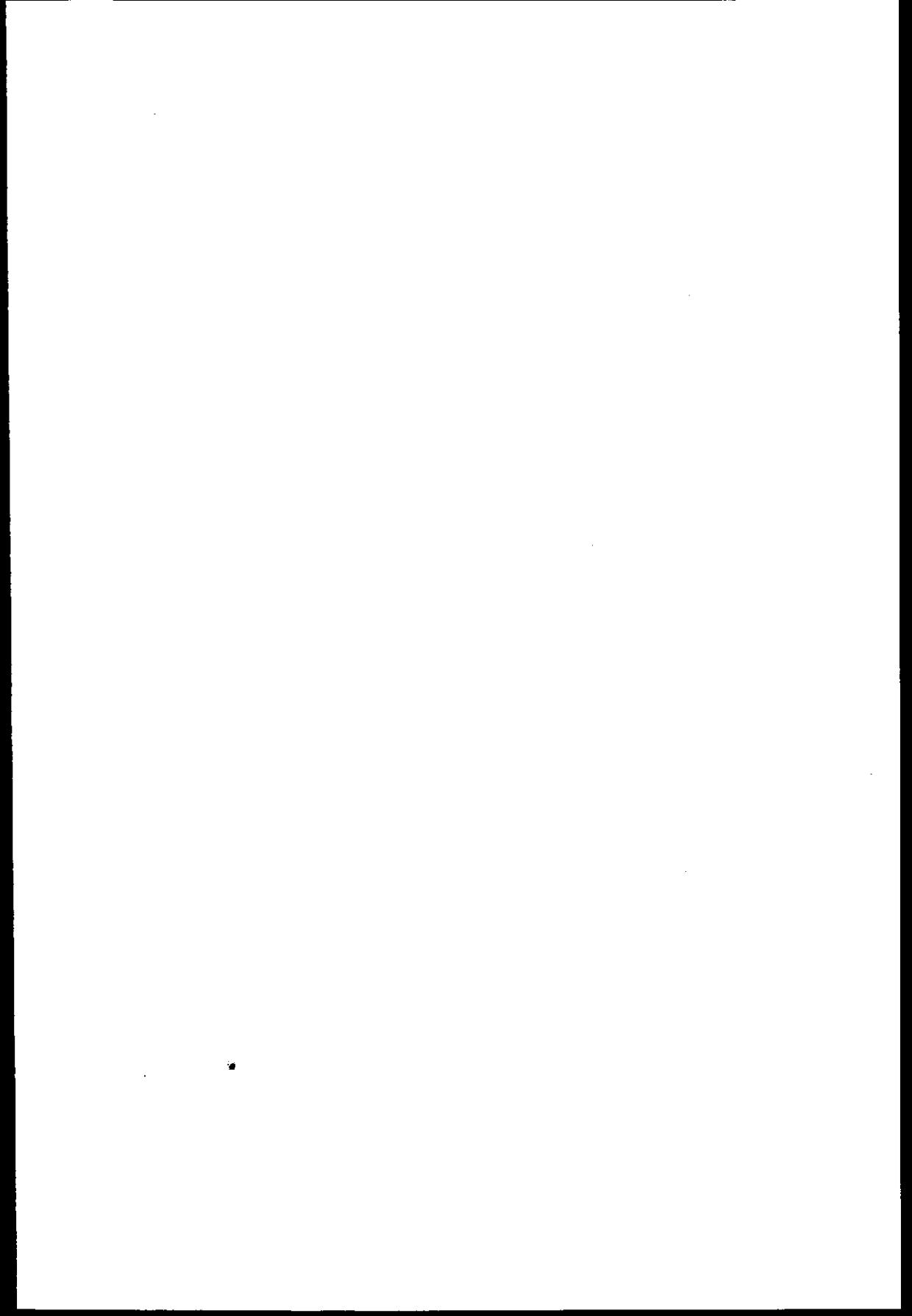
(١) الفتوحات الإلهية ج ٣ ص ٧٤.

٢ - أن فيه مزيد هم على أهل النار؛ حيث يرون المؤمنين يتخلصون منها
وهم باقون فيها.

٣ - أنهم إذا شاهدوا ذلك العذاب على الكفار؛ صار ذلك سبباً لزיד
التذاهم بنعيم الجنة^(١). والله أعلم.

* * *

(١) المصدر السابق.

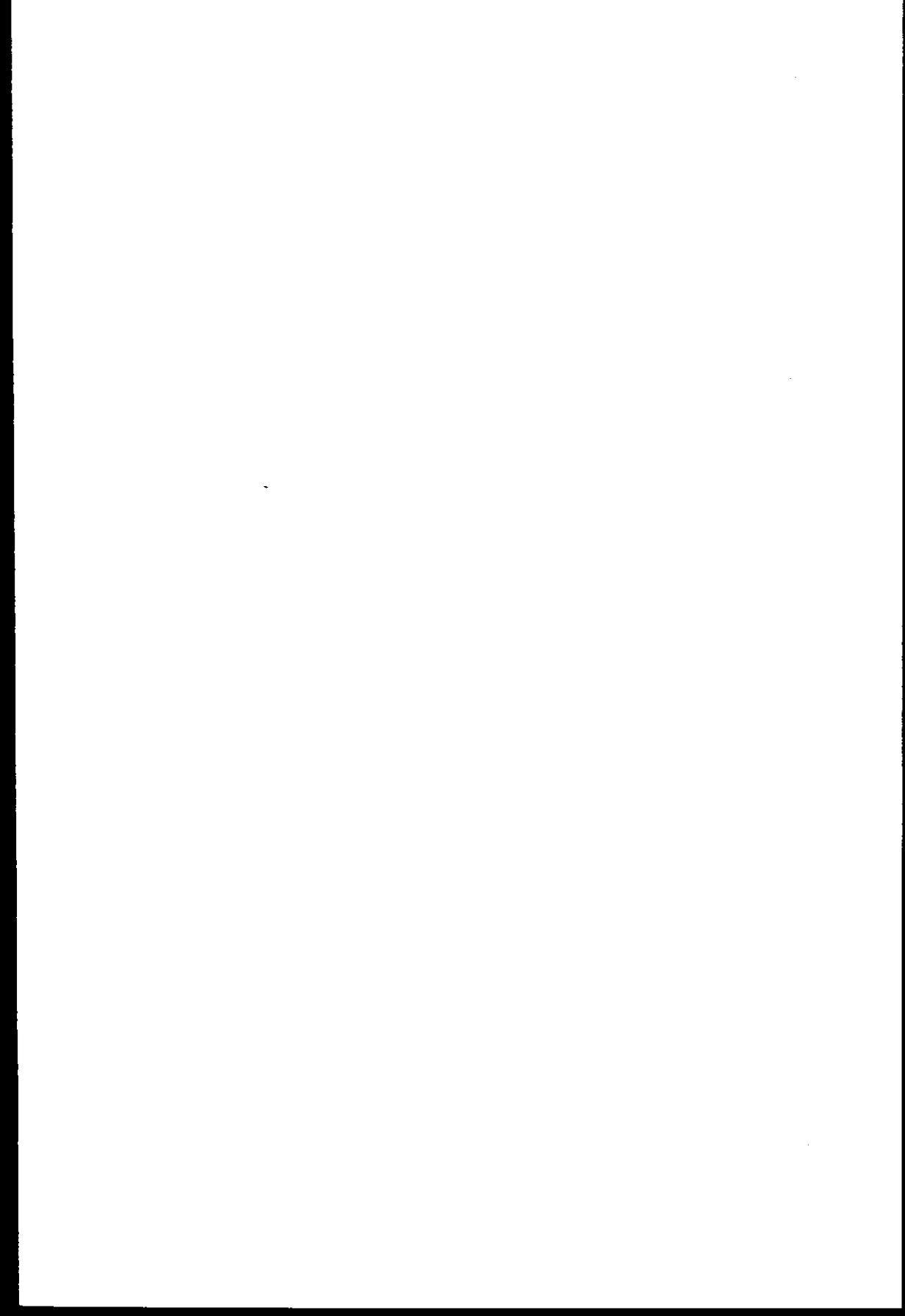


الباب الثالث عشر

أصحاب الأعراف

ويشتمل على الفصول الآتية:

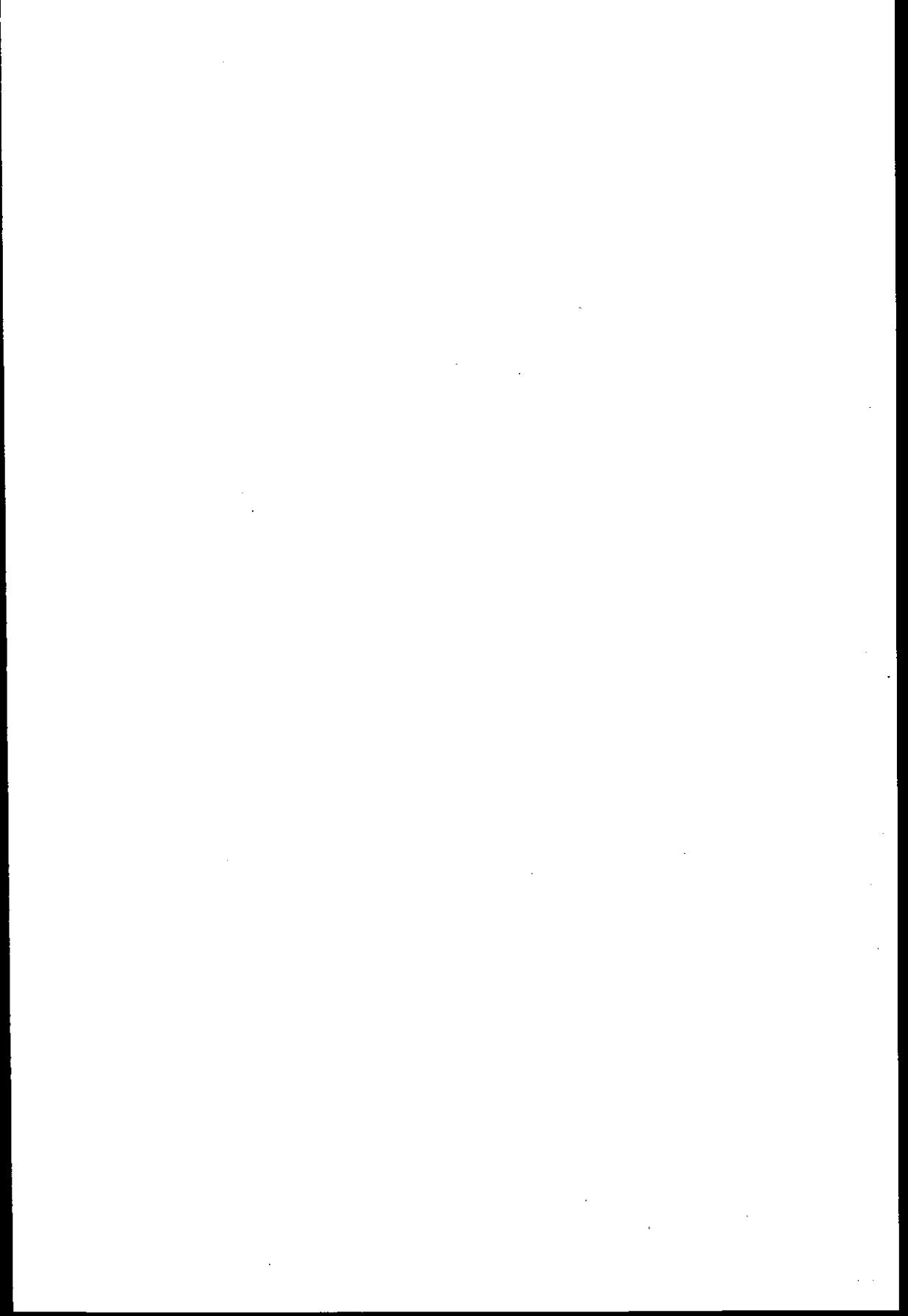
- | | |
|---------------|--|
| الفصل الأول: | ما ورد في القرآن الكريم بشأن
أصحاب الأعراف. |
| الفصل الثاني: | ما هو المراد بالأعراف لغة،
وأصطلاحاً؟ |
| الفصل الثالث: | الخلاف في تعريف أصحاب الأعراف. |
| الفصل الرابع: | ما هو الراجح في أهل الأعراف؟ |
| الفصل الخامس: | سور الأعراف الحاجز بين الجنة والنار،
يكون دائماً أم فترة من الفترات؟. |



الفصل الأول

ما ورد في القرآن الكريم

بشأن أصحاب الأعراف



الفصل الأول

ما ورد في القرآن الكريم بشأن أصحاب الأعراف

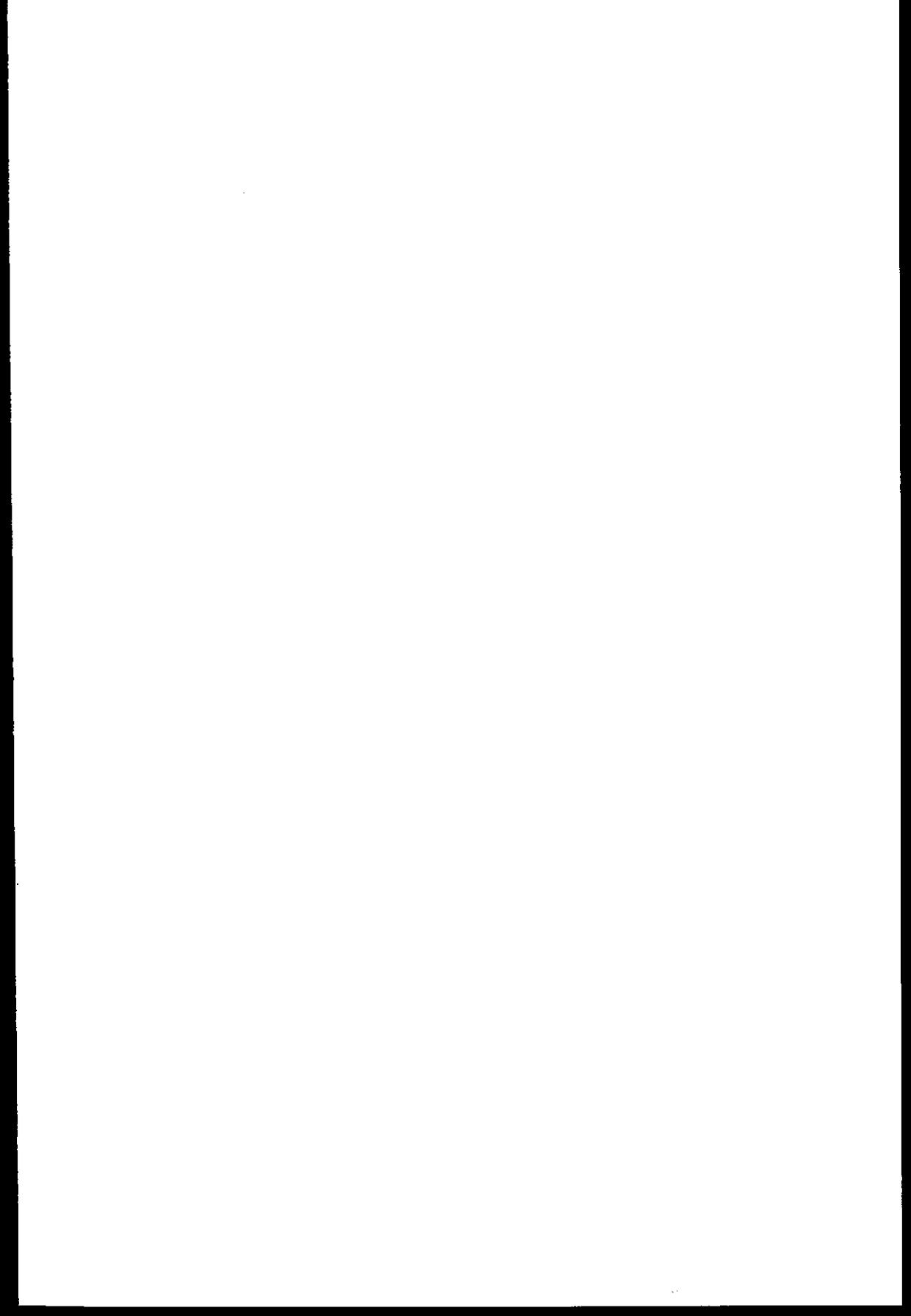
يقول الله تعالى: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرَفُونَ كُلًاً بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَئِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٦].

ويقول تعالى: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرَفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [٤٨] أَهْرَاءُ الَّذِينَ أَفْسَمْتُ لَا يَنْلَهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خُوفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ [٤٩، ٤٨]

وقال تعالى: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بَسُورٌ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِي هِ الرَّحْمَةِ وَظَاهِرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ ﴾ ^(١) [الحديد: ١٣].

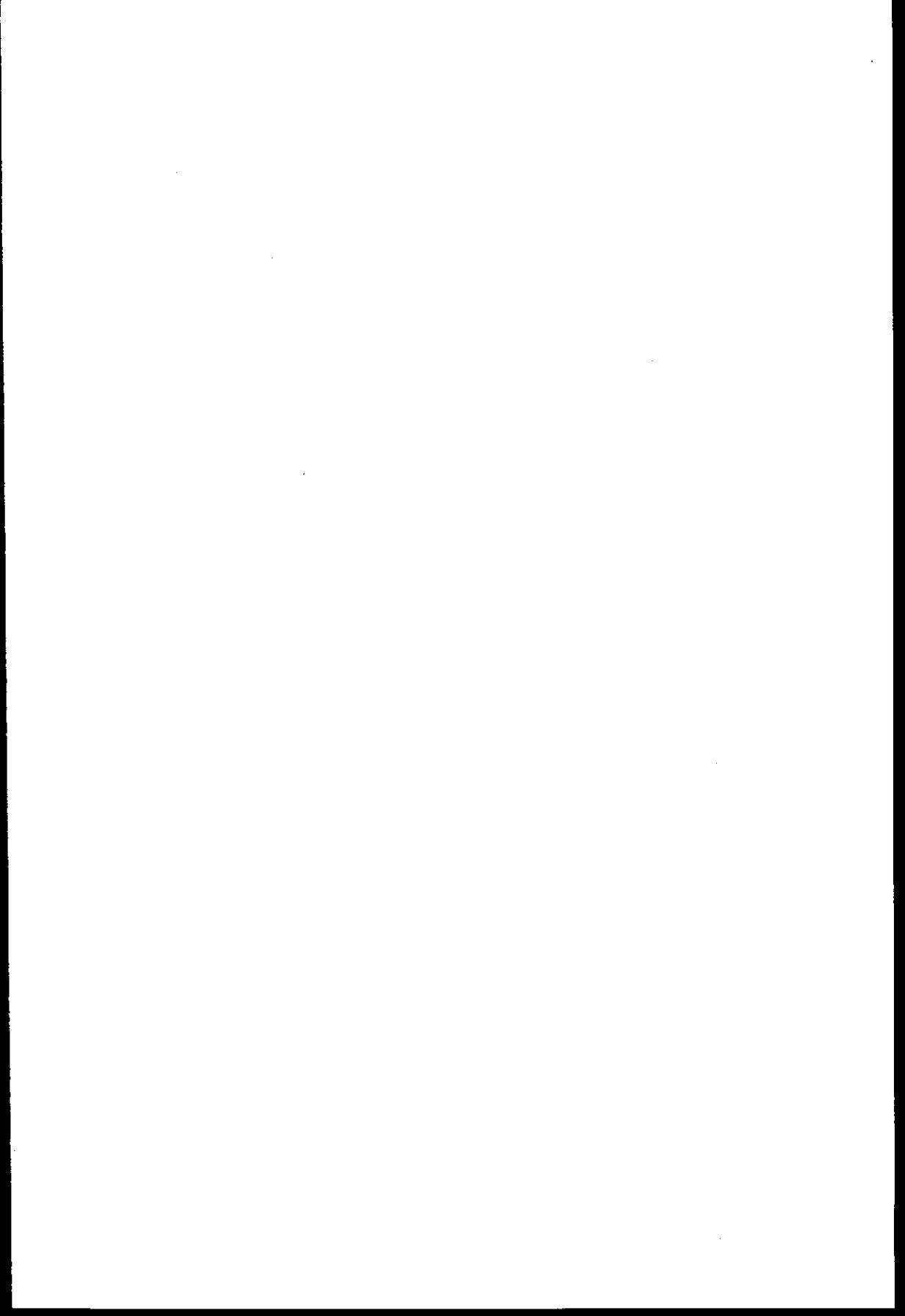
* * *

(١) هذا بناء على أن السور هو الأعراف، انظر: جامع البيان / ٨، ١٨٨، وهو رأي بعض السلف؛ ومنهم ابن عباس ومجاهد والضحاك وأبي جعفر. ولا يرد على هذا أن سور لا حاجة إليه بعد ما بين الجنة والنار، إذ لا مانع من ذلك لإرادة الله تعالى له. انظر: التفسير الكبير ٨٧ / ١٤.



الفصل الثاني

ما هو المراد بالعِرَاف لغة
وأصطلاحاً؟



الفصل الثاني

ما هو المراد بالأعراف لغة واصطلاحاً؟

معنى الأعراف لغة:

الأعراف - حسب ما يظهر من أقوال العلماء - هو حاجز مرتفع بين أهل الجنة وأهل النار، وهو في اللغة كما قال الأزهري رحمه الله: «جمع عرف؛ وهو كل عال مرتفع»^(١).

وقال الطبرى: «الأعراف جمع واحدها عرف، وكل مرتفع من الأرض عند العرب فهو عرف، وإنما قيل لعرف الديك عرف؛ لارتفاعه على ما سواه من جسده»^(٢).

وقال الشوكانى: «الأعراف جمع، عرف، وهي شرفات السور المضروب بينهم، ومنه عرف الفرس، وعرف؛ الديك، والأعراف في اللغة: المكان المرتفع»^(٣).

وفي تعليل تسمية المكان المرتفع عرفاً يقول الرازى: «وذلك لأنه بسبب ارتفاعه يصير أعرف مما انخفض منه»^(٤).

(١) تهذيب اللغة / ٢ / ٣٤٦.

(٢) جامع البيان / ٨ / ١٨٨.

(٣) فتح القدير / ٢ / ١٩٨.

(٤) التفسير الكبير / ١٤ / ٨٧.

معنى الأعراف اصطلاحاً:

وقد اختلف العلماء في معنى الأعراف إلى أقوال كثيرة، وحاصلها ما يأتي :

- ١ - الأعراف : هو مكان مرتفع يشرف على أهل الجنة والنار.
- ٢ - الأعراف : هو السور الذي ذكره الله فاصلاً بين الجنة والنار^(١).
- ٣ - هو جبل بين الجنة والنار، أو تل مرتفع، ويروى عن ابن عباس أنه تل بين الجنة والنار حبس عليه ناس من أهل الذنوب، وقال سعيد بن جبير: «الأعراف جبال بين الجنة والنار، فهم على أعرافها، يقول على ذراها»^(٢).
- ٤ - الأعراف : هو الصراط، قال ابن جريج: «زعموا أنه الصراط».
- ٥ - هو حجاب بين فريقين أهل الجنة وأهل النار، وهو قول مجاهد.
- ٦ - وقال القرطبي: «وقيل إنه سور بين الجنة والنار، قيل: هو جبل أحد يوضع هناك»^(٣).

ومن الذين ذهبوا إلى أن الأعراف هو السور المذكور في سورة الحديد، في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَّمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بَسْرُ رَبِّ الْبَابِ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣].

ومن الذين ذهبوا إلى ذلك: السدي، حيث قال: «هو السور، وهو

(١) انظر: المفردات للراغب ص: ٣٣٢.

(٢) فتح القدير ٢٠٩/٢.

(٣) التذكرة ص: ٣٢١.

الأعراف»، قال: « وإنما سمي الأعراف لأن أصحابه يعرفون الناس».

وقال حذيفة: «الأعراف سور بين الجنة والنار»، وعن ابن عباس - في رواية عنه - قال: «الأعراف هو السور الذي ذكره الله في القرآن، بين أهل الجنة وأهل النار»^(١).

وقد روى البيهقي في الأسماء والصفات عن مقاتل في قوله: ﴿فَصَرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ﴾، قال: يعني بالسور حائطاً بين أهل الجنة وأهل النار، له باب؛ باطنه - يعني باطن السور - فيه الرحمة مما يلي الجنة، وظاهره من قبله العذاب، - يعني جهنم، وهو الحجاب الذي ضرب بين أهل الجنة وأهل النار»^(٢).

وهناك أقوال أخرى ذكرها بعض العلماء، غير إنها لا تخرج في مفهومها عمما سبق.

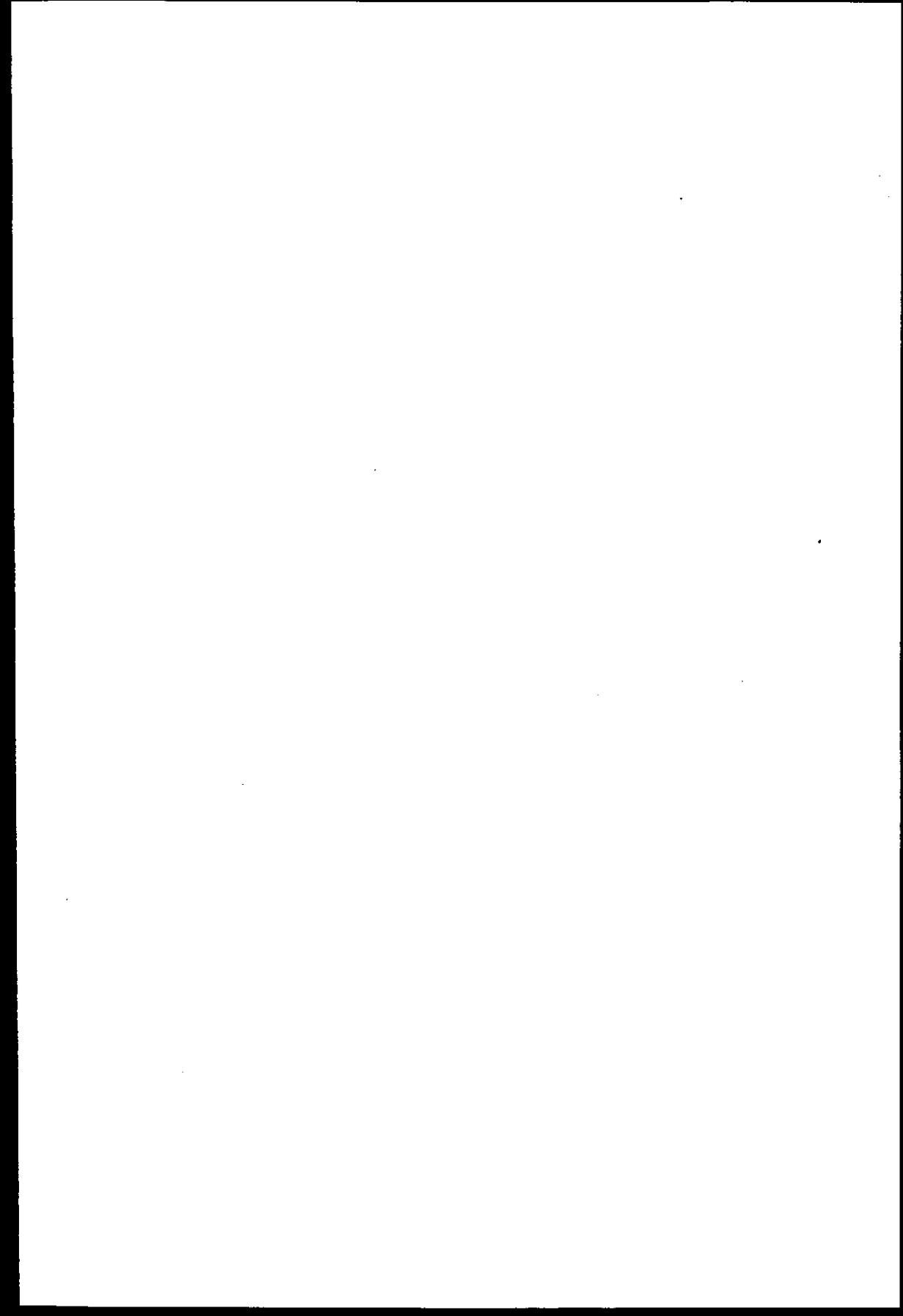
وعلى أي احتمال كان؛ فإن جميع الأقوال في الأعراف - وهو: إما حجاب أو سور أو تل مشرف، أو جبال بين الجنة والنار أو أي حاجز آخر - كلها تهدف إلى إثبات أن حاجزاً مرتفعاً يجعله الله في يوم القيمة بين الجنة والنار، يشرف منه أصحاب الأعراف على فريقي الجنة والنار، يعرفون كلاماً بسيماهم، وأن أصحابه لم يتقرر مصيرهم بعد، ولكن مآلهم إلى الجنة^(٣) كما سيأتي بيان ذلك فيما يلي.

* * *

(١) تفسير النار / ٨٤٣.

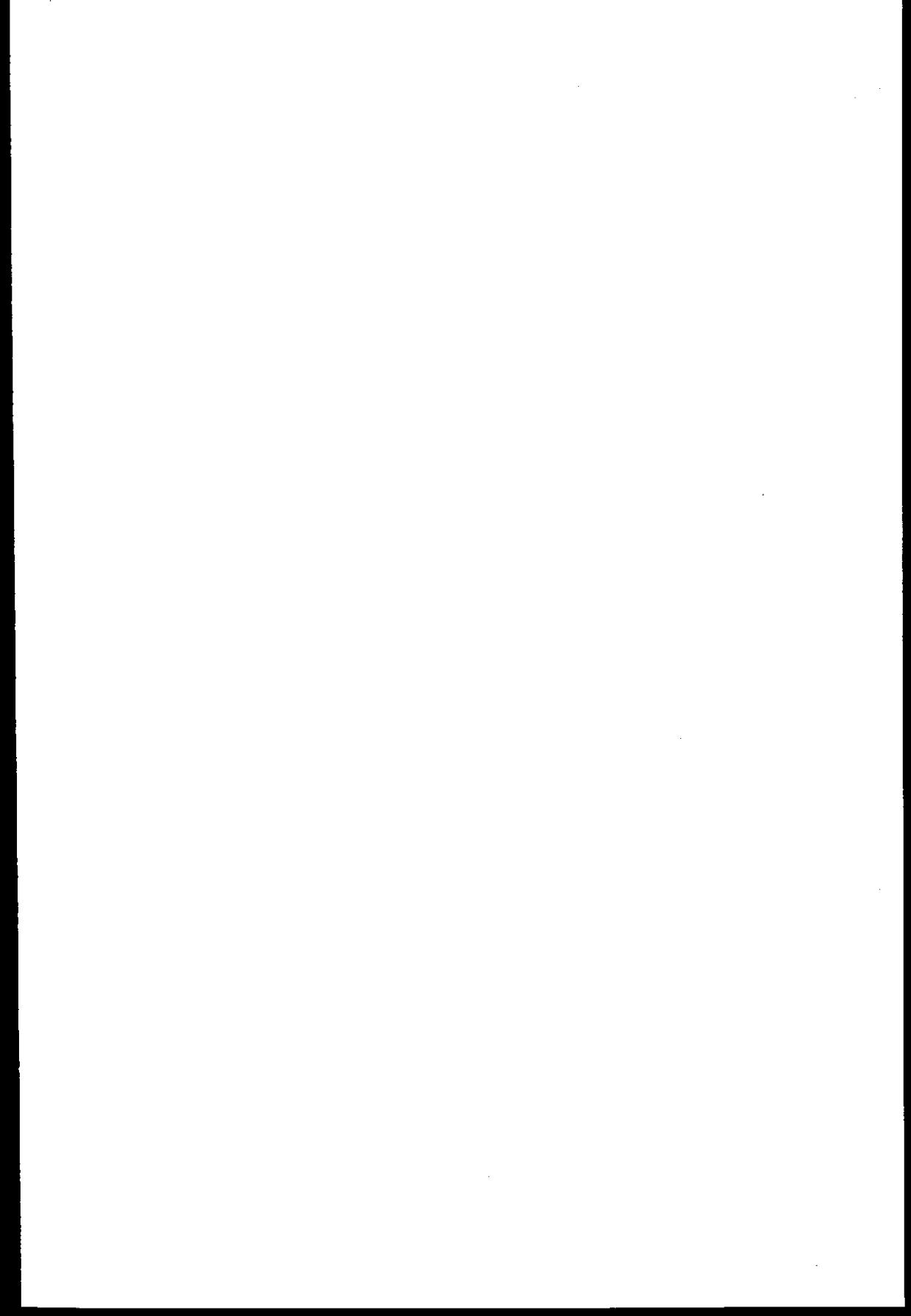
(٢) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ص: ٦١٦.

(٣) فتح القدير / ٢٠٩.



الفصل الثالث

الخلاف في تعيين أصحاب الأعراف



الفصل الثالث

الخلاف في تعيين أصحاب الأعراف

اختلف العلماء في تعيين أصحاب الأعراف، وفي السبب الذي صاروا به موقوفين على الأعراف، كما أخبر الله عنهم؛ اختلف العلماء في ذلك إلى آراء مختلفة وأقوال متباعدة، وفيما يلي: نذكر ما قيل في تعيينهم ثم الترجيح: فمما قيل في تعيينهم:

١- أنهم مساكين أهل الجنة، وينسب هذا القول إلى ابن مسعود وكعب الأحبار وابن عباس^(١).

وأخرج الطبرى عن ابن عباس أنه قال: «الأعراف سور بين الجنة والنار، وأصحاب الأعراف بذلك المكان، حتى إذا بدا الله. هكذا بالأصل. أن يعافيهم؛ انطلق بهم إلى نهر يقال له: الحياة، حافته قصب الذهب، مكلل باللؤلؤ، ترابه المسك؛ فألقوا فيه، حتى تصلح ألوانهم ويدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها، حتى إذا صلحت ألوانهم، أتى بهم الرحمن، فقال: قنوا ما شئتم، قال: فيتمون، حتى إذا انقطعت أمنيتهم قال لهم: لكم الذي تمنيتم ومثله سبعين مرة، فيدخلون الجنة وفي نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها، يسمون مساكين الجنة»^(٢).

(١) التذكرة ص: ٣٨٦. ويرد على هذا أن الجنة ليس فيها مساكين، وليس هناك دليل على ثبوت هذا القول، ولعل الفقصد أنهم أقل درجات أهل الجنة.

(٢) جامع البيان ج ٨ ص ١٩١.

وهو رأي عبد الله بن الحارث - أيضاً - كما أخرج الطبرى عن مجاهد عن عبد الله بن الحارث قال: أصحاب الأعراف ينتهي بهم إلى نهر يقال له: الحياة، حافتاه قصب من ذهب، قال سفيان: أراه قال: مكمل باللؤلؤ، قال: فيغتسلون منه اغتسالة، فتبعدون في نحورهم شامة بيضاء، ثم يعودون فيغتسلون فيزدادون، فكلما اغتسلوا ازدادت بياضاً، فيقال لهم: تمنوا ما شتم، فيتمنون ما شاءوا، فيقال لهم: لكم ما تمنيتم وسبعون ضعفاً، قال: فهم مساكين أهل الجنة^(١).

٢- أنهم قوم صالحون، فقهاء، علماء، وينسب هذا القول إلى مجاهد^(٢)؛ وهذه صفة مدح لهم، غير أنه جاء في التفسير المنسوب إلى ابن عباس أن هؤلاء كانوا شاكين في الرزق^(٣)؛ وهذه صفة ذم، وقد وصف ابن كثير هذا القول بأن فيه غرابة^(٤).

٣- أنهم الشهداء، ذكره المهدوى^(٥)، وعزاه الشوكاني إلى القشيري وشرحبيل بن سعد^(٦).

٤- هم فضلاء المؤمنين والشهداء، فرغوا من شغل أنفسهم وتفرغوا لمطالعة أحوال الناس، ذكره أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري^(٧)،

(١) جامع البيان /٨ - ١٩١ - ١٩٢.

(٢) التذكرة ص: ٣٨٦.

(٣) تنوير المقباس /٢ - ١٧ مع الدر المثور.

(٤) تفسير القرآن العظيم /٢ - ٢١٧.

(٥) التذكرة ص: ٣٨٦.

(٦) فتح القدير /٢ - ١٩٨.

(٧) التذكرة ص: ٣٨٦.

وعزاه الشوكاني إلى مجاهد^(١).

٥ - هم المستشهدون في سبيل الله الذين خرجوه عصاة لأبائهم، ويعزى
هذا القول إلى شرحيل بن سعد أيضاً^(٢).

وأخرج الطبرى حديثين في هذا:

الأول منها قال فيه: حدثى الثنى، وساق السنداً إلى يحيى بن شبل،
أن رجلاً من بني النضير أخبره عن رجل من بني هلال، أن آباءه أخبره، أنه
سأل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف، فقال: «هم قوم غزوا في سبيل الله
عصاة لأبائهم، فقتلوا فاعتقهم الله من النار بقتلهم في سبيله، وحبسو عن الجنة
بمعصية آبائهم، فهم آخر من يدخل الجنة»^(٣).

وأما الحديث الثانى، فقد أخرجه عن يحيى بن شبل، مولى بن هاشم،
عن محمد بن عبد الرحمن، عن أبيه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب
الأعراف فقال: «قوم قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم، فمنعهم قتلهم في
سبيل الله عن النار، ومنعتهم معصية آبائهم أن يدخلوا الجنة»^(٤)، وهذا الحديث قد
ضعفه بعض العلماء^(٥).

ويروى عن أبي سعيد أنه قال: سئل النبي ﷺ عن أصحاب الأعراف
قال: «هم رجال قتلوا في سبيل الله وهم عصاة لأبائهم، فمنعتهم الشهادة أن يدخلوا

(١) فتح القدير/٢/١٩٨.

(٢) التذكرة ص: ٣٨٦.

(٣) جامع البيان/٨/١٩٢.

(٤) المصدر السابق.

(٥) انظر: تفسير النار/٨/٤٣١.

النار، ومنعهم المعصية أن يدخلوا الجنة، وهم على سور بين الجنة والنار، حتى تذبل لحومهم وشحومهم، حتى يفرغ الله من حساب الخلائق، فإذا فرغ من حساب خلقه فلم يبق غيرهم، تغتصبهم منه برحمته فادخلهم الجنة برحمته^(١).

وقد ذكر الرازي، أن القول الذي يجعل الأعراف، عبارة عن الرجال الذين يعرفون أهل الجنة وأهل النار، يعود أيضاً إلى قول من يجعل الأعراف، عبارة عن الأمكنة العالية، على السور المضروب بين الجنة وبين النار، لأن هؤلاء الأقوام لا بد لهم من مكان عال يشرفون منه على أهل الجنة وأهل النار^(٢).

٦ - هم: العباس، وحمزة، وعلي بن أبي طالب، وجعفر ذو الجنابين، يعرفون محبيهم بياض الوجه وبغضهم بسود الوجه، ذكره الشعلبي عن ابن عباس^(٣).

وبعد هذا القول لا يخفى؛ لأن هذا التخصيص لا معنى له، ولعله من أقوال الشيعة: بل قد ذكر محمد رشيد رضا أنه من أقوالهم، وهو كذلك لم يوجد في كتب التفسير المعتمدة عن السلف؛ قال:

«وهذا القول: ذكر الآلوسي أن الضحاك رواه عن ابن عباس: ولم نره في شيء من كتب التفسير المأثورة، والظاهر أنه نقله عن تفاسير الشيعة، وفيه أن أصحاب الأعراف يعرفون كلاً من أهل الجنة وأهل النار بسمائهم؛ أي

(١) جمع الفوائد ٢/٢٠٨، ثم عزاه إلى الأوسط والصغر بضعف، وفيه محمد بن مخلد الرعيني وهو ضعيف، كذلك في مجمع الزوائد ٧/٢٣.

(٢) انظر: التفسير الكبير ١٤/٨٩.

(٣) التذكرة ص: ٣٨٦.

فيميزون بينهم أو يشهدون عليهم، وأي فائدة في تمييز هؤلاء السادة - على الصراط - لمن كان يبغضهم من الأمويين، ومن يبغضون علياً خاصة ، من المنافقين والنواصب؟ وأين الأعراف من الصراط؟ هذا بعيد عن نظم الكلام وسياقه جداً^(١).

٧ - هم عدول القيامة الذين يشهدون على الناس بأعمالهم، وهم في كل أمة، ذكره الزهراوي، واختاره النحاس^(٢).

قال العلامة محمد رشيد رضا: «فكم ثبت أن كل رسول يشهد على أمته وثبت أن أمة محمد ﷺ شهداء على جملة من الأمم بعده؛ ثبت أيضاً أن في الأمم شهداء غير الأنبياء عليهم السلام، قال الله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هُؤُلَاءِ شَهِيداً﴾ [النساء: ٤١].

وقال في خطاب هذه الأمة: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطَا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ [آل عمران: ١٤٣]، وقال في صفة يوم القيمة: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رِبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَيَءَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٩].

وهؤلاء الشهداء هم حجة الله على الناس في كل زمان بفضائلهم واستقامتهم على الحق والتزامهم للخير وأعمال البر^(٣).

٨ - هم قوم أنبياء، قاله الزجاج^(٤).

«أي يجعلهم الله تعالى على أعلى ذلك السور، تمييزاً لهم على الناس،

(١) تفسير المغار ٤٣٣/٣.

(٢) التذكرة: ص: ٣٨٦.

(٣) تفسير المغار ٤٣٢/٨.

(٤) انظر: التذكرة ص: ٣٨٦.

ولأنهم شهداؤه على الأم، ورجح هذا القول الرازبي^(١). هذا كلام محمد رشيد رضا عنه.

وقد أورد الرازبي في تفسيره - بعد ذكر هذا القول - أن هذا الوجه لا يتفق مع معنى الآية: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾، أي لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون في دخولها، وهذا الوصف لا يليق بالأنبياء والملائكة والشهداء.

لكنه قال في الإجابة عن هذا: «أجاب الذاهبون إلى هذا الوجه بأن قالوا: لا يبعد أن يقال: إنه تعالى بين من صفات أصحاب الأعراف أن دخولهم الجنة يتاخر؛ والسبب فيه أنه تعالى ميزهم عن أهل الجنة وأهل النار، وأجلسهم على تلك الشرفات العالية والأمكنة المرتفعة، ليشاهدوا أحوال أهل الجنة وأحوال أهل النار، فيلحقهم السرور العظيم بمشاهدة تلك الأحوال، ثم استقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، فحيثند ينقلهم الله تعالى إلى أمكنتهم العالية في الجنة، فثبتت أن كونهم غير داخلين في الجنة، لا يمنع من كمال شرفهم وعلو درجتهم».

وأما الطمع المذكور في الآية، فهو على ما ذكر هؤلاء، يكون معناه: اليقين، لا الطمع الذي لا يتحقق صاحبه بحصول المراد، وعلى هذا قوله تعالى عن إبراهيم: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعَ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطَايَايَتِي يَوْمَ الدِّين﴾ [الشعراء: ٨٢] فهذا الطمع طمع يقين^(٢).

٩ - هم قوم كانت لهم صفات لم تکفر عنهم بالآلام والمصائب في الدنيا فوقفوا، ولیست لهم كبار فيحبسون عن الجنة لينالهم بذلك غم، فيقع في

(١) تفسير النار / ٨ / ٤٣٢.

(٢) انظر: التفسير الكبير / ١٤ / ٨٨.

مقابلة صغارهم . حكاه ابن عطية القاضي أبو محمد في تفسيره^(١) .

١٠ - ذكره ابن وهب عن ابن عباس ، قال : أصحاب الأعراف الذين ذكر الله في القرآن ، أصحاب الذنوب العظام من أهل القبلة ، وذكره ابن المبارك ؛ قال : أخبرنا جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال : أصحاب الأعراف رجال كانت لهم ذنوب عظام ، وكان جسم أمرهم لله ، فأقيموا ذلك المقام ، إذا نظروا إلى أهل النار وعرفوهم بسواد الوجوه ، قالوا : ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ، وإذا نظروا إلى أهل الجنة عرفوهم ببياض وجوههم .

وفي رواية سعيد بن جبير عن عبد الله بن مسعود : «وكانوا آخر أهل الجنة دخولاًً لِجَنَّةٍ»^(٢) .

١١ - أنهم أولاد الزنا ، ذكره أبو نصر القشيري عن ابن عباس^(٣) .

١٢ - أنهم ملائكة موكلون بهذا السور ، يميزون الكافرين من المؤمنين قبل إدخالهم الجنة والنار . قاله أبو مجلز لاحق بن حميد ، فقيل له : لا يقال للملائكة رجال ، فقال : إنهم ذكور وليسوا بإناث ، فلا يبعد إيقاع لفظ الرجال عليهم كما وضع على الجن في قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن : ٦]^(٤) .

وذكر الطبرى روايات عن أبي مجلز في تقوية هذا القول الذى يتزعمه ، ويجادل فى أن أهل الأعراف هم رجال من الملائكة .

(١) ، (٢) التذكرة ص : ٣٨٧ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) جامع البيان / ٨ ١٩٣ .

وهناك روايات كثيرة عن أبي مجلز لا حاجة إلى التطويل بذكرها، فهي لا تخلو - سواء أصحت نسبتها إليه أم لم تصح - عن كونها قولًا من الأقوال يحتاج لصحة إثباته إلى نص عن رسول الله ﷺ.

على أن ابن كثير قد ذكر بعد إيراد الرواية عنه صحة نسبة هذا القول إلى أبي مجلز، ولكن حكم عليها بالغرابة، وعدم الانسياق مع الظاهر من وصف الملائكة، فقال: «وهذا صحيح إلى أبي مجلز لاحق بن حميد. أحد التابعين. وهو غريب من قوله، وخلاف الظاهر من السياق»^(١).

وقال محمد رشيد رضا في سبب حكم ابن كثير على قول أبي مجلز بالغرابة: «إنما عده غريباً عنه لمخالفته لقول الجمهور، ولتسميته الملائكة رجالاً وهم لا يوصفون بذلك ولا أنوثة»^(٢).

١٣ - أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم «فجعلوا هناك إلى أن يقضي الله فيهم ما يشاء، ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته إياهم»^(٣).

ويعزى هذا القول إلى ابن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وابن عباس، والشعبي، والضحاك، وسعيد بن جبير، فمما يعزى إلى حذيفة بالسند، ما أخرجه الطبرى عن الشعبي أنه قال: أرسل إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن، وعنده أبو الزناد، وعبد الله بن ذكوان مولى قريش، وإذا هما قد ذكرا من أصحاب الأعراف ذكرًا ليس كما ذكر.

فقلت لهما: إن شتما أرباتكم بما ذكر حذيفة، فقايا: هات، فقلت: إن

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/٢١٧.

(٢) تفسير المنار ٨/٤٣٢.

(٣) جامع البيان ٨/١٩٠، فتح القدير ٢/١٩٨.

حذيفة ذكر أصحاب الأعراف فقال : هم قوم تجاوزت بهم حسانتهم النار وقصرت بهم سيناتهم عن الجنة ، فإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار ، قالوا : ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ، فبيتها م كذلك اطلع إليهم ربك تبارك وتعالى فقال : اذهبوا وادخلوا الجنة ؛ فإني قد غفرت لكم .

وفي رواية أخرى للشعبي عن حذيفة أنه سئل عن أصحاب الأعراف ، قال : فقام : هم قوم استوت حسانتهم وسيناتهم فقصرت بهم سيناتهم عن الجنة ، وخلفت بهم حسانتهم عن النار ، قال : فوقفوا هنالك على السور حتى يقضي الله فيهم .

وعن عامر عن حذيفة قال : أصحاب الأعراف قوم كانت لهم ذنوب وحسنات ، فقصرت ذنوبهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسانتهم عن النار ، فهم كذلك حتى يقضي الله بين خلقه فينفذ فيهم أمره ، وفيه روايات أخرى عن حذيفة وهي بمعنى ما سبق .

ومن يعزى إلى ابن مسعود ، ما أخرجه الطبرى عن سعيد بن جبير عن ابن مسعود ، قال : «يحاسب الناس يوم القيمة ، فمن كانت حسانته أكثر من سيناته بواحدة دخل الجنة ، ومن كانت سيناته أكثر من حسانته بواحدة دخل النار ، ثم قرأ قول الله : ﴿وَالْوَزْنُ يُوْمَنْدُ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٨) ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم ﴿﴾ [الأعراف : ٨، ٩] .

ثم قال : إن الميزان يخف بمثقال حبة ويرجع ، قال : فمن استوت حسانته وسيناته كان من أصحاب الأعراف ، فوقفوا على الصراط ، ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار ، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا : سلام عليكم ، وإذا

صرفوا أبصارهم إلى يسارهم ونظروا إلى أصحاب النار، قالوا: ربنا لا يجعلنا مع القوم الظالمين، فيتعوذون بالله من منازلهم.

قال فاما أصحاب الحسنات فإنهم يعطون بوراً فيمشون به بين أيديهم وبأياديهم، ويعطى كل عبد يومئذ نوراً، وكل أمة نوراً، فإذا أتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة، فلما رأى أهل الجنة ما لقي المنافقون قالوا: **﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾** [التحريم: ٨]، وأما أصحاب الأعراف فإن النور كان في أيديهم فلم يتزع من أيديهم، فهناك يقول الله: **﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُون﴾**، فكان الطمع دخولاً، قال: فقال ابن مسعود: على أن العبد إذا عمل حسنة كتب له بها عشرة، وإذا عمل سيئة لم تكتب إلا واحدة، ثم يقول: هلك من غالب وحداته **﴿أَعْشَاره﴾**^(١)

وينسب هذا الرأي أيضاً إلى ابن عباس، فإنه كان يقول: إن أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، وهذا ما ينص عليه الطبرى بسنده إلى ابن عباس أنه قال: «أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فلم تزد حسناتهم على سيئاتهم، ولا سيئاتهم على حسناتهم»^(٢).

ويذكر قتادة عن ابن عباس أنه كان يقول: «الأعراف بين الجنة والنار، حبس عليه أقوام بأعمالهم»، وكان يقول: «قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فلم تزد حسناتهم على سيئاتهم، ولا سيئاتهم على حسناتهم»^(٣).

(١) جامع البيان / ١٩١، ١٩١، وانظر فتح القدير / ٢

(٢) جامع البيان / ١٩١، ١٩١

(٣) المصدر السابق / ١٩٢، ١٩٢

١٤ - هم مؤمنو الجن.

١٥ - هم قوم كانت عليهم ديون.

ويذكر السيوطي حديثاً يعزوه إلى البيهقي في رفع القول الأول إلى النبي ﷺ؛ فإن السيوطي بعد أن ذكر تلك الأقوال السابقة أورد الحديث الآتي:

عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «إن مؤمني الجن لهم ثواب وعليهم عقاب» فسألناه عن ثوابهم فقال: «على الأعراف وليسوا في الجنة مع أمة محمد» فسألناه: وما الأعراف؟ قال: «حانط الجنة تجري فيه الأنهر، وتنبت فيه الأشجار والثمار»^(١).

وفي هذا القول - أي بأنهم مؤمنو الجن - يقول محمد رشيد رضا: «وروى ابن عساكر فيه حديثاً مرفوعاً عن أنس بن مالك من طريق الرلید ابن موسى الدمشقي، وهو منكر الحديث في أعدل الأقوال، ورمأه بعضهم بالوضع»^(٢).

أما القول بأنهم قوم عليهم ديون فهو ما يعزى إلى مسلم بن يسار، قال قتادة: «وقال مسلم بن يسار: قوم كان عليهم دين»^(٣). ومنها القول بأن أصحاب الأعراف هم:

١٦ - أهل الفترة.

(١) الدر المثمر ٣/٨٩، ويعزوه إلى البيهقي.

(٢) تفسير المنار ٨/٤٣٢.

(٣) الدر المثمر ٣/٨٩، ويعزوه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

١٧ - هم أولاد المشركين الذين ماتوا قبل سن التكليف.

١٨ - هم أهل العجب بأنفسهم، ويعزى هذا القول إلى الحسن^(١).

١٩ - هم آخر من يفصل الله بينهم، وهم عتقاؤه من النار»^(٢).

وإذا علمتنا ذلك الاختلاف الكبير والمتباين في بعض الأقوال، فإن قول الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله، في اختلاف عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف وتعيينهم: « وكلها - كما يقول - قريبة ترجع إلى معنى واحد، وهو أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم»^(٣). فيه نظر: فإن هذا المعنى الذي ذكره إنما هو قول من تلك الأقوال المتقدمة التي بينها غاية التباعد والتبابن.

* * *

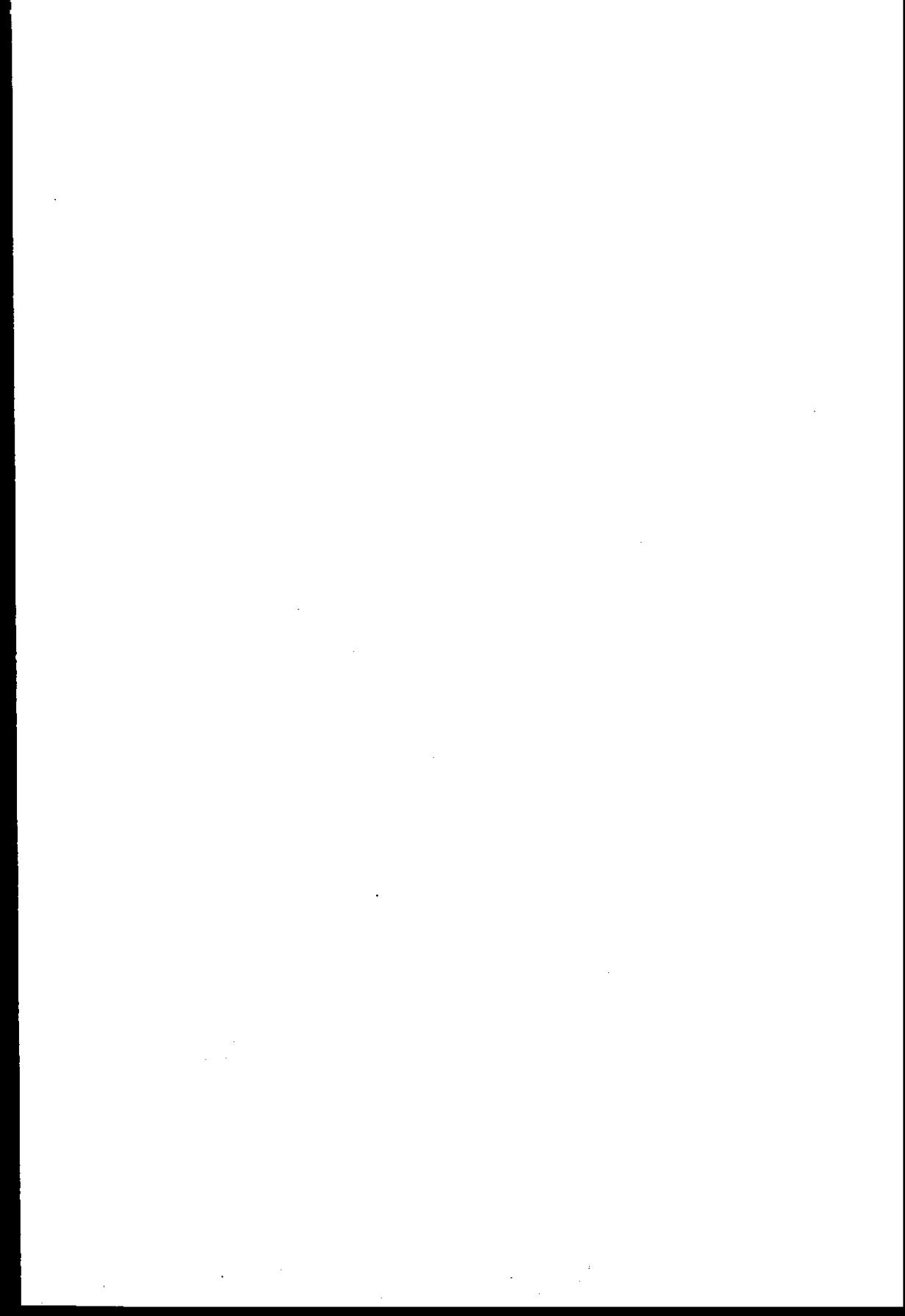
(١) الدر المنشور ٣/٨٩.

(٢) تفسير النار ٨/٤٣٢.

(٣) تفسير ابن كثير ٢/٢١٦.

الفصل الرابع

ما هو الراجح في أهل الأعراف؟



الفصل الرابع

ما هو الراجح في أهل الأعراف؟

ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم أصحاب الأعراف، وذكر بعض أوصافهم على سبيل الإجمال.

وأختلف العلماء في تعينهم اختلافاً كثيراً، فتعددت أقوالهم وتضاربت آراؤهم كما تقدم تفصيل ذلك.

وبهذا ندرك، أن ترجيح قول من الأقوال، في تعين أصحاب الأعراف، أمر من الصعوبة بمكان؛ ذلك أن القرآن الكريم لم يبين من هم بالتحديد. وما ورد في السنة من أخبار؛ فإنها كلها لا تخلو عن مقال، ولم يثبت منها شيء بسند صحيح يكون قاطعاً للنزاع والخلاف.

وأما استنباطات العلماء، فهي كما قدمنا تفتقر إلى دليل صحيح، بعض النظر عن كون تلك الأقوال المسوبة إلى قائلها تصح نسبتها إليهم أم لا.

وإذا علم هذا فإنه لم يبق لنا من مستند إلا ما جاء في القرآن الكريم، فثبت ما أثبته في حقهم ولا ننعداه، فإن هذه المسألة من الأمور الغيبية التي لا مجال للجزم برأي فيها دون نص ثابت عن رسول الله ﷺ، وقد أخبر القرآن الكريم عنهم بأنهم: رجال يعرفون أهل الجنة وأهل النار بسمائهم، اختصهم الله بتلك المزية من بين خلقه.

وقد قال ابن جرير في الترجيح بين تلك الأقوال، وفي الرد على أبي

مجلز: «والصواب من القول في أصحاب الأعراف أن يقالـــ كما قال الله جل ثناؤه فيهمـــ هم (رِجَالٌ يَعْرَفُونَ كُلُّاً) من أهل الجنة وأهل النار (بِسِمِّهِمْ) ولا خبر عن رسول الله ﷺ يصح سنته، ولا أنه متفق على تأويلها، ولا إجماع من الأمة على أنهم ملائكةـــ .

فإذا كان ذلك كذلكـــ وكان ذلك لا يدرك قياساًـــ وكان المتعارف بين أهل لسان العرب أن الرجال اسم يجمع ذكور بني آدم دون إناثهمـــ ودون سائر الخلق غيرهمـــ؛ كان بينماـــ أن ما قاله أبو مجلز من أنهم ملائكةـــ قول لا معنى لهـــ وأن الصحيح من القول في ذلكـــ ما قاله سائر أهل التأويل غيرهـــ ، هذا معـــ من قال بخلافهـــ من أصحاب رسول الله ﷺـــ ، ومعـــ ماراويـــ عن رسول الله ﷺـــ في ذلكـــ من الأخبارـــ وإنـــ كانـــ فيـــ أسانيدـــ لهاـــ ماـــ فيهاـــ (١)ـــ .

ولعلـــ هذاـــ هوـــ الذيـــ يتعينـــ القولـــ بهـــ منـــ بينـــ تلكـــ الأقوالـــ ، وإنـــ كانـــ القولـــ بأنـــهمـــ منـــ استوتـــ حسناتهمـــ وسيئاتهمـــ هوـــ ماـــ ذهبـــ إليهـــ كثيرـــ منـــ العلماءـــ ؛ إلاـــ إنـــ تلكـــ الرواياتـــ لمـــ تتصفـــ منـــ الشوائبـــ ؛ بلـــ هيـــ كماـــ قالـــ الحافظـــ ابنـــ كثيرـــ : «الله أعلمـــ بصحـــةـــ هذهـــ الأخـــبارـــ المرفـــوعـــةـــ ، وقصـــارـــهاـــ أنـــ تكونـــ موقـــفةـــ»ـــ ، غيرـــ أنـــ الجمهورـــ تمســـكـــ بهاـــ .

وعنـــ رأـــيـــهمـــ هذاـــ يقولـــ محمدـــ رشـــيدـــ رضاـــ :

«ورجـــحـــ الجمهورـــ بكـــثـــرةـــ الروـــاـــياتـــ أنـــهمـــ الـــذـــينـــ اـــســـتـــوـــتـــ حـــســـنـــاتـــهـــمـــ وـــســـيـــئـــاتـــهـــمـــ»ـــ (٢)ـــ .

(١) جامـــعـــ البـــيـــانـــ ١٩٤/٨ـــ .

(٢) تـــفســـيرـــ التـــرـــآنـــ الـــحـــكـــيمـــ ٤٣٣/٨ـــ .

وقال . مستنبطاً من دعاء أهل الأعراف : « رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » [الأعراف : ٤٧] : « وَالإِنْصَافُ أَنْ هَذَا الدُّعَاءُ أَلْيَقَ بِهِ الْمُحَاجَةَ مِنْ أَسْتُورِ حَسَنَاتِهِمْ وَسَيِّئَاتِهِمْ ، وَكَانُوا مُوقَفِينَ مَجْهُولِيْمَ »^(١) .

وما تقدم يظهر لنا مدى تفاوت أقوال العلماء في تعريفهم لأهل الأعراف . على أن في بعض هذه الأقوال تناقضًا ظاهراً، والمثال على ذلك : أن بعضهم قال : إن أهل الأعراف هم من الأنبياء ، وكانوا على الأعراف لعلو منزلتهم وعظيم مكانتهم . وعلى نقيض هذا القول من قال : إن أهل الأعراف هم أولاد الزنا أو مساكين أهل الجنة ، وهذا القولان بينهما من البعد ما لا يخفى .

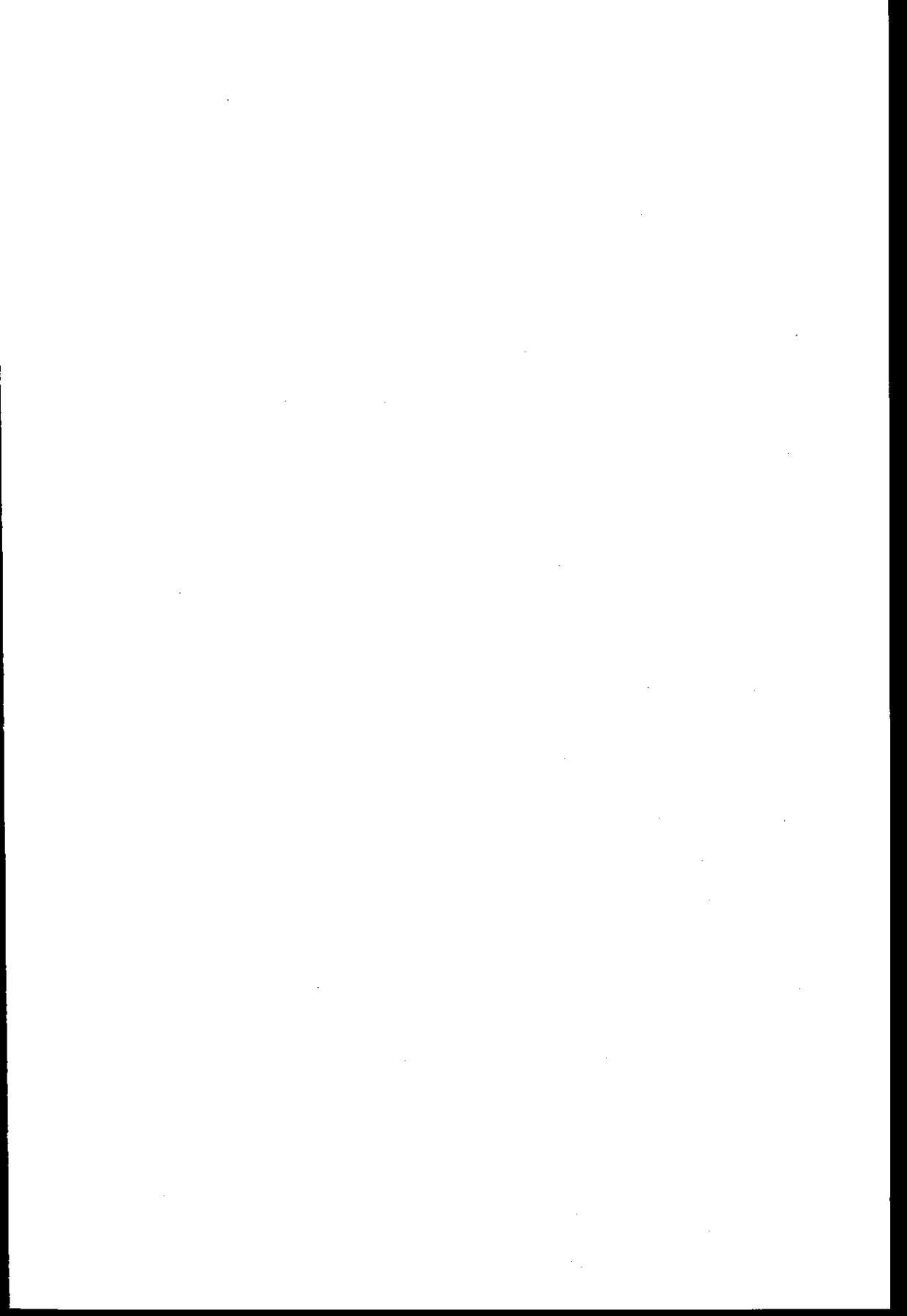
على أن هذه الأقوال جميعها ليس لها سند صحيح من كتاب الله تعالى ، ولا من سنة رسوله ﷺ . ولما كان هذا الموضوع من المغيبات ؛ فلابد للقول بإثباته . على هيئة خاصة أو اعتقاده . من وجود سند صحيح ؛ فال الأولى أن يقال بتقويض العلم بحقيقةتهم إلى الله عز وجل . والله أعلم .

* * *

(١) تفسير القرآن الحكيم ٨/٤٣٤ . .

الفصل الخامس

**سور الأعراف الحاجز بين الجنة والنار،
أيكون دائمًا أم في فترة
من الفترات؟**



الفصل الخامس

سور الأعراف الحاجز بين الجنة والنار، أيكون دائمًا أم في فترة من الفترات؟

وفي ختام هذا الموضوع: فإنه يتadar إلى الذهن سؤال؛ وهو: هل وضع ذلك السور الحاجز بين أهل الجنة وأهل النار يكون دائمًا أو في فترة من الفترات، وهي في حالة وجود أهله عليه، وقبل استقرارهم الأبدي في الجنة؟

قال محمد رشيد رضا في تفسيره لقول الله تعالى: «فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ . . .» إلى آخر الآية [الحديد: ١٣]: «فَإِنَّ الْجَنَّةَ فِي بَاطِنِهِ، وَالنَّارُ مِنْ قَبْلِ ظَاهِرِهِ، أَيْ بِالنَّسْبَةِ إِلَى مَا يَكُونُ النَّاسُ عَلَيْهِ فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ»

وقال أيضًا: «والتحقيق: أن الأعراف هو ذلك السور والحجاب بين الدارين وأهلهما، أو أعلىيه التي يكون عليها أولئك الرجال، الذين يرون أهل الجنة وأهل النار جميعاً قبل الدخول فيهما، فيما يظهر، فيعرفون كلاً منها بسماهما، التي وصفهم الله تعالى بها في مثل قوله تعالى: «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفَرَةٌ» ^(٢٦) ضاحكةً مُسْتَبِشَةً ^(٢٧) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبْرَةً ^(٤٠) تَرْهَقُهَا قَرَّةً ^(٤١) أَوْلَئِكَ هُمُ الْكُفَّارُ الْفَجُورُ» ^(٤٢) [عبس: ٣٨ - ٤٢].

وأما بعد الدخول فيه، فالتمييز بين الفريقين من تحصيل الحاصل، وذكره عبث ينزع عنه التنزيل، إلا إذا أريد معرفة أشخاص معينين، وهو لا يظهر

هنا، وإنما يظهر في قوله تعالى: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرُفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾ [الأعراف: ٤٨] فهذه سبباً خاصة؛ لأنها لأفراد مخصوصين، وتلك سبباً عامة؛ لأنها لفرقين أفرادهما غير مخصوصين^(١).

وقال أيضاً في بيانه للقول بأن أصحاب الأعراف هم من استوت حسناهم وسيئاتهم، وتقسيم الأنوار على الناس، واختلافهم فيها، كثرة وقلة، وانطفاء أنوار المنافقين؛ قال: «وظاهره أن هذا كله يقع بعد الموقف، وقبل أن يجعل هؤلاء الذين استوت حسناهم وسيئاتهم على الأعراف، فإن السور الذي فسرت الأعراف به أو بأعلايه، يضرب بعد ذهابهم من الموقف، يسيرون بنورهم إلى الجنة كما هو ظاهر آية سورة الحديد، وقد ذكرناها عند تفسير كلمة الأعراف، وفيه أنه تعالى ذكر معرفتهم لأصحاب الجنة وأصحاب النار بسيئاتهم، وتداءهم بالسلام على أهل الجنة بعنوان أنهم أصحاب الأعراف، ولا يصح هذا العنوان قبل وجودهم عليها، إلا إذا ثبت أنهم يسمون أصحابها قبل ذلك أو على التأويل بجعله من مجاز الأول كقوله: ﴿ أَعْصَرُ خُمُرًا ﴾ [يوسف: ٣٦]^(٢)

* * *

(١) تفسير المغار / ٨ / ٤٣١.

(٢) تفسير القرآن الحكيم / ٨ / ٤٣٥.

الباب الرابع عشر الدحوض المورود

ويشمل الفصول الآتية :

الفصل الأول : تعریف الدحوض.

١ - في اللغة .

٢ - في الاصطلاح .

الفصل الثاني : الأدلة على إثبات الدحوض.

الفصل الثالث : أقوال علماء الإسلام في إثبات الدحوض.

الفصل الرابع : مسافة الدحوض.

الفصل الخامس : الدجع بين الروايات التي وردت في
تحديد مسافة الدحوض .

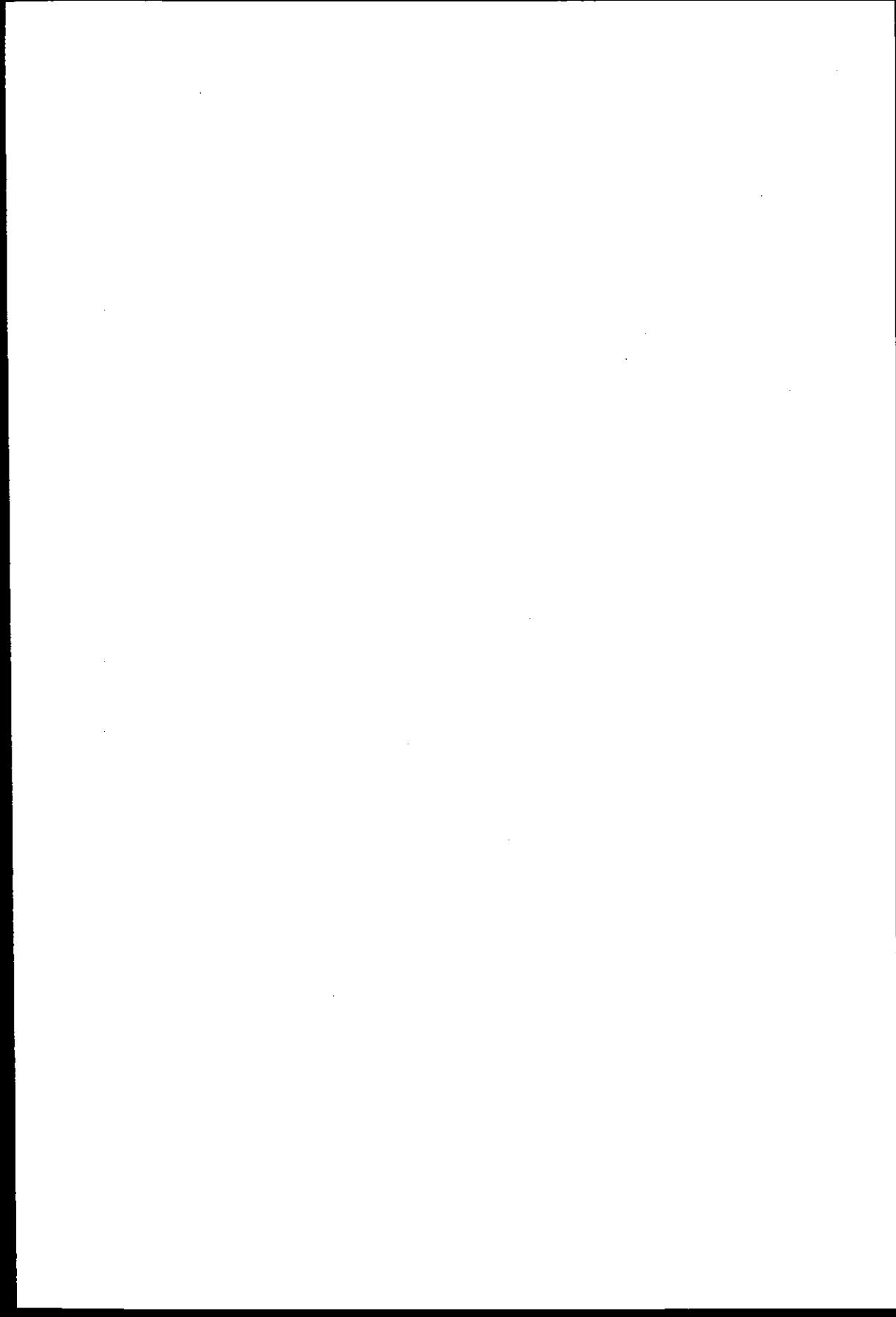
الفصل السادس : صفات الدحوض ورمزياته .

الفصل السابع : متى يرد الناس الدحوض؟.

الفصل الثامن : المنكرون للدحوض.

الفصل التاسع : الرد على من ينكر الدحوض.

الفصل العاشر : هل ثبت أن لكل نبئي حوضاً يخصه ؟.



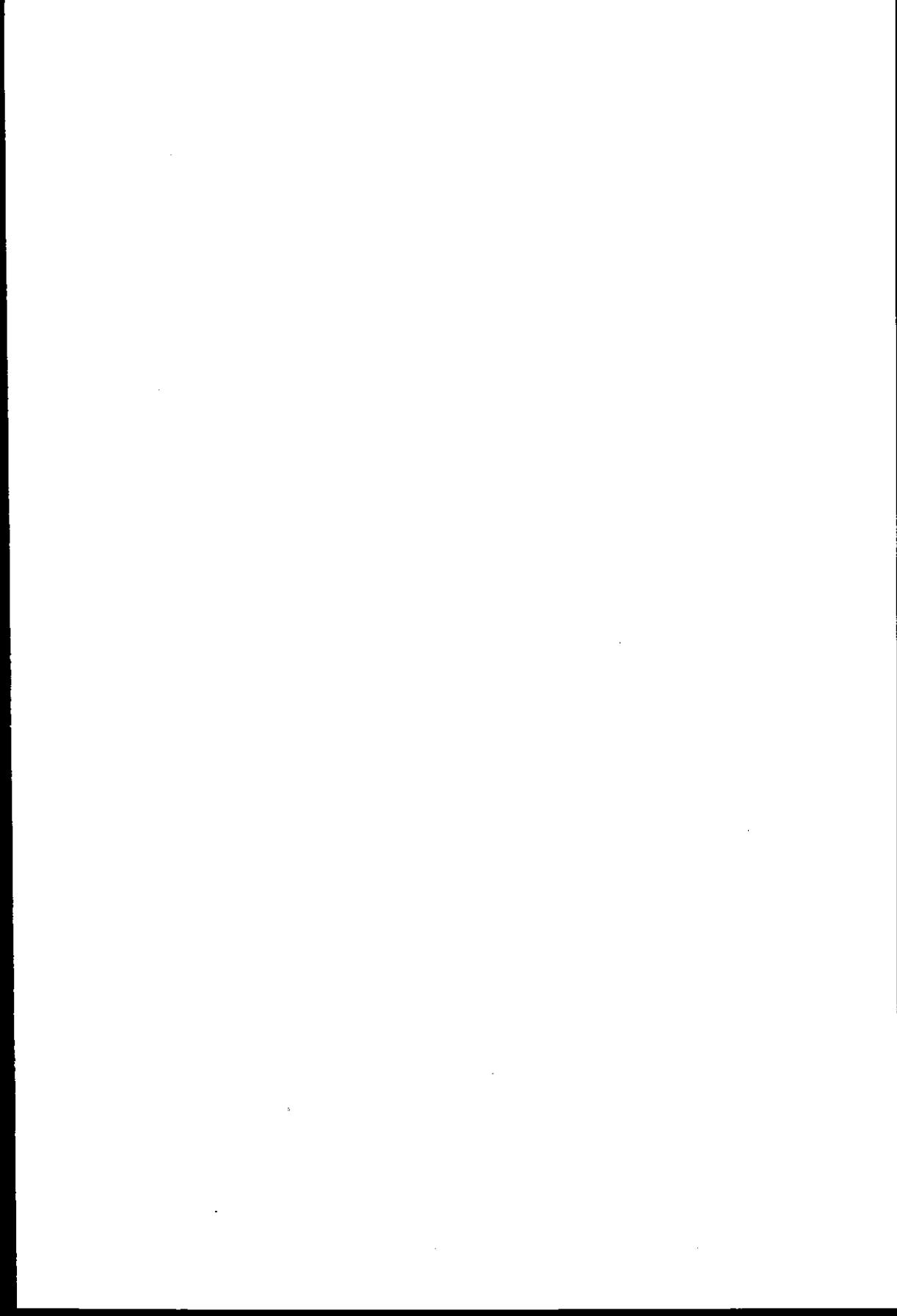
الحوض المورود

تمهيد :

أكرم الله أحباءه بأنواع الكرامات ، ولطف بهم غاية اللطف في الدنيا والآخرة ؛ أما إكرامه لهم في الدنيا فهو أمر مشاهد معروف ، وأما إكرامه لهم في الآخرة ففي أشياء كثيرة ؛ مثل إدخالهم الجنة ، ورؤيتهم له ، ورضاه عنهم فلا يسخط ، ثم إكرامهم بمسألة التي نحن بصدده الكلام عنها ؛ وهي الحوض المورود الذي جعله الله غياثاً لأحبائه .

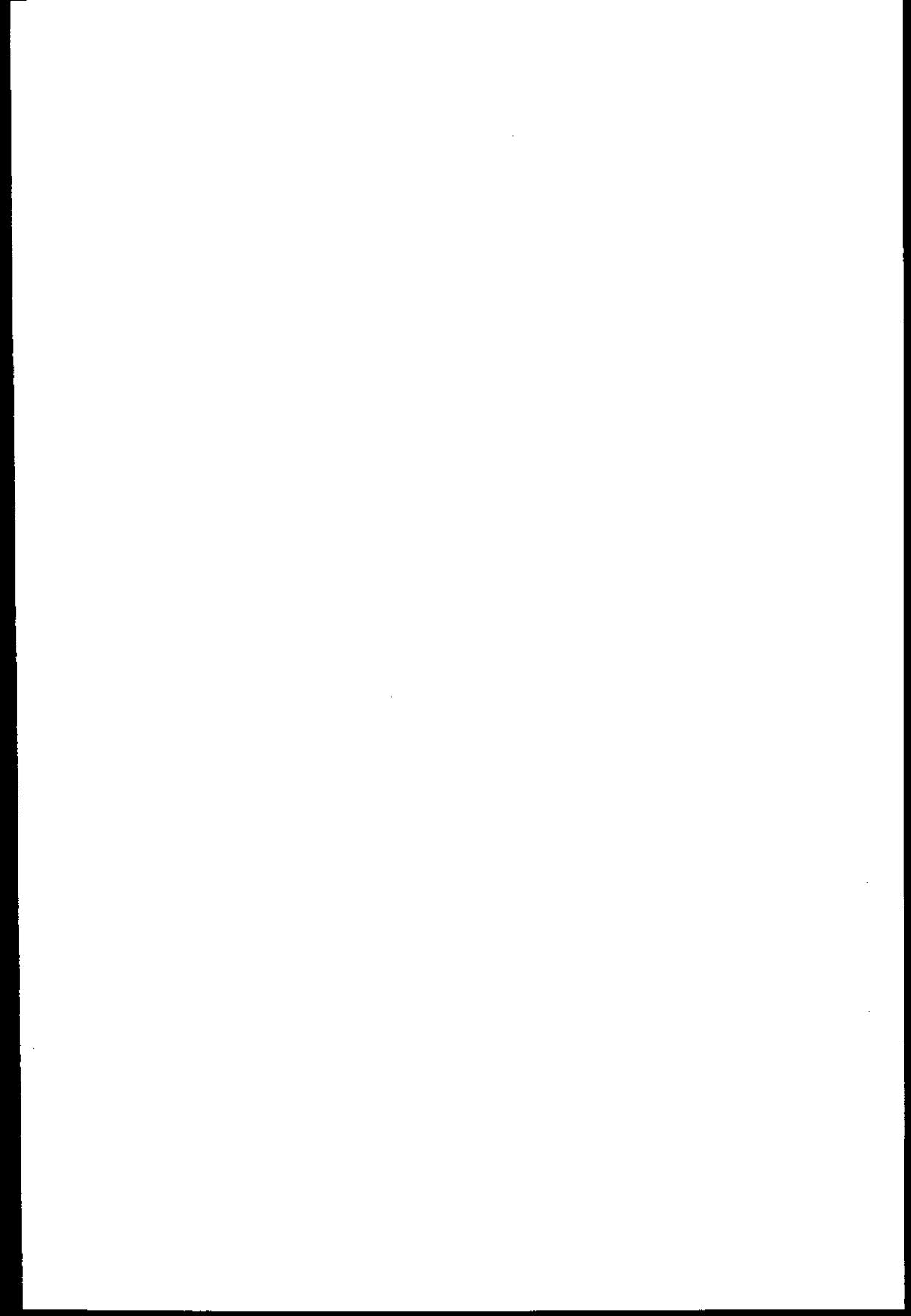
وحوض نبينا عليه السلام هو أشهر الأحواض ، وأكثرها وارداً يوم القيمة ، وأوسعها ، لكترة أتباعه الذين يردون حوضه عليه السلام ، فهو مكرمة ومنة عظيمة على نبيه عليه السلام ، ليواصل المؤمنون به الشرب الحسي ، كما شربوا في الدنيا الشرب المعنوي من الاهتداء والاقتداء به عليه السلام ، ولا يشرب ذلك الشرب الحسي في عرصات القيمة إلا من شرب الشرب المعنوي في الدنيا ، وإنما يزداد عنه ويطرد ، جزاء وفاقاً ، لأنَّه أعرض عن الاهتداء والاقتداء بمن اصطفاه الله لتبلغ رسالته في الحياة الدنيا ، فيجازى بطرده في الآخرة عن الشرب منه .

و قبل ذكر تفاصيله ، نبين المراد بالحوض في اللغة وفي الشرع ، فيما يلي :



الفصل الأول

تعريف الحوض في اللغة والاصطلاح



الفصل الأول

تعريف الدوض في اللغة والاصطلاح

١ - الخوض في اللغة :

الخوض في اللغة يطلق ويراد به : مجمع الماء ، وجمعه : حياض وأحواض ، قال الليث : «الخوض معروف ، والجمع : الحياض والأحواض والفعل : التحويض ، واستخوض الماء : أى اتخد لنفسه حوضاً»^(١).

قال الجوهري : «الخوض : واحد الحياض والأحواض ، وحضرت أحوض : اتخذت حوضاً ، واستخوض الماء : اجتمع ، والمخوض^(٢) - بالتشديد - : شيء كالخوض ، يجعل للنخلة تشرب منه ، ومنه قولهم : أنا أحوض ذلك الأمر ، أى أدور حوله ، مثل : أحوط^(٣) .

٢ - المراد بالخوض في الشرع :

أما المراد بالخوض في الشرع :

فهو ما جاء الخبر به ، من أن لنبينا محمد^(٤) حوضاً ، ترد عليه أمته يوم القيمة ، جعله الله غياثاً لهم ، وإكراماً لنبينا محمد^{عليه السلام} .

(١) نهذيب اللغة ج ٥ ص ١٥٨.

(٢) بفتح الواو المشددة.

(٣) الصحاح ج ٣ ، ص ١٠٧٢ ، وانظر : النهاية لابن الأثير ج ١ ص ٤٦١ ، أساس البلاغة ص ٩٩.

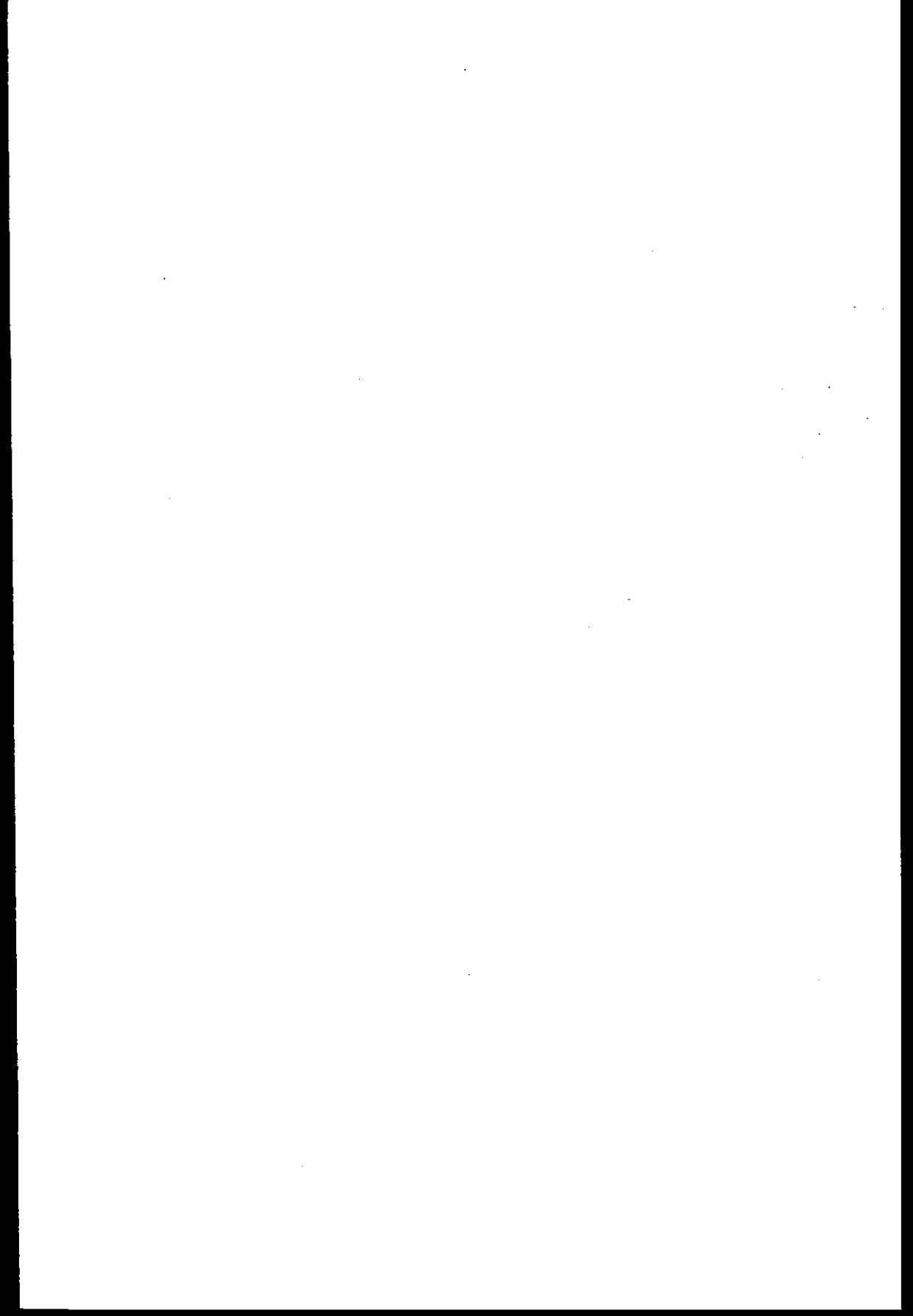
(٤) ولغيره كذلك من الأنبياء أحواض على ما سيأتي ذكره .

والعلماء قاطبة على تعريف المخوض بأنه حوض نبينا محمد ﷺ، الموعد به في الآخرة ، والذي نفصل الكلام عنه فيما يأتي .

* * *

الفصل الثاني

الأدلة على إثبات الموضع



الفصل الثاني الأدلة على إثبات الحوض

لقد ثبت الحوض بالنصوص الصحيحة الصريرة المتواترة ، واعتقد بصحته وثبوته جميع سلف الأمة .

أما بالنسبة لأداته من القرآن الكريم ، فإنه لم يرد به التصريح ، إلا أن من العلماء من جعل الحوض يعني الكوثر ، ثم استدل لإثبات الحوض بسورة الكوثر ، تغليباً لاسم الكوثر على اسم الحوض ، وسبعين موضع كل منهما ووجه الاتصال بينهما في مكانه إن شاء الله تعالى .

الأدلة من السنة النبوية على إثبات الدوض:

ورد في إثبات الحوض أحاديث كثيرة من السنة النبوية بلغت حد التواتر^(١) ، وفيما يلي نورد بعضها :

فمن ذلك : إخباره عليه السلام بما أكرمه الله به من رؤيته لحوضه وهو في الدنيا في آخر أيامه عليه الصلاة والسلام ، وإخباره ل أصحابه أنه شهيد عليهم يوم القيمة ، وأنه فرط لأمته على الحوض ، أي السابق لهم والمتقدم عليهم في الوصول إليه ، كما يتقدم فرط الواردين على الماء لتهيئته لهم .

وهذا ما جاء في حديث عقبة بن عامر : أن رسول الله عليه السلام خرج يوماً

(١) نقل التواتر جماعة من العلماء ، كما سذكر ذلك في فصل أقوال علماء الإسلام في إثبات الحوض .

فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ، ثم انصرف على المنبر ، فقال : « إني فرط لكم ، وأنا شهيد عليكم ، وإنى والله لأنظر إلى حوضي الآن ، وإنى أعطيت مفاتيح خزانة الأرض ، أو مفاتيح الأرض ، وإنى والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ، ولكنني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها »^(١) ، هذا لفظ البخاري .

ولفظ مسلم عن عقبة بن عامر ، قال : صلى رسول الله ﷺ على قتلى أحد ، ثم صعد المنبر كالمودع للأحياء والأموات ، فقال : « أني فرطكم على الحوض ، وإن عرضه كما بين أيلة إلى الجحفة »^(٢) ، وإنى لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي ، ولكنني أخشي عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها وتقتلوها فتهلكوا كما هلك من قبلكم » ، قال عقبة : فكانت آخر ما رأيت رسول الله ﷺ على المنبر »^(٣) .

وكان بخاره عن اختلاج أقوام عنه وطردهم عن الشرب من الحوض ، فيناديه السماح لهم بالشرب منه ، فيجيب بأنهم لا يستحقون الشرب منه لأنهم من المحدثين في الدين بعده ، كما يفيده حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « أنا فرطكم على الحوض وليرفعنّ »^(٤) رجال منكم ثم ليختلجن »^(٥) دوني ، فأقول : يا رب أصحابي ، فيقال : إنك لا تدرى ما أحذثوا بعدك »^(٦) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « ليりدن على

(١) صحيح البخاري ج ٧ ص ١٧٣ ، ومسلم ج ٥ ص ١٥٤ (النووي) .

(٢) سألي تحديد ما بينهما في ذكر مسافة الحوض .

(٣) مسلم ج ٥ ص ١٥٤ (النووي) .

(٤) معنى : « وليرفعن » : أي يظهرهم الله لي حتى أراهم (وهو بضم أوله وفتح الفاء والعين) .

(٥) معنى « ليختلجن » : وهو بفتح اللام وضم التحتانية وسكون الحاء المعجمة وفتح المثناة وضم

الجيم ، بعدها نون ثقيلة : أي يتزرون أو يجدبون مني » فتح الباري ج ١١ ص ٤٦٩ .

(٦) صحيح البخاري ج ١١ ص ٤٦٣ .

ناس من أصحابي الحوض ، حتى إذا عرفتهم اختجوا دوني ، فأقول : أصحابي ، فيقول : لا تدرني ما أحدثوا بعدي^(١) .

وهذه الرواية فيها - إضافة إلى إثبات الحوض - أن الذين يذادون عنه هم من أصحابه ، وسنجيب بعد عرض الأدلة عن هذا الإشكال ، وهو : كيف يذاد عنه هؤلاء وهم من الصحابة ؟

وعن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « يرد على يوم القيمة رهط من أصحابي ، فيجلون^(٢) عن الحوض ، فأقول : يا رب أصحابي ، فيقول : إنك لا تدرني ما أحدثوا بعدي ، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى^(٣) » .

وفي رواية أخرى لأبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « يرد على الحوض رجال من أصحابي ، فيحلّنون^(٤) عنه ، فأقول : يا رب أصحابي ، فيقول : إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدي ، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى^(٥) » .

وقال شعيب عن الزهري : كان أبو هريرة يحدث عن النبي ﷺ :

(١) آخر جه البخاري ج ١١ ص ٤٦٤ (الفتح).

(٢) يجلون : أي يصرفون عنه .

(٣) المصدر السابق ، الجزء والصفحة .

(٤) يحلّنون : أي يطردون .

(٥) صحيح البخاري ج ١١ ص ٤٦٥ (مع الفتح).
ومعنى زمرة : أي جماعة .

ومعنى همل النعم : « معناه الإيل بلا راع ، وقال الخطابي : الهمل : مالا يرعى ولا يستعمل ، ويطلق على الضوال ، والمعنى أنه لا يرده منهم إلا القليل ؛ لأن الهمل في الإبل قليل بالنسبة لغيره » .

والرجل المذكور في الحديث هو الملك الوكيل بذلك .

فتح الباري ج ١١ ص ٤٧٥ .

«فيجلون»، وقال عقيل : فيجلسون ، وقال الزبيدي : عن الزهري عن محمد ابن علي عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبي هريرة عن النبي ﷺ^(١) .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « بينما أنا قائم فإذا زمرة ؛ حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم ، فقال : هلم ، فقلت : أين ؟ قال : إلى النار والله ، قلت : وما شأنهم ؟ ، قال : إنهم ارتدوا بعده على أدبارهم القهقرى . ثم إذا زمرة ؛ حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم ، فقال : هلم ، قلت : أين ؟ قال : إلى النار والله ، قلت : وما شأنهم ؟ قال : إنهم ارتدوا بعده على أدبارهم القهقرى ، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم »^(٢) .

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قال : قال النبي ﷺ : « إني على الخوض حتى أنظر من يرد على منكم ، وسيؤخذ الناس دوني ، فأقول : يارب مني ومن أمتي ، فيقال : هل شعرت ما عملوا بعدهك ؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم » ، فكان ابن أبي مليكة يقول : « اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا ، أو نفتن عن ديننا »^(٣) .

وعن سهل بن سعد قال : قال النبي ﷺ : « إني فرطكم على الخوض ، من مر على شرب ، ومن شرب لم يظماً أبداً ، ليمردن على أقوام أعرفهم ويعروفوني ، ثم يحال بيني وبينهم » ، قال أبو حازم : فسمعني النعمان بن أبي عياش ، فقال : هكذا سمعت من سهل ؟ فقلت : نعم ، فقال : أشهد على أبي سعيد الخدري

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ٤٦٥ . أي أن الزبيدي أورده بسنده عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٢) صحيح البخاري ج ١ ص ٤٦٦ (الفتح) ومسلم ج ٥ ص ١٥٢ (النروي) .

وابن أبي مليكة هو : عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن أبي مليكة بن عبد الله بن جدعان ، يقال : اسم أبي مليكة زهير التيمي المداني ، أدرك ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ ، ثقة فقيه ، من الثالثة ، مات سنة سبع عشرة . تقريب التهذيب ج ١ ص ٤٣١ .

لسمعته وهو يزيد فيها : « سحقاً سحقاً لمن غير بعدي »^(١) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول ، وهو بين ظهراني أصحابه : « إني على الحوض أنتظر من يرد منكم ، فوالله ليقطعن دوني رجال ، فلأقولن : أي رب مني ومن أمتي ، فيقول : إنك لا تدرى ما عملوا بعده ، مازالوا يرجعون على أعقابهم »^(٢) .

وعن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت : كنت أسمع الناس يذكرون الحوض ، ولم أسمع ذلك من رسول الله ﷺ ، فلما كان يوماً من ذلك والجارية تمشطني ، فسمعت رسول الله ﷺ يقول : « أيها الناس » ، فقلت : للجارية : استأخري عنِّي ، قالت : إنما دعا الرجال ولم يدع النساء ، فقلت : إني من الناس ، فقال رسول الله ﷺ : « إني لكم فرط على الحوض ، فبأيامي لا يأتيين أحدكم فيذب عنِّي كما يذب البعير الضال ، فأقول : فيم هذا ؟ فيقال : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعده ، فأقول : سحقاً »^(٣) .

وفي رواية شقيق عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا فرطكم على الحوض ، ولأنماز عن أقواماً ، ثم لأغلب عليهم ، فأقول : يا رب ، أصحابي أصحابي ، فيقال : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعده »^(٤) .

وعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال : « ليりدن على الحوض رجال ممن

(١) أخرجه البخاري ج ٥ ص ٢٠٧ . ومسلم في الفضائل ج ٥ ص ١٥١ ، وقد فسر ابن عباس « سحقاً » بأنها بمعنى : بعداً ، يقال : سحيق : بعيد ، سحقه وأسحقه : أبعد .

(٢) صحيح مسلم ج ٥ ص ١٥٣ .

(٤) صحيح مسلم ج ٥ ص ١٥٦ .

صاحبني ، حتى إذا رأيتمه ورفعوا إلي اختلعوا دوني ، فلأقولن : أي رب : أصحابي أصحابي ، فليقالن لي : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعده ^(١) .

وأخبر عليه السلام أنه يذود الناس لشرب منه ناس اختصهم بمزيد العناية والتشريف إكراماً لهم ، لاستحقاقهم ذلك بسبب ما امتازوا به عن غيرهم ، فقال عليه السلام : «إني لبعقر ^(٢) حوضي أذود الناس لأهل اليمن ، أضرب بعصاي حتى يرفض ^(٣) عليهم » ، فسئل عن عرضه ، فقال : « من مقامي إلى عمان » ، وسئل عن شرابه ، فقال : « أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، يغت فيه ميزابان ^(٤) يمدانه من الجنة ، أحدهما من ذهب والأخر من ورق ^(٥) » .

قال التوسي عن سبب هذا التقديم لهم في الشرب : « وهذه كرامة لأهل اليمن في تقديمهم في الشرب منه ، مجازة لهم بحسن صنيعهم وتقديمهم في الإسلام ، والأنصار من اليمن ، فيدفع غيرهم حتى يشربوا كما دفعوا في الدنيا عن النبي عليه السلام أعداءه والمكروهات » ^(٦) .

وفي رواية أبي هريرة الآتية أن الرسول عليه السلام نفسه يذود عن حوضه من لا يستحق الشرب منه ، كما يذود الرجل الإبل الغريبة عن إبله ، وهذا في قوله عليه السلام : « لاذدون عن حوضي رجالاً كما تزداد الغريبة من الإبل » ^(٧) .

(١) صحيح مسلم ج ٥ .

(٢) عقر الحوض هو : موقف الإبل من الحوض إذا وردته ، وقيل مؤخره .

(٣) يرفض عليهم : أي يسيل عليهم .

(٤) المizarب هو المتعب ، فارسي معرب . الصحاح ج ١ ص ٤٣٢ .

(٥) الحديث أخرجه مسلم ج ٥ ص ١٦٠ .

(٦) شرح التوسي لمسلم ج ٥ ص ١٦٠ .

(٧) صحيح مسلم ج ٥ ص ١٦١ .

ومن الذي يمنع الناس عن الشرب منه أهو الرسول ﷺ أم غيره من الملائكة؟ سأتأتي الجواب عن هذا .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي »^(١) ، وسيأتي كذلك بيان المراد منه .

وبعد عرض ما تقدم من الأحاديث النبوية في إثبات الحوض ؟ تبين أن في بعضها مسائل تحتاج إلى إيضاح ، ومنها :

ما جاء من أن الذين يذادون عن الحوض هم جماعة من أمة محمد ﷺ لقوله ﷺ : « فاقولوا : يارب مني ومن أمتي ».

فإذا كانوا منه ومن أمه فكيف يمنعون عن الشرب من الحوض ؟ ومن هم الذين يستحقون الطرد عن الشرب من الحوض ؟

والجواب عن هذا نلخصه فيما يأتي :

١ - أن بعض العلماء ذهب إلى القول بأن هؤلاء الذين يذادون ليسوا من أمة محمد ﷺ ، وظنهم من أمه ، ولكن هذا بخلاف ما نص عليه الحديث : « فاقولوا : يارب مني ومن أمتي »، ولهذا يقول ابن حجر رحمه الله : إن في معنى هذه الألفاظ من الحديث : « دفع لقول من حملهم على غير هذه الأمة »^(٢) ، فبطل هذا الاحتمال .

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ٩٩ .

(٢) فتح الباري ج ١١ ص ٤٧٦ .

٢ - وذهب بعضهم إلى القول بأن هؤلاء هم أهل الكبائر ، وقد عرفهم بعلامة الوضوء التي فيهم ، ولكن يرد إشكال على هذا الجواب ، وهو : هل أهل الكبائر يستحقون هذا الدعاء عليهم من الرسول ﷺ ، وهو شافعهم إلى ربهم يدعو عليهم بالهلاك والبعد في النار ؟

٣ - وذهب بعضهم إلى القول بأن هؤلاء كانوا من أمة محمد ﷺ ، وتوفي عليه الصلاة والسلام وهم على الإسلام ، ولكنهم ارتدوا بعد وفاته .

٤ - وذهب بعضهم إلى القول بأن هؤلاء هم من المنافقين ، وعرفهم بالغرة التي أعطاهم الله خدعة لهم ، كما خدعهم بأن أعطاهم نوراً على الصراط ثم ينطفئ فيدخلون النار ﴿يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] .

وهذا الجواب والذي قبله ربما يكون هو الراجح .

ونعرض فيما يلي بعض النصوص من أقوال العلماء واختلافاتهم في معنى الحديث ، وعلى من يرد .

قال النووي عن معنى الحديث :

«هذا مما اختلف العلماء في المراد به على أقوال :

أحدها : أن المراد به المنافقون ، والمرتدون ، فيجوز أن يحشروا بالغرة والتحجيم ، فیناديهم النبي ﷺ للسيما التي عليهم ، فيقال : ليس هؤلاء مما وعدت بهم ؛ إن هؤلاء بدلو بعدك ، أي لم يرتو على ما ظهر من إسلامهم .

والثاني : أن المراد من كان في زمن النبي ﷺ ثم ارتد بعده ، فیناديهم النبي ﷺ ، وإن لم يكن عليهم سيمما الوضوء ، لما كان يعرفه ﷺ في حياته من إسلامهم ، فيقال : ارتدوا بعدك .

والثالث : أن المراد به أصحاب المعاصي والكبار الذين ماتوا على التوحيد ، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام ، وعلى هذا القول لا يقطع لهؤلاء الذين يذادون بالنار ، بل يجوز أن يذادوا عقوبة لهم ، ثم يرحمهم الله سبحانه وتعالى فيدخلهم الجنة بغير عذاب .

قال أصحاب هذا القول : ولا يمتنع أن يكون لهم غرة وتحجيل ، ويحمل أن يكون : كانوا في زمن النبي ﷺ وبعده لكن عرفهم بالسيما ، ومعنى هذا : أن أهل البدع من المسلمين يطردون عن الحوض .

ولهذا يقول الحافظ أبو عمرو بن عبد البر :

« كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض : كالخوارج والرافض وسائر أصحاب الأهواء » ، قال : « وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق المعلنون بالكبار » ، قال : « وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا من عنوا بهذا الخبر » ^(١) .

ويقول القرطبي :

« إن أشدتهم طرداً من خالف جماعة المسلمين ، وفارق سبيلهم ، كالخوارج على اختلاف فرقها ، والرافض على تباهي ضلالها ، والمعتزلة على أصناف أهوائهما ، فهو لاء كلهم مبدلون ، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطميس الحق وقتل أهله وإذلالهم ، والمعلنون بالكبار ، المستخفون بالمعاصي ، وجماعة أهل الزيف والأهواء والبدع » ^(٢) .

ثم يذكر القرطبي أن هذا الإبعاد لهؤلاء الناس ؛ منهم من يبعد لأجل

(١) التوسي في شرح صحيح مسلم ج ١ ص ٥٣٣ .

(٢) التذكرة ، ص ٣٠٧ .

عمله المعاشي لأجل عقيدته ، وهؤلاء يرجى لهم المغفرة والشرب من الحوض ، وأما من أبعد لأجل عقيدته التي تنافي العقيدة الصحيحة ؛ فهؤلاء يبعدون عنه أشد البعد ، فالبعد « قد يكون في حال ، ويقربون بعد المغفرة إن كان التبديل في الأعمال ولم يكن في العقائد ، وعلى هذا التقدير يكون نور الوضوء يعرفون به ، ثم يقال لهم : سحقاً سحقاً . وإن كانوا من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يظهرون الإيمان ويسرون الكفر ؛ فأخذهم بالظاهر ، ثم يكشف لهم الغطاء ، فيقال لهم : فسحقاً فسحقاً»^(١) .

ويقول ابن حجر في بيان هؤلاء الذين يطردون عن الحوض وتبرير النبي ﷺ منهم ، ودعائه عليهم : « وحاصل ما حمل عليه حال المذكورين أنهم إن كانوا من ارتد عن الإسلام فلا إشكال في تبرير النبي ﷺ منهم ، وإبعادهم ، وإن كانوا من لم يرتد . لكن أحدهم معصية كبيرة من أعمال البدن ، أو بيعة من اعتقاد القلب . فقد أجاب بعضهم بأنه يتحمل أن يكون أعرض عنهم ولم يشفع لهم اتباعاً لأمر الله فيهم حتى يعاقبهم على جنابتهم ، ولا مانع من دخولهم في عموم شفاعته لأهل الكبائر من أمته ، فيخرجون عند إخراج الموحدين من النار»^(٢) .

لكن يرد على هذا أيضاً : كيف دعا عليهم ؟

لم يذكر ابن حجر رحمة الله الجواب ، ولعل الجواب : أنه غضب عليهم حين أخبر أنهم غيروا وبدلوا بعده في دينهم ، ولا مانع بعد ذلك أن يرضي عنهم ويشفع لهم .

(١) التذكرة ، ص ٣٠٧ .

(٢) فتح الباري ج ١٣ ص ٤ .

ويقول القاضي عياض فيما ينقله عنه التوسي : « هذا دليل لصحة تأويل من تأول أنهم أهل الردة ، ولهذا قال فيهم : سحّاً ، ولا يقول ذلك في مذني الأمة ، بل يشفع لهم ، وبهم لأمرهم ، قال : وقيل : هؤلاء صنفان :

أحدهما : عصاة مرتدون عن الاستقامة لا عن الإسلام ، وهؤلاء مبدلون للأعمال الصالحة بالسيئة .

والثاني : مرتدون إلى الكفر حقيقة ، ناكصون على أعقابهم ، وأسم التبديل يشمل الصنفين »^(١) .

وقال البرديسي نقلًا عن شرح الجوهرة ، في بيان أقوال العلماء في معنى الحديث ، وبيان هؤلاء الذين يذادون عن الحوض :

« اختلف العلماء في المراد بالمطرودين على أقوال :

أحدها : أن المراد بهم المنافقون والمرتدون ، فيجوز أن لا يحشروا^(٢) بالغرة والتحجيم ، فیناديهم عليه الصلوة والسلام للسيما التي عليهم ، فيقال له : أن هؤلاء بدلوا بعده و لم يتوتا على ما ظهر من إسلامهم .

الثاني : أن المراد من كان في زمانه عليه الصلوة والسلام ، ثم ارتد بعده ، فیناديهم لما كان يعرفهم في حياته من اتباعهم ، فيقال له : ارتدوا بعده .

الثالث : أن المراد بهم أصحاب المعاصي والكبار الذين ماتوا على التوحيد ، وأصحاب البدع ، لكن على هذا القول لا يقطع لمن يذادون بالنار ،

(١) التوسي لسلم ج ٥ ص ١١٢ .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعل الصحيح : أن يحشروا .

بل يجوز أن يذادوا عقوبة لهم ثم يرحمهم الله فيدخلهم الجنة «^(١)».

وهو معنى قوله أيضاً : «العصاة يذادون عنه في وقت دون وقت» «^(٢)».

ويقول السفاريني : « ولا ريب أن كثيراً من الأعراب ومن بنى حنفية ومن بنى تميم - من كان قد أسلم ووفد على النبي ﷺ - قد ارتد لما توفي النبي ﷺ ، فقاتلهم الصديق الأعظم ، فأمر خالد بن الوليد فأنكلأفيهم »^(٣) ، فسمّنهم من قتل ، ومنهم من حرق ، ومنهم من رجع إلى الإسلام ، فالحاديـث من أعلام النبوة »^(٤) .

ويقول أيضاً - ملخصاً من يمنع من الشرب من المخوض من أصناف الناس - : « والحاصل : أن من الذين يذادون عن المخوض جنس المفترين على الله تعالى ، وعلى رسوله ﷺ ، من المحدثين في الدين من الروافض والخوارج وسائر أصحاب الأهواء والبدع المضلة ، وكذلك المسرفون من الظلمة ، المفرطون في الظلم والجحود وطمس الحق ، وكذلك المتهتكون في ارتكاب المنافي ، المعلنون في اقتراف المعاصي »^(٥) .

أما ما ورد من أن الرسول ﷺ يذود الناس عن حوضه كما تزداد الإبل الغريبة ، فما الحكمة من هذا الذود ؟ ومن الذي يتولى الذود ؟ فهو الرسول ﷺ أم ملك من الملائكة ؟

يقول الحافظ ابن حجر عن الحكمة في ذلك الذود :

(١) تكمـلة شـرح الصـدور ص ٢٥ .

(٢) المصـدر السـابـق ص ٢٦ .

(٣) أـنـكـلـأـفـيـهـمـ ، بـمـعـنـىـ : أـثـخـنـ فـيـهـمـ الـجـراـحـ وـالـقـتـلـ .

(٤) شـرح ثـلـاثـاتـ المسـندـ جـ1ـ صـ ٥٤١ـ .

(٥) لـوـامـعـ الـأـنـوارـ جـ2ـ صـ ١٩٧ـ .

« والحكمة في الذود المذكور : أنه ﷺ يريد أن يرشد كل واحد إلى حوض نبيه ، على ما تقدم أن لكلنبي حوضاً ، وأنهم يتباهون بكثرة من يتبعهم ، فككون ذلك من جملة إنصافه ، ورعاية إخوانه من النبيين ، لا أنه يطردهم بخلاً عليهم بالماء ، ويحتمل أنه يطرد من لا يستحق الشرب من الخوض ، والعلم عند الله »^(١) .

وأكثر الروايات جاءت في أن الرسول ﷺ يطرد من غير وبدل بعده من أنته ، ولا مانع أن يتولى بنفسه الطرد لهم ، أو تطردهم الملائكة بأمره ، أو غير ذلك ، وقد تقدم التصريح بطرده الناس عن حوضه : « إني لبعقر حوضي أفود الناس ... » الحديث .

وأما طرده لمن ليس من أنته ، فهو كما ذكر الحافظ ابن حجر أنه يطردهم إرشاداً لهم إلى حياض أنبيائهم ، وهذا على القول بأن لأنبياء الآخرين حياضاً .

وقد ورد في بعض الروايات ما يفيد أن الذي يذود الناس عن الخوض هو غير الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقد أورد الأجري في كتابه - الشريعة - عدة أحاديث في إثبات الخوض ، ومنها هذه الرواية :

حدثنا الفريابي ، قال : حدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه : قيل يا رسول الله كيف تعرف من يأتي بعد من أنتك ؟ قال : أرأيت لو كان لرجل خيل غر محجلة في خيل دهم بهم ، ألا يعرف خليه ؟ ، قالوا : بل يا رسول الله ، قال : فإنهم يأتون يوم القيمة غرّاً محجلين من الوضوء ، وأنا فرطهم على الخوض ،

(١) فتح الباري ج ١١ ص ٤٧٤ .

فليزادن رجال عن حوضي كما يزداد البعير الضال^(١)

وفي رواية: «فيذب عني كما يذب البعير الضال»^(٢)

ويؤيد هذا أيضاً ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «ثم إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم؛ خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هل»^(٣) . . . الحديث.

معنى قول الرسول ﷺ: «ومنبرى على حوضى»:

اختلف العلماء في معنى هذا الحديث على أقوال: فقيل: إنه «ينقل يوم القيمة فينصب على الحوض»، وقال الأكثرون: المراد: منبره بعينه الذي قال هذه المقالة وهو فوقه، وقيل: المراد: المنبر الذي يوضع له يوم القيمة، وقيل: معناه أن قصد منبره والحضور عنده ملزمة للأعمال الصالحة يورده صاحبه إلى الحوض ويقتضي شريه منه»^(٤).

قال ابن حجر: «وال الأول أظهر».

أما القول الأخير فإنه بعيد لما يظهر من عدم ملاءمته لظاهر الحديث؛ لأن الكلام عن المنبر نفسه، لا عن يقصده ويجتمع حوله من الناس.

وقد استشكل بعض العلماء ورود أهل الكبار الحوض، بناء على أنهم ليسوا من الذين يزدادون عن الحوض، خصوصاً الذين علم الله أنهم سيدخلون النار، أفيشربون منه باعتبار أنهم من المؤمنين؟ وأن مآلهم إلى الجنة، أم لا يشربون لأنهم سيدخلون النار؟

(١) الشريعة ص ٣٥٦.

(٢)، (٣) تقدم تخریجهما. فتح الباري ج ١١ ص ٤٧٤.

(٤) فتح الباري ج ٤ ص ١٠٠.

أم أنهم يشربون رغم دخولهم النار ، ولكن لا يعذبون بالعطش بخصوصه ، ويعذبون بغیره من أنواع العذاب الذي يريد الله تعالى بهم ؟

أجاب القرطبي عن هذا بقوله :

« وقد يقال : إن من أنفذ الله عليه وعيده من أهل الكبائر أنه وإن ورد الحوض وشرب منه ؛ فإنه إذا دخل النار بمشيئة الله تعالى لا يعذب بعطش ، والله أعلم »^(١) .

ويبدو أن القاضي عياض يذهب إلى القول بأنه لا يمنع أن يشرب أهل الكبائر من الحوض ، وإن كان مصيرهم أولاً إلى النار ، وأنهم في حال دخولهم فيها لا يعذبون بالعطش .

وهذا هو ما يذكره النووي تفلاً عنه ؛ من أنه يرى أن ظاهر قوله عليه السلام : « ومن شرب لم يظمأ أبداً » : « أن الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة من النار ، فهذا هو الذي لا يظمأ بعده » ، قال : « وفيه : لا يشرب منه إلا من قدر له السلامة من النار » ، قال : « ويحتمل أن من شرب منه من هذه الأمة وقدر عليه دخول النار لا يعذب فيها بالظلماء ، بل يكون عذابه بغیر ذلك ؛ لأن ظاهر هذا الحديث أن جميع الأمة يشرب منه إلا من ارتد وصار كافراً »^(٢) .

لكن الحافظ ابن حجر قد رد هذا القول - أي بأن أهل الكبائر لا يعذبون بالعطش إذا دخلوا النار - ووصفه بأنه احتمال ، ويدفعه أنه وقع في حديث أبي ابن كعب عند ابن أبي عاصم في ذكر الحوض : « ومن لم يشرب منه لم يرث »

(١) التذكرة ص ٣٠ .

(٢) شرح النووي لمسنون ج ٥ ص ١٥١ .

أبداً^(١).

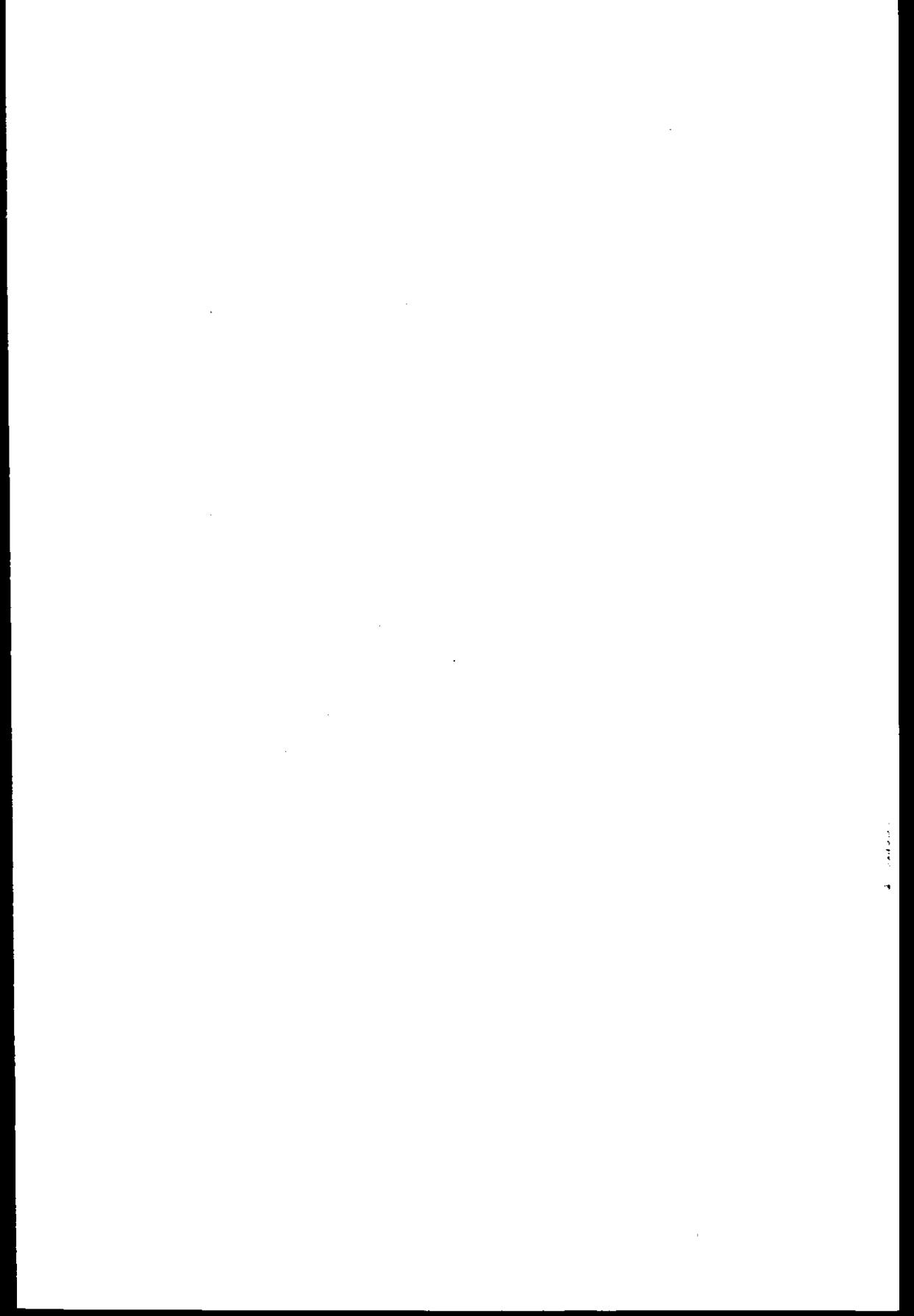
ورد ابن حجر لا يتناسب مع قول القرطبي السابق والقاضي ؛ لأن كلاماً منهما في إثبات الشرب لأهل الكبائر ، وأنهم لا يعذبون في النار بالعطش ، فلا يرد انتقاد ابن حجر على ذلك القول ؛ لأن أصحاب الكبائر قد شربوا منه ؛ فلا يعطشون أبداً .

وبعد عرض الأدلة السابقة من أقوال المصطفى عليه نتم الكلام بأقوال علماء الإسلام في اتفاقهم على إثبات الحوض .

* * *

الفصل الثالث

أقوال علماء الإسلام في إثبات الحوض



الفصل الثالث

أقوال علماء الإسلام في إثبات الحوض

وأما علماء السلف فهم - كما أشرنا إليه سابقاً - على اتفاق تام على إثبات الحوض ، وصفاته التي وردت على لسان نبينا محمد ﷺ ، كما سنعرض فيما يلي بعض أقوالهم للاستشهاد بها على صحة ما قلناه عنهم .

قال السفاريني : « والحضور والكوثر ثابت بالنص وإجماع أهل السنة والجماعة حتى عده أهل السنة في العقائد الدينية لأجل الرد على أهل البدع والضلال »^(١) .

وقد ذكر ابن كثير - رحمه الله - عدداً من الصحابة الذين رووا أحاديث الحوض ، فقال :

« ذكر ما ورد في الحوض النبوي المحمدي - سقانا الله منه يوم القيمة - من الأحاديث المتواترة المتعددة من الطرق الكثيرة المتضارفة ؛ وإن رغمت أنوف كثيرة من المبتدعة المعاندة المكابرة ، القائلين بجحوده ، المنكرين لوجوده ، وأخلق بهم أن يحال بينهم وبين من وروه ، كما قال بعض السلف : « من كذب بكرامة لم ينلها » ، ولو اطلع المنكر للحضور على ما سنورده من الأحاديث قبل مقالته لم يقلها ». ثم شرع في ذكر أسماء الصحابة الذين رووا أحاديث الحوض ، ونذكر هنا أسماءهم إجمالاً :

(١) شرح ثلاثيات المسند ج ١ ص ٥٣٧

«أبي بن كعب ، وأنس بن مالك ، والحسن بن علي ، وحمزة بن عبد المطلب ، والبراء بن عازب ، ويزيد بن حبيب ، وثوبان مولى رسول الله ﷺ ، وجابر بن سمرة ، وجابر بن عبد الله ، وجرير بن عبد الله البجلي ، وحارثة ابن وهب ، وحذيفة بن أسميد ، وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن أرقم ، وعبد الله بن ابن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن مسعود ، وعتبة بن عبد الله السلمي ، وعثمان بن مظعون ، والمستورد ، وعقبة بن عامر الجهني ، والنواس بن سمعان ، وأبو أمامة الباهلي ، وأبو بربعة الأسالمي ، وأبو بكرة ، وأبو ذر الغفاري ، وأبو سعيد الخدري ، وخولة بنت قيس ، وأبو هريرة الدوسي ، وأسماء بنت أبي بكر ، وعاشرة ، وأم سلمة ، رضي الله عنهم أجمعين ، وامرأة حمزة عم الرسول ﷺ ، وهي من بنى النجار راوية أبي بن كعب الأنصاري رضي الله عنه »^(١).

ويقول ابن حجر رحمة الله : « وقال القرطبي في (المفہم) . تبعاً للمقاضي عياض في غالبه ؛ أي أغلب الكلام الآتي - : مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ، ويصدق به أن الله سبحانه وتعالى قد خص نبیه محمداً ﷺ بالخوض المصحح باسمه وصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي ؛ إذ روى ذلك عن النبي ﷺ من الصحابة نيف على الثلاثين منهم ؛ في الصحيحين ما ينفي على العشرين ، وفي غيرهما بقية ذلك مما صح نقله واشتهرت روايته ، ثم رواه عن الصحابة المذكورين من التابعين وأمثالهم ومن بعدهم أضعاف أضعافهم ، وهلم جرا ، وأجمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف »^(٢).

(١) النهاية ج ٢ ص ٢٩.

(٢) فتح الباري ج ١١ ص ٤٦٧ .

وقال القاضي عياض - رحمه الله . فيما ينقله عنه النووي : « أحاديث الخوض صحيحة والإيمان به فرض ، والتصديق به من الإيمان ، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه ، قال القاضي : وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة » ، ثم شرع في ذكر أسمائهم ، قال النووي : « وقد جمع ذلك كله الإمام الحافظ أبو بكر البهقي في كتابه *بعث والنشر* بأسانيده وطرقه المتکاثرات »^(١) .

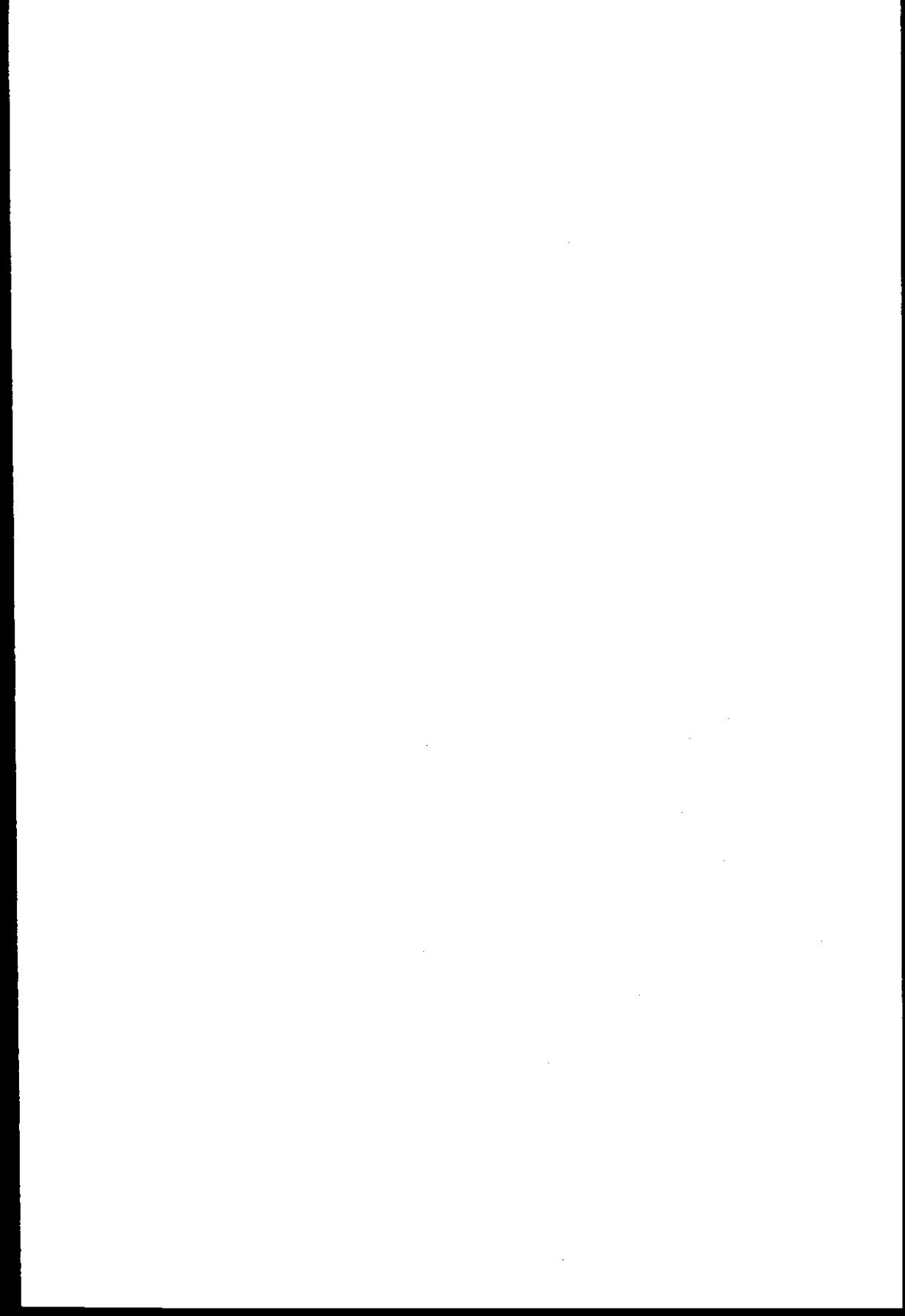
وكل تلك الروايات المتکاثرة تجعل المسلم يجزم دون أي تردد في إثبات الخوض ، بل إن في بعض هذا ما يقتضي كون الحديث متواتراً^(٢) كما قال عياض - رحمه الله ..

وقد ذكر ابن حجر جمیع من روی أحاديث الخوض وأماكن تلك الروايات ، ثم قال : « فجمیع من ذکرهم عياض خمسة وعشرون نفساً ، وزاد عليه النووي ثلاثة ، وزدت عليهم أجمعین قدر ما ذکروه سواء ، فزادت العدة على الخمسين ، ولکثیر من هؤلاء الصحابة في ذلك زيادة على الحديث الواحد کأبی هريرة وأنس وابن عباس وأبی سعید وعبد الله بن عمرو ، وأحاديثهم بعضها في مطلق ذکر الخوض ، وفي صفتھ بعضها ، وفيمن يرد عليه بعضها ، وفيمن يدفع عنه بعضها ، وكذلك في الأحاديث التي أوردھا المصنف . يعني البخاري - في هذا الباب ، وجملة طرقھا تسعة عشر طریقاً ، وبلغني أن بعض المتأخرین أوصلھا إلى روایة ثمانین صحایاً »^(٣) .

* * *

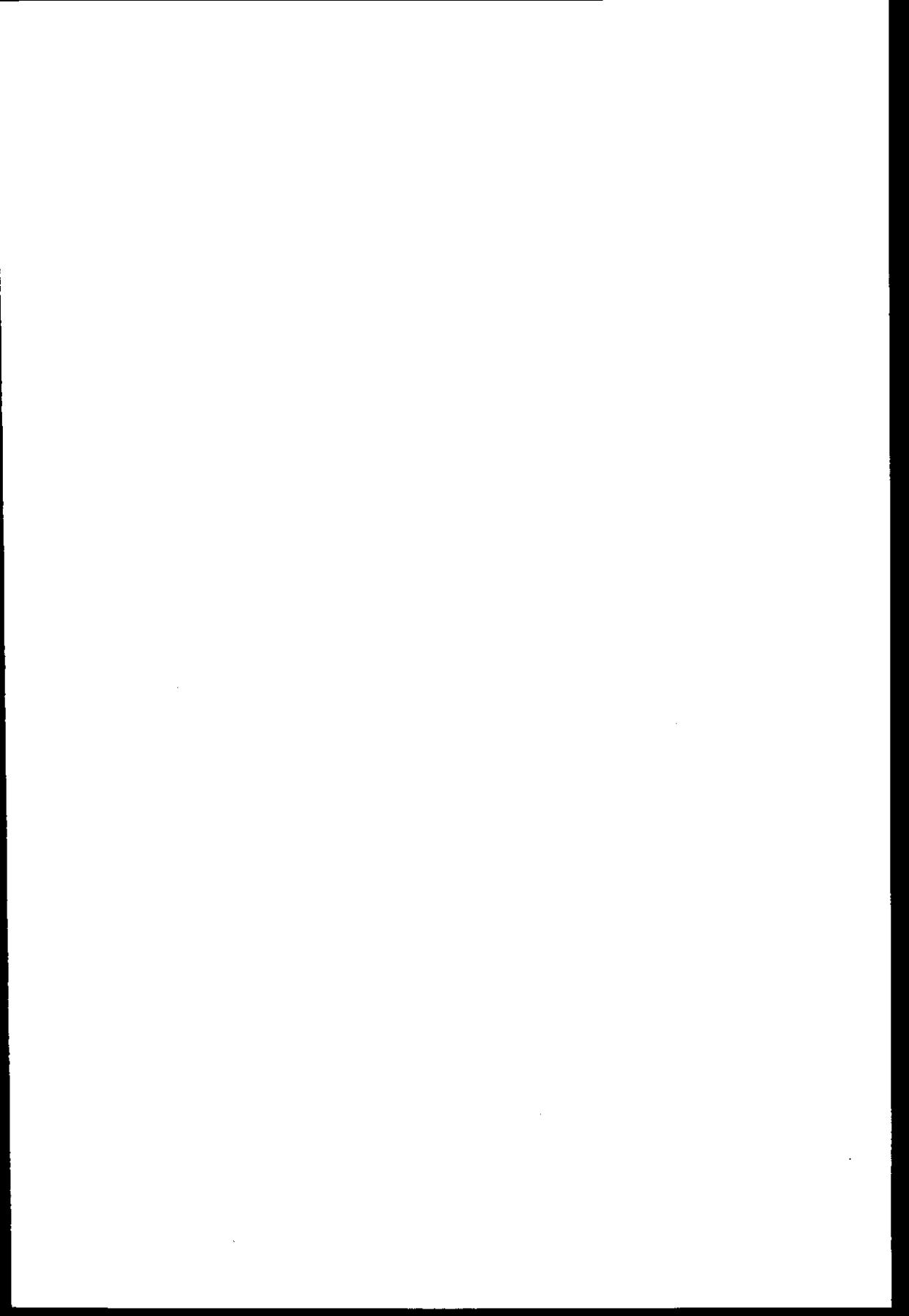
(١) شرح النووي لسلم ج ٥ ص ١٥٠ .

(٢) فتح الباري ج ١١ ص ٤٦٩ .



الفصل الرابع

مسافة الحوض



الفصل الرابع

مسافة الحوض

وردت في تحديد مسافة الحوض روايات عديدة ، وفيها اختلاف كثير - كما ذكر ابن حجر ^(١) . وقد وجد بين تلك الروايات بعض التباين ، وهذا هو الذي حمل بعض الناس على الرزع بأن ذلك يقبح فيها ؛ فترد - بزعمهم - لأنها متناقضه ومتعارضه ، وهو ما سببته بياني وجه الجمع بينها ، بعد أن نذكر بعض الروايات التي جاءت في تحديد مسافته ، فيما يأتي :

١ - أنه ما بين أيلة إلى صناعه :

كما في رواية أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن قدر حوضي كما بين أيلة وصناعه من اليمن ، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء » ^(٢) .

وفي رواية عن جابر بن سمرة عن رسول الله ﷺ قال : « إلا إني فرط لكم على الحوض ، وإن بعد ما بين طرفيه كما بين صناعه وأيلة ، كان الأباريق فيه النجوم » ^(٣) .

وعن أبي بربعة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما بين

(١) فتح الباري ج ١١ ص ٤٧٠ .

(٢) صحيح البخاري ج ١١ ص ٤٦٤ . ومسلم ج ٥ ص ١٦١ .

(٣) صحيح مسلم ج ٥ ص ١٦٣ .

ناحيتي حوضي كما بين أيلة إلى صناعه؛ مسيرة شهر؛ عرضه كطوله، فيه مرزابان ينبعان من الجنة من ورق وذهب، أبيض من اللبن، وأبرد من الثلج، فيه أباريق عدد نجوم السماء^(١).

٢ - أنه ما بين المدينة وصناعه :

كما في رواية حارثة بن وهب أنه سمع النبي ﷺ قال : «حوضه ما بين صناعه والمدينة» ، فقال له المستورد : ألم تسمعه قال الأواني ؟ قال : لا ، قال المستورد : ترى فيه الآنية مثل الكواكب»^(٢).

٣ - أنه ما بين عدن وعمان :

عن أبي أمامة أبي يزيد بن الأخنس ، قال : يا رسول الله ؛ فما سعة حوضك ؟ قال : «كما بين عدن إلى عمان ، فأوسع وأوسع». يشير بيده . فيه شعبان من ذهب وفضة ، قال : فما حوضك ؟ فقال : «أشد ياضاً من اللبن ، وأحل من العسل ، وأطيب رائحة من المسك ، من شرب منه لم يظماً بعده ، ولم يسود وجهه أبداً»^(٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال : «حوضي كما بين عدن وعمان ، وأبرد من الثلج ، وأحل من العسل ، وأطيب ريحًا من المسك ، أ��وابه مثل نجوم السماء ، من شرب منه شربة لم يظماً بعدها أبداً ، أول الناس عليه وروداً صعاليك المهاجرين» ، قال قائل : من هم يا رسول الله ؟ ، قال : «الشيعة

(١) انظر : موارد الظمان ص ٦٤٦.

(٢) البخاري ج ١١ ص ٤٦٥ ، ومسلم ج ٥ ص ١٥٧.

(٣) النهاية لابن كثير ج ١ ص ٣٦٠ ، وعزاه إلى أبي بكر بن أبي عاصم ، وأورد حديثاً آخر عن أبي أمامة الباهلي وعزاه إلى ابن أبي الدنيا .

رؤوسهم ، الشحبة وجوههم ، الدنسة ثيابهم ، لا تفتح لهم السدد ، ولا ينكحون المعنمات ، الذين يعطون كل الذي عليهم ، ولا يأخذون كل الذي لهم^(١) .

وأورد الترمذى في سنته حديثاً عن ثوبان بمعنى ما سبق من حديث ابن عمر رضي الله عنهم ، وقال فيه : عن النبي ﷺ : « حوضي من عدن إلى عمان البلقاء »^(٢) .

٤ - وورد في تحديده أنه كما بين صناء إلى بصرى :

كما يفيده حديث عتبة بن عبد السلىمى رضي الله عنه ، قال : قام أعرابي إلى رسول الله ﷺ ، فقال : ما حوضك الذي تحدث عنه ؟ فقال : « هو كما بين صناء إلى بصرى ، ثم يصدق الله فيه بكراع^(٣) لا يدرى بشر . ممن خلق . أي طرف فيه » ، قال : فكبر عمر رضوان الله عليه ، فقال ﷺ : « أما الحوض فيزدحم عليه فقراء المهاجرين الذين يقتلون في سبيل الله ويموتون في سبيل الله ، وأرجو أن يوردني الله الكراع فأشرب منه »^(٤) .

٥ - أنه كما بين الكعبة وبيت المقدس :

كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال :

(١) رواه أحمد ج ٢ ص ١٣٢ ياسناد حسن ، كما قال المنذري في الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٤٢٠ ، وأورد المنذري أيضاً ج ٤ ص ٤١٧ حديثاً بمعنى ما سبق عن أنس ، وكذا ابن ماجه في سنته ج ٢ ص ١٤٣٩ ، والترمذى ج ٤ ص ٦٢٩ . والسد : الأبواب .

(٢) باب ما جاء في صفة أواني الحوض ج ٤ ص ٦٢٩ .

(٣) الكراع ، فسرها المنذري ج ٤ ص ٤٢١ - بضم الكاف . هو : الأنف الممدود من الحرة ، استعير هنا ، والله أعلم .

وقال ابن الأثير : الكراع : جانب مستطيل من الحرة تشبهها بالكراع وهو ما دون الركبة من الساق . النهاية ج ٤ ص ١٦٥ .

(٤) انظر : موارد الظمان ص ٦٤٧ ، وأخرج نحوه ابن ماجه ج ٢ ص ١٤٣٩ ، والترمذى ج ٤ ص ٦٢٨ .

«إن لي حوضاً ما بين الكعبة وبيت المقدس أبيض مثل اللبن، آنيته كعدد النجوم، وإنني لأكثر الأنبياء تبعاً يوم القيمة»^(١).

٦ - أنه كما بين أيلة إلى عدن:

كما في قوله ﷺ : «إن حوضي لأبعد من أيلة إلى عدن، والذي نفسي بيده لأنبياته أكثر من عدد النجوم، وهو أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، والذي نفسي بيده إني لأذود عنه الرجال كما ينزو الرجل الإبل الغربية عن حوضه» قيل : يا رسول الله ، أتعرفنا؟ قال : «نعم، تردون علي غرأ محجلين من ثير الوضوء، ليست لأحد غيركم»^(٢).

٧ - وجاء من حديث أنس أنه كما بين صنعاء والمدينة ، أو كما بين المدينة وعمان :

عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : «ما بين ناحيتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة» ، أو كما بين المدينة وعمان^(٣) في رواية أخرى.

٨ - أنه كما بين الكوفة والحجر الأسود :

كما في حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال : «حوضي كما بين الكوفة إلى الحجر الأسود»^(٤).

٩ - أنه كما بين جرباء وأذرح :

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : «أمامكم حوضي كما

(١) رواه ابن ماجه ج ٢ ص ١٤٣٨ ، من حديث زكريا عن عطية وهو العوفي عنه .

(٢) أخرجه مسلم ج ١ ص ٥٣٤ ، وابن ماجه ج ٢ ص ١٤٣٨ .

(٣) أخرجه البخاري ج ١ ص ٤٦٥ «الرقاق» ومسلم ج ١ ص ١٦٢ .

(٤) أخرجه الترمذى ج ٤ ص ٦٣٠ ، وأخرج السعاني نحو هذا الحديث ج ٨ ص ٢٢٥ .

بین جرباء وأذرح^(١) ، وفي رواية لسلم عن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : «إن
أمامكم حوضاً كما بين جرباء وأذرح ، فيه أباريق كنجوم السماء ، من ورده فشرب
منه لم يظمأ بعدها أبداً»^(٢) .

١٠ - أنه كما بين الجاية وصنوع :

كما في حديث أبي هريرة وجابر بن عبد الله قالا : قال رسول الله ﷺ :
«سعة حوضي ما بين الجاية إلى صنوع»^(٣) .

١١ - أنه كما بين عمان إلى أيلة :

عن أبي ذر قال : قلت : يا رسول الله ، ما آنية الحوض ؟ قال : «والذي نفس
محمد بيده لأننيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ، إلا في الليلة المظلمة
المصححة ، آنية الجننة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه ، يشخّب فيه ميزابان من
الجنّة ، من شرب منه لم يظمأ ، عرضه مثل طوله ، ما بين عمان إلى أيلة ، مأوئه أشد
بياضاً من اللبن وأحلى من العسل»^(٤) .

١٢ - وحدد بأنه كما بين المدينة وعمان :

وعن ثوبان أن نبي الله ﷺ قال : «إني ليعقر حوضي أذود الناس لأهل اليمن ،
أضرب بعصاي حتى يرفض عليهم» ، فسئل عن عرضه ، فقال : «من مقامي
إلى عمان» ، وسئل عن شرابه ، فقال : «أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل» .

(١) البخاري ج ١١ ص ٤٦٣ ، ومسلم ج ٥ ص ١٥٨ ، وأبو داود بلفظ «إن أمامكم حوضاً ما
بين ناحيتيه كما بين جرباء وأذرح» قربitan بالشام بينهما ثلاثة ليال ، كما سيأتي ذكره .

(٢) صحيح مسلم ج ٥ ص ١٥٩ .

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٦٥ ، وعزاه إلى الطبراني .

(٤) صحيح مسلم ج ٥ ص ١٥٩ .

يغت فيها ميزابان يمدانه من الجنة ، أحدهما من ذهب والأخر من ورق ،^(١)

١٣ - وحدد بما بين أيلة إلى الجحفة :

عن عقبة بن عامر قال : صلى رسول الله ﷺ على قتلى أحد ، ثم صعد المنبر كالمودع للأحياء والأموات ، فقال : « إني فرطكم على الحوض ، وإن عرضه كما بين أيلة إلى الجحفة »^(٢) إلخ الحديث .

وكما حدد بالمكان ، فقد جاء أيضاً تحدide بالزمان ؛ كما في حديث جابر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « والوضوء مسيرة شهر وزواياه سواء . يعني عرضه مثل طوله . وكيفانه مثل نجوم السماء ، وهو أطيب ريحًا من المسك ، وأشد بياضاً من اللبن ، من شرب منه لم يظماً بعدها أبداً »^(٣) .

وقال البرديسي : وجملة ما قيل فيه أنه مسيرة شهر ، وقيل : شهراً ، وقيل : ثلاثة »^(٤) .

وقد ذكر ابن حجر والبرديسي وغيرهما عدة روایات في تحديد مسافة الحوض ، وهي إجمالاً :

١ - أنه ما بين أيلة وصنعاء .

٢ - ما بين عدن وأيلة .

٣ - عمان إلى أيلة .

(١) صحيح سلم ج ٥ ص ١٦٠ .

(٢) صحيح سلم ج ٥ ص ١٥٤ .

(٣) أخرجه أحمد ج ٣ ص ٢٨٤ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : « ورجاته رجال الصحيح ، ورواه البزار باختصار ، وفيه ضعف » مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٦٤ .

(٤) تكملة شرح الصدور ص ٢٣ .

- ٤- أيلة إلى الجحفة .
- ٥- صنعاء إلى المدينة .
- ٦- عدن إلى عمان البلقاء .
- ٧- ما بين بصرى إلى صنعاء .
- ٨- أيلة إلى مكة .
- ٩- مكة إلى عمان .
- ١٠- صنعاء إلى بصرى .
- ١١- صنعاء إلى مكة .
- ١٢- الكعبة إلى بيت المقدس .
- ١٣- البيضاء إلى بصرى ^(١) .

وقد ذكر النووي بعضًا من تلك الروايات ^(٢) .

أما تحديده بما بين جرباء وأذرح : فقد بين الإمام مسلم المسافة بين تلك القرتيين ومكانهما بقوله : « وحدثنا ابن نمير ، حدثنا أبي ، وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا محمد بن بشر ، قال : حدثنا عبيد الله بهذا الإسناد مثله وزاد : قال عبيد الله : فسألته ، فقال : قريتين بالشام بينهما مسيرة ثلاثة ليال ، وفي حديث ابن بشر : ثلاثة أيام » ^(٣) .

(١) فتح الباري ج ١١ ص ٤٧٠ ، ٤٧١ ، وانظر : تكملة شرح الصدور ص ٢٣ .

(٢) شرح النووي ج ٥ ص ١٥٥ ، وقد تكررت هذه الأحاديث ، فذكرتها أولًا لإثبات وجود الخوض ، ثم أعدتها ثانية لإثبات سعة الخوض ومسافته .

(٣) شرح النووي لمسلم ج ٥ ص ١٥٨ .

وقد ضبط النwoي جرباء وأذرح ؛ فقال عن جرباء : « وأما جربا فبجيم مفتوحة ثم راء ساكنة ثم باء موحّدة ثم ألف مقصورة ، هذا هو الصواب المشهور أنها مقصورة ، وكذا قيدها الحازمي في كتابه « المؤتلف في الأماكن » ، وكذا ذكرها القاضي وصاحب المطالع والجمهور .

وقال القاضي وصاحب المطالع : « ووقع عند بعض رواة البخاري ممدوحاً » ، قالا : « وهو خطأ » ، وقال صاحب التحرير : « هي بالمد ، وقد تقصير » .

قال الحازمي : « كان أهل جرباء يهوداً ، كتب لهم النبي ﷺ الأمان لما قدم عليه لحية بن رؤبة صاحب أيلة بقوم منهم ومن أهل أذرح ، يطلبون الأمان ». وقال عن أذرح إنها « بهمزة مفتوحة ثم ذال معجمة ساكنة ثم راء مضبوطة ثم حاء مهملة ، هذا هو الصواب والمشهور الذي قاله الجمهور .

قال القاضي وصاحب المطالع : « ورواه بعضهم بالجيم » قالا : « وهذا تصحيف لا شك فيه » ، وهو كما قالا ، وهي مدينة في طرف الشام في قبلة الشوبك بينها وبينه نحو نصف يوم ، وهي طرف الشراط^(١) - بفتح الشين المعجمة - ، في طرفاها الشمالي ، وتبوك في قبلة أذرح ، بينهما نحو أربع مراحل ، وبين تبوك ومدينة النبي ﷺ نحو أربع عشرة مرحلة^(٢) .

والقول بأن المسافة بين جرباء وأذرح ثلث ليال أو ثلاثة أيام ، مما وقع فيه التزاع كما ستائي الإشارة إليه .

وأما تحديده بما بين أيلة وصنعاء : فقد قال النwoي عن أيلة : « أما أيلة ففتح الهمزة وإسكان المثناة تحت وفتح اللام ، وهي مدينة معروفة في عراق الشام على ساحل البحر ، متوسطة بين مدينة رسول الله ﷺ ودمشق ومصر ،

(١) الشوبك والشراط أماكن في الشام .

(٢) شرح النwoي ج ٥ ص ١٥٥ .

بينها وبين المدينة نحو خمس عشرة مرحلة ، وبينها وبين دمشق نحو اثنى عشرة مرحلة ، وبينها وبين مصر نحو ثمان مراحل ، قال الحازمي : قيل : آخر الحجاز وأول الشام «^(١) .

وقال ياقوت الحموي عن أيلة إنها :

«مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام ، وقيل : هي آخر الحجاز وأول الشام . قال أبو زيد : أيلة : مدينة صغيرة عامرة ، بها زرع يسير ، وهي مدينة لليهود الذين حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوا فمسخوا قردة وختان ذئب .

وقال أبو المنذر : سميت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم عليه السلام ، وقال أبو عبيدة : أيلة : مدينة بين الفسطاط ومكة على شاطئ بحر القلزم ، تعداد في بلاد الشام «^(٢) .

وقال ابن حجر عنها إنها : «مدينة كانت عامرة ، وهي بطرف بحر القلزم من طرف الشام ، وهي الآن خراب ، يمر بها الحاج من مصر ، فتكون شمالاً لهم ، وتمر بها الحاج من غزة وغيرها فتكون أمامهم ، ويجلبون إليها

(١) شرح التوسي لسلم ج ٥ ص ١٥٥ .

(٢) معجم البلدان ج ١ ص ٢٩٢ .

والقلزم : بالضم ، ثم بالسكون ، ثم زاي مضمومة ، قال ياقوت : « وهو المكان الذي غرق فيه فرعون وأله ، وقال قوم : قلزم بلدة على ساحل بحر اليمن قرب أيلة والطور ومدين ، وإلى هذه المدينة ينسب هذا البحر ، وموضعها أقرب موضع إلى البحر الغربي ، وقال أبو الحسن البلاخي : أما ما كان من بحر الهند من القلزم إلى ما يحاذى بطن اليمن ، فإنه يسمى بحر القلزم ومقداره نحو ثلاثة مراحل طولاً ، وأوسع ما يكون عرضاً عبر ثلاث ليال ، ثم لا يزال يضيق » إلخ . انظر : معجم البلدان ج ٤ ص ٣٨٧ .

الميرة من الكرك والشوبك وغيرهما ، يتلقون بها الحاج ذهاباً وإياباً ، وإليها تنسب العقبة المشهورة عند المصريين ، وبينها وبين المدينة النبوية نحو الشهر بسير الأثقال ؛ إن اقتصر واكل يوم على مرحلة ، وإلا فدون ذلك ، وهي من مصر أكثر من النصف من ذلك .

ولم يصب من قال من المقدمين : إنها على النصف مما بين مصر ومكة ، بل هي دون الثالث ، فإنها أقرب إلى مصر ، ونقل عياض عن بعض أهل العلم أن أيلة شعب من جبل رضوى الذي في ينبع ، وتعقب بأنه اسم وافق اسمأ ، والمراد بأيلة في الخبر هي المدينة الموصوفة آنفاً ، وقد ثبت ذكرها في صحيح مسلم في قصة غزوة تبوك ، وفيه : «أن صاحب أيلة جاء إلى رسول الله ﷺ وصالحه»^(١) .

قال ابن حجر : « وأما صناعة فإما قيدت في هذه الرواية باليمن احترازاً من صناعة التي بالشام ، والأصل فيها صناعة اليمن : لما هاجر أهل اليمن في زمن عمر عند فتوح الشام نزل أهل صناعة في مكان من دمشق فسمى باسم بلدتهم » .

ونقل عن ابن التين أن المراد بصناعة التي حدد بها مسافة الحوض : صناعة الشام ، وقد رد عليه ابن حجر هذا المعنى ، وقال : « لا بعد في حمله على المتبارد وهو صناعة اليمن لما تقدم توجيهه » ، ولو رودها في الحديث مقيدة بصناعة اليمن »^(٢) .

ثم قال - يعني ابن التين - : « يحتمل أن يكون ما بين المدينة وصناعة الشام قدر ما بينها وصناعة اليمن ، وقدر ما بينها وبين أيلة ، وقدر ما بين جرباء وأذرح » .

(١) فتح الباري ج ١١ ص ٤٧٠ .

(٢) فتح الباري ج ١١ ص ٤٧١ .

قال ابن حجر : « وهو احتمال مردد ؛ فإنها متفاوتة إلا ما بين المدينة وصنعاء ، وبينها وصنعاء الأخرى »^(١) .

وقال ياقوت في معجم البلدان : « وصنعاء موضعان : أحدهما باليمن ، وهي العظمى ، والأخرى قرية بالغوطة في دمشق »^(٢) .

وأما تحديده بما بين عدن وأيلة : فإن عدن « بفتحتين ؛ بلد مشهور على ساحل البحر في أواخر سواحل اليمن وأوائل سواحل الهند ، وهي تسامت صنعاء ، وصنعاء في جهة الجبال »^(٣) .

وأما تحديده بما بين عمان إلى أيلة : فإن عُمان « بضم المهملة وتحقيق الميم ؛ بلد على ساحل البحر من جهة البحرين »^(٤) ، بخلاف عمان البلقاء التي بالشام ؛ فإنها « بفتح المهملة وتشديد الميم للأكثر ، وحكي تحقيفها ، وتنسب إلى البلقاء لقربها منها ، والبلقاء - بفتح المونحة وسكون اللام بعدها قاف ، وبالمدة - : بلدة معروفة من فلسطين »^(٥) .

وأما تحديده بما بين بصرى إلى صنعاء : فإن بصرى « بضم المونحة وسكون المهملة : بلد معروف بطرف الشام من جهة الحجاز »^(٦) .

قال ياقوت : « بصرى في موضعين - بالضم والقصر - : إحداهما بالشام من أعمال دمشق ، وهي قصبة كورة حوران ، مشهورة عند العرب قديماً

(١) فتح الباري ج ١١ ص ٤٧٥ .

(٢) معجم البلدان ج ٣ ص ٤٢٦ .

(٣) المصدر السابق ص ٤٧١ .

(٤)، (٥)، (٦) فتح الباري ج ١١ ص ٤٧١ ، شرح التوسي لسلم ج ٥ ص ١٥٥ .

و الحديثاً . وبصرى أيضاً من قرى بغداد قرب عكbara^(١) .

وأما تحديده بما بين البيضاء إلى بصرى : فإن البيضاء قرية من الربذة ؛
البلد المعروف بين مكة والمدينة^(٢) .

وأما تحديده بما بين الكوفة والحجر الأسود : فإن الكوفة قد قال عنها
ياقوت : « الكوفة ، بالضم : المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق »^(٣) .

وأما الجاوية التي حدد بها مسافة الحوض ، فقال ياقوت عنها : « هي قرية
من أعمال دمشق ، ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان ، قرب مرج الصفر
في شمالي حوران »^(٤) .

وأما تحديده بما بين أيلة والجحفة : فإن الجحفة - كما قال ياقوت عنها -
بالضم ثم السكون والفاء ، كانت قرية كبيرة ذات خير على طريق المدينة ، من
مكة على أربع مراحل ، وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يروا على
المدينة ، فإن مرروا بالمدينة فميقاتهم ذو الخليفة ، وكان اسمها : مهيعة ، وإنما
سميت الجحفة ؛ لأن السيل اجتذبها ، وحمل أهلها في بعض الأعوام ،
وهي الآن خراب^(٥) .

* * *

(١) معجم البلدان ج ١ ص ٤٤١ .

(٢) فتح الباري ج ١١ ص ٤٧١ .

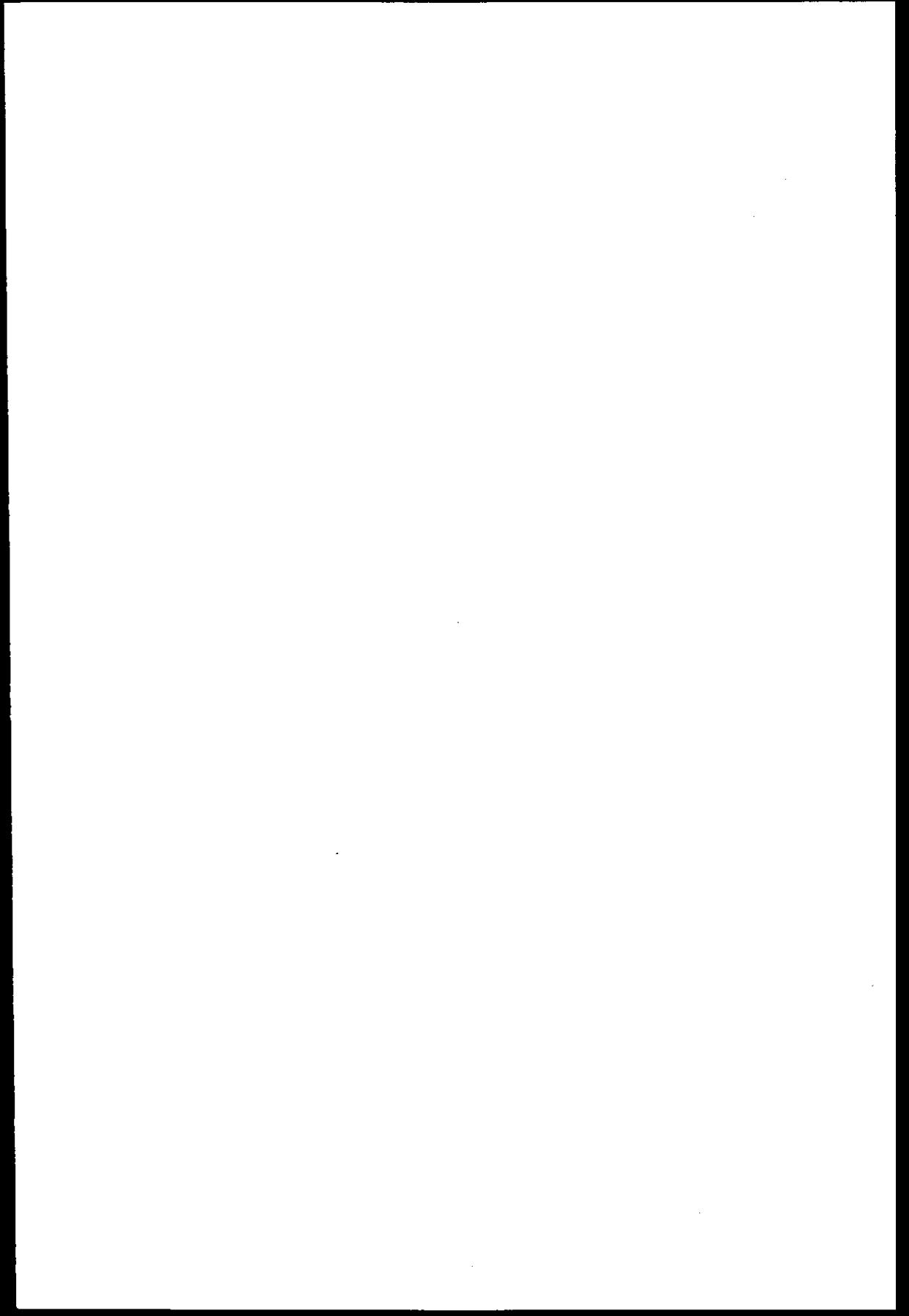
(٣) معجم البلدان ج ٤ ص ٤٩١ .

(٤) المصدر السابق ج ٢ ص ٩١ .

(٥) المصدر السابق ج ٢ ص ١١١ .

الفصل الخامس

**الجمع بين الروايات التي وردت
في ثدييد مسافة الدوسر**



الفصل الخامس

الجمع بين الروايات التي وردت في تحديد مسافة الحوض

عرفنا فيما سبق أن هناك روايات عديدة في تحديد مسافة الحوض، وهي مختلفة في البعد. كما رأينا ، وأن الرسول ﷺ قد حددها ، أحياناً بالمكان وأحياناً بالزمان ؛ فهل تلك الفوارق بين تلك المسافات تعتبر تعارضًا ، خصوصاً إذا أريد من ذلك ضبط تلك التحديدات على وجه الدقة ؟

فإذا كانت تلك التحديدات مقصودة على وجه الدقة ؛ فلماذا تختلف المسافة من مكان إلى مكان ؟ ؛ إذ لو كانت المسافة واحدة لما اختلفت في البعد والقرب على جميع الروايات ، وإلا كانت مضطربة كما ذهب إليه بعض الناس .

وإذا كانت تلك الروايات ثابتة كلها عن الرسول ﷺ . ونحن نعلم قطعاً أنه ليس في كلام الله وكلام رسوله ﷺ تناقض . كان علينا لرأينا النظر والتدقيق في فهمها والرجوع إلى ما قاله أهل الحق في توجيهها .

والواقع أن تلك الروايات ليست جميعها على درجة واحدة من الصحة ، وقد بذل كثير من العلماء جهدهم للتوفيق بين تلك الروايات المتعددة التي انطبق عليها قول ابن حجر بأن فيها : « اختلافاً كثيراً » .

ويكفي تلخيص ما جمع به العلماء بين تلك الروايات من الأقوال فيما

يلي :

- ١ - يحمل تعدد الروايات على أن الرسول ﷺ تحدث بذكر الحوض في مناسبات متعددة ، وكان يخاطب في كل مرة السائل ، مقدراً له مسافة الحوض بما يعرف من الجهات على وجه التقريب .
- ٢ - أن الرسول ﷺ ما كان يقصد ذكر المسافة بين كل جهة وجهة بالتحديد الدقيق ، ولهذا فإنه كان أحياناً يحدد المسافة بالزمان ، فيقول : مسيرة شهر ^(١) ، وأحياناً يحددها بثلاثة أيام ^(٢) ، وأحياناً يحددها بما يقرب من نصف شهر ، وسيأتي بيان اعتراف الحافظ ابن حجر على هذا الجمع الأخير .
- ٣ - أن العدد القليل لا ينافي العدد الكبير ؛ بل يكون قد أخبر ﷺ بالقليل ، ثم زاده الله بعد ذلك خبراً ينص على مسافة أكثر من التي قبلها ، وحيثند تكون المسافة الكثيرة هي المعتمدة والقليلة تدرج تحتها .
- ٤ - أن ذلك الاختلاف إنما هو بحسب الطول والعرض .
- ٥ - أن ذلك يختلف بحسب اختلاف السير قوة وبطأ .

وستذكر هنا بعض أقوال العلماء في الجمع بين تلك الروايات المختلفة :

يقول النووي رحمه الله ، في الجمع - نقاًلاً عن القاضي عياض رحمه الله - : « وهذا الاختلاف في قدر عرض الحوض ليس موجباً للاضطراب ؛ فإنه لم يأت في حديث واحد ؛ بل في أحاديث مختلفة الرواية ، عن جماعة من الصحابة ، سمعوها في مواطن مختلفة ، ضربها النبي ﷺ في كل واحد منها مثلاً بعد أقطار الحوض ، وسعة وقرب ذلك من الأفهام ، وبعد

(١) صحيح البخاري ج ١١ ص ٤٦٣ عن ابن عباس .

(٢) كما في تحديده بما بين جرباء وأذرح ؛ وبينهما ثلاثة أيام أو ثلاثة ليال ، صحيح مسلم ج ٩ ص ١٥٨ .

ما بين البلاد المذكورة ، لا على التقدير الموضوع للتحديد ؛ بل للإعلام بعظام هذه المسافة ، فبهاذا تجمع الروايات » ، ثم أضاف النووي قوله في الجمع : « قلت : وليس في القليل من هذه منع الكثير ، والكثير ثابت على ظاهر الحديث ولا معارضة »^(١) .

ويقول القرطبي - رحمه الله - :

« ظن بعض الناس أن في هذه التحديدات في أحاديث الحوض اضطراباً واختلافاً وليس كذلك ، وإنما تحدث النبي ﷺ بحديث الحوض مرات عديدة ، وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة ، مخاطباً لكل طائفة بما كانت تعرف من مسافات مواضعها ، فيقول لأهل الشام : ما بين أذرح وجرباء ، ولأهل اليمن : من صنعاء إلى عدن ، وهكذا ، وتارة أخرى يقدر بالزمان ؛ فيقول : مسيرة شهر ، والمعنى المقصود أنه حوض كبير متنع الجوانب والزوايا ، فكان ذلك بحسب من حضره من يعرف تلك الجهات ، فخاطب كل قول بالجهة التي يعرفونها »^(٢) .

وبالنسبة لكلام القاضي عياض الذي نقله عنه النووي - كما تقدم في قوله : « إن تلك الروايات إنما هي من اختلاف التقدير ؛ لأنه لم يقع في حديث واحد ، فيعد اضطراباً من الرواية ؛ بل يقع جملة من الصحابة سمعوه في مواطن متعددة ، وكان النبي ﷺ يخبر عن مسافته من الأرض بحسب ما يسنح له من العبارة لتقرير المسافة لا إرادة بيان مسافة محققة » ، - وبعد أن نقل هذا الكلام للقاضي عياض لم يرتضه ؛ بل قال : « إن فيه نظراً ، وذلك

(١) شرح النووي ج ٥ ص ١٥٥ .

(٢) التذكرة ص ٣٠٤ .

من جهة أن ضرب المثل والتقدير إنما يكون فيما يتقارب ، وأما هذا الاختلاف المتبعـد؛ الذي يزيد تارة على ثلاثة أيام ، وينقص إلى ثلاثة أيام ، فلا^(١) .

وهو اعتراض في محله ، لكن القاضي - فيما أظن - لا يريد أن الرسول ﷺ كان في ذهنه مسافة يريد أن يحددها بل كان يريد مجرد الإخبار بأن هناك مسافة ما ، ولهذا جاء التقدير مختلفاً .

ثم ذكر الحافظ ابن حجر أن بعض العلماء جمع بينها بأن ذلك الاختلاف إنما هو بحسب تفاوت الطول والعرض ، ولكن هذا - كما يذكر - مردود برواية عبد الله بن عمر : « زواياه سواء » ، وحديث النواس بن سمعان وجابر وأبي برزة وأبي ذر : « طوله وعرضه سواء » .

وبعضهم ذهب إلى القول بأن ذلك يختلف باختلاف السير قوة وبطئاً ، كالسير البطيء ؛ وهو سير الأثقال ، والسير السريع ؛ وهو سير الراكب المخف ، وأن رواية الثلاثة الأيام هي السير على البريد ، ولكن من أين لهم أن رسول الله ﷺ كان يقصد سرعة السير وبطئه أو السير على البريد ؟ ! .

وقد نقل ابن حجر عن الحافظ ضياء الدين المقدسي أن في رواية الثلاثة نقص ، وأن الحافظ العلائي غلط ابن الأثير حينما حددها بثلاثة ، وأن الغلط إنما حصل في سياق لفظها ، وذلك لاختصار وقع في سياقه من بعض رواته ، ثم ساقه من حديث أبي هريرة ، وأنه أخرجه من فوائد عبد الكريم بن الهيثم الديري عاقولي بسند حسن إلى أبي هريرة مرفوعاً في ذكر الخوض ، فقال فيه : « عرضه مثل ما بينكم وبين جرباء وأذرح » .

قال الضياء : « فظاهر بهذا أنه وقع في حديث ابن عمر حذف تقديره : كما

(١) فتح الباري ج ١١ ص ٤٧١ .

بين مقامي وبين جرباء وأذرح ؛ فسقط : «مقامي» و «بين» .

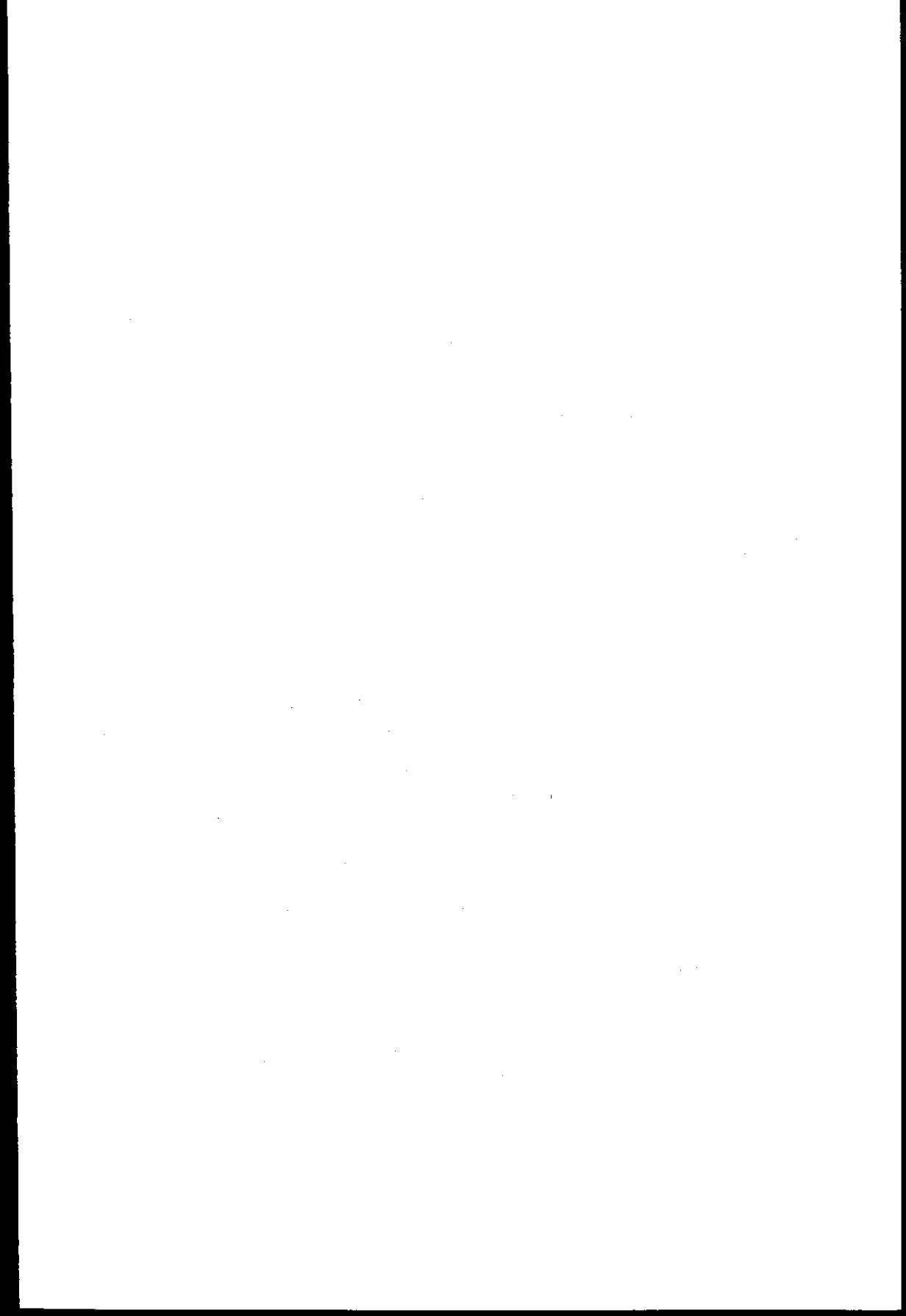
وقال الحافظ صلاح الدين العلائي ، بعد أن حكى قول ابن الأثير في النهاية : هما قربitan بالشام بينهما مسيرة ثلاثة أيام ، ثم غلطه في ذلك ، وقال : «ليس كما قال ، بل بينهما غلوة سهم ، وهما معروفتان بين القدس والكرك» ، قال : «وقد ثبت القدر المحدوف عند الدارقطني وغيره بلفظ : «ما بين المدينة وجرباء وأذرح» .

قلت : وهذا يوافق رواية أبي سعيد عند ابن ماجه : «كما بين الكعبة وبيت المقدس» .

وقد وقع ذكر جرباء وأذرح في حديث آخر عند مسلم ، وفيه : «وافي أهل جرباء وأذرح بحر سهم إلى رسول الله ﷺ» ، ذكره في غزوة تبوك ، وهو يؤيد قول العلائي أنهما متقاربان ، وإذا تقرر ذلك رجع جميع المختلف إلى أنه لا اختلاف السير البطيء والسير السريع^(١) .

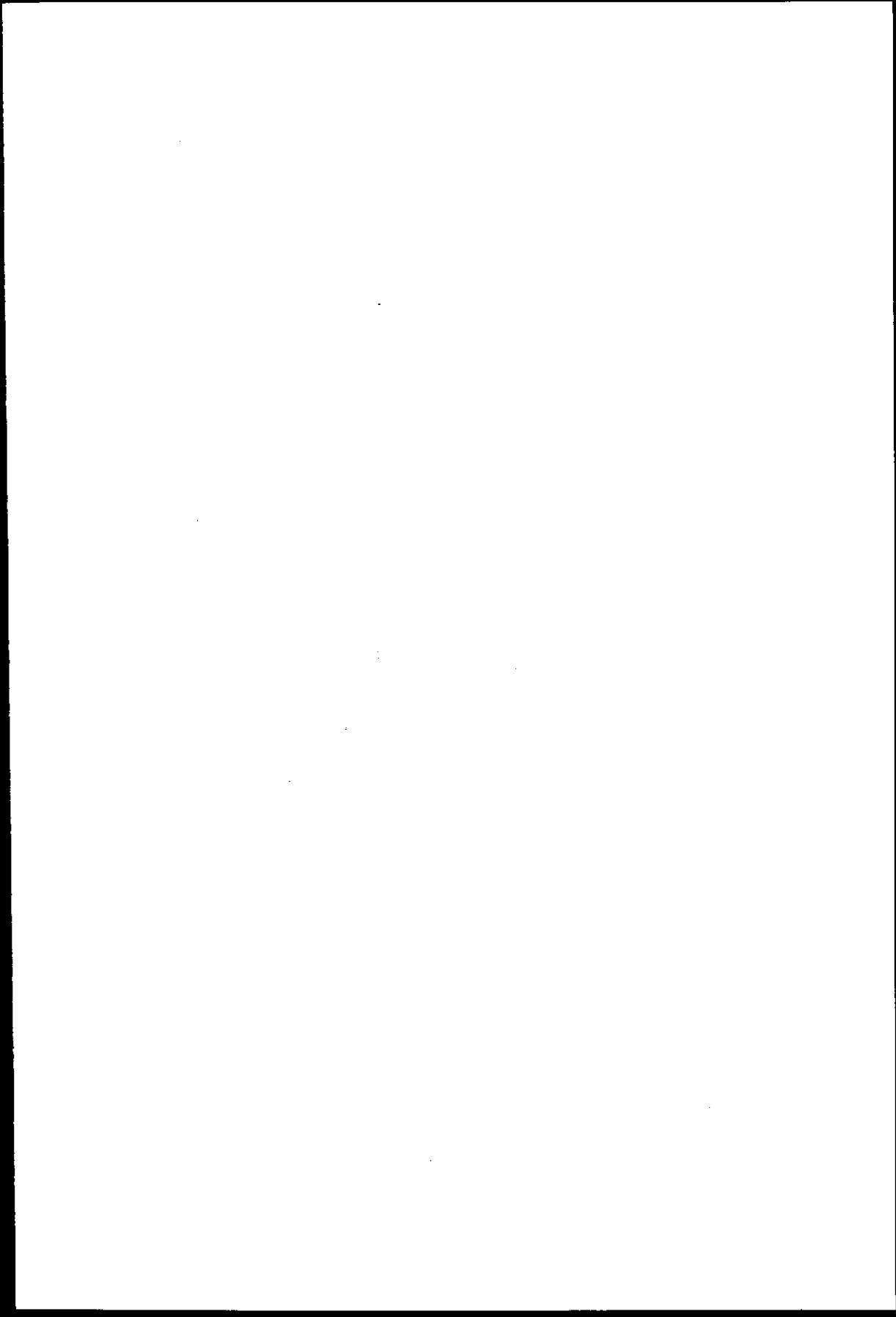
وأرجح الأقوال - فيما أرى - هو القول بأن الرسول ﷺ لم يرد أن تلك المسافات - بين تلك الأماكن التي قالها - متحدة ، وإنما كان يريد الإخبار عن مسافة ما بين أجزاء الحوض ، وما قيل من أنه ينبغي أن تكون المسافة واحدة مع كل سائل ، فليست ذلك بلازم ؛ لأن النبي ﷺ كان يخاطب السائل مقرباً له المسافة ، ومشيراً له إلى ما يعرف من الأماكن ؛ فالسائل الذي يعرف المدينة وعمان يمثل له بها ، والسائل الذي يعرف جهة جرباء وأذرح يمثل له بها ، ولم يرد الرسول ﷺ أن تلك المسافات بين تلك الأماكن متحدة .

* * *



الفصل السادس

صفات الدوض و مزاياه



الفصل السادس

وردت للحضور صفات كثيرة جاء ذكر بعضها فيما تقدم من الأحاديث، ول تمام الفائدة نذكر كل ما ورد من الصفات، ملخصة من الأحاديث الشريفة، وحاصلها :

أنه حوض عظيم، ومورد كريم، لا يعلم سعته على الحقيقة إلا الله تعالى،
ما وء أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأشد برداً من الثلج ، وأطيب
ريحاً من المسك ، من يشرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، وهو في غاية
الاتساع، كلما شرب منه زاد واتسع ، ينبت من خلاله المسك والرضاخ^(١)
من اللؤلؤ وقضبان الذهب، ويشرم ألوان الجواهر ، وفيه من الأباريق كعدد
نجوم السماء في الليلة المظلمة المصححة ، أنيته من ذهب وفضة^(٢) .

وكل هذه الصفات أمور سمعية ينبغي الإيمان بها كما وردت ، ونحن نعلم أن أحوال الآخرة مختلفة عن أحوال الدنيا ، والاسم هو الاسم والحقيقة غير الحقيقة .

وقد يقال: إذا ثبت أن الحوض من شرب منه من المؤمنين شربة لم يصبه

(١) الرضراض : هو ماء دافئ من صغار الحصى .

(٢) انظر لتلك الصفات : فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جـ ٣ ص ١٤٦ ، وشرح الطحاوية ص ٢٥١ ، ولوامن الأنوار للمسفاريني ج ٢ ص ١٩٦ - ١٩٧ .

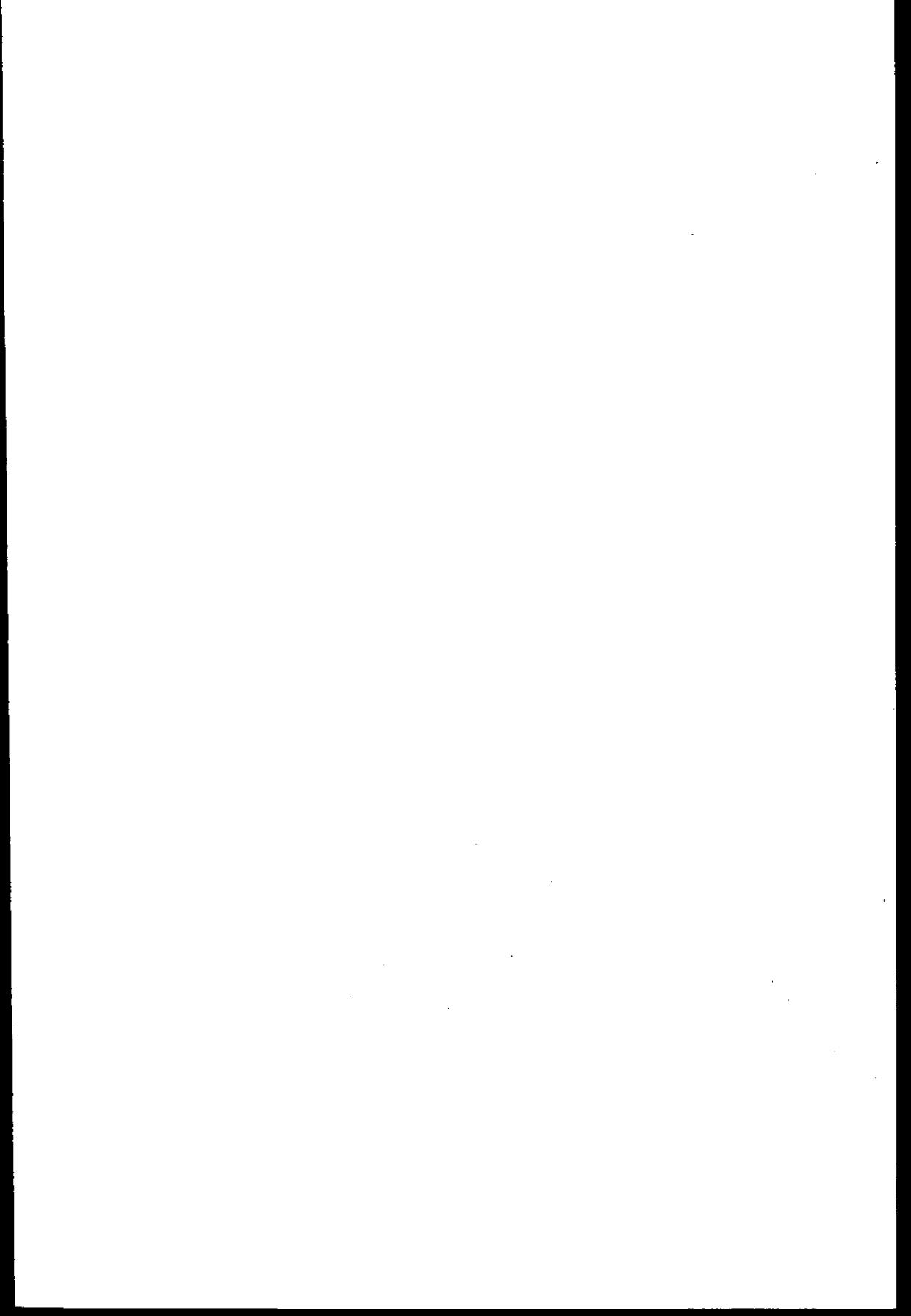
الظماً أبداً ، فأي حاجة بعد ذلك إلى الشرب في الجنة من نهر الكوثر ؟ .
 وقد أجاب العلماء عن هذا بأن أهل الجنة لا يشربون نتيجة لعطش
 يصيّهم ، وإنما يشربون تلذذاً وشهوة لا لدفع الجوع والعطش ^(١) .



(١) انظر : تكلمة شرح الصدور ص ٢٦ .

الفصل السابع

متى يرد الناس الموضع ؟



الفصل السابع

هتى يردد الناس الحوض ؟

هل يردون عليه حين خروجهم من القبور عطاشاً فيشربون منه ؟ أم يردون عليه ويسربون منه بعد أن يتتجاوزوا الصراط ؟ أم يكون ذلك بعد نصب الميزان ؟ أم أن ذلك يكون قبل فصل القضاء أو بعده ؟

كل تلك الأقوال قد قيلت ، والواقع أنها كلها تحتاج إلى دليل يثبتها عن المصطفى ﷺ ؛ لأن منشأ ذلك الخلاف هو عدم وجود النص الذي يقطع تلك الاحتمالات ، غير أن بعض العلماء استنبط من بعض الأحاديث أن الحوض يكون في الموقف حتماً قبل الصراط ، وبعضهم رأى أنه بعد الصراط ؛ لأنه هو الذي يقتضيه الحال ، وسنعرض فيما يلي بعضاً من أقوال العلماء في ذلك :

ذهب القرطبي - رحمه الله ، تبعاً لأبي الحسن القابسي - إلى القول بأن الحوض يكون قبل الصراط والميزان ، وأن من يقدم الصراط والميزان على الحوض يعتبر قوله خطأ ، كما يذكر عن الغزالى ذلك ، فقال : « وخالف في الميزان والحوض أيهما قبل الآخر ؟ ، فقيل الميزان قبل ، وقيل الحوض ، قال أبو الحسن القابسي : والصحيح أن الحوض قبل . قال القرطبي : والمعنى يقتضيه ، فإن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم كما تقدم ، فيقدم على الصراط والميزان » .

ثم نقل عن أبي حامد الغزالى ما حكاه عن بعض السلف من أهل التصنيف من أن الحوض يورد بعد الصراط ، وأن الغزالى قال : «إن هذا القول غلط من قائله» .

ثم قال القرطبي مؤيداً للغزالى : «قال المؤلف : هو كما قال »^(١) ، واستدل بما أورده البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بينما أنا قائم على الحوض؛ إذا زمرة ، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينهم ، فقال لهم : هلم ، فقلت : إلى أين؟ قال : إلى النار والله ، قلت : ما شأنهم؟ ، قال : إنهم قد ارتدوا على أدبارهم القهقرى ، ثم إذا زمرة أخرى ، حتى إذا عرفتهم ؛ خرج من بينهم رجل ، فقال لهم : هلم ، فقلت : إلى أين؟ قال : إلى النار والله ، قلت : ما شأنهم؟ ، قال : إنهم ارتدوا على أدبارهم ، فلا رأه يخلص منهم إلا مثل همل النعم »^(٢) .

قال القرطبي : « قلت : فهذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط ؛ لأن الصراط إنما هو جسر على جهنم مددود يجاز عليه ، فمن جازه سلم من النار »^(٣) .

وастدل أيضاً برواية عن ابن عباس مصدرة بصيغة تشعر بالتضعيف ، فقال : « وروي عن ابن عباس رضي الله عنهم ، قال : سئل رسول الله ﷺ عن الوقوف بين يدي الله تعالى ؟ هل فيه ماء ، قال : «إِيَّ وَالذِّي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ فِيهِ لَمَاء ، وَإِنْ أُولَيَاءَ اللَّهِ تَعَالَى لَيَرَوْنَ حِيَاضَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكًا بِأَيْدِيهِمْ عَصِيًّا مِنْ نَارٍ يَنْوُدُونَ الْكُفَّارَ عَنْ حِيَاضِ الْأَنْبِيَاءِ »^(٤) ، ولم يعز هذه الرواية

(١) التذكرة ص ٣٦٢ .

(٢) صحيح البخاري ج ١١ ص ٤٦٥ .

(٣) ، (٤) التذكرة ص ٣٦٢ .

عن ابن عباس إلى مصدر .

وترجح القرطبي للقول بأن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط هو عكس ما ذهب إليه صاحب القوت وغيره من أن الحوض إنما هو بعد الصراط^(١) .

ويظهر أن القرطبي حمل قول صاحب القوت أنه يصدق على الكوثر الذي هو في الجنة ، وهذا في قوله : « والصحيح أن للنبي ﷺ حوضين ؛ أحدهما في الموقف قبل الصراط ، والثاني في الجنة ، وكلاهما يسمى كوثراً »^(٢) .

ولكن يشكل على قول القرطبي أن الكوثر حوض ، وتسمية الرسول ﷺ للكوثر أنه نهر ، والنهر غير الحوض ، ولهذا يقول ابن حجر عن رأي القرطبي هذا : « إن فيه نظراً »^(٣) ، وسيأتي ذكر المقارنة بين الحوض والكوثر في آخر الباب .

ومن يذهب كذلك إلى القول بأن الحوض يكون قبل الصراط : الإمام ابن كثير - رحمه الله - كما في قوله : « إن قال قائل : فهل يكون الحوض قبل الجواز على الصراط أو بعده ؟ فالجواب : أن ظاهر ما تقدم من الأحاديث يقتضي كونه قبل الصراط ؛ لأنه يزاد عنه أقوام يقال عنهم : إنهم لم يزالوا يرتدون على أعقابهم منذ فارقهم ؛ فإن كان هؤلاء كفاراً ؛ فالكافر لا يجاوز الصراط ، بل يكب على وجهه في النار قبل أن يجاوزه ، وإن كانوا عصاة وهم من المسلمين ؛ فبعيد حجتهم عن الحوض ، لا سيما وعليهم سيموا الموضوع ، وقد قال رسول الله ﷺ : « أعرفكم غرّاً محجلين من آثار الموضوع » ، ثم من

(١) نقله عنه القرطبي في التذكرة ص ٣٦٢ .

(٢) التذكرة ص ٣٦٢ .

(٣) فتح الباري ج ١١ ص ٤٦٦ .

جاوز الصراط لا يكون إلا ناجياً مسلماً ، فمثل هذا لا يحجب عن الحوض ، فالأشبه - والله أعلم - أن الحوض قبل الصراط^(١) .

وهناك من ذهب إلى أن الحوض يكون بعد الصراط ، كما ذهب إليه صاحب القوت فيما ذكره عنه القرطبي سابقاً .

ومنهم الإمام البخاري ، كما أشار إليه ابن حجر بقوله :

« وإيراد البخاري لأحاديث الحوض بعد أحاديث الشفاعة ونصب الصراط ؛ إشارة منه إلى أن الورود على الحوض يكون بعد نصب الصراط والمرور عليه »^(٢) .

ومنهم القاضي عياض ، فيما ينقله السفاريني عنه أنه قال : « إن الحوض بعد الصراط ، وإن الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار » .

وذكر السفاريني كذلك عن بعض العلماء كابن حمدان في عقيدته ؛ حيث يقول : « يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط »^(٣) .

وقال الجيلاني : « وأهل السنة يعتقدون أن لنبينا ﷺ حوضاً في القيمة يسقى منه المؤمنون دون الكافرين ، ويكون ذلك بعد جواز الصراط قبل دخول الجنة »^(٤) .

ويتضح مما سبق أن الروايات متعارضة في ترتيب الحوض بالنسبة للصراط .

قال البرديسي - نقاً عن شرح الجوهرة - : « وقد تعارضت الآثار في

(١) النهاية ج ٢ ص ٦٧ .

(٢) فتح الباري ج ١١ ص ٤٦٦ .

(٣) لوعات الأنوار ج ٢ ص ١٩٥ .

(٤) الفتنية ص ٧١ .

محله ، ففي بعضها قبل الصراط والميزان ، وفي بعضها بعد الميزان ، وفي بعضها بعد الصراط ٠

ويكن الجمع بين هذا التعارض بأن يقال : إن ذلك يحمل على تعدد الشرب منه ، كما أشار إليه البرديسي ^(١) .

ويظهر أن الذين منعوا أن يكون الخوض بعد الصراط هو أنهم اعتمدوا على أنه لو كان الأمر كذلك ، لما صح أن يزداد عن الشرب منه أحد ؛ وذلك لأن من جاوز الصراط فقد نجا من النار ؛ فكيف يليق أن يمنع عن الشرب منه ؟ فالصحيح عند هؤلاء أنه في الموقف قبل الصراط ^(٢) .

والذين توسلوا بين القائلين بأنه قبل الصراط والقايلين إنه بعده قالوا بتعدده ، فالأول - وهو الذي قبل الصراط - هو الذي يمكن أن يتصور وقوع الذود عنه ، وأما الثاني - وهو الذي يكون بعد الصراط - فهذا لا يتصور أن يزداد وينبع عنه أحد ^(٣) .

وقد يرد على القول بأن الخوض يكون قبل الصراط ما جاء في حديث أنس مرفوعاً يفيد تأخر الخوض عن الصراط .

ونص الحديث كما جاء عن أنس قال : سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي يوم القيمة ، قال : «أنا فاعل» ، قال : قلت : يا رسول الله ، فأين أطلبك يوم القيمة ؟ ، قال : «اطلبني أول ما تطلبني على الصراط» ، قلت : فإن لم ألقك على الصراط ؟ ، قال : «فأنا عند الميزان» ، قال : قلت : فإن لم ألقك عند الميزان ؟ قال : «فأنا عند الخوض ، لا أخطئ هذه الثلاثة مواطن يوم القيمة» ^(٤) .

(١)، (٢)، (٣) انظر : تكميلة شرح الصدور ص ٢٤ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد ج ٣ ص ١٧٨ ، ورواه الترمذى ج ٤ ص ٦٢١ .

وقد استشكل ابن كثير هذا ، ثم أجاب عنه : بأنه يحتمل أن يكون هناك حوض آخر غير الحوض الذي هو قبل الصراط ، بدليل أن هذا الحوض الأخير يذاد عنه أنس لم تكتب لهم السعادة ، غير أنه لا يعلم أحداً قد قال بهذا القول ، ونص كلامه : « والمقصود أن ظاهر هذا الحديث يقتضي أن الحوض بعد الصراط ، وكذلك الميزان أيضاً ، وهذا لا أعلم به قائلاً ؛ اللهم إلا أن يكون المراد بهذا الحوض حوضاً آخر يكون بعد الجواز على الصراط ، كما جاء في بعض الأحاديث ، ويكون ذلك حوضاً ثانياً لا يذاد عنه أحد ، والله أعلم »^(١).

إلا أنه يرد على كلام ابن كثير - رحمه الله - سؤال ، وهو : هل كان يقصد الرسول ﷺ حينما قال هذا الحديث ترتيب وجوده بين هذه الثلاثة الأماكن ؟ لأنه قال : « أول ماتطلبني » ، أم كان يقصد الإخبار بأنه إنما أن يوجد في هذا المكان أو في المكان الآخر دون ملاحظة الترتيب ؟

فالذى يلاحظ الترتيب هو الذى يستشكل وجود الحوض بعد الصراط ، والذى لا يلاحظ الترتيب لا يستشكله ، والله أعلم بمراد رسوله ﷺ .

وفيه أيضاً إبراد آخر على القائلين بأن الحوض يكون بعد الصراط ، وهو أن الناس إذا خلصوا من الموقف وتجاوزوا الصراط دخلوا الجنة ، فلم يحتاجوا إلى الشرب منه ، وقد أجاب السيوطي عن هذا بقوله : « فالجواب : بل يحتاجون إلى ذلك لأنهم محبوسون هناك لأجل المظالم ، فكان الشرب في موضع القصاص »^(٢) .

(١) النهاية ج ٢ ص ٦٨ .

(٢) لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٩٥ .

ولعل هذا هو الحوض الذي لا يزداد عنه أحد؛ لأن هؤلاء المحبوبين هناك لأجل المظالم هم المؤمنون الذين علم الله أنهم من أهل السعادة، كما قدمنا ذلك في مبحث القنطرة.

وقد أورد الحافظ ابن حجر حديث أنس الذي استشكله ابن كثير واستشكله هو أيضاً، فقال: « وقد استشكل كون الحوض بعد الصراط بما سيأتي في بعض أحاديث الباب أن جماعة يدفعون عن الحوض بعد أن يكادوا يردون ويذهب بهم إلى النار »، قال: « ووجه الإشكال أن الذي يمر على الصراط إلى أن يصل إلى الحوض يكون قد نجا من النار ، فكيف يرد إليها؟ ».

ثم أجاب عن هذا الإشكال بقوله: « ويكن أن يحمل على أنهم يقربون من الحوض بحيث يرونه ويرون النار ، فيدفعون إلى النار قبل أن يخلصوا من بقية الصراط »^(١).

وقد ورد حديث صحيح في أن الحوض يكون قبل الصراط كما ذكر ابن حجر؛ وهو حديث لقسطنطين بن عامر الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وفيه: « ثم ينصرف نبكم وينصرف على أثره الصالحون ، فيسلكون جسراً من النار يطاً أحدكم الجمرة ، فيقول : حس^(٢) ، فيقول ربك : أوانه^(٣) ، ألا فيطلعون على حوض الرسول على أطماه . والله . ناهلة^(٤) رأيتها أبداً ، ما يبسط أحد منكم يده إلا وقع على قدر^(٥) الحديث .

(١) فتح الباري ج ١١ ص ٤٦٦.

(٢) كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما مضى وأحرقه غفلة كالجمرة والضربة ونحوهما .

(٣) أي : حين وزمان .

(٤) تشبيهاً بالإبل العطاش الشارعة في الماء .

(٥) أخرجه أحمد في المسند ج ٤ ص ١٤ ، وابن أبي عاصم والطبراني والحاكم .

قال ابن حجر : « وهو صريح في أن الحوض قبل الصراط »^(١) .

و الحديث لقسطنطيني يفيد أن الحوض يكون بعد الصراط لا قبله ، إذ أخبر عليه السلام أنهم يسلكون الجسر ثم يطلعون على الحوض .

و الحديث أبي هريرة السابق « بينما أنا قائم على الحوض إذا زمرة ، ... إلخ ، يفيد أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط . و الحديث لقسطنطيني يفيد أنه بعد الصراط .

وليس هذا من باب التعارض الذي لا يمكن الجمع معه ، فقد سبق أن ذكرنا أن بعض العلماء قد قال بأن هناك حوضين ، قبل الصراط وبعده ، وربما يشيرون بما بعد الصراط إلى الكوثر كما ذكر سابقاً ، ويعض العلماء مثل الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي - رحمه الله - يجعل هذه الأحاديث من باب كون الحوض قابلاً لها بسبب اتساعه ، فهو يقول عن الحديث أبي هريرة و الحديث لقسطنطيني :

« وليس بين أحاديث رسول الله عليه السلام تعارض ولا تناقض ولا اختلاف ، وحديثه كله يصدق بعضه بعضاً ، وأصحاب هذا القول إن أرادوا أن الحوض لا يرى ولا يصل إليه إلا بعد قطع الصراط ؛ ف الحديث أبي هريرة هذا وغيره يرد قولهم ، وإن أرادوا أن المؤمنين إذا جاوزوه وقطعوه بداعهم الحوض فشربوا منه ، فهذا يدل عليه الحديث لقسطنطيني هذا ، وهو لا ينافي كونه قبل الصراط ، فإن قوله : طوله شهر وعرضه شهر ، فإذا كان بهذا الطول والسعنة ؟ مما الذي يحيل امتداده إلى وراء الجسر فيرده المؤمنون قبل الصراط وبعد ؟ فهذا في حيز الإمكان ووقوعه موقوف على خبر الصادق »^(٢) .

(١) فتح الباري ج ١١ ص ٤٦٧ .

(٢) معراج القبول ج ٢ ص ١٩٦ .

وقد جمع الجلال السيوطي بين الروايات التي تفيد أن الحوض بعد الصراط ، والروايات التي تفيد أنه قبله بقوله : « ويحتمل الجمع بأن يقع الشرب من الحوض قبل الصراط لقوم وتأخيره بعده لآخرين بحسب ما عليهم من الذنوب والأوزار ، حتى يهذبوا منها على الصراط » ، ثم قال : « ولعل هذا أقوى »^(١) .

وقد امتدح الشيخ مرعي - كما نقل عنه السفاريني - هذا الجمجم بقوله : « وهذا في غاية التحقيق جامع للقولين وهو دقيق »^(٢) .

أما بالنسبة للأسبقيّة الحوض على فصل القضاء أو بعده ؛ فالترجيح بينهما يتوقف على وجود نص ثابت ، غير أن الذي يظهر أن الحوض يكون قبل فصل القضاء ، وإن كان الحافظ ابن كثير يذكر أن المسألة فيها احتمال كلا القولين ، وهو ما أفاده قوله :

« وإذا كان الظاهر كونه - يعني به الحوض - قبل الصراط ، فهل يكون ذلك قبل وضع الكرسي للفصل أو بعد ذلك ؟ هذا مما يحتمل كلا الأمرين ، ولم أمر في ذلك شيئاً فاصلاً ، فالله أعلم أي ذلك يكون »^(٣) .

وبعد عرض ما تقدم ؛ فإن الذي يبدو أنه الراجح - فيما أراه - أن : الحوض يكون قبل الصراط ، وقبل فصل القضاء ، وقبل الميزان أيضاً ؛ لأنه - كما تقدم - ليس بعد الصراط إلا دخول الجنة أو النار ، ولأنه ورد كذلك أن ناساً يذادون عن الحوض ، والذين نجحوا من الصراط وتجاوزوه هم من أهل الجنة فلا يذادون ، وإن القول بوجود حوضين إنما هو من باب تغليب تسمية

(١) ، (٢) نقلأً عن لوع المأثور ص ١٩٦ ج ٢ .

(٣) النهاية ج ٢ ص ٦٩ .

الكثير بالحوض للاتصال الذي بينهما ، وإنما حمل القائل به التوفيق بين الروايات وتسميتها للكثير حوضاً آخر .

وكذلك الميزان فإنه معلوم أنه يكون في الموقف ، ويبعد القول بأن الحوض يكون بعد وزن الأعمال ، لأن الوزن في الموقف ، ولأنه كذلك ليس بعد وزن الأعمال إلا إعطاء التبيجة : إما الجنة ، وإما النار ، كما تفيده النصوص .

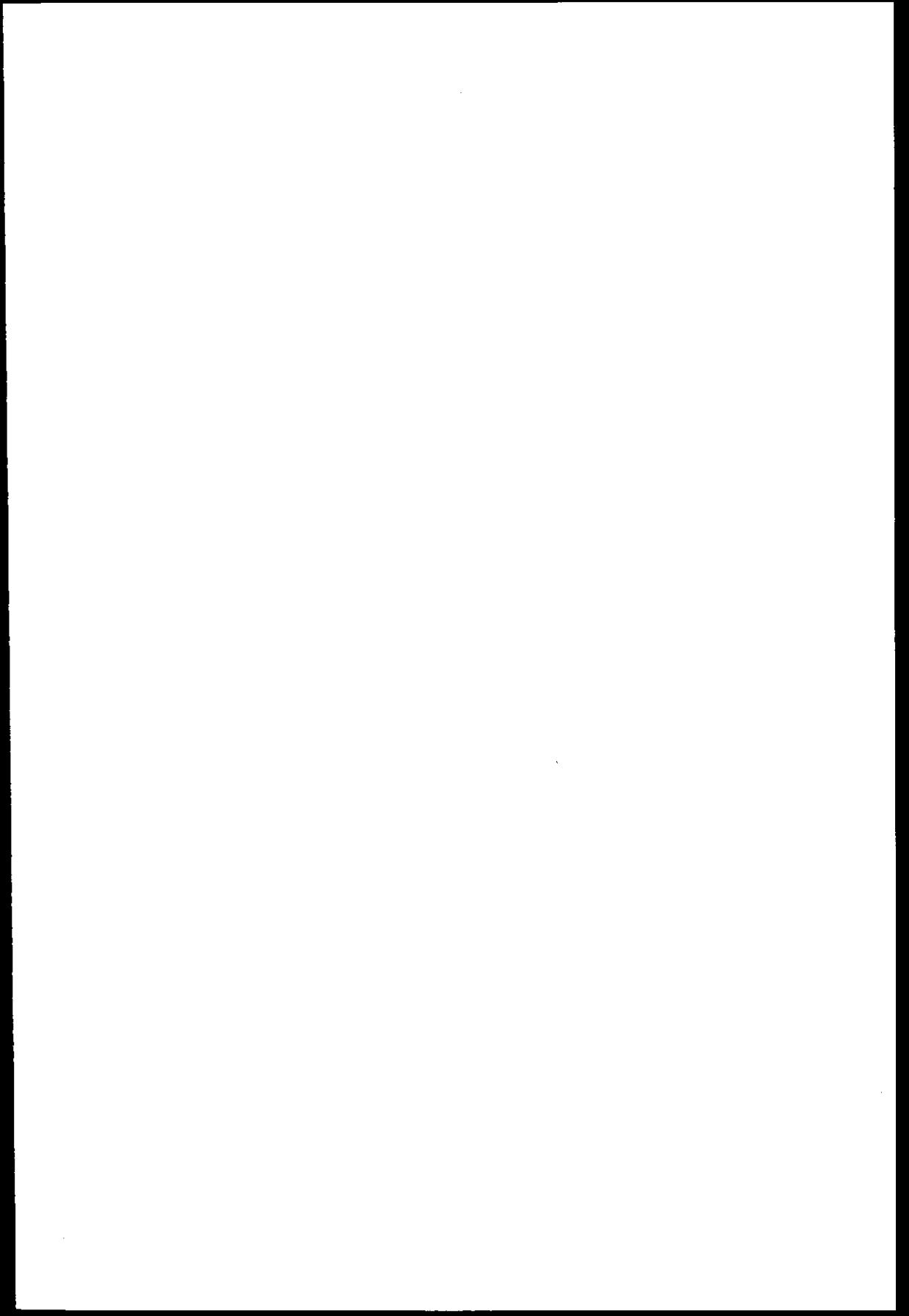
والحاصل من هذا كله أن الحوض يكون في الموقف ، وقبل الصراط ، وقبل الميزان وقبل فصل القضاء أيضاً كما يستفاد من مجموع النصوص . ولا يمنع أن يكون الحوض أيضاً متداً إلى ما وراء الصراط حسبما ذهب إليه بعض العلماء فيما سبق ذكره ، والله أعلم .

* * *



الفصل الثامن

المنكرون للحوض



الفصل الثامن المنكرون للحوض

ورغم ما تقدم من تظافر الأدلة الصحيحة التي بلغت حد التواتر . كما مر .
ورغم إبطاق جميع السلف على القول بإثباته ؛ فإنه وجد من بين من ينسب
إلى الإسلام من ينفي وجود الحوض مطلقاً ؛ ومنهم من يجوز التوقف فيه ،
ومنهم من يفرق بين كونه حقاً أو من المسائل الواجب اعتقادها .

أما الذين ينسب إليهم إنكاره ، فهم :

١ - فرقـةـ الـمـعـتـزـلـةـ .

٢ - الـخـواـرـجـ .

٣ - ومن أفراد الناس الذين كانوا ينكرونـهـ :ـ ابنـ زـيـادـ .
وأما الذين يفرقـونـ بينـ كـوـنـهـ حـقـاـ وـبـيـنـ كـوـنـهـ وـاجـبـاـ أوـ مـنـ المسـائـلـ الـوـاجـبـ
اعـتـقـادـهـاـ فـهـمـ :ـ الإـيـاضـيـةـ .

وفيما يلي بيان إثبات ذلك عنـهـمـ :

١ - أما إنكارـةـ الـمـعـتـزـلـةـ للـحـوـضـ :ـ فهوـ ماـ أـثـبـتـهـ عـنـهـمـ السـفـارـيـنـيـ فيـ كـتـابـهـ
«ـلـوـامـعـ الـأـنـوارـ»ـ بـقـوـلـهـ :ـ «ـخـالـفـتـ الـمـعـتـزـلـةـ فـلـمـ تـقـلـ إـثـبـاتـ الـحـوـضـ مـعـ ثـبـوـتـهـ
بـالـسـنـةـ الصـرـيـحـةـ»ـ^(١)ـ .

(١) لـوـامـعـ الـأـنـوارـ جـ٢ـ صـ ٢٠٢ـ .

ويقول الجيلاني : « وقد أنكرت ذلك المعتزلة ، فلا يسوقون منه ويدخلون النار ورداً عطشاً إن لم يتسبوا عن مقالتهم وجحودهم الحق ورد الآيات والأخبار والآثار »^(١) .

وأما عن إنكار الخوارج والمعتزلة أيضاً ، فهو ما ذكره الحافظ ابن حجر بقوله : « قلت : أنكره الخوارج وبعض المعتزلة »^(٢) .

ويقول الجيلاني عن إنكار الخوارج له : « ولا يؤمنون بعذاب القبر ولا الحوض ولا الشفاعة ولا يخرجون أحداً من النار »^(٣) .

وأما الفرق التي نسب إليها القول بإنكار الحوض دون ذكر اسمها فهو ما ذكره الأشعري عنهم بقوله : « قال أهل السنة والاستقامة : إن للنبي ﷺ حوضاً يُسقي منه المؤمنين ولا يُسقي منه الكافرين ، وأنكر قوم الحوض ودفعوه »^(٤) .

وقال ابن حجر : « وأنكرت ذلك طائفة من المبتدعة ، وأحواله^(٥) على ظاهره ، وغلوا في تأويله من غير استحالة عقلية ولا عادية تلزم من حمله على ظاهره وحقيقة ، ولا حاجة تدعوا إلى تأويله ، فخرق من حرفه إجماع السلف وفارق مذهب أئمة الخلف »^(٦) ، ولعله يشير بهذه الطائفة التي ذكرها إلى الخوارج والمعتزلة - كما مر - .

(١) الغنية ج ١ ص ٨٥ .

(٢) فتح الباري ج ١١ ص ٤٦٧ .

(٣) الغنية ج ١ ص ٨٥ .

(٤) المقالات ج ٢ ص ١٦٥ .

(٥) أي : جعلوه مستحيلاً .

(٦) فتح الباري ج ١١ ص ٤٦٧ .

أما من يفرق بين كونه حقاً وبين كونه واجباً أو من المسائل الواجب اعتقادها ؛ فهم الإباضية حسب ما يظهر من كلام علمائهم ، فهم يثبتونه على أنه من متممات الفضائل وليس من المسائل التي يجب اعتقادها ، فالسالمي - من علمائهم . يقول :

والكتب والصحف حوت أعمالاً والحووض حق فاترك الجدالا

وعند شرح السالمي لهذا البيت من النظم قال : « هذه المسألة مما يسع جهله من لم يبلغه تواتر الأخبار ، ويجوز التصديق بخبر الواحد فيها لأنها من زيادة الفضائل لنبينا عليه الصلاة والسلام ، فالتصديق بها تصديق بمزيد فضيلة له ، ولذا قال المصنف : والحووض حق . ولم يقل : والإيمان به واجب ، ولم يذكره مع المسائل التي يجب اعتقادها في أول الفصل » .

ومن معنى قوله : « فاترك الجدالا » يقول : أي في حقيقته ؛ فإن الأخبار واردة به كما رأيت ، فإن أنكرتها - وهي في نفس الأمر مطابقة للواقع . كنت منكراً لما هو حق في نفس الأمر ، فالوقف . إن لم تصدق - أولى من الإنكار وأسلم ، فإنها وإن كانت لا تقوم بها حجة عليك فلا يصح تكذيبك لراوتها ، وهكذا يجب في كل حديث ورد فيه محتمل للحق أن لا يرد ، فإن قامت به حجة فذاك وإلا فأمر راويه إلى الله »^(١) .

وأما إنكار ابن زياد له ؛ فقد اشتهر عنه هذا الإنكار ، وكان شديداً على من يشول به ، وقد جرت بينه وبين بعض الصحابة الذين كانوا يحدثون بالحووض مساءلات ومشادة بلغت إلى حد السباب من قبل عبيد الله بن زياد ، كما وقع ذلك مع الصحابي أبي بربة الإسلامي رضي الله عنه حينما دخل عليه ،

(١) مشارق أنوار العقول ص ٢٨٢ .

فقد قابله ابن زياد بسوء الأدب والتكذيب ، ولكن أبو بربة غضب من إنكار ابن زياد ورد عليه ردًّا عنيفًا كما في رواية عبد السلام بن أبي حاتم أبو طالوت ، قال : «شهدت أبا بربة دخل على عبيد الله بن زياد ، فحدثني فلان - سماه مسلم^(١) - ، وكان في السماط^(٢) » ، فلما رأه عبيد الله قال : إن محمديكم هذا الدجاج^(٣) ، ففهمها الشيخ (أبو بربة) ، فقال : ما كنت أحسب أنني أبقى في قوم يعيروني بصحبة محمد^ﷺ ، فقال له عبيد الله : إن صحبة محمد^ﷺ لك زين غير شين ، ثم قال له : إنما بعثت إليك لأسألك عن الحوض ، سمعت رسول الله^ﷺ يذكر فيه شيئاً؟ فقال أبو بربة : نعم، لا مرة ولا اثنين ولا ثلاثة ولا أربعاً ولا خمساً، فمن كذب به فلا سقاء الله منه ، ثم خرج مغضباً^(٤) .

أما زيد بن أرقم ، فكان له معه موقف أغلظ من الموقف الذي كان مع أبي بربة ، فقد أخرج الإمام أحمد عن يزيد بن حبان التيمي قال : حدثنا زيد بن أرقم ، قال : «بعث إلى عبيد الله بن زياد فأتيته ، فقال : ما أحاديث تحدثها وترويها عن رسول الله^ﷺ لا نجدها في كتاب الله؟ تحدث أن له حوضاً في الجنة؟ قال : قد حدثناه رسول الله^ﷺ ووعدناه ، قال : كذبت ، ولكنكشيخ قد خرفت ، قال : إنني قد سمعته أذناي ووعاه قلبي من رسول الله^ﷺ ، يقول : «من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من جهنم»، وما كذبت على

(١) يعني به مسلم بن إبراهيم الذي روى عنه أبو داود هذا الحديث.

(٢) هم الجماعة من الناس

(٣) هو القصیر «جامع الأصول» ج ١٠ ص ١٤٦٦.

(٤) آخرجه أبو داود ج ٢ ص ٥٣٩.

رسول الله ﷺ «^(١)».

وكذلك أنس رضي الله عنه فإنه قد حضر مجلس ابن زياد وهم يذكرون الحوض ، فقال ابن زياد : هذا أنس ، قال أنس : «فقلت : لقد كانت عجائز بالمدينة كثيراً ما يسألن ربهن أن يسقيهن من حوض نبيهن» قال ابن حجر ^(٢) : وسنده صحيح ، وفي رواية عن أنس أيضاً أنه قال : «ما حسبت أن أعيش حتى أرى مثلكم ينكر الحوض» ^(٣) .

وما يجدر ذكره أن ابن زياد قد رجع أخيراً عن تكذيبه بالحوض حينما بين له أبو سمرة الأمر ، وفي هذا يقول ابن حجر - رحمه الله - : «ومن كان ينكره - يعني الحوض - عبيد الله بن زياد أحد أمراء العراق لعاوية وولده» . . . إلى أن يقول ابن حجر : «ومن طريق يزيد بن حبان التميمي : شهدت زيد بن أرقم وبعث إليه ابن زياد ، فقال : ما أحاديث تبلغني أنك تزعم أن لرسول الله ﷺ حوضاً في الجنة؟ قال : حدثنا بذلك رسول الله ﷺ» .

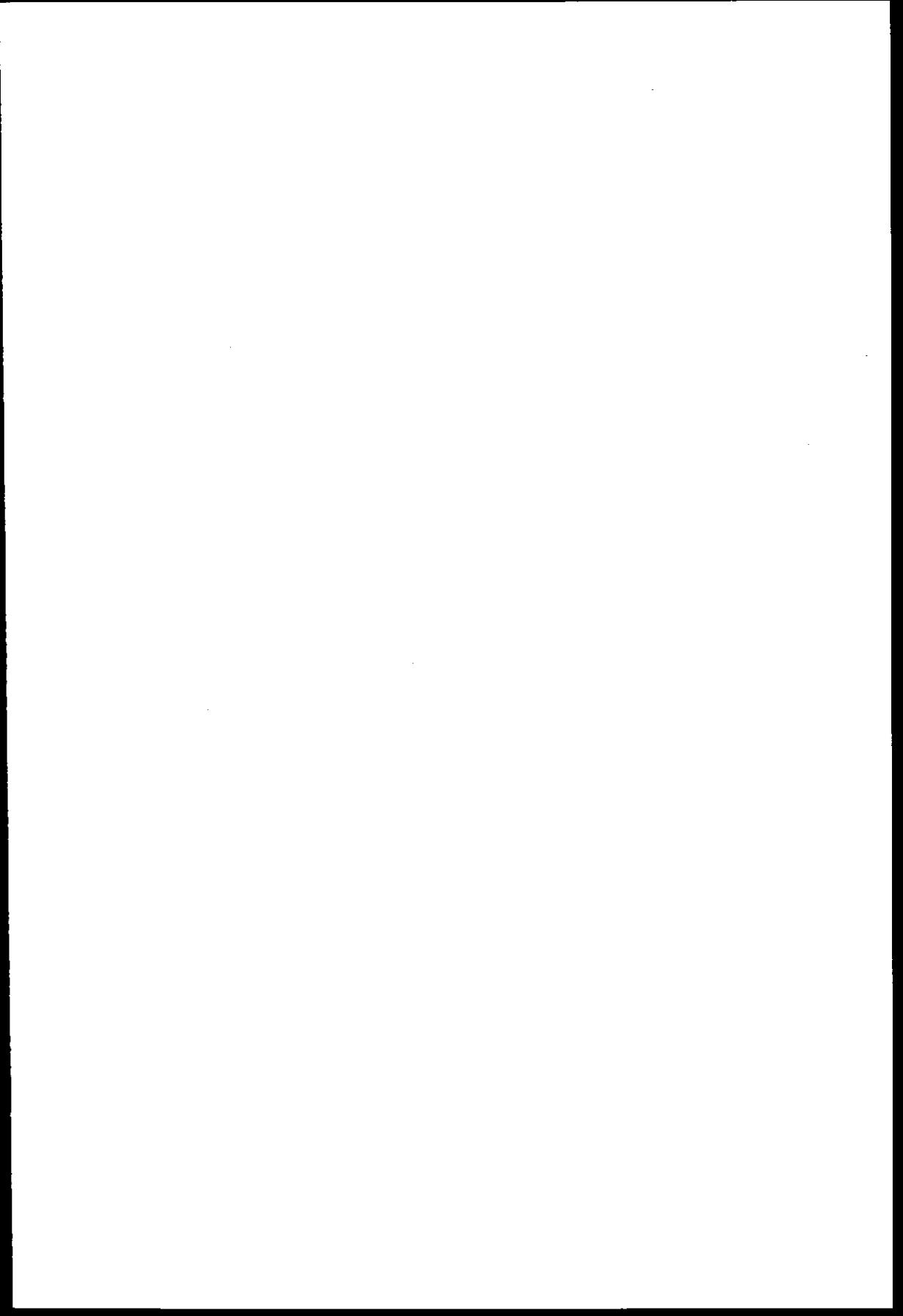
وعند أحمد من طريق عبد الله بن بريدة عن أبي سمرة - بفتح المهملة وسكون الموحدة - الهذلي ، قال : قال عبيد الله ابن زياد : ما أصدق بالحوض . وذلك بعد أن حدثه أبو بربة والبراء وعائذ بن عمرو ، فقال له أبو سمرة : بعشني أبوك في مال إلى معاوية فلقيني عبد الله بن عمرو فحدثني ، وكتبه بيدي من فيه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «موعدكم حوضي» الحديث ، فقال ابن زياد حينئذ : أشهد أن الحوض حق» ^(٤) .

* * *

(١) أخرجه الإمام أحمد ج٤ ص٣٦٧.

(٢) فتح الباري ج١١ ص٤٦٨.

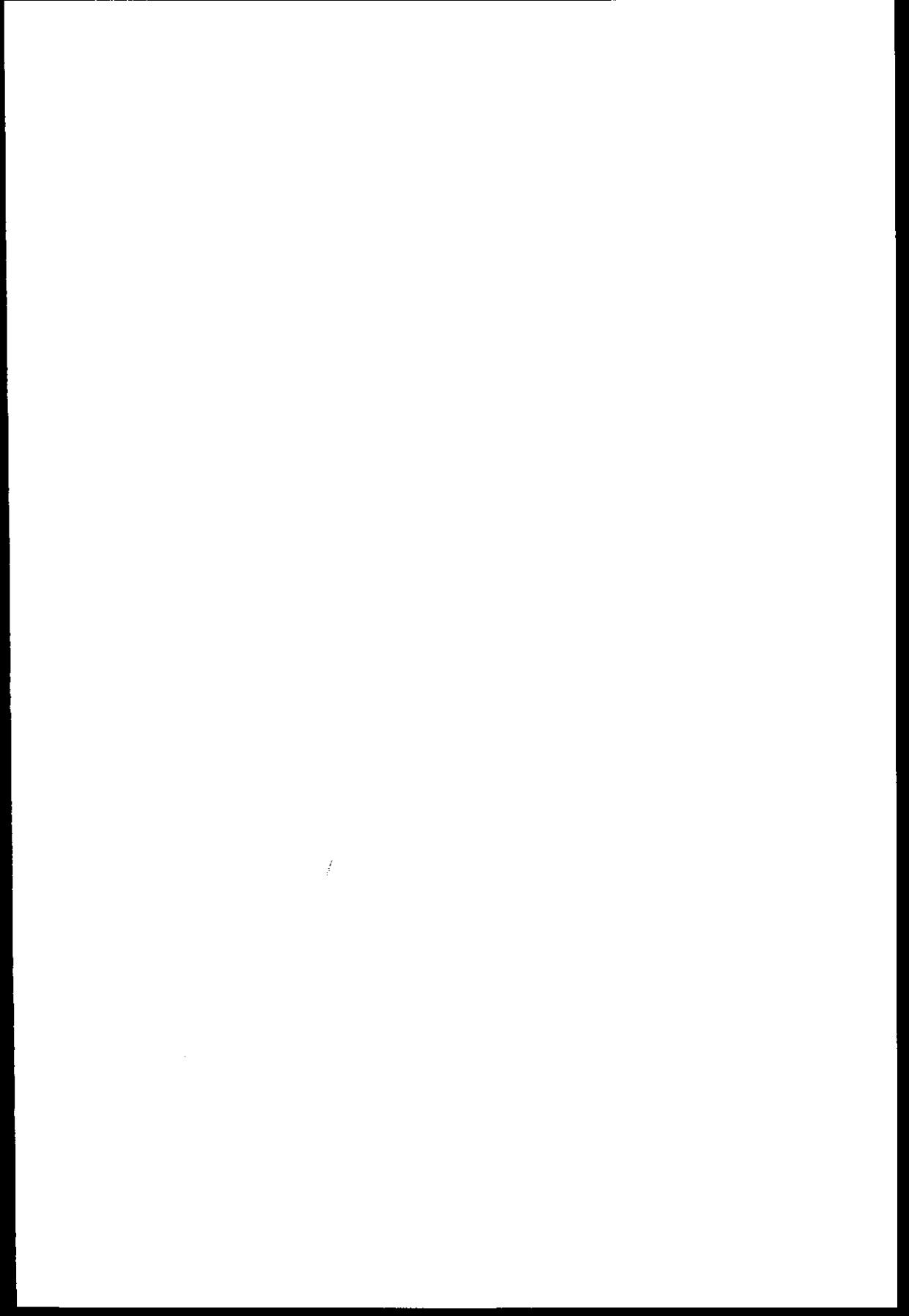
(٣) فتح الباري ج١١ ص٤٦٨ ، وانظر الشريعة للأجري ص٣٥٤ .





الفصل التاسع

الرد على من ينكر الحوض



الفصل التاسع الرد على من ينكر الحوض

رأينا فيما سبق بحثه مما أوردنا من الأدلة القاطعة المتوترة ومن أقوال العلماء في إثبات الحوض ما يدحض شبهة من كان في قلبه شبهة في ثبوت حوض نبينا محمد ﷺ .

كما أنه لا يجحد بعد ذلك مدلول تلك النصوص الصحيحة الصريرة المتوترة بعد أن يقف عليها إلا من كان في قلبه زيف ، وسلك مسالك أهل البدع^(١) ، وهو في إنكاره هذا ليس له ما يثبت به إنكاره لا من العقل ولا من النقل ، قال السفاريني : «إن الحوض ثابت بالسنة المتوترة ، وظاهر الكتاب ، فمنكره زانع عن الصواب»^(٢) .

وقال أبو محمد بن حزم :

«وأما الحوض فقد صحت الآثار فيه ، وهو كرامة للنبي ﷺ ولمن ورد عليه من أمرته ، ولا ندرى لمن أنكره متعلقاً ، ولا يجوز مخالفه ما صح عن النبي ﷺ في هذا ولا غيره»^(٣) .

وبالإضافة إلى ما تقدم ؛ فإن العقل لا يستبعد ذلك ولا يحيله ، ويكتفى

(١) ، (٢) انظر لوامع الأنوار ج ٢ ص ٢٠٢ .

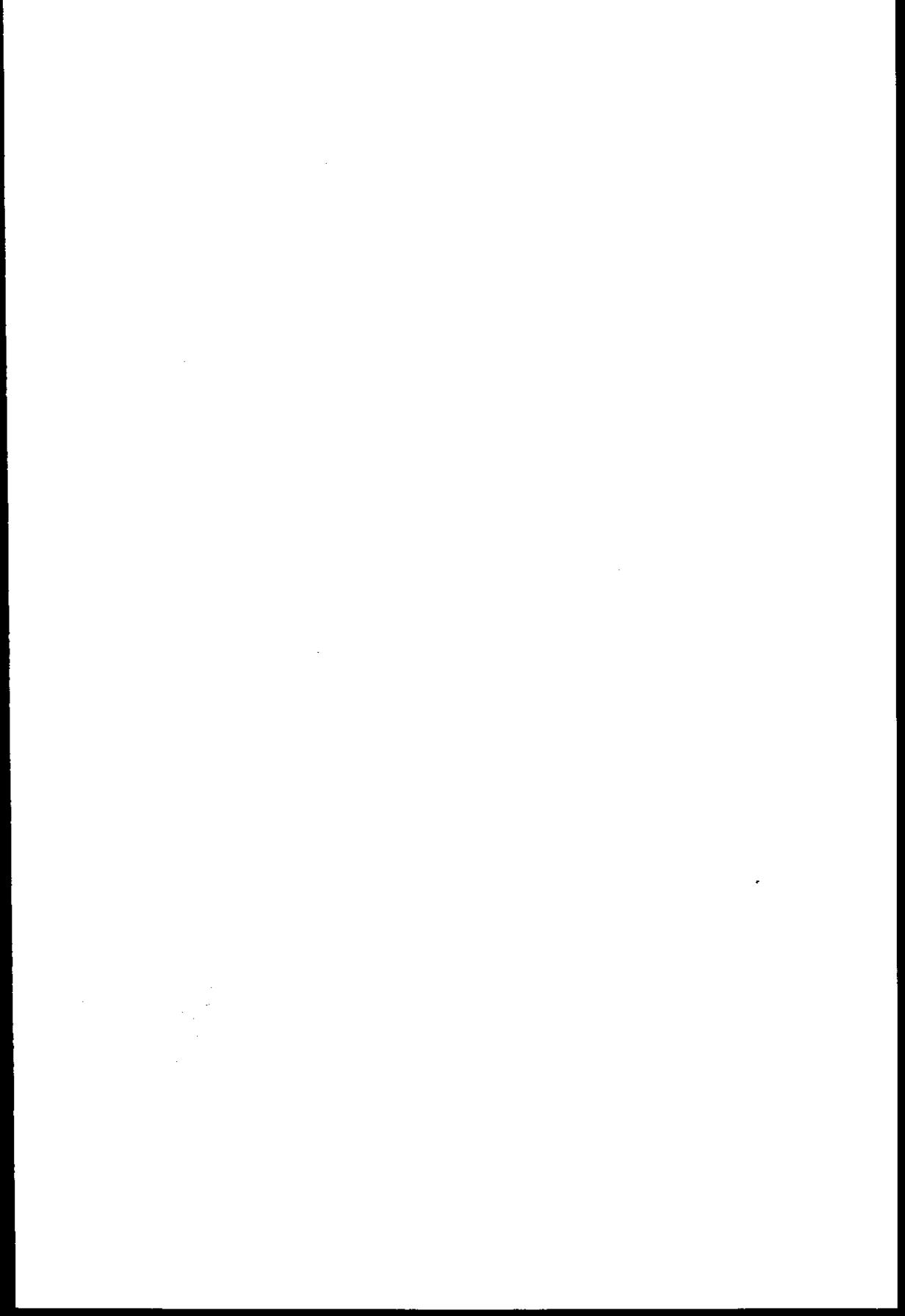
(٣) الفصل ج ٤ ص ٦٦ .

في ذلك الإمكان، وقد كان السلف يقولون عن منكري الخوض عبارتهم المشهورة : «من كذب به فلا سقاہ اللہ منه» ، وكانوا يستعظمون إنكاره، ويشددون في الرد على من ينكره ، كما وقع لكثير من الصحابة الذين ذكرنا موافقهم مع ابن زياد فيما سبق ، كذلك فإن المنكرين له ليس لهم دليل لا من العقل ولا من النقل ، فيبقى إنكارهم لا معنى له ، بل هو اتباع الهوى الذي يستحق صاحبه الذم .



الفصل العاشر

هل ثبت أن لكل نبی حوضاً ينبعه؟



الفصل العاشر

هل ثبت أن لكلنبي حوضاً يخصه؟

فيما سبق بحثه ثبت أن للنبي محمد ﷺ حوضاً موروداً كرامه من الله تعالى له ، ورأينا أنه لم يخالف في ثبوته إلا بعض أهل البدع ، وإذا كان حوض نبينا محمد ﷺ ثابتاً بما لا ريب فيه ، فهل هذا من خصوصياته ﷺ أم أن لكلنبي حوضاً؟

الواقع أن هذه المسألة محل خلاف ، وإن كان كثير من العلماء يذهب إلى أن لكلنبي حوضاً إلا إنه لا يزال فيها بعض الغموض؛ إذ الأدلة التي يستدللون بها لا تفي بإثبات أن لكلنبي حوضاً يخصه ..

ومن أدلة الإثبات ما جاء عن سمرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : «إن لكلنبي حوضاً ، وانهم يتباهون بهم أكثر واردة»^(١) وإنني أرجو أن أكون أكثرهم واردة»^(٢).

وهذا الحديث مرسل ؛ لأنه من روایة الحسن عن النبي ﷺ ، ولو لا تلك العلة لكان الحديث قاطعاً لكل شك في هذه المسألة .

(١) الواردة : القوم يردون الماء .

(٢) أخرجه الترمذى ج ٢ ص ٧٢ ، ثم قال : «قال أبو عبيسي : هذا حديث غريب ، وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلاً ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح».

وأخرج البزار من حديث ابن عمر رضي الله عنهمَا ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لي حوضاً ما بين بيت المقدس إلى الكعبة ، ماؤه أبيض من اللبن ، فيه عدد الكواكب آنية ، وأنا فرطكم على الحوض ، ولكلنبي حوض ، وكلنبي يدعو أمتَه ، فضُنْتُمْ من يرد عليه الفشام من الناس ، ومنهم من يرد عليه ما دون ذلك ، ومنهم من ترد عليه العصابة ، ومنهم من يرد عليه الرجال والرجل ، ومنهم من لا يرد عليه أحد ، فيقول : اللهم قد بلغت ، اللهم قد بلغت ، اللهم قد بلغت ، ثلاثاً »^(١) .

وقال ابن حجر : « وقد اشتهر اختصاص نبينا ﷺ بالحوض ، لكن أخرج الترمذى من حديث سمرة ، رفعه : « إن لكلنبي حوضاً » ، وأشار إلى أنه اختلف في وصله وإرساله ، وأن المرسل أصح .

قلت : والمُرْسَلُ ﷺ أخرجه ابن أبي الدنيا بسنده صحيح عن الحسن ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لكلنبي حوضاً ، وهو قائم على حوضه يده عصبة ، يدعو من عرف من أمتَه ، إلا إنهم يتباهون أيمهم أكثر تبعاً ، وإنني لأرجو أن تكون أكثرهم تبعاً » .

وأخرج الطبرانى من وجه آخر عن سمرة موصولاً مرفوعاً مثله ، وفي سنته لين ، وأخرج ابن أبي الدنيا أيضاً من حديث سعيد ، رفعه : « وكلنبي يدعو أمتَه ، ولكلنبي حوض ، فمنهم من يأتيه الفنام ، ومنهم من يأتيه العصبة ، ومنهم من يأتيه الواحد ، ومنهم من يأتيه الاثنان ، ومنهم من لا يأتيه أحد ، وإنني لأكثُر الأنبياء تبعاً يوم القيمة » ، وفي إسناده لين وإن ثبت فالمحظى بنبينا ﷺ الكوثر الذي يصب من مائه في حوضه ؟ فإنه لم ينقل نظيره لغيره ،

(١) تكملة شرح الصدور ص ٢٦ ، وعزاه إلى البزار.

ووقع الامتنان عليه به في السورة المذكورة . يعني الكوثر .^(١)

وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه - كما قدمنا - عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قوله : « إني لأذود عن حوضي رجالاً كما تزداد الغربة من الإبل »^(٢) ، وهذا الحديث قد يستدل به من يقول بتعدد الأحواض ، وأن كلنبي ينزو عن حوضه ، لكنه ليس صريحاً في إثبات ذلك ، وقد تقدم النقل عن ابن حجر في تعليمه لذود الرسول ﷺ من ليس من أمته عن حوضه بأن ذلك إرشاد منه ﷺ لأنباء لأتبع الأنبياء ليروا أحواض أنبيائهم ، وأن هذا إنصاف منه ﷺ ورعاية لحرمة إخوانه من النبيين .

وقال السفاريني : « وورد في بعض الأخبار أن لكلنبي حوضاً ، إلا صالحأعليه السلام ؛ فإن حوضه ضرع ناقته »^(٣) ، ولم يذكر تلك الأخبار ، ولم أجدها في نص ثابت .

ويقول القرطبي : « وكذا حياض الأنبياء عليهم السلام تكون أيضاً في الموقف »^(٤) ، ويقول ابن أبي العز : « وقد ورد في أحاديث أن لكلنبي حوضاً ، وأن حوض نبينا ﷺ أعظمها وأحلالها وأكثرها وارداً ، جعلنا الله منهم بفضله وكرمه »^(٥) ، ويقول السيد سابق : « إن لكلنبي حوضاً يشرب هو وأمته منه بعد الموقف وقبل دخول الجنة ، ولنبينا حوض كذلك »^(٦) .

(١) فتح الباري ج ١١ ص ٤٦٧ .

(٢) صحيح مسلم ج ٥ ص ١٦١ .

(٣) لوامع الأنوار ج ٢ ص ٢٠٣ .

(٤) التذكرة ص ٣٠٣ .

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٠ .

(٦) العقائد الإسلامية ص ٢٨٧ .

وبعد عرض أقوال العلماء هذه فإنه يستفاد من تلك الأقوال مع النصوص الأخرى :

أن إثبات أحواض الأنبياء الآخرين غير حوض نبينا محمد عليه الصلاة والسلام مما يحتاج إلى دليل ثابت خال عن شائبة الضعف ، على أن من ثبت ذلك استناداً بتلك الروايات وأقوال العلماء لا حرج عليه. فيما أرى - ومن توقف فكذلك ، إذ إن الأحاديث التي تقدمت ضعيفة ، وأقوال العلماء مهما كانت محترمة ؛ فإن طلب الدليل الصحيح - وخصوصاً في مثل هذه المسائل الغيبية - أمر لا جدال فيه ، على أن مقتضى الحال لا ينفي أن يكون لكلنبي حوض يخصه ، وذلك لاشتراك جميع الأم في الحاجة إلى الشرب في ذلك الموقف العظيم ؛ لأن الشرب منه إنما يكون لما يلحق الناس من العطش ، ولا يمنع أن يكون من باب الكرامة وغير ذلك ، كما جاء عن رسول الله ﷺ ، والعطش لا يقتصر على أمة دون أخرى ، وإذا كان المؤمنون من أي أمة كانت قد اشتركت في الضرورة إلى الماء ؛ فهم كذلك قد اشتركوا في الإيمان بالله وطاعته ، والمقابلة بينهم لا يلزم أن تكون في السقيا من الماء ، وهو أمر ضروري .



الباب الخامس عشر الكوثر

ويشمل الفصول الآتية :

الفصل الأول : تعريف الكوثر في اللغة والاصطلاح.

الفصل الثاني : الأدلة على إثبات الكوثر :

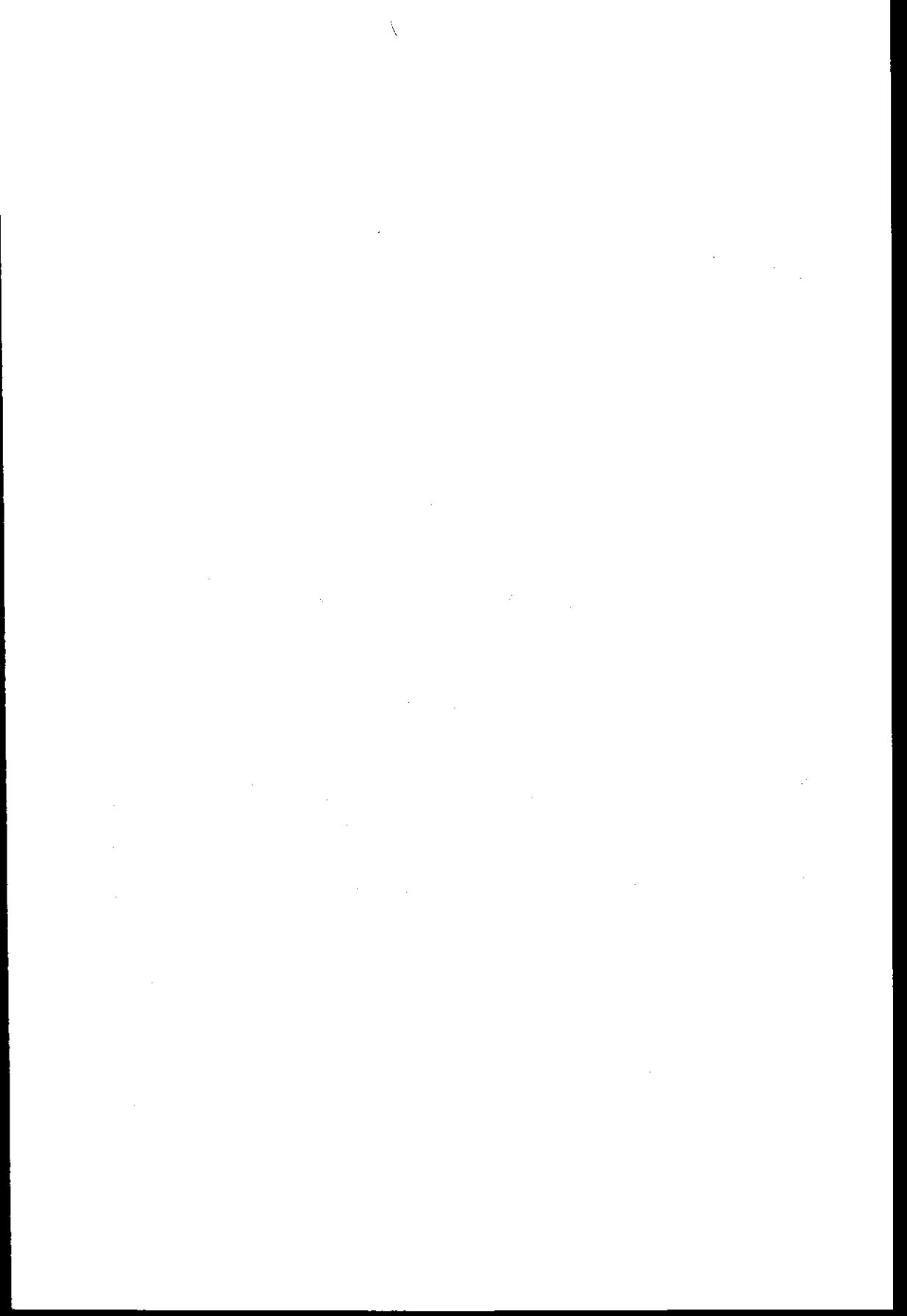
١ - من القرآن الكريم.

٢ - من السنة النبوية.

الفصل الثالث : تسمية الكوثر بالجوض، والجوض بالكوثر،
وبيان وجه الاتصال بينهما.

الفصل الرابع : اختصاص الرسول ﷺ بالكوثر دون غيره من
الأنبياء.

الفصل الخامس : صفات الكوثر.



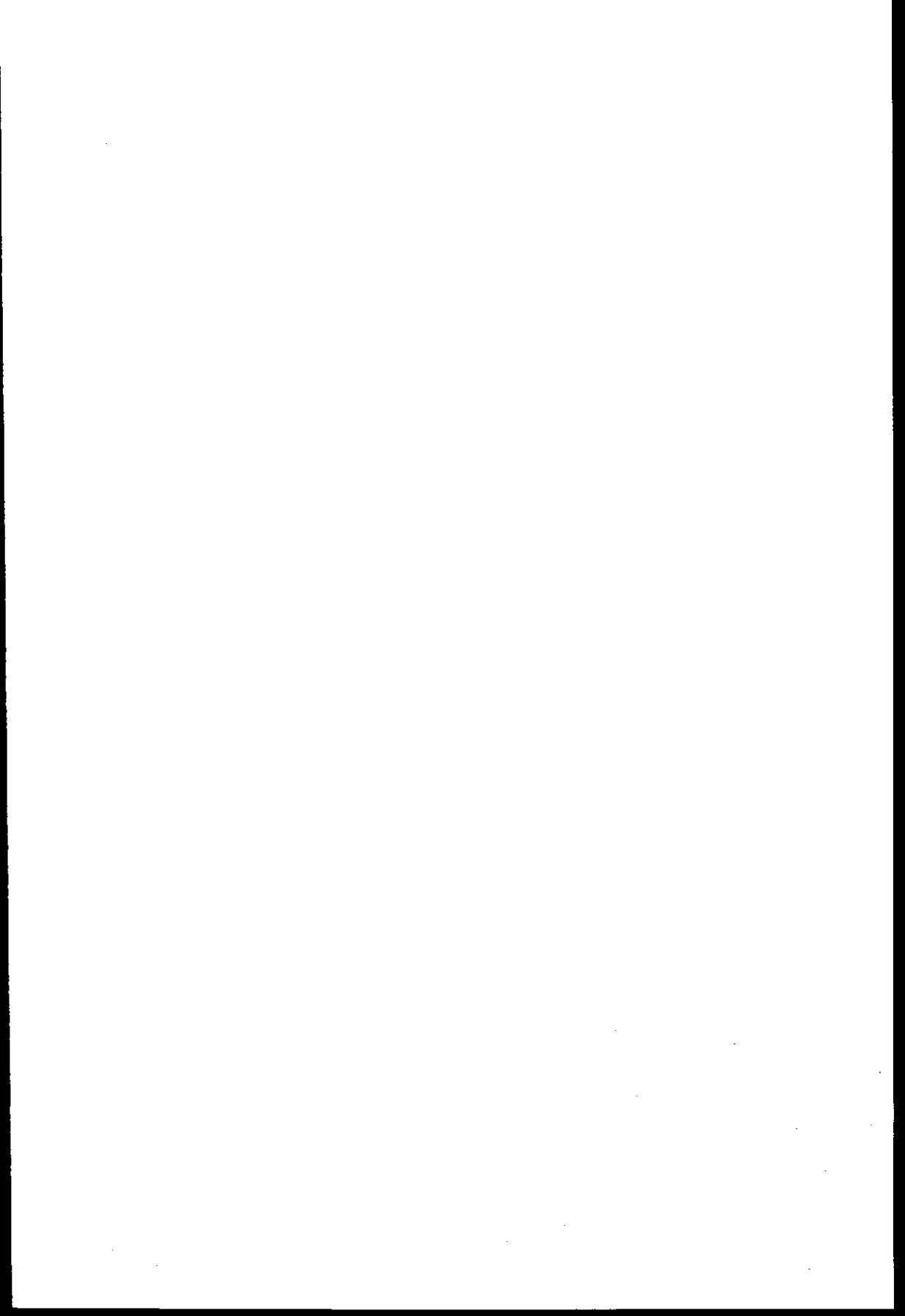
لماذا أثبت بحث الكوثر وهو من الأمور التي في داخل الجنة؟

لم تتفق كلمة العلماء على التفرقة بين الحوض والكوثر في التسمية بحيث يقع بينهما التباين حتى يتضح الحكم بعد ذلك بشأنهما، بل وقع التداخل في تسميتهم عند كثير من العلماء.

في بعضهم يذهب إلى أن الحوض هو الكوثر والكوثر هو الحوض، وبعضهم يذهب إلى الفصل في التسمية بينهما، ثم يفاجأ ببعض النصوص الواردة في الكوثر والتي هي تصدق على الحوض، فيذهب في التكلف للجواب عن ذلك بإجابات بعيدة عن الصواب، كما سنذكر مثال ذلك.

كما أن الذي حملني أيضاً على ذكر الكوثر هنا أن هناك أحاديث تدل على أن الكوثر وهو في داخل الجنة. ميزابان يصبان في الحوض الذي هو في الموقف ليشرب منه من شاء الله من السعادة.

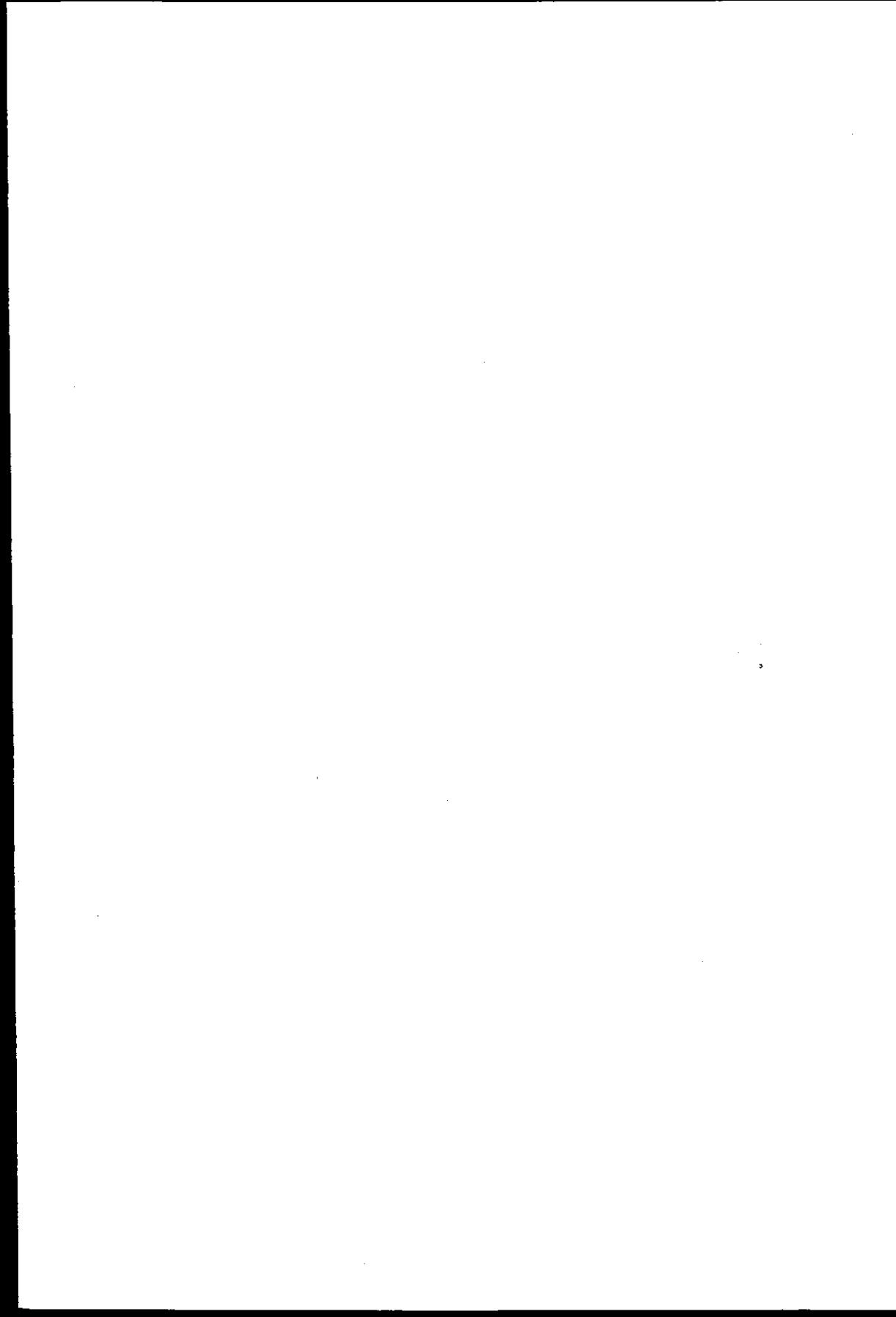
فلاجل هذا الاتصال فيما بين الحوض والكوثر أحبت أن أدخله في بحث الرسالة إياضحاً وتميماً للفائدة بطريقة موجزة أعرّف الكوثر ثم أبين وجه اتصاله بالحوض ومكان كل منهما فيما يأتي :





الفصل الأول

تعريف الكوثر في اللغة والاصطلاح



الفصل الأول

تعريف الكوثر في اللغة والاصطلاح

١. تعريفه في اللغة :

يطلق الكوثر في اللغة على عدة معانٍ دائرة حول الكثرة والاتساع، ومن تعريفات أهل اللغة له ما قاله الأزهري:

«الكوثر فوعل من الكثرة، ومعناه الخير الكبير»^(١).

وقال الفيروز أبادي:

«والكوثر: الكثير من كل شيء، والكثير الملتئف من الغبار، والإسلام، والنبوة، والرجل الخير المعطاء، والسيد، والنهر، ونهر في الجنة تتفجر منه جميع أنهارها»^(٢).

وعرفه الراغب بقوله:

«قيل: هو نهر في الجنة يتشعب عنه الأنهر، وقد يقال للرجل السخي: كوثر، ويقال: تكاثر الشيء: كثرة متناهية، قال الشاعر:

وقد ثار نقع الموت حتى تكاثرا»^(٣).

(١) تهذيب اللغة / ١٠ / ١٧٨.

(٢) القاموس المحيط / ٢ / ١٢٩.

(٣) المفردات ص: ٤٢٦، وانظر: أساس البلاغة ص: ٣٨٧.

وكل تعاريفات أهل اللغة في مادة «كثرة» تدور حول معنى الكثرة والاتساع.

٢. تعريفه في الاصطلاح وبيان المراد من الكوثر :

أما تعريفه في الاصطلاح، فهو حسب مفهوم تعاريفات العلماء له - على ضوء ما عرفه به رسول الله ﷺ من أنه: نهر في الجنة، أعطاه الله نبيه محمداً ﷺ زيادة في إكرامه ولطفه به وبأمته. وهو متصل بالحوض الذي هو في الموقف - كما أشرنا إلى ذلك في مبحث الحوض، وكما سيأتي إياضاحه أيضاً.

وقد فسر الكوثر بأنه نهر في الجنة، كما جاء في حديث أبي عبيدة عن عائشة رضي الله عنها أنه قال: سألتها عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكُوكُثُرَ﴾ قالت: «هو نهر أعطيه نبيكم ﷺ، شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم»^(١).

فهذا الحديث نص في تفسير الكوثر بأنه النهر الذي أعطيه الرسول ﷺ؛ على أنه قد جاء في رواية ابن عباس أنه فسر الكوثر تفسيراً عاماً يندرج تحته الكوثر الذي هو النهر في الجنة وغيره، وذلك فيما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر: «هو الخير الذي أعطاه الله إيه»، قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبیر: فإن الناس يزعمون أنه نهر في الجنة، فقال سعيد: «النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إيه»^(٢)، وهذا جمع من سعيد بن جبیر بين حدثي ابن عباس وعائشة وما في معناهما مما يدل على تفسير الكوثر بالنهر.

(١) البخاري ٨ / ٧٣١.

(٢) المصدر السابق.

قال ابن حجر : هذا تأويل من سعيد بن جبير بين حديثي عائشة وابن عباس ، وكأن الناس الذين عنهم أبو بشر وأبو إسحاق وقتادة ونحوهما من روى ذلك صريحاً أن الكوثر هو النهر^(١) ، على أنه لا تعارض بين تفسير ابن عباس وتفسير عائشة للكوثر . كما ذكر ابن حجر العسقلاني - إذ إن حاصل ما قاله سعيد بن جبير أن قول ابن عباس رضي الله عنهما - أنه الخير الكبير - لا يخالف قول غيره أن المراد به نهر في الجنة ؛ لأن النهر فرد من أفراد الخير الكبير .

ولعل سعيداً أو ما إلى أن تأويل ابن عباس أولى لعمومه ؛ لأنه يشمل كل خير كثير مفترط ؛ من علم وعمل وشرف الدارين ، وهذا وإن كان تأويلاً حسناً . لكن ثبت تخصيصه بالنهر من لفظ النبي ﷺ من عدة طرق عن عدد من الصحابة ، فلا معدل عنه ؛ لثبت ذلك وصحته عن الذي أنزل عليه الوحي^(٢) .

وقد أيد سيد قطب - رحمه الله - تفسير ابن عباس للكوثر بأنه الخير الكبير ، وقال : «إن هذا هو الأنسب في هذا السياق وفي هذه الملابسات»^(٣) ، على أنه قد جاء في بعض الروايات عن ابن عباس أنه فسر الكوثر بالنهر الذي في الجنة^(٤) ، كما في التفسير المنسوب إليه ، وكما أخرج ابن مردويه عنه ذلك^(٥) ، وهذا هو رأي حذيفة^(٦) أيضاً .

(١) فتح الباري / ٨ / ٧٣٢.

(٢) شرح ثلاثيات المسند / ١ / ٥٣٥ ، وفتح الباري / ٨ / ٧٣٢ .

(٣) في ظلال القرآن / ٣٠ / ٣٩٨٨ .

(٤) انظر : تنویر المقباس / ٦ / ٤٠٠ مع الدر المثور .

(٥) ذکرہ الشوكانی في فتح القدير / ٥ / ٥٠٣ .

(٦) المصدر السابق .

وهناك أقوال لأهل العلم في بيان معنى الكوثر، هي في الواقع لا تخرج عن مضمون ما سبق، قال الشوكاني: «وذهب أكثر المفسرين - كما حكاه الواحدي - إلى أن الكوثر نهر في الجنة، وقيل: هو حوض النبي ﷺ في الموقف، قاله عطاء، وقال عكرمة: الكوثر النبوة، وقال الحسن: هو القرآن، وقال الحسن بن الفضل: هو تفسير القرآن وتحقيق الشرائع، وقال أبو بكر بن عياش: هو كثرة الأصحاب والأمة، وقال ابن كيسان: هو الإيثار، وقيل: هو الإسلام، وقيل: رفعة الذكر، وقيل: نور القلب، وقيل: الشفاعة، وقيل: المعجزات، وقيل: إجابة الدعوة، وقيل: لا إله إلا الله، وقيل: الفقه في الدين، وقيل: الصلوات الخمس»^(١).

وذكر السيوطي عن مجاهد رضي الله عنه قال: الكوثر خير الدنيا والآخرة^(٢)، فهذه الأقوال لا ينافي بعضها بعضاً؛ إذ أنها تشتراك في إثبات أن خيراً خص الله به نبيه محمداً ﷺ إكراماً وتشريفاً له، وهذا يصدق على كل ما قيل في ذلك، أما القول الأول؛ وهو أن الكوثر نهر في الجنة، فهذا هو الراجح في بيان معناه والذي تشهد له النصوص كما أشرنا إليه.

وأما القول الثاني: وهو أن الكوثر هو نفس الحوض الذي وعد به نبينا محمد ﷺ فهو من باب تغليب التسمية باعتبار ما يصب فيه من الكوثر الذي هو داخل الجنة. كما سيأتي في وجہ الاتصال بينهما، وأما الأقوال الأخرى فإنها كلها تهدف إلى إثبات خير أوته نبينا ﷺ، وكلها تدخل في تعريف من عرف الكوثر بأنه الخير الكثير، وإن كان في تلك الصفات ما يختص به وحده،

(١) فتح الباري / ٨ - ٥٠٣ - ٥٠٢ .

(٢) الدر المختار / ٦ - ٤٠٣ ، وعزاه إلى ابن حجر وابن عساكر .

ومنها ما يشركه فيها غيره من الأنبياء والرسل وأتباعهم كالشفاعة مثلاً.

وفي هذا يقول الخازن في تفسيره: «فجمیع ما جاء في تفسیر الكوثر فقد أعطیه النبي ﷺ؛ أعطی النبوة، والكتاب، والحكمة، والعلم، والشفاعة، والخوض المورود، والمقام المحمود، وكثرة الأتباع، والإسلام وإظهاره على الأديان كلها والنصر على الأعداء، وكثرة الفتوح في زمانه وبعده إلى يوم القيمة. وأولى الأقوایل في الكوثر الذي عليه جمهور العلماء أنه نهر في الجنة»^(١).

وقال النسابوري: «قال أهل المعنى: ولعله إنما سمي كوثراً لأنه أكثر أنهار الجنة ماءً أو خيراً، ولأن أنهار الجنة تفجر منه»^(٢).

ويقول ابن حجر: «والكوثر فوعل من الكثرة، سمي بها النهر لكثرة مائه وأنيته وعظم قدره وخيرة»^(٣).

وقد ذكر النسابوري إضافة إلى ما سبق من الأقوال قولين يبدو عليهما أثر التكليف؛ مثل القول بأن المراد بالكوثر هم أولاد الرسول ﷺ، أي أولاد ابنته فاطمة، أو هم علماء أمته^(٤)، وهذا وإن كانا داخلين في عموم لفظ الكوثر بمعناه اللغوي إلا أنهما لا دليل عليهما.

وفيمما يلي نعرض أدلة إثبات الكوثر من القرآن الكريم والسنة النبوية.

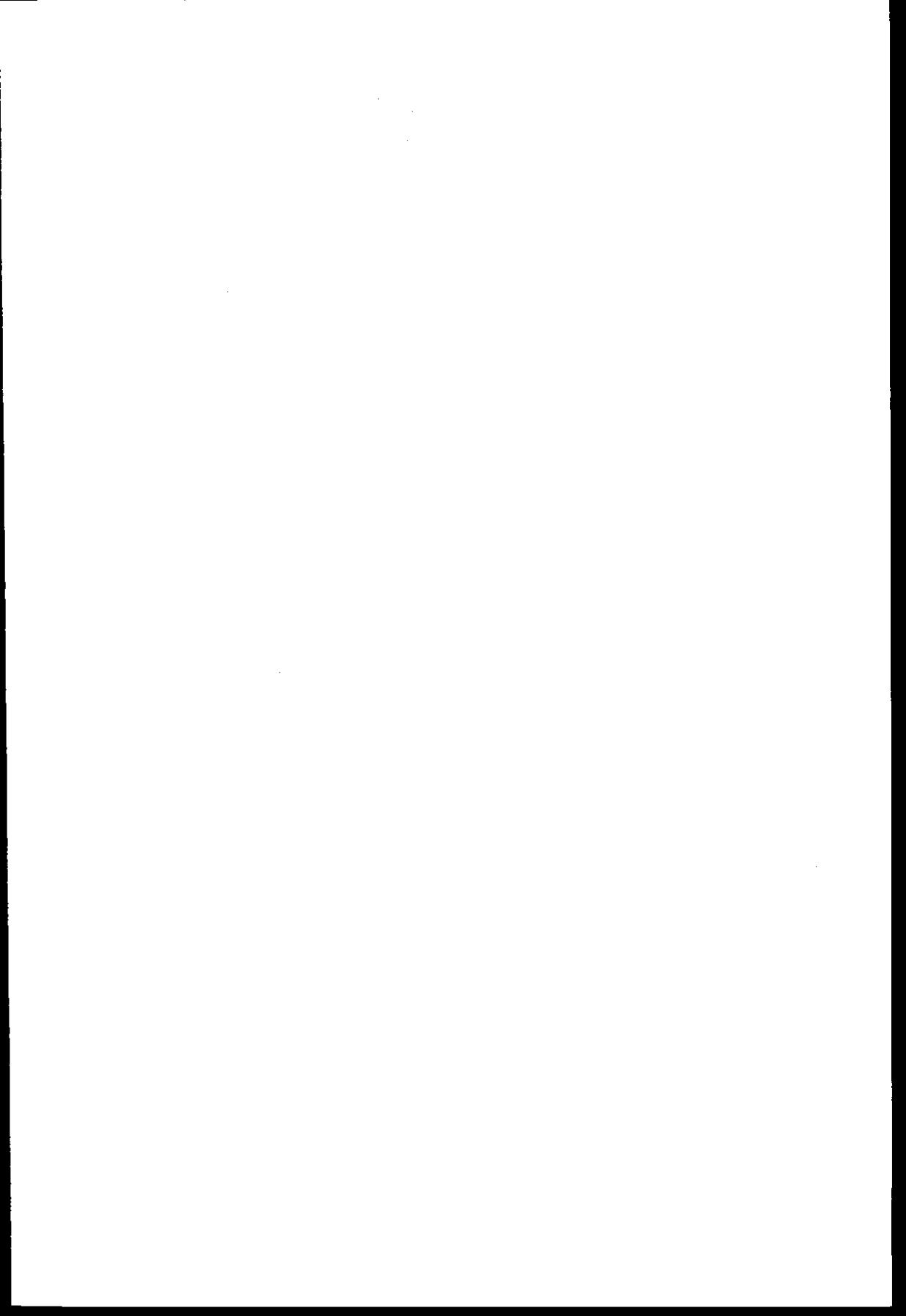
* * *

(١) تفسير الخازن ٤/٤١٤، تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل.

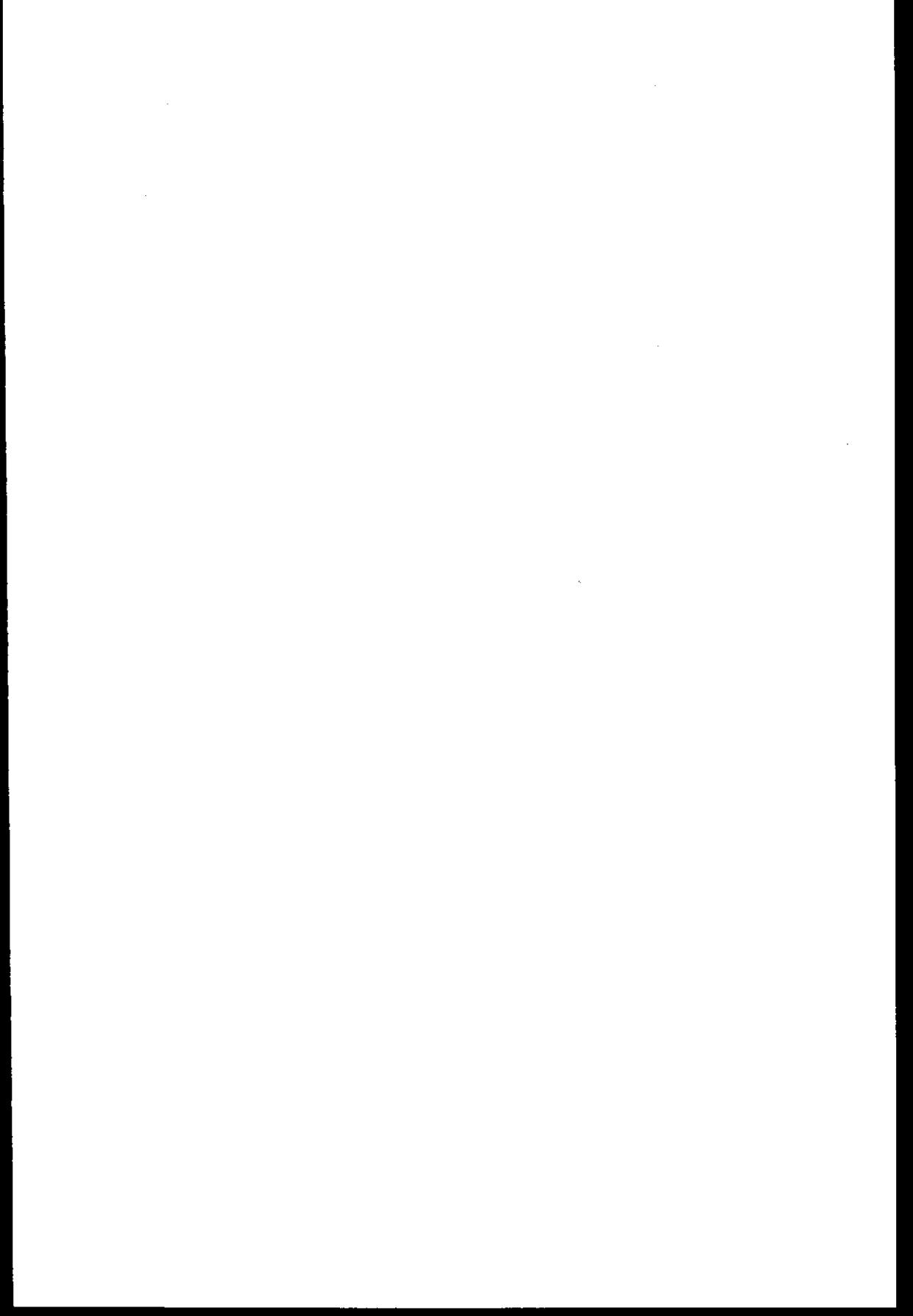
(٢) غرائب القرآن ٣٠/١٩٤.

(٣) فتح الباري ٨/٨٣١.

(٤) غرائب القرآن ورغائب القرآن ٣٠/١٩٥.



**الفصل الثاني
الأدلة على إثبات الكوثر**



الفصل الثاني

الأدلة على إثبات الكوثر

١ - من القرآن الكريم :

جاء في كتاب الله عز وجل الامتنان على نبي الله محمد ﷺ بما حباه به ربه من إعطائه الكوثر، فقال عز وجل مبشرًا له: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (١) فصل لربك وانحر (٢) إن شاءتَكَ هُوَ الْأَبْرَرُ﴾ [الكوثر: ١ - ٣].

فهذه الآية الكريمة صريحة في ثبوت الكوثر، لكنها لم تحدد موقعه. ولكن جاءت السنة النبوية فوضحت ذلك، وأنه نهر في الجنة.

وهذا ما نتبينه في الأدلة الآتية من السنة النبوية.

٢ - أدلة إثباته من السنة :

أخرج البخاري عن أبي عبيدة عن عائشة رضي الله عنها قال: سألتها عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، قالت: «هو نهر أعطيه نبيكم ﷺ، شاطئاه عليه در مجوف، آنيته كعدد النجوم»^(١).

ومن أنس رضي الله عنه قال: لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء قال: «أتيت على نهر حافته قباب اللؤلؤ مجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر»^(٢).

(١) سبق تخريرجه.

(٢) المصدر السابق.

وفي رواية أخرى للبخاري عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ينما أنا سير في الجنة إذا أنا بنهر حافته قباب الدر المجوف، قلت: ما هنا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا: طيبه - أو: طيبه. مسك أذفر»^(١)، وهذه الرواية حصلت ليلة الإسراء.

وعن أنس رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة^(٢) ثم رفع رأسه مبتسمًا فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أنزلت على آنفًا^(٣) سورة، فقرأ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۚ ۖ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحِرْ ۚ ۖ إِنَّ شَانِكَ^(٤) هُوَ الْأَبْتَرُ^(٥)﴾.

ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟^(٦) فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربى عزوجل، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيمة، آنيته عدد النجوم، فيحتاج^(٧) العبد منهم، فأقول: رب إنه من أمتي، فيقول: ما تدرى ما أحدثت بعدهك، زاد ابن حجر في حديثه: «بين أظهرنا في المسجد... وقال: ما أحدث بعدهك»^(٨). والسائل له هذا القول: يحتمل أن يكون من الملائكة، ويحتمل أن يكون الله تعالى^(٩).

(١) البخاري ١١/٤٦٤، والذي شك هو هذبة راوي الحديث؛ هل قال الرسول ﷺ: طيبه أو طيبة.

(٢) أغفى إغفاءة: أي نام.

(٣) آنفًا: أي قربًا.

(٤) شانك: أي مبغضك.

(٥) الأبتَر: هو المنقطع العقب.

(٦) الكوثر: نهر في الجنة، كما فسره الرسول ﷺ هنا، وفي بعض الأحاديث أنه الخير الكبير.

(٧) يختلاج أي يتزع ويقطع.

(٨) مسلم ٢/٣٧.

(٩) شرح ثلاثيات المسند ١/٥٣٦.

ولعل هذا الحديث إنما يتوجه إلى الحوض الذي هو خارج الجنة، بدليل ما يقع فيه من اختلاج أقوام ومنعهم من الشرب منه؛ إذ لو كان المراد النهر الذي هو داخل الجنة لما حصل المنع والاختلاج، وأما تسميته بالكوثر؛ فإن ذلك يرجع إلى ملاحظة أن ماء الحوض إنما هو من الكوثر حيث يمد منه بواسطة ميزابين.

ولهذا فإن الداودي استشكل ما جاء من إخبار الرسول ﷺ بأن نهر الكوثر داخل الجنة، بقوله عليه الصلاة والسلام: «بِينَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذْ أَنْهَرَ...» إلخ. الحديث.

ويبين ما جاء في طرد أناس واحتلاجهم عنه بعد ما يرافقهم ويناديهم، ومعلوم أن تلك الرؤية له ﷺ حصلت في ليلة الإسراء، فظن الداودي - كما يذكر ابن حجر - أن هذا يكون في يوم القيمة؛ لأنه قال: «إن كان هذا محفوظاً دل على أن الحوض الذي يدفع عنه أقوام غير النهر الذي في الجنة، ويكون يراهم وهو داخل الجنة وهم من خارجها، فيناديهم فيصرفون عنه».

قال ابن حجر معلقاً على هذا القول:

«وهو تكلف عجيب يعني عنه أن الحوض الذي هو خارج الجنة يمد من النهر الذي هو داخل الجنة، فلا إشكال أصلاً»^(١).

وقد جاء التصریح كذلك بأنه نهر في الجنة في رواية الإمام أحمد، وقد ذكرها بما نقدم عند مسلم بزيادة قال: «هو نهر أعطانيه ربى عز وجل في الجنة» الحديث^(٢).

(١) فتح الباري ١١ / ٤٧٣.

(٢) المسند ٣ / ١٠٢.

وقد قال النووي في شرحه للحديث:

«والكوثر هنا نهر في الجنة. كما فسره النبي ﷺ، وهو في موضع آخر عبارة عن الخير الكبير»^(١).

وعن المختار بن فلفل قال: سمعت أنس بن مالك يقول: أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة بنحو حديث ابن مسهر - أي السابق - غير إنه قال: «نهر وعدنيه ربِّي عز وجل في الجنة، عليه حوض»، ولم يذكر آنيته عدد النجوم^(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر من الجنة حافته من ذهب، مجراه على الياقوت والدر، قربته أطيب من المسك، وما فيه أحلى من العسل وأشد بياضاً من الثلج»^(٣).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ ما الكوثر؟ فقال: «ذاك نهر أعطانيه الله». يعني في الجنة. «أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طير أعناقها كأعناق الجزر»^(٤). قال عمر: إن هذه لناعمة، قال رسول الله ﷺ: «أكلتها أنعم منها»^(٥).

وأخرج الطبرى^(٦) عن أنس أن القائل «إنها لناعمة» هو أبو بكر رضي الله

(١) شرح النووي لسلم ٢/٣٧.

(٢) مسلم ٢/٣٨ «النووى»، وأبو داود ٢/٥٣٨.

(٣) ابن ماجه ٢/١٤٥٠، والترمذى في جامعه ٥/٤٥٠.

(٤) الجزر: جمع جزور، وهو البعير ذكرًا كان أو أنثى، إلا أن اللفظة مؤنثة» جامع الأصول ١٠/٤٦٧.

(٥) أخرجه أحمد في المستد ٣/٢٢٠.

(٦) جامع البيان ٣٠/٣٢٤.

عنه، وأخرج أيضاً رواية أخرى أن القائل هو عمر، ولا منافاة في هذا، فيمكن أن يكون كل منهما قد قال هذا القول، ولا مانع من حصول هذا والله أعلم. وفي رواية الإمام أحمد: «أكلتها أنعم منها».

وعند الطبرى: «أكلتها أنعم منها»، ففي الأولى جاء الوصف لبيان لذة أكلها، وفي الثانية جاء الوصف لبيان نعومة أكلها، وفي كلتا الحالتين فالامر لا يختلف؛ فإن أكلها ناعم ولذيد وأكلها كذلك ناعم.

ومن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة، حافته من ذهب، والماء يجري على اللؤلؤ، ومساوه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب ريحًا من المسك»، أ��وا به مثل نجوم السماء، من شرب شربة لم يظماً بعدها، أول الناس وروداً على صعاليك المهاجرين. قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: الشعنة رؤوسهم، النحيفه وجوههم، الدنسة ثيابهم، لا تفتح لهم السدد، ولا ينكحون المنعمات، الذين يعطون كل الذي عليهم، ولا يأخذون كل الذي لهم^(١).

ومن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت الكوثر»، قلت: يا رسول الله، وما الكوثر؟ قال: نهر في الجنة عرضه وطوله ما بين المشرق إلى المغرب، لا يشرب منه أحد فيظماً، ولا يتوضأ منه أحد فيشعت، ولا يشرب منه من أخفر ذمتى ولا من قتل أهل بيتي^(٢).

وبعد ذكر ما تقدم من الأدلة المثبتة للكوثر، فإن ما يعتقده بعض الناس من أن خير الكوثر يسمع عندما يضع الشخص أصبعيه في أذنيه قول غير

(١) أخرجه ابن ماجه ٢/٤٣٨، والترمذى ٤/٦٢٩.

(٢) ذكره السيوطي في البدور السافرة ص ٤٢ «فلم»، وعزاه إلى الطبراني.

صحيح، وما استدلوا به من حديث يروى عن عائشة رضي الله عنها في إثبات ذلك فقد ذكر العلماء أن الحديث لا يصح، ونص الحديث عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «من أحب أن يسمع خرير الكوثر فليجعل أصبعه في أذنه»^(١). ذكره السيوطي في كتابه البدور السافرة وعزاه إلى هناد في الزهد، وقد أخرج الحديث الطبرى، وقال في سنته: حدثنا أحمد بن سريح الرازى إلى أن يقول: عن مجاهد عن رجل عن عائشة ثم ساق الحديث باختلاف في الألفاظ، وأخرجه الطبرى كذلك من روایة أخرى عن ابن أبي نجيح عن عائشة^(٢)، وقد وصف ابن كثير هذه الرواية بأنها منقطعة بين ابن أبي نجيح وعائشة.

وقال السهيلي فيما ينقله عنه ابن كثير وصاحب التفسير الطيب: إنه رواه الدارقطني مرفوعاً من طريق مالك بن مغول عن الشعبي عن مروان عن عائشة عن النبي ﷺ^(٣)، وقال الوزانى: ولم أر أحداً صحيحاً، بل هو منقطع، وقد علق الشيخ عبد الله محمد الصديق - فيما يذكره عنه الوزانى - على هذا الحديث بقوله: «هذا حديث موضوع»^(٤).

وعلى هذا، فلا صحة للقول بأن خرير الكوثر يسمع في الدنيا عندما يضع الشخص أصبعه في أذنه، وعلى فرض صحة ذلك، فالمعنى أنه يسمع نظير خرير الكوثر لا الكوثر نفسه، وبما تقدم نكتفي من إيراد الأدلة من السنة على إثبات الكوثر.

* * *

(١) البدور السافرة (فلم).

(٢) جامع البيان / ٣٠ - ٣٢١.

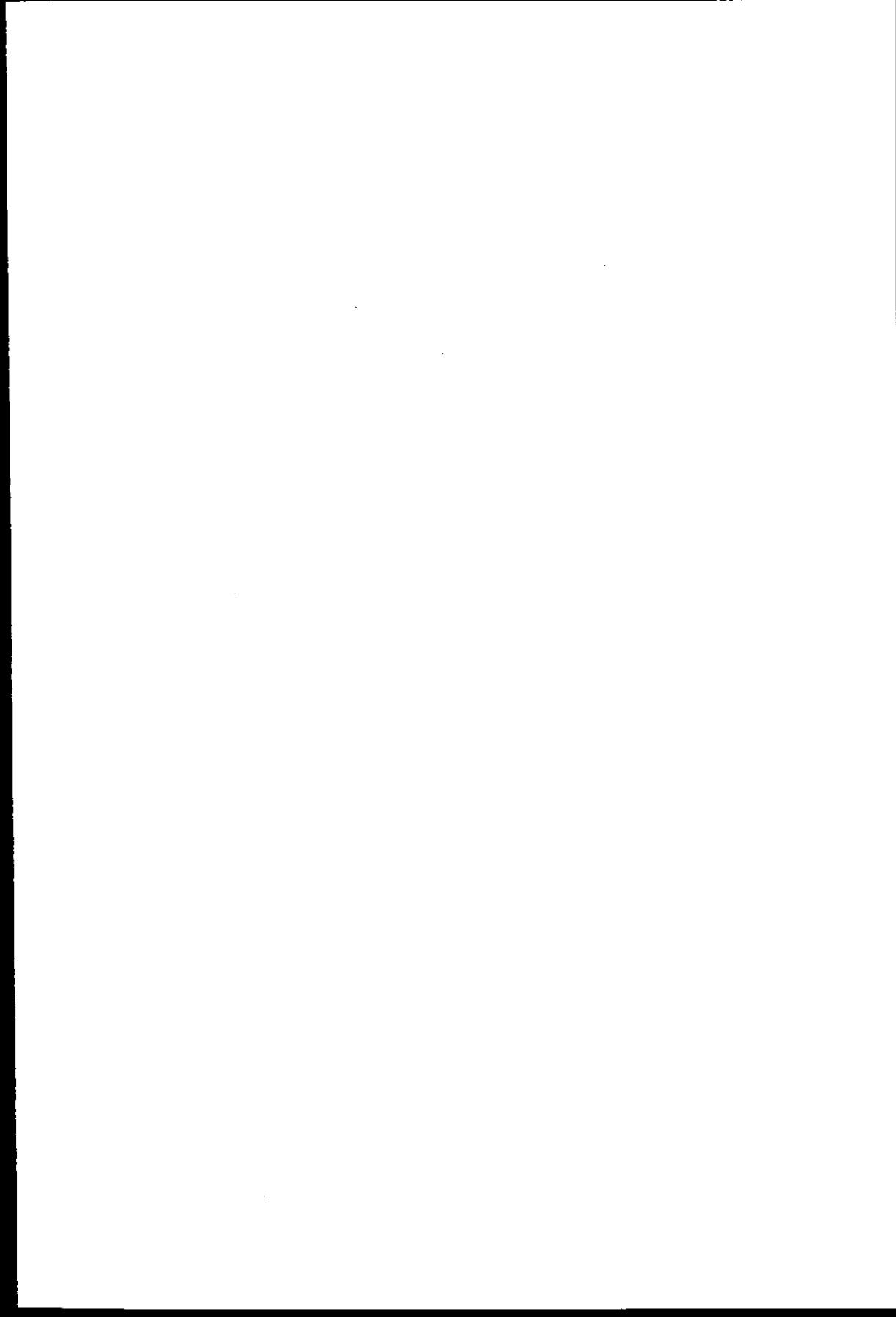
(٣) تفسير القرآن العظيم / ٤ / ٥٥٧.

(٤) التفسير الطيب / ٢ / ٣٩١.

الفصل الثالث

تسمية الكوثر بالحوض والحوض بالكوثر

وبيان وجه الاتصال بينهما



الفصل الثالث

تسمية الكوثر بالدوض والخوض بالكوثر وببيان وجه الاتصال بينهما

فسر الرسول ﷺ الكوثر بأنه: نهر في الجنة من أنهارها، وأخبر عن الخوض بما يدل على أنه في الموقف في عرصات القيامة، وأخبر عن وجه الاتصال بينهما بأن ذلك يتم بواسطة ميزابين يجريان من الكوثر إلى الخوض، ولكن وقع خلاف بين العلماء في إطلاق التسمية؛ فهل هناك فرق بينهما؟ وكيف أطلق بعض العلماء التسمية على الخوض أنه الكوثر؟ واستدل لإثباته من القرآن الكريم بسورة الكوثر.

والجواب عن ذلك:

أن تفسير الكوثر بأنه نهر في الجنة هو ما أخبر به رسول الله ﷺ كما تقدمت أدلة ذلك، وعلى هذا الرأي كثير من العلماء، ومنهم: الإمام الطبرى، حيث قال - بعد أن ذكر أقوال العلماء في معنى الكوثر -: «وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي قول من قال: هو اسم النهر الذى أعطيه رسول الله ﷺ في الجنة؛ وصفه الله بالكثرة لعظم قدره»^(١).

ومنهم كذلك الشوكاني، فهو بعد أن أورد بعض الأحاديث التي تثبت الكوثر بأنه نهر في الجنة قال:

(١) جامع البيان / ٣٠ ٣٢٣.

«فهذه الأحاديث تدل على أن الكوثر هو النهر الذي في الجنة، فيتعين المصير إليها وعدم التعويل على غيرها»^(١).

وليس معنى هذا أن يغفل اتصال الكوثر بالحوض، فإن اتصالهما أمر معلوم كما ورد.

وأما الذين أطلقوا تسمية الكوثر على الحوض فهو من باب تغليب الأصل على الفرع، وقد أصبح معلوماً أن موقع الحوض غير موقع الكوثر، وتسمية الحوض -بغض النظر عن اتصاله بالكوثر- غير الكوثر، ولكن الإيراد يأتي على من فسر الكوثر بالحوض، حيث غالب الفرع على الأصل، مثلما كان يفسر عطاء الكوثر لمن يسأله عنه بالحوض الذي يكثر الناس عليه، أي حوض نبينا ﷺ^(٢).

وكذلك ما يذكره صاحب النشر الطيب أن الكوثر هو الحوض، وأن هذا هو قول الجمهور، وذلك في قوله: «اختلف في تفسير الكوثر على أقوال: الأول أنه الحوض، وصححه ابن جزي وعليه الجمهور، لظاهر هذا الحديث. يعني به حديث أنس في وصف الكوثر والطير التي ترد عليه. وما في الصحيحين عن أنس عنه ﷺ حين أنزلت عليه سورة الكوثر: «أتدرؤن ما الكوثر؟»^(٣) إلخ الحديث.

ومثله ما ذكره عاشور في كتابه «نعميم الجنة» من أن الكوثر هو حوض النبي ﷺ، وهو رأي الجمهور^(٤).

(١) فتح القدير ٥/٥٠٣.

(٢) انظر: زاد المسير في علم التفسير ٩/٢٤٩، وجامع البيان ٣٠/٣٢٣.

(٣) النشر الطيب ٢/٣٩١.

(٤) نعيم الجنة ص: ٤٨.

وأما حجتهم في تسمية الحوض بالكوثر فهو ما أشار إليه ابن حجر من أنهم تسکوا بحديث المختار بن فلفل.

قال ابن حجر: «وجاء إطلاق الكوثر على الحوض في حديث المختار بن فلفل»^(١).

وقد قدمنا ذكر هذا الحديث وهو واضح في إطلاق الكوثر على الحوض لما فيه من الصفات التي تليق بالحوض، ولكن الرسول ﷺ حينما قال هذا لعله غالب تسمية الكوثر على الحوض مع مراعاة الفوارق بينهما.

أما من ناحية وجه الاتصال بينهما حقيقة فهو ما أخبر به رسول الله ﷺ من أنه يشتبه فيه ميزابان من الكوثر يمدانه.

وقد صرخ رسول الله ﷺ - كما في حديث ثوبان الذي قدمنا ذكره في باب الحوض - بالرابطة التي تربط بين الحوض والكوثر، وهو قوله ﷺ: «يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب، والأخر من ورق»^(٢).

ومثل حديث ثوبان حديث آخر عن ابن مسعود، وفيه التصريح ببيان وجه الاتصال بين الحوض والكوثر أيضاً، وهو حديث طويل نأخذ منه قوله ﷺ: «ويفتح نهر من الكوثر إلى الحوض»^(٣) الحديث.

وهو واضح في وجه الاتصال بينهما، لو لا أن في سند الحديث عثمان بن عمير، وهو ضعيف كما قال الهيثمي^(٤)، وهذا الضعف لا يؤثر في حقيقة الاتصال بينهما لثبوت ذلك في صحيح مسلم وهو الحديث السابق.

* * *

(١) فتح الباري / ١١ / ٤٦٧.

(٢) الحديث أخرجه مسلم / ٥ / ١٥٩، ١٦٠.

(٣) المسند / ١ / ٣٩٩.

(٤) مجمع الزوائد / ١٠ / ٣٦٠.

أقوال العلماء

وبعد أن أورد الإمام ابن كثير بعض الأحاديث في إثبات الكوثر، وأنه نهر في الجنة، قال عن وجه الاتصال بينه وبين الحوض: «ومعنى ذلك أنه يشتبه من الكوثر ميزابان إلى الحوض، والحوض في العرصات قبل الصراط؛ لأنَّه يختلِّج عنه، ويُنبع منه أقوام قد ارتدوا على أعقابهم، ومثل هؤلاء لا يجاوزون الصراط»^(١).

ويقول ابن حجر عن سبب إطلاق الكوثر على الحوض ووجه الاتصال بينهما أن: «الكوثر نهر داخل الجنة - كما تقدم ويأتي -، وما ذُرَّ يصب في الحوض، ويطلق على الحوض كوثر لكونه يمد منه»^(٢).

وقال أيضًا: «المراد بالكوثر النهر الذي يصب في الحوض فهو مادة الحوض»^(٣). أي فليس المقصود بالحوض هو النهر كما هو الواقع.

* * *

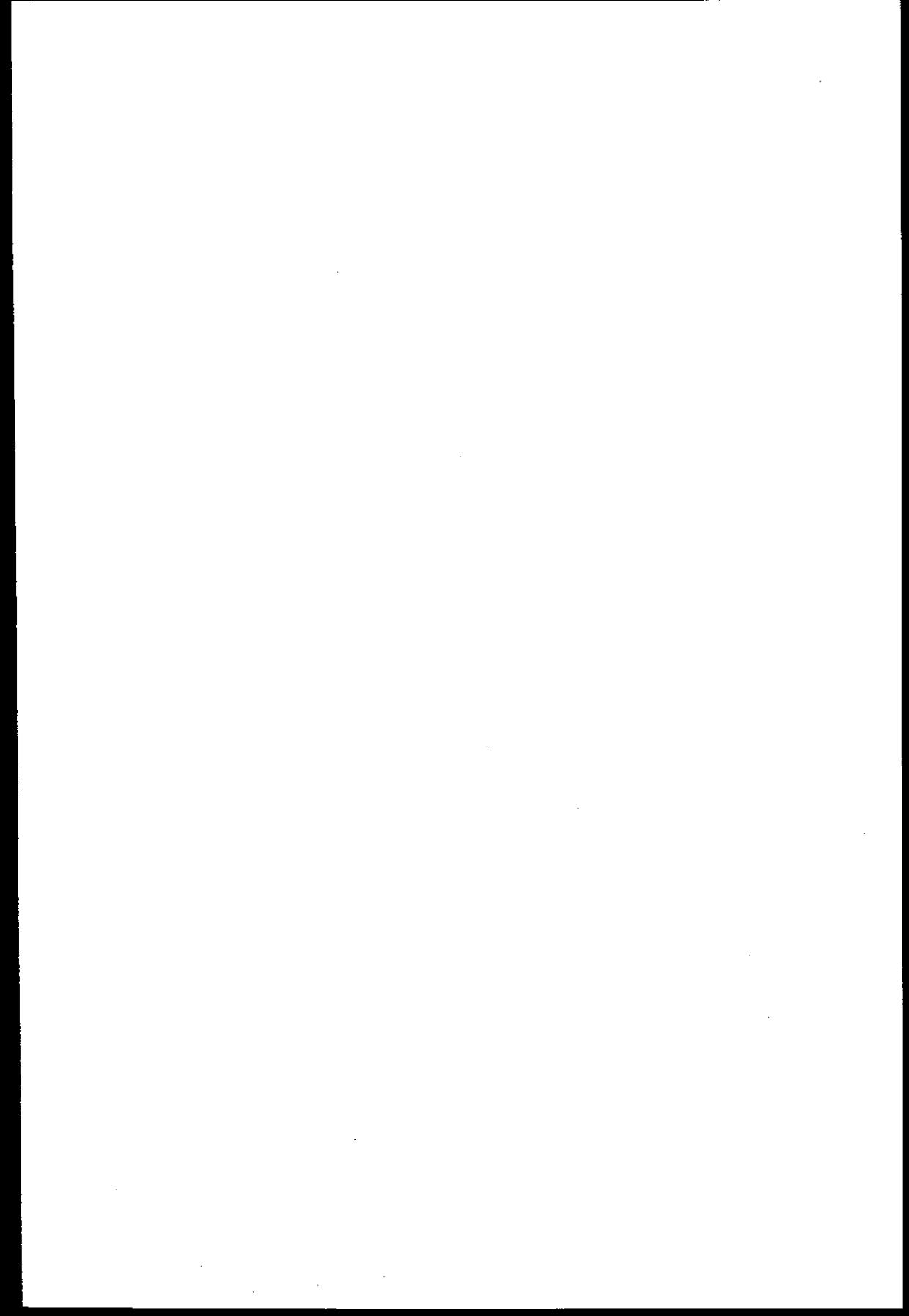
(١) النهاية ٢ / ٤١، وانظر: الطحاوية ص: ٢٥٠.

(٢) فتح الباري ١١ / ٤٦٦ - ٤٦٧.

(٣) المصدر السابق.

الفصل الرابع

اختصاص الرسول ﷺ بالكوثر دون غيره من الأنبياء



الفصل الرابع

اختصاص الرسول ﷺ بالكوثر دون غيره من الأنبياء

الكوثر نهر من أنهار الجنة، جعله الله كرامة لنبيه ﷺ، وهو خاص به عليه الصلاة والسلام دون غيره كما تفيده النصوص الثابتة، فإنه لم ينقل نظيره لغيره، ووقع الامتنان عليه به في السورة المذكورة^(١) : «الكوثر»، ويؤيد هذا ما جاء في صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك مرفوعاً، وفيه: «ثم مضى به في السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد، فضرب يده فإذا هو مسك أذفر، قال: ما هذا يا جبريل، قال: هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك»^(٢).

وذكر السيوطي حديثاً عن ابن عباس فيه التنصيص على اختصاص الرسول ﷺ بالكوثر دون غيره من الأنبياء، وعزاه إلى ابن مردويه، فقال: «وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر﴾، قال: نهر في الجنة عمقه سبعون ألف فرسخ، ما وله أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، شاطئاه الدر والياقوت والزبرجد، خص الله بهنبيه محمداً ﷺ دون غيره من الأنبياء»^(٣).

ولم أجد نصاً - فيما رأيت - في إثبات عمق الكوثر غير ما تقدم من قول ابن عباس.

* * *

(١) فتح الباري / ١١ / ٤٦٧ «سورة الكوثر».

(٢) أخرجه البخاري / ١٣ / ٤٧٨.

(٣) الدر المثمر / ٦ / ٤٠٢.





الفصل الخامس
صفات الكوثر



الفصل الخامس

صفات الكوثر

وبعد إيراد أدلة إثبات الكوثر شخص بالذكر الصفات الواردة له ، وهي وإن كانت ثابتة ضمن الأحاديث السابقة إلا أنها نحب إيرازها كما قدمنا في إيراز صفات الحوض .

فبالنظر إلى ما أسلفنا من الأحاديث المثبتة للكوثر نجد أن الصفات الواردة له هي نفس الصفات الثابتة للحوض ، وهذا أمر ظاهر؛ وذلك لأن الماء الذي في الحوض إنما جاء من الكوثر ، فهو الأساس ، وإن كانت العناية قد توجّهت لدى كثير من الناس إلى إيراز صفات الحوض والاهتمام بها بغض النظر عن صفات الكوثر ، وعلى أي حال فقد أودع الله تعالى في الكوثر صفات ومزايا عظيمة .

كيف وقد أعدده الله إكراماً لنبيه وخليله محمد ﷺ ، وإذا كان الناس يختارون لضيوفهم أحسن المأكولات والمشارب فما الظن بالله تعالى ، الذي هو على كل شيء قادر ، وقد وعد أهل طاعته بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر؟

وقد جاء في رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلاً قال : يا رسول الله ، ما الكوثر؟ قال : «نهر من أنهار الجنة أعطانيه الله عرضه ما بين أيلة وعدين»^(١) إلخ الحديث . فهذا الوصف هو نفس الوصف الذي جاء للحوض

(١) ذكره السيوطي في الدر المثور / ٦٤٠٢ . وعزاه إلى ابن مردويه .

كما تقدم، غير أنه لا يمنع أن يحمل هذا الوصف على الكوثر حقيقة، ويكون هذا التحديد من باب التقرير أيضاً لمسافة عرض الكوثر.

ومجمل صفات الكوثر - كما وردت بها الأحاديث - أنه نهر في الجنة ماؤه أحلى من العسل وأشد بياضاً من الثلج ومن اللبن، ماؤه كثير مبارك، حافته خيام الدر المجوف، وفي رواية: حافته من ذهب يجري على الياقوت والدر المجوف، طينه من المسك الأذفر بل هو أطيب ريحانه، أرضه ياقوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ يجري عليه الماء، عرضه وطوله ما بين المشرق والمغارب. آنيته عدد نجوم السماء لا يشرب منه أحد فيظمه، أو يتوضأ منه أحد فيشعت، وفيه طير خلقها الله كان أعناقها أعناق الإبل لنعمتها وسمتها، جعله الله في أعلى الجنة وأرفعها موضعًا.

هذه أهم الصفات الثابتة له والله أعلم.

هذا، وفي ختام بحث الحوض والكوثر أتوجه إلى الله العلي القدير أن يشيني، على ما بذلته من جهد في إعداد هذا البحث، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن يغفر لي ولكل مسلم ما جانب الصواب من القول، كما أسأله تعالى أن يرينا الحق حقاً ويزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلأً ويرزقنا اجتنابه منه وفضله.

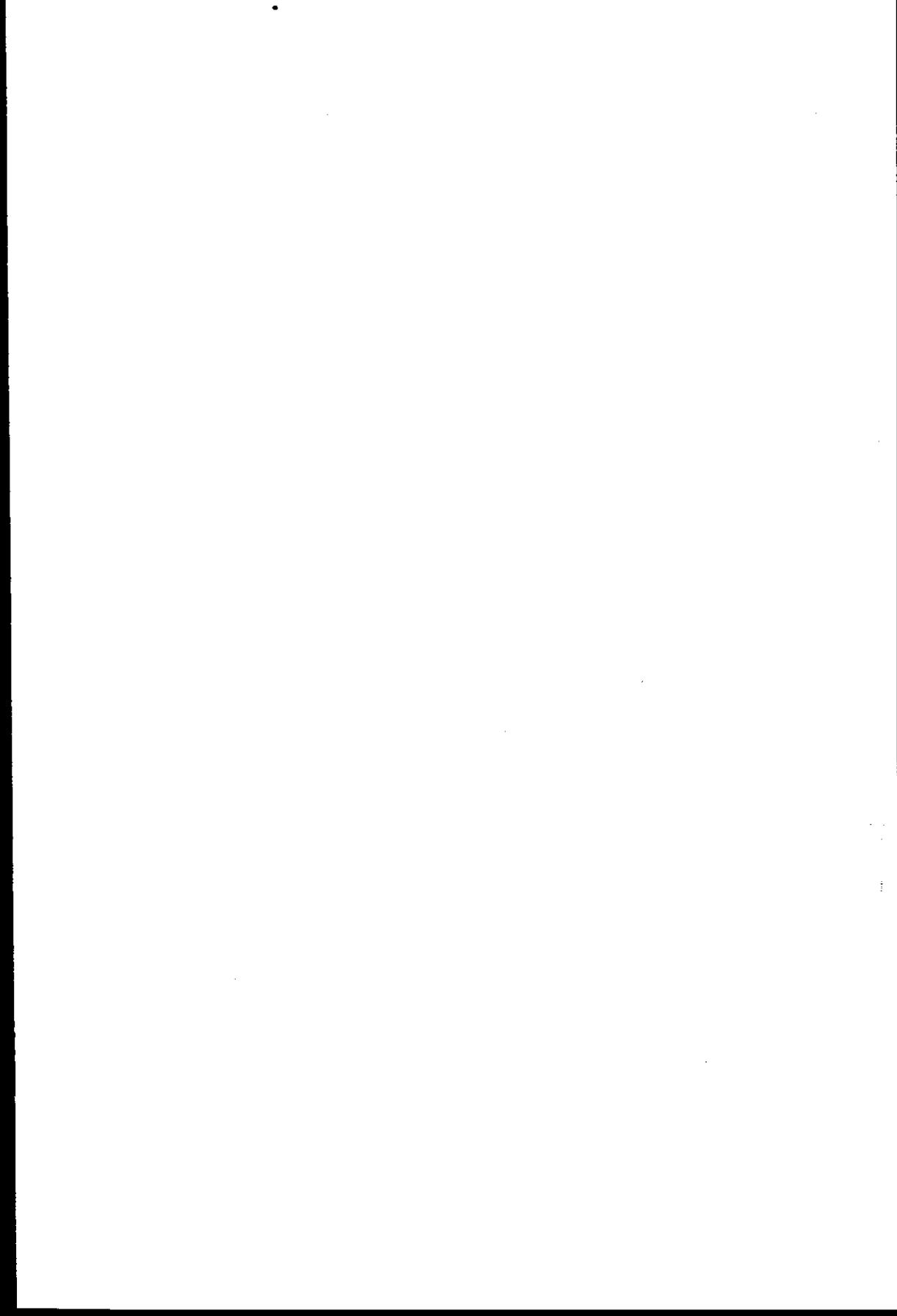
ثم أود التنبيه إلى أنني أخرت ببحث الحوض والكوثر في الترتيب إلى آخر الرسالة؛ لتسلسل الأعمال الأخرى التي تقع في يوم القيمة من الخشر والوقوف وما بعدهما من أعمال.

كذلك فإن تأخير بحث الحوض إلى آخر الرسالة ليس أمراً غريباً؛ فقد رأينا فيما سبق من قرر من العلماء أن الحوض يكون بعد الصراط والميزان، ثم إضافة إلى ذلك فإبني أخرته رغبة في أن يكون ختامها بالحوض والكوثر

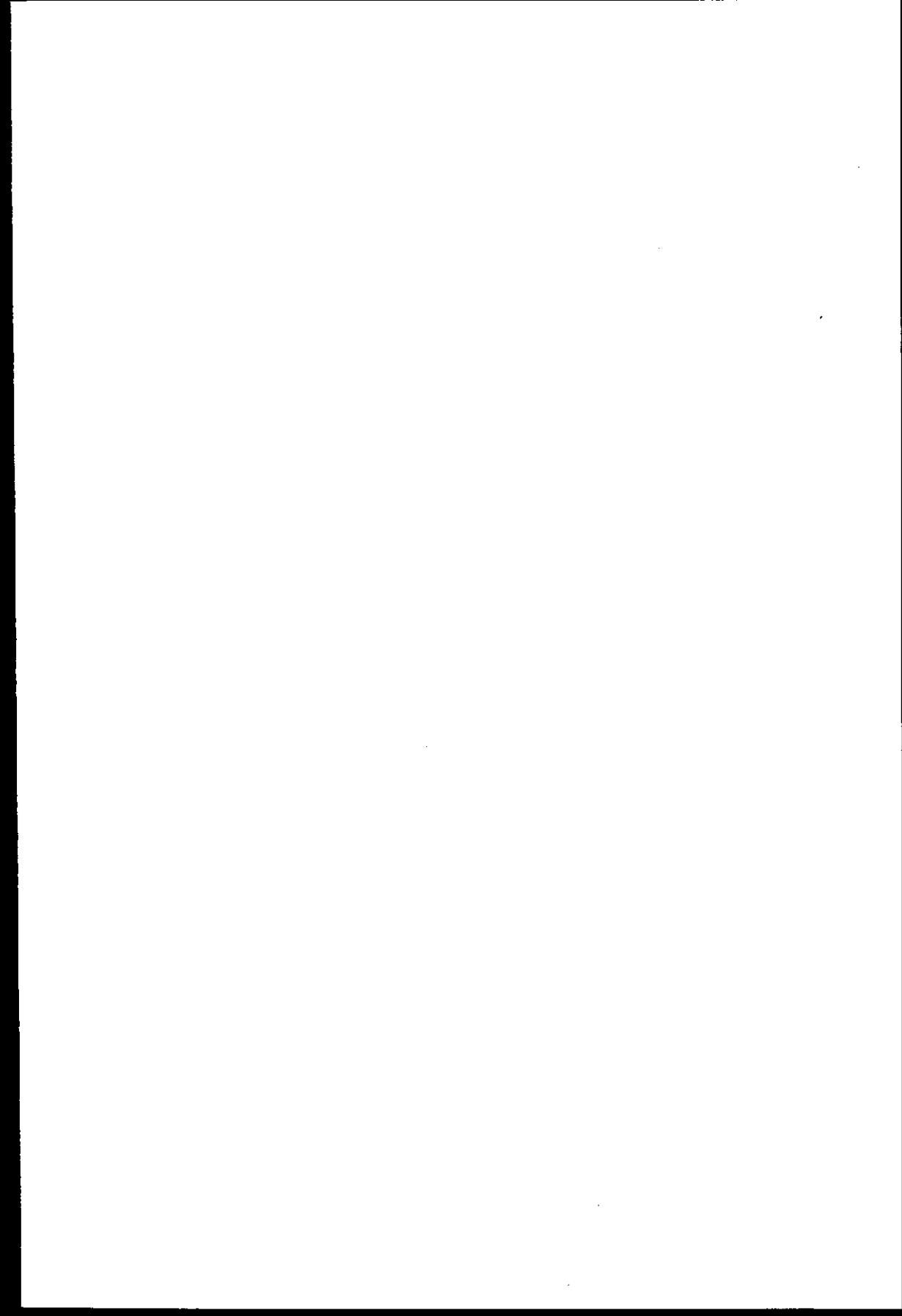
تفاؤلًا لي ولكل قارئ وسامع أن يسقينا الله تعالى بنه وكرمه منه إنه سميع مجيب.

سلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، الذي تم بنعمته الصالحات.

* * *



الخاتمة



الخاتمة

وبعد الانتهاء . بعون الله تعالى وتوفيقه . من دراسة تلك الفترة الزمنية من أمور اليوم الآخر ، الواقعة ما بينبعث إلى دخول الجنة أو النار ، تبين لي من تلك الدراسة أمور ، أوجز أهمها فيما يأتي :

- ١ - أن أمر اليوم الآخر والتصديق به من الأمور التي لا يدخل الشخص في الإيمان حتى يؤمن بها على وفق ما أخبر الله عز وجل ورسوله ﷺ عنها ، وأن الإيمان بذلك مما يحتاج إلى يقين قوي ؛ إذ إن أكثر ما يضعف من عقيدة الشخص هو الجانب الأخرمي وما يقع فيه من أحداث .
- ٢ - أن القرآن الكريم والسنة النبوية قد أوليا اليوم الآخر البيان والإيضاح التام الكافي في أكثر من آية في القرآن الكريم ، وأكثر من حديث في السنة النبوية المطهرة .
- ٣ - أن الإيمان بالغيب أمر من العقيدة بالمكان الأعلى ؛ إذ يتوقف إيمان الشخص على الإيمان بالغيب .

وقد مدح الله تعالى ورسوله ﷺ من اتصف بتلك الصفة . وهي الإيمان بالغيب . في نصوص كثيرة ، ومن ذلك الإيمان الجازم بوقوع أخبار اليوم الآخر ، وهي الحياة الأخرى الخالدة ، حيث يحيا أصحابها أبداً إما في نعيم وإنما في جحيم .

- ٤ - تبين كذلك أن الله تعالى قد ذكر في القرآن الكريم عدة أسماء ليوم القيمة ،

ويعود سبب ذلك إلى شدة الاهتمام والعناء بها.

- ٥ - أن البعث أمر واقع، وليس بمستحيل إعادة الخلق كما كانوا للحساب والجزاء، حفاة عراة غرلاً كما كانوا في الدنيا وليس من أنكره أي مستند لا من العقل ولا من النقل، وليس له ما يدفع به تلك النصوص المتکاثرة من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه ﷺ، وقد رأينا من عرض أدلة البعث واليوم الآخر جوانب من عنابة القرآن الكريم والسنة المطهرة بذكره، حيث جاء إثباته بطرق ومسالك عديدة تدل على صفة البعث وكيفيته وأنه بالروح والجسد معاً.
- ٦ - النفح في الصور نفخة البعث ثبتت بالقرآن الكريم والسنة المطهرة، وظهر كذلك أن العلماء لم يتتفقوا على عدد النفحات كما رأينا فيما سبق ذكره.
- ٧ - تبين أن الناس يحشرون على صور شتي وهبات مختلفة تبعاً لما كانوا عليه من الأعمال الطيبة أو الحبالة في الدنيا.
- ٨ - تبين أن الخلق يحشرون حفاة عراة غرلاً مصداقاً لقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُه﴾ [الأنياء: ٤١٠]. وأن إعادة الأعضاء التي يلحقها النقص في الدنيا أو هي ناقصة بطبيعتها محل نظر فيحتمل أن تعاد قياساً على الغرلة، ويحتمل لا يقع ذلك، وأن الأولى هو القول بإعادتها.
- ٩ - بعث الموتى في أكفانهم مسألة وقع فيها الخلاف، والذي يترجع من ذلك حسبما تقيده النصوص. أن الناس في حالة حشرهم يكونون حفاة عراة غرلاً، وأن ما ورد من نصوص تفيد حشرهم في ثيابهم فإن المراد بها الأعمال. والله أعلم.

- ١٠ - تبين أن جميع الخلق يحشرون بما فيهم - إضافة إلى الجن والإنس - جميع المخلوقات الأخرى، وأن من قال بعدم حشر الحيوانات فقد أخطأ خطأ فاحشاً.
- ١١ - ما ورد من أن الكفار يسمعون ويتكلمون ويصررون، وما ورد كذلك من عدم كلامهم وعدم وجود سمعهم وبصرهم إنما هو بالنسبة للمواقف التي يرون بها في يوم القيمة.
- ١٢ - تبين أن مراتب الأعمال التي تقع في الموقف كاملة مما لم يثبت بها نص صحيح - حسب معرفي - .
- ١٣ - الناس في الموقف يكونون على هيئات مختلفة وأحوال متباعدة على ما لا يتصور من الهم والكرب، كما وردت بذلك النصوص من كتاب الله عز وجل ومن سنة نبيه ﷺ، وتبين أن ما ورد من خلاف العلماء في طول مدة الموقف وقصرها إنما هو بالنسبة للأشخاص حسب أعمالهم.
- ١٤ - الأرض التي يقف عليها الخلق مما وقع فيه الخلاف بين العلماء في صفتها وكيفيتها، والذي يترجع من ذلك هو القول بأنها أرض مستوية تطهر لنزول الله تعالى لفصل القضاء، وأما حقيقتها ونم تكون فعلم ذلك إلى الله تعالى.
- ١٥ - تبين لي كذلك أن الشفاعات تنقسم إلى شفاعات ثابتة وشفاعات منافية، وأن من الشفاعات ما هو خاص بالرسول محمد ﷺ، ومنها ما هو مشترك بينه وبين بقية المخلوقات، وتبين كذلك أن هناك شفاعات ثابتة جاء بها النص، وشفاعات غير ثابتة بنص صحيح.

١٦ - وتبين كذلك أن بعض الأعمال مما يثبت به الشفاعة، وبعضها لم يثبت به نص صحيح.

وأن فيه أموراً تمنع الشفاعة وأموراً لم يصح ما قيل من نفي الشفاعة بسببها.

١٧ - تبين أن من الشفعاء الذين أكرمهم الله بقبول شفاعتهم الأنبياء والملائكة والشهداء والولدان، وشفاعة المؤمنين بعضهم في بعض، وشفاعة القرآن الكريم.

وفي مقابل أولئك فإن هناك شفعاء لم يثبت بهم نص صحيح.

١٨ - تبين أن الله تعالى يتزل نزولاً يليق به جل وعلا للفصل بين الخلق في يوم القيمة، وهذا هو ما تؤيده الأدلة من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه ﷺ وأقوال علماء السلف، وأن من أوله إلى أي معنى من معاني التأويل كمجيء أمره أو غير ذلك فإن قوله باطل.

١٩ - تبين أن رؤية الله تعالى في عرصات القيمة أمر ممكن عقلاً، وهو ما قررته النصوص الكثيرة من كتاب الله ومن سنة نبيه ﷺ؛ وأن من قال باستحالة رؤيته تعالى فإنه ضال عن الهدى غير متبع للحق. وأن ما ظهر من الخلاف في رؤية غير المؤمنين لربهم مما وقع فيه التزاع بين العلماء، وهي من المسائل التي سكت عنها الصدر الأول من السلف وخاض فيها من جاء بعدهم، وكذلك مسألة رؤية الله تعالى في جهة.

٢٠ - تبين كذلك أن كلام الله تعالى صفة حقيقة له جل وعلا، وأن الله يكلم خلقه في يوم القيمة، كما ثبت ذلك بالقرآن الكريم والسنة المطهرة وأقوال

علماء السلف ، ومن أنكر هذا فقوله باطل ، وأن ما ورد من عدم كلام الله تعالى لبعض خلقه في يوم القيمة فإنما هو من باب العقوبة لهم ، أو أنه لا يكلمهم بكلام الرضى والسرور ، بل بكلام التقرير والتوضيح .

وأما بأي لغة يتكلم الله يوم القيمة فهذا مالم يرد بيانه بنص صحيح وعلمه إلى الله تعالى .

٢١ - تبين أن العرض على الله جل وعلا في موقف فصل القضاء أمر ثابت كما نص عليه كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ، وأن إثبات ذلك على ضوء تلك النصوص هو القول الحق دون الالتفات إلى أقوال المؤولين وتحريفاتهم .

٢٢ - ظهر كذلك أن إيمان الصحف أو كتاب الأعمال من الأمور الثابتة في يوم القيمة ، لورودها في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ وأقوال علماء الإسلام ، ولا عبرة بقول من أنكرها .

وأن كل إنسان لابد وأن يقرأ كتابه بعد أن يأخذه بيديه أو بشماله ، سواء كان قارئاً أم لم يكن قارئاً ، وأن الله تعالى حكمة في ذلك .

٢٣ - ومن الأمور الأخرى التي تقع في الموقف : الحساب ؛ فقد ثبت وقوعه بالكتاب والسنة ، وأن الله تعالى هو المتولى حساب خلقه حسبما تقتضيه مشيئة الله تعالى ، وأن الحساب له كيفيات مختلفة ، وأن من الناس من يستثنى من الحساب فلا يشمله .

وأن ما جاء في أول من يحاسب وفي أول ما يُسأل عنه العبد من المسائل التي وقع فيها الخلاف بين العلماء .

وقد ثبت أن الله تعالى يقرر عباده ويسأله عن كل ما صدر منهم ، ويقيم

عليهم الشهد العدول من أنفسهم ومن غيرهم بالعدل الكامل في القصاص بينهم . وأن الجزاء من جنس العمل جزاءً وفاقاً .

وأن العمل نفسه لا يمكن أن يستحق به صاحبه الجنة إذا لم تداركه رحمة الله تعالى .

٢٤- أن الميزان العظيم الذي يزن الله به أعمال خلقه هو ميزان حقيقى له لسان وكفانا ، وقد ثبت ذكر الميزان في القرآن الكريم وفي السنة النبوية وإجماع الأمة بما لا يدع مجالاً للشك فيه .

وأن المنكرين له أو لصفاته لا دليل لهم ، لا من العقل ولا من النقل ، وقولهم مردود عليهم ، وأن الذي يوزن في الميزان هو العامل والعمل وصحف الأعمال لحكمة يعلمها الله جل وعلا ، ينصبه الله جل وعلا ثم يزن أعمال الخلق في كيفية لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى .

وقد جاء كذلك إطلاقه بلفظ الإفراد وبلفظ الجموع ، ولذا كان محل خلاف بين العلماء : هل هو ميزان واحد أم موازين متعددة ؟

٢٥- الصراط الذي أعده الله لعبور الخلق مما ثبت ذكره بلفظه الصريح في السنة النبوية ، وفي القرآن الكريم عند بعض العلماء ، وعدم ذكره صراحة في القرآن الكريم عند البعض الآخر ، الذين قالوا إن ما ورد من ذلك في القرآن فهو احتمال وليس بصريح ، كماينا ذلك .

وأن وصف الصراط بأنه أحد من السيف وأدق من الشعرة هو الوصف الحق الذي ثبت له ، وأن من تأول ذلك أو أنكر الصراط فإنه لا حجة له ، وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يجتازه الخلق ، وهي من المسائل التي لا

مجال للعقل في الخوض فيها، وما قاله العلماء في ذلك فإنما هو مجرد استنباط دون الاستناد إلى نص ثابت.

وظهر كذلك أن مسافة الصراط أمر لا يعلم إلا الله وأن الأقوال التي قيلت في تحديده تفتقر إلى نص يثبتها.

أما بالنسبة لمرور الخلق عليه جميعهم أو بعضهم فإنها مسألة خلافية، فقد ذهب بعض العلماء إلى القول بأن كل الخلق يرون عليه، ومنهم من يقول بعدم مرور بعض الخلق إما إكرااماً لهم أو إهانة لهم، والظواهر من النصوص تدل على أن الكل ير عليه، فينجو أولياء الله ويسقط فيه الكفار، إلا من يلتقطهم عنق النار كما بينا ذلك.

وأما بالنسبة لأول من يجوز الصراط فقد تبين أنه الرسول محمد ﷺ وأمته، وأن شعار المؤمنين على الصراط : اللهم سلم سلم.

أما بالنسبة لخلق الصراط وجوده الآن أو عدم وجوده وكذا القول بيقائه إلى خروج عصاة الموحدين أو عدم بيقائه فالله تعالى أعلم بحقيقة ذلك، فقد يكون موجوداً الآن، وقد يوجد في يوم القيمة، وقد يبقى إلى خروج عصاة الموحدين فيعبرون عليه وقد لا يبقى.

٢٦ - ظهر لي كذلك أن المؤمنين الذين قد كتبوا لهم السعادة يقفون بعد اجتيازهم الصراط على قطرة دون الجنة ليقتضوا مظالم كانت بينهم، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، وهي ثابتة.

وقد وقع الخلاف في موضعها: هل هي جزء من الصراط وتتممه له، أم هي صراط آخر غير الصراط العظيم المتصوب على متن جهنم؟ وأن

الصحيح أنها قنطرة واحدة وليس قناطر متعددة.

٢٧ - وتبين أن الورود الذي ذكره الله بقوله : «**وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا**» ما وقع
الخلاف في معناه بين العلماء ، وأن الراجح من ذلك هو القول بأن الجميع
يردها ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم ، كما أفادته النصوص الثابتة من
كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ .

٢٨ - تبين أن فئة من الناس يسمون : أصحاب الأعراف ، قد تضاربت أقوال
العلماء فيهم ، وتبينت آراؤهم فيهم ، يقفون على الصراط إما إكرااماً لهم
واما إهانة لهم ، ثم يكون مصيرهم بعد ذلك إلى الجنة .

٢٩ - تبين أن الحوض المورود الذي وعد الله به نبيه محمداً ﷺ قد ثبت بالسنة
المطهرة بلفظه الصريح ، وفي القرآن الكريم عند من يسمى الحوض
كوثراً ، ثم يستدل لإثباته بسورة الكوثر ، وأن من أنكره ليس له دليل لا
من العقل ولا من النقل ، وإنما هو مجرد الاستبعاد فقط .

واتضح أن مسافة الحوض قد وردت بروايات كثيرة مختلفة ، وليس فيها
تعارض ولا اضطراب كما رأينا في الجمع بينها ، وأن الناس يردون عليه
حين خروجهم من قبورهم يشربون منه وهم في الموقف على الصحيح
من أقوال العلماء ، وقد ميزه الله تعالى عديدة والله تعالى القدرة والحكمة
على ما يشاء .

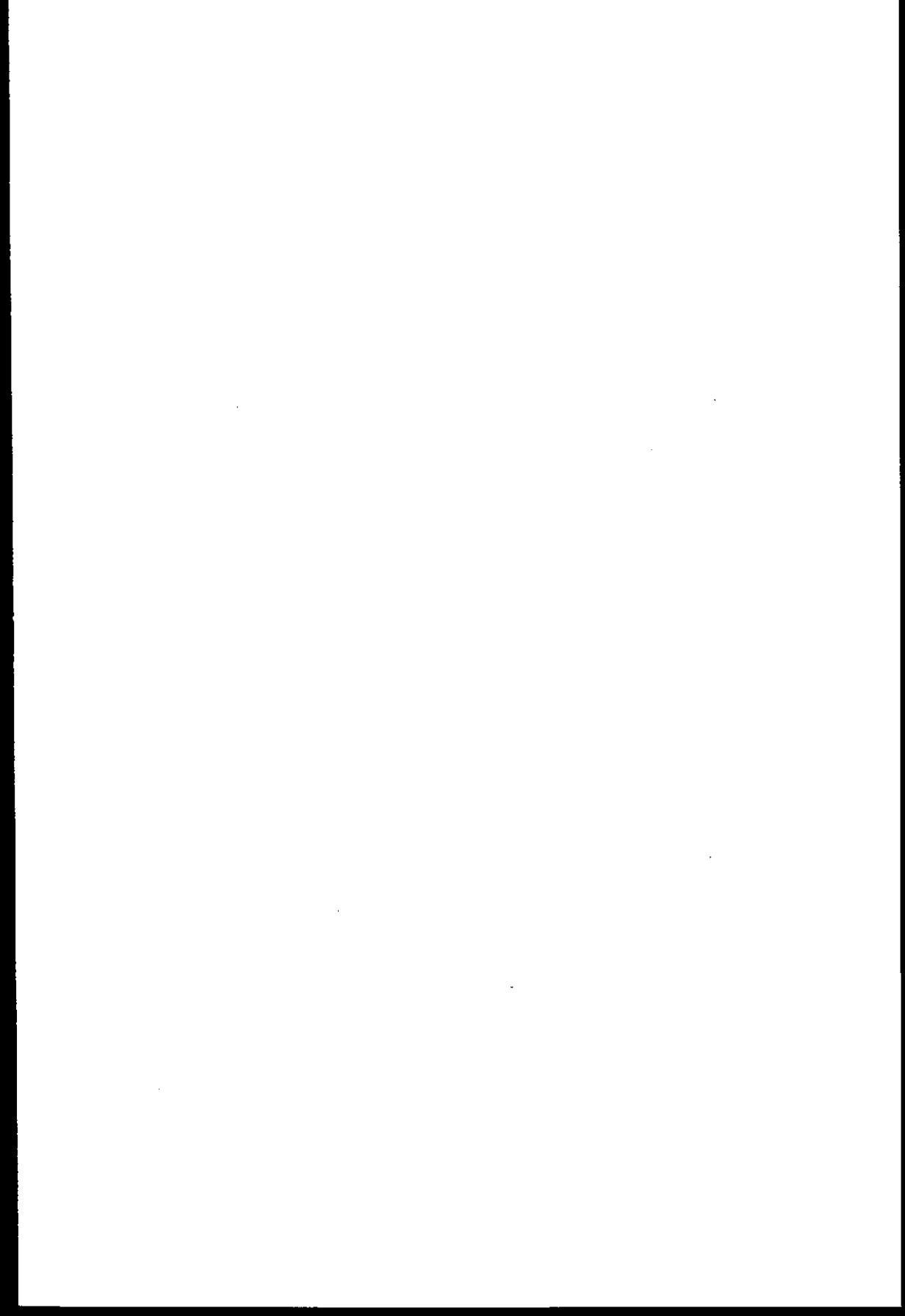
٣٠ - الكوثر الذي ذكره الله تعالى هو نهر في الجنة ، كما أفادته النصوص
الصريحة في ذلك ، وأن بعض العلماء قد أطلق تسمية الكوثر على
الحوض ، والحوض على الكوثر بسبب الاتصال الذي بينهما كما بينا

ذلك ، وتبين أن الكوثر ما اختص الله به نبيه محمدًا ﷺ شريقاله دون غيره من الأنبياء كما قال تعالى : « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ » .

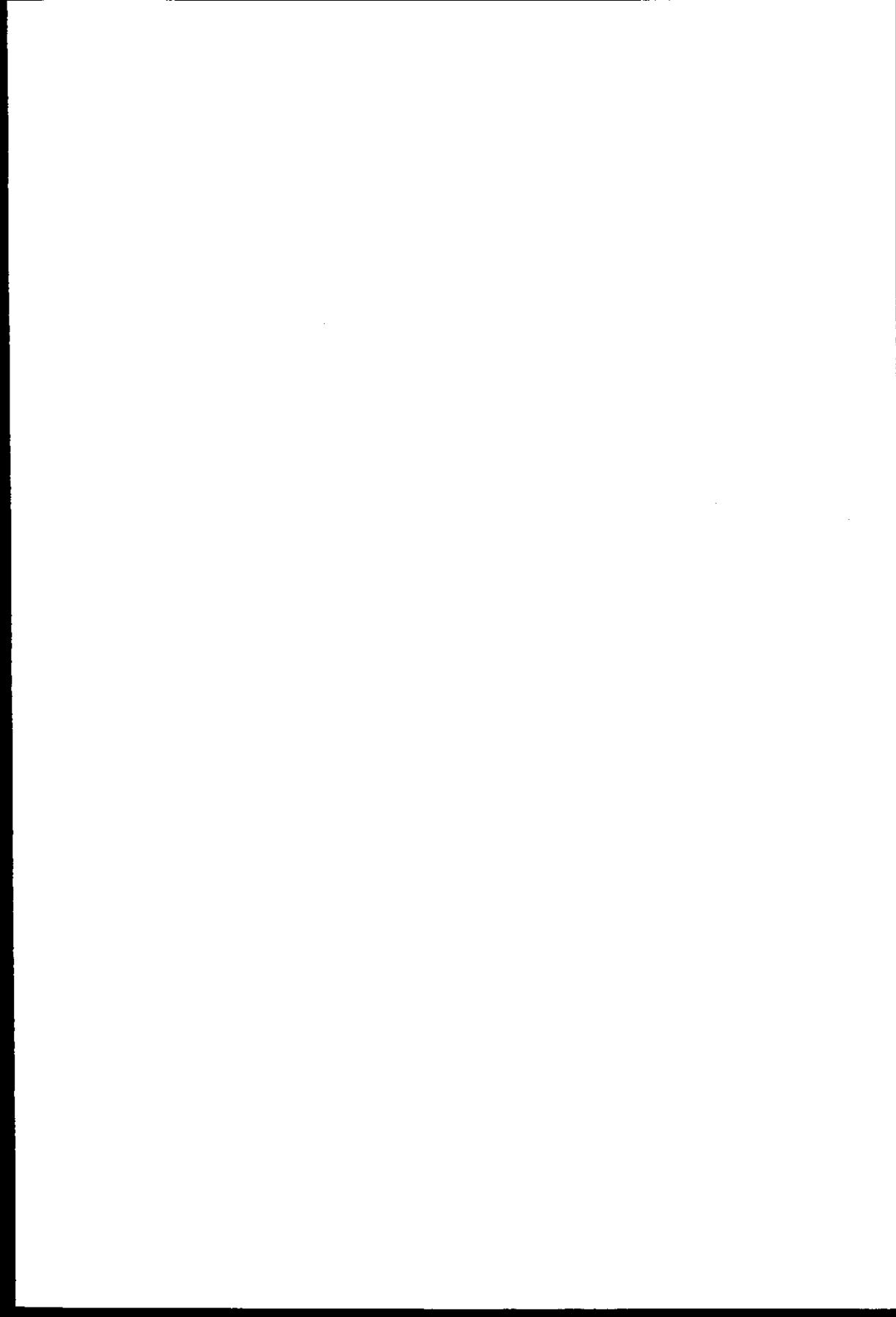
تلك أهم النتائج التي ظهرت لي في هذا الموضع ، أسأل الله العلي العظيم أن يتقبل مني ويشينني فيما أصبت الحق فيه ، وأن يغفر ويتجاوز عما أخطأت فيه ، وأن ينفع بهذه الدراسة إنه سميع مجيب .

وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

* * *



قائمة بأسماء المراجع



قائمة بأسماء المراجع

- القرآن الكريم .

(١)

- كتاب ذكر أخبار أصفهان ، تأليف الإمام الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، طبع في مدينة ليدن بطبعة بريل سنة ١٩٣١ م.
- كتاب الأسماء والصفات ، تأليف الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي ابن عبد الله بن موسى البهقي النيسابوري ، المولود في شعبان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ، المتوفى يوم عشرة جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين وأربعين مائة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م.
- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البهقي المتوفى ٤٥٨ هـ . تعليق كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- كتاب الإيمان لابن منده ، الحافظ محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده ٣١٠ هـ - ٣٩٥ هـ ، تحقيق الدكتور / علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

- أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم، تأليف الإمام أبي القاسم هبة الله بن الحسين بن منصور الطبرى اللالكائى ٤١٨ هـ.

تحقيق الدكتور / أحمد سعد حمدان، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.

- الإبانة عن أصول الديانة، للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتوفى سنة بضع وعشرين وثلاثمائة، الناشر: المكتبة السلفية لصاحبها عبد المحسن الكتبى بالمدينة المنورة.

- آراء الخوارج، تأليف د/ عمار الطالبي، الناشر: المكتب المصري الحديث بالإسكندرية.

- إعلام الموقعين عن رب العالمين لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية المتوفى عام ٧٥١ هـ، بتعليق طه عبد الرؤوف سعد / دار الجيل، (بيروت) ١٩٧٣ م.

- أساس البلاغة، تأليف الإمام جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الرمخشى المتوفى ٥٣٨ هـ، بتحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

- الإحافات السننية في الأحاديث القدسية، للشيخ العلامة محمد المدنى بتصحيح الشيخ محمود أمين النووى.

الطبعة الثانية ١٩٧٠ هـ، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، حسين محمد إمبابي بميدان الأزهر.

- الاستعداد ل يوم المعاد للإمام أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، مكتبة المعارف ، (بيروت) الطبعة الثالثة آذار - مارس ١٩٧٩ م .
- كتاب الأزهار المتناثرة في الأخبار المتوترة ، بلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، مطبعة دار التأليف بالقاهرة سنة ١٣٧١ هـ .
- الله والإنسان ، تأليف عبد الكريم الخطيب ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
- أوضح التفاسير لابن الخطيب محمد محمد عبد الطيف ، الطبعة الثامنة ، المطبعة المصرية ومكتبتها .
- كتاب أصول الدين ، تأليف الإمام أبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي التميمي البغدادي ، المتوفى سنة ٤٢٩ هـ . الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م . دار الكتب العلمية .
- آكام المرجان في أحكام الجان ، تأليف الشيخ بدر الدين أبي عبد الله عمر بن عبد الله الشبلبي الحنفي المتوفى سنة ٧٦٩ هـ ، دار المعرفة .
- الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ، تأليف الشيخ عبد العزيز المحمد السلمان ، الطبعة الخامسة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، دار الأصفهاني وشركاه بجدة ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م .
- إبانة المناهج في نصيحة الخوارج ، تأليف القاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام ، مخطوط بدار الكتب المصرية .

(ب)

- البدور السافرة في أمور الآخرة، للسيوطى، مخطوط في فلم رقم ٥٨٠ بمكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية.
- البهائية تأريخها وعقيدتها وصلتها بالباطنية والصهيونية، تأليف عبد الرحمن الوكيل، الطبعة الأولى ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م، مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة، مصر.
- البيان في تفسير القرآن، للسيد أبو القاسم الموسوي الخوئي، الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م.
- البدع والنهي عنها، تأليف محمد بن وضاح القرطبي المتوفى سنة ٢٨٦ هـ أو ٢٨٧ ، ولولود عام ١٩٩ هـ ، وقيل : ٢٠٠ هـ ، بتحقيق محمد أحمد دهمان ، دار البصائر ، دمشق ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م الطبعة الثانية.
- البيهقي وموقفه من الإلهيات ، تأليف الدكتور / أحمد بن عطيه علي الغامدي ، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ، مطبع الجامعة الإسلامية.
- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، أو نقض تأسيس الجهمية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية بتعليق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، الطبعة الأولى بمطبعة الحكومة السعودية بمكة المكرمة سنة ١٣٩٢ هـ.

(ج)

- جامع الأصول في أحاديث الرسول ، تأليف الإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري ٥٤٤ - ٦٠٦ هـ بتحقيق

- عبد القادر الأرناؤوط، نشر وتوزيع مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، طبعة سنة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.
- الجامع الفريد يحتوي على كتب ورسائل لأئمة الدعوة الإسلامية، الطبعة الثانية.
- جهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي، تأليف خالد العلي، منشورات المكتبة الأهلية لصاحبها السيد شمس الدين الحيدري، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٦٥ م.
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ هـ - ١٢٧٣ م. دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٦٦ م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٢١٠ هـ، الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م، شركة مكتبة ومطبعة : مصطفى البابي ، خلفاء بالقاهرة.
- كتاب المحرح والتعديل، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، المتوفى ٣٢٧ هـ، الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ببحير آباد، الدكن ، الهند .
- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روایته وحمله، للإمام المحدث أبي عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبي الأندلسى المتوفى ٤٦٣ هـ، دار الفكر.

(د)

- الدر المنشور في التفسير بالتأثر، للإمام عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ٩١١ هـ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م دار الفكر، بيروت.
- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، لصاحب الفضيلة الشيخ محمد الأمين الحكني الشنقيطي.

(و)

- الوسيلة في شرح الفضيلة في علم أصول الدين، تأليف العلامة السيد عبد الرحيم الكردي الملقب بالمولوي، تأليف الشيخ عبد الكريم محمد المدرس، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م. مطبعة الإرشاد - بغداد.

(ز)

- الزواجر عن اقتراف الكبائر، تأليف أبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر المكي الهيتمي ٩٠٩ - ٩٧٤ هـ، شركة مكتبة ومطبعة: مصطفى الباجي الحلبي وأولاده بمصر محمد محمود الحلبي وشركاه، خلفاء بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.
- زاد المسير في علم التفسير.

(هـ)

- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، للعلامة محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن خريز الزرعبي ثم الدمشقي شمس الدين أبي عبد الله بن قيم الجوزية، المولود سنة ٦٩١ هـ، المتوفى سنة ٧٥١ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، للإمام أبي القاسم إسماعيل ابن محمد بن الفضل التيمي الأصفهاني المتوفى سنة ٥٣٥ هـ، تحقيق د/ محمد ربيع.

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ. المكتبة السلفية.

(أيـ)

- اليوم الآخر، لعبد القادر الحاج مطلق الرحباوي، الطبعة الرابعة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ ، نشر وتوزيع دار الكتاب الإسلامي، حلب، باب الحديد.

- اليوم الآخر في ظلال القرآن، جمع أحمد فائز، الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

(كـ)

- الكتز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة من اللغة الفرنسية، للدكتور / يوسف حنا نصر الله، الطبعة الثانية، بيروت ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.

(ج)

- لمعة الاعتقاد، تأليف الإمام الموفق ابن قدامة المقدسي ، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة ١٣٩٥ هـ، بيروت.
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية بشرح الدرة المضية في عقد الفرقـة المرضـية، تأليف العـلـامـة الشـيـخـ مـحـمـدـ بنـ أـحـمـدـ السـفـارـينـيـ الأـثـرـيـ الحـنـبـلـيـ.
- الـلـالـئـ المـصـنـوـعـةـ فـيـ الـأـحـادـيـثـ الـمـوضـوعـةـ لـلـإـلـامـ جـلالـ الدـيـنـ عـبـدـ الرـحـمـنـ السـيـوطـيـ، المتـوفـىـ سـنـةـ ٩١١ـ هـ، الـمـكـتـبـةـ الـتـجـارـيـةـ الـكـبـرـيـ، مصرـ.
- الـلـالـئـ الـبـهـيـةـ فـيـ شـرـحـ لـامـيـةـ شـيـخـ إـلـاسـلامـ اـبـنـ تـيـمـيـةـ، تـأـلـيفـ أـحـمـدـ بنـ عـبـدـ اللهـ المـرـداـويـ الـخـنـبـلـيـ، الطـبـعـةـ الـأـولـىـ، مؤـسـسـةـ النـورـ لـلـطـبـاعـةـ وـالـتـجـلـيدـ، الـرـيـاضـ.

(م)

- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ، تصنـيفـ الإـلـامـ أـبـيـ العـبـاسـ نقـيـ الدـيـنـ أـحـمـدـ بنـ عـبـدـ الـحـلـيمـ الـخـرـانـيـ الـدـمـشـقـيـ الـخـنـبـلـيـ الشـهـيرـ باـنـ تـيـمـيـةـ، النـاـشـرـ: مـكـتـبـةـ الـرـيـاضـ الـحـدـيـثـ، الـرـيـاضـ.
- كتاب الموضوعات ، للـعـلـامـ أـبـيـ الفـرجـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بنـ عـلـيـ بنـ الجـوزـيـ القرـشـيـ ٥٩٧ـ٥١٠ـ، بـتـحـقـيقـ عـبـدـ الرـحـمـنـ مـحـمـدـ عـثـمـانـ، النـاـشـرـ: مـحـمـدـ عـبـدـ الـمـحـسـنـ صـاحـبـ الـمـكـتـبـةـ الـسـلـفـيـةـ بـالـمـدـيـنـةـ الـنـورـةـ، الطـبـعـةـ الـأـولـىـ هـ ١٣٨٨ـ هـ ١٩٦٨ـ مـ.

- مفید الأنام ونور الظلام في تحریر الأحكام لمحج بيت الله الحرام، تأليف الشیخ / عبد الله بن جابر النجדי التميمي الوهبي الأشیقری ثم المکی السلفی، الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م، مکتبة النہضة المصرية لأصحابها حسن محمد وأولاده، ٩ شارع عدلي باشا بالقاهرة.
- موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهیثمی - دار الكتب العلمية.
- مقالات الإسلاميين واختلاف المسلمين، تأليف الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، المتوفى عام ٣٢٠ هـ بتحقيق محمد محیي الدين عبد الحمید، الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م. مکتبة النہضة المصرية.
- الملل والنحل، تأليف أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهريستاني ٤٧٩ - ٥٤٨ هـ، بتحقيق محمد سید الکیلانی ، شرکة مکتبة ومطبعة مصطفی البابی الحلبي وأولاده بمصر ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.
- مجتمع الزوائد ومنبع الفوائد، تأليف الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهیثمی المتوفى سنة ٨٠٧ هـ ، الناشر: مکتبة القديسي بالقاهرة، سنة ١٣٥٢ هـ.
- معراج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تأليف الشیخ حافظ ابن أحمد الحکمی - رحمه الله..، ١٣٤٢ هـ - ١٣٧٧ هـ، من مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، بالمملکة العربية السعودية.
- المواقف، تأليف عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي القاضي،

المتوفى سنة ٧٥٦ هـ.

- مختار الصحاح، تأليف الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرazi، بترتيب السيد محمود خاطر، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة.
- المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج^(١)، للعلامة الإمام يحيى بن شرف ابن مرعي حسن بن حسين بن حزام النووي الشافعى، طبعة الشعب، القاهرة.
- مناهج الأدلة في عقائد الملة، لابن رشد المولود في أوائل القرن السادس الهجري، الطبعة الثانية، تحقيق الدكتور / محمود قاسم عميد كلية دار العلوم، نشر مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٤ م.
- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المتوفى ٣٩٥ هـ. بتحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفى ٧٤٨ هـ، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م.
- المستدرك على الصحيحين في الحديث، للحافظ الكبير أبي عبد الله محمد ابن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري، المتوفى في صفر ٤٠٥ هـ. طبعة

(١) هذا هو الاسم الذي اختاره النووي لشرحه على صحيح مسلم. انظر: ج ١ ص: ج من المقدمة.

- دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، تأليف الحافظ جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١ هـ، الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م مطبع الرشيد بالمدينة المنورة.
- المعجم الصغير للطبراني للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني، المتوفى سنة ٣٦٠ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- المعجم الكبير، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ٢٦٠ هـ - ٣٦٠ هـ، مطبعة الوطن العربي، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- كتاب المستصنف من علم الأصول، للإمام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى، الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية ببولاق، مصر، سنة ١٣٢٢ هـ.
- معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، تأليف محمد إسماعيل إبراهيم، طبعة دار الفكر العربي، القاهرة.
- كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس، منشورات الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، تأليف عبد العزيز المحمد السلمان، الطبعة العاشرة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- منهج ودراسات لأيات الأسماء والصفات للشيخ محمد الأمين الشنقيطي من محاضرات ١٣٨٥ هـ.

- مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني المتوفى ٥١٨ هـ، بتحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للإمام أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ هـ، بتعليق عبد الله محمد الصديق، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الشهانية، للحافظ ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني ٧٧٣ - ٨٥٢ هـ، بتحقيق المحدث حبيب الرحمن الأعظمي.
- المنار المنيف في الصحيح والضعيف للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن أبي بكر الحنبلبي الدمشقي المعروف بأبن قيم الجوزية ٦٩١ - ٧٥١ هـ، بتحقيق عبد الفتاح أبو غدة، الناشر مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، سوريا، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- مستند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سين الأقوال والأفعال، للعلامة علي بن حسام الدين الشهير بالمنقي، الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر بيروت.
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى لطائفه من المستشرقين، مطبعة بريل في مدينة ليدن، سنة ١٩٤٣ م.
- مقدمات وأبحاث تمهيدية في العقيدة الإسلامية، تأليف الشيخ / محمد نفر الخطيب رئيس قسم علم الكلام والفلسفة بكلية الشريعة بجامعة بغداد، دار

- العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تصوير الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ. جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد.
- المغرب في ترتيب المعرف، تأليف الإمام اللغوي أبي الفتح ناصر الدين المطري ٥٣٨ - ٦١٠ هـ. بتحقيق محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، الناشر: مكتبة أسامة بن زيد، حلب، سوريا، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، مطبع الشعب.

(ن)

- كتاب النهاية، أو الفتنة والملامح، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير ٧٠١ - ٧٧٤ هـ، بتحقيق الدكتور / طه محمد الزيني، الطبعة الأولى، طبعة دار النصر للطباعة أحمد حمدي أحمد شعبان.
- نير البرهان في توطيد عقائد الإيمان، تأليف / محمد علي الشرفي أستاذ بدار

العلوم بصناعة ، الطبعة الأولى.

- النهاية في غريب الحديث والأثر ، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك ابن محمد الجوزي ابن الأثير ٦٠٦٠ هـ ، بتحقيق طاهر أحمد الزواوي ، ومحمد بن محمد الطناحي ، الناشر : المكتبة الإسلامية ، لصاحبيها الحاج / رياض الشيخ .
- نعيم الجنة في القرآن والسنة ، تأليف عبد اللطيف عاشور .
- نزهة الأعين النواذير في علم الوجوه والنظائر ، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ، بيروت .
- القصيدة البنونية ، للعلامة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم التي سماها : الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ، دار المعرفة ، بيروت .

(س)

- سبن الترمذى (الجامع الصحيح) ، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ٢٧٩-٢٠٩ هـ ، بتحقيق وشرح الأستاذ أحمد شاكر ، الأجزاء : الأول إلى الرابع ، الطبعة الأولى ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م . والجزء الخامس بتحقيق الأستاذ إبراهيم عطوة عوض ، الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
- سنن أبي داود ٢٧٥-٢٠٢ هـ ، للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستانى ، بتعليق أحمد سعد على ، الطبعة الأولى ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م . نشر : شركة مطبعة ومكتبة مصطفى البابى الحلبي ،

مصر .

- سنن ابن ماجه ، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ٢٠٧ هـ .
- ٢٧٥ هـ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ١٣٧٢ هـ . ١٩٥٢ م ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .
- سنن النسائي للحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي ولد ١٤ أو ١٥ ومائتين هجرية ، وتوفي سنة ٣٠٣ هـ ، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي . دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، مطبعة الشركة العامة ، الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨ هـ . ١٩٣٠ م .
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السريع في الأمة ، تحرير محمد ناصر الدين اللبناني ، الطبعة الرابعة . المكتب الإسلامي ، دمشق ١٣٩٨ هـ .
- سنن الدارقطني ، للإمام علي بن عمر الدارقطني . عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ . ١٩٨٢ م .
- السيرة النبوية لابن هشام ، الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ . ١٩٥٥ م . مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر .

(ع)

- عون المعبد شرح سنن أبي داود ، للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ، مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية ، ضبط وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان . الناشر : محمد عبد المحسن الكتببي بالمدينة المنورة ، الطبعة

- الثانية ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م.
- عقائد السلف ، للأئمة : أحمد بن حنبل ، والبخاري ، وابن قتيبة ، وعثمان الدارمي - دكتور / علي سامي النشار ، عمار جمعي الطالبي . منشأة المعارف بالإسكندرية ، جلال حربى وشركاه ١٩٧١ م.
- العلل الشناهية في الأحاديث الواهية ، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي التميمي القرشي ٥١٠ هـ - ٥٩٧ هـ . الناشر : إدارة العلوم الأخرى ، فيصل آباد ، دار نشر الكتب الإسلامية ، لاهور .
- عقيدة البعث الآخر ، رسالة ماجستير ، للشيخ / سليمان بن عقاب التوم .
- العقائد الإسلامية ، تأليف السيد سابق . الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت .
- عالم الجن والشياطين ، للدكتور / عمر سليمان الأشقر ، مكتبة الفلاح ، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

(ف)

- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تصنيف الإمام أبي محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري ، المتوفى سنة ٤٥٦ هـ .
- الفوائد للإمام ابن قيم الجوزية . مطبعة الإمام بالمنشية بالقلعة بمصر .
- الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير للسيوطى . مطبعة دار الكتب العربية الكبرى .

- في ظلال القرآن، الطبعة الشرعية التاسعة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، دار الشروق، بيروت.
- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٧٧٣-٨٥٢ هـ. مكتبة الرياض الحديثة البطحاء، الرياض.
- الفتوى الحموية الكبرى، تأليف:شيخ الإسلام ابن تيمية - المتوفى سنة ٦٧٢٨ هـ.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدارية من علم التفسير، تأليف: محمد ابن علي بن محمد الشوكاني ، المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة.
- الفرق بين الفرق ، تأليف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي المتوفى عام ٤٢٩ هـ - ١٠٣٧ م ، تحقيق: محمد محبي الدين عبد الحميد. الناشر: دار المعرفة ، بيروت.
- الفتح الرباني لترتيب مستند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، ومعه كتاب بلوغ الأمانى من أسرار الفتح الرباني ، ط الأولى سنة ١٣٥٢ هـ.
- الفتوحات الإلهية بتوضیح تفسیر الجنالین للدقائق الخفیة ، تأليف: سليمان ابن عمر العجیلی الشافعی الشہیر بالجمل ، المتوفی سنة ١٢٠٤ هـ. مطبعة عیسی البابی الحلبی بمصر.
- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، للعلامة محمد بن علي

- الشوكانى - المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ. دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، بتحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمى .
- الفروق في اللغة، تأليف: العلامة أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله ابن سهل العسكري أبو هلال). منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٧٩ م.

(ص)

- صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة باسطنبول. دار الفكر.
- صحيح مسلم بن الحجاج: للإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، طبعة دار الشعب.
- الصارم المنكى في الرد على السبكي، تأليف: العلامة أبي عبد الله محمد بن حمد بن عبد الهادي الحنبلى المقدسى، الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية؛ مالكتها ومديرها: السيد عمر حسين خشاب بالقاهرة.
- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: إسماعيل حماد الجوهرى، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م.
- الصلة بين التصوف والتشيع، تأليف: الدكتور كامل مصطفى الشيبى، الطبعة الثانية. دار المعارف بمصر.
- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تأليف الإمام المحقق

محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، المتوفى ليلة الخميس ثالث عشر رجب سنة إحدى وخمسين وسبعمائة، وقد كانت ولادته في سنة إحدى وستين وستمائة هجرية.

(ق)

- القرى لقادس أم القرى، تأليف الحافظ أبي العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر محب الدين الطبرى ثم المكي، المولود سنة ٦١٥ هـ، المتوفى سنة ٦٩٤ هـ. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر محمد محمود الحلبي وشركاه - خلفاء - الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.

- القول السديد في علم التوحيد، تأليف: الأستاذ محمود أبو دقيقة سنة ١٣٥٤ هـ - ١٣٩٦ م. مطبعة ومجلة الإرشاد لصاحبها أمين الجزيري.

- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، تأليف: شيخ الإسلام تقى الدين أَحْمَدْ بْنُ تَيْمَيَّةَ سنة ١٣٨٨ هـ. شركة المدينة للطباعة والنشر، جدة.

- القاموس المحيط ،تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، الطبعة الثانية ، ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر .

- القائد إلى تصحيح العقائد، تأليف العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمى اليماني ، بتعليق الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى ، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ، المكتب الإسلامي .

- قرة عيون الموحدين ، حاشية الشيخ عبد الرحمن بن حسن على كتاب التوحيد بتصحيح الشيخ إسماعيل الأنصاري ، ١٣٩٤ هـ.
- القصيدة التونية ، تأليف أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ، المسمى بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .

(و)

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ ، إدارة الطباعة المنيرية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان .
- الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد بن حنبل ١٦٤ - ٢٤١ هـ ، الطبعة الثانية بالقاهرة سنة ١٣٩٩ هـ ، المطبعة السلفية ومكتبتها بالروضة ، القاهرة ، نشرها فضي محب الدين الخطيب .
- كتاب الرد على الجهمية ، تأليف الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي ، بتحقيق زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الرابعة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- رسالة في الرد على الرافضة ، تأليف الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، بتحقيق د. ناصر بن سعد الرشيد من مطبوعات مركز البحث العلمي بمكة المكرمة ، الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ .

(ش)

- شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار بن أحمد بتعليق الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، الناشر مكتبة وهبة بعابدين بالقاهرة، الطبعة الأولى، ذو الحجة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م. مطبعة الاستقلال الكبرى شارع نجيب الريحانى بالقاهرة.
- شفاء السقام في زيارة خير الأنام، تأليف الشيخ علي بن عبد الكافي تقى الدين السبكي الشافعى ٦٨٣ - ٧٥٦ هـ، نشر لجنة التراث العربى، بيروت.
- كتاب الشريعة، للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الأجرى، المتوفى سنة ستين وثلاثمائة، بتحقيق محمد حامد الفقى، مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٩ - ١٩٥٠ م.
- شرح المواقف، للسيد الشريف علي بن محمد الجرجانى، المتوفى سنة ٨٨١٦ هـ ، دار الطباعة العامرة.
- شرح أبي لصحيح مسلم المسمى أكمال المعلم للإمام أبي عبد الله محمد بن خليفة الوشتنى الأبي المالكى، المتوفى سنة ٨٢٧ أو ٨٢٨ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف العلامة محمد خليل هراس، الطبعة الثالثة، الناشر محمد عبد المحسن الكتبى، من مطبوعات الجامعة الإسلامية.
- شرح حديث التزول، تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية، منشورات المكتب الإسلامي، الطبعة السادسة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

- شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد ، تأليف العلامة الشيخ محمد السفاريني الحنفي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ ، بيروت .
- شرح العقيدة الطحاوية للعلامة علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الرابعة ١٣٩١ هـ .
- كتاب الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ، لأبي عبد الله عبيد الله بن بطه العككري ، المتوفى سنة ٣٨٧ هـ ، تحقيق د/ رضا نعسان .
- الشفاعة في الإسلام ، رساله ماجستير ، للشيخ / عايش عياش الحبيشي .
- شرح جوهرة التوحيد للعلامة الشيخ إبراهيم اللقاني المسماة : تحفة المريد ، تأليف العلامة الشيخ / إبراهيم بن محمد البيجوري ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- الشفاعة ، تأليف أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي ، نشر وتوزيع دار الأرقام ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ، مطبعة المدنى بالقاهرة .
- الشفاعة بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضي عياض ، مطبعة مصطفى البابي بمصر سنة ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م .

(ت)

- كتاب التمهيد للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب بن الباقياني ، المكتبة الشرفية ، بيروت ١٩٥٧ م .

- تبويب آي القرآن الكريم، قام به الدكتور / أحمد بن إبراهيم مهنا، طبعة دار الشعب.
- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، للإمام أبي الحسين محمد بن أحمد ابن عبد الرحمن الملاطي الشافعي، المتوفى سنة ٣٧٧ هـ، بتعليق محمد زاهد الكوثري، نشره مكتب نشر الثقافة الإسلامية ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م.
- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، تأليف الإمام الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، المتوفى سنة ٦٥٦ هـ بتعليق مصطفى محمد عمارة، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ.
- تاريخ الفرق المعاصرة ومذاهبها، تأليف الدسوقي الملاح وإبراهيم مسعود وعلي عبد المنعم عبد الحميد، الطبعة الأولى ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م، مطبع دار الكتاب العربي بمصر.
- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للإمام الحافظ القرطبي شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الانصاري القرطبي، المتوفى سنة ٦٧١ هـ، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.
- تفصيل آيات القرآن الحكيم، وضعه بالفرنسية / جول لا بوم، الطبعة الثانية، نشر دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ومعه المستدرك لإدوارد مونتيه.
- تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، تأليف الإمام العلامة علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي المعروف بالخازن، المتوفى سنة ٧٢٥ هـ.

- وبهامشه تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، تأليف الإمام الجليل أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان .
- كتاب تبسيط العقائد، تأليف حسن أيوب ، الطبعة الثالثة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م ، دار الاعتصام .
- تهافت الفلاسفة للإمام الغزالى ، المتوفى سنة ٥٠٥ هـ .
- تهافت الفلاسفة ، للعلامة خوجه زاده ، المتوفى سنة ٨٩٣ هـ . طبعة مصر سنة ١٣٢١ هـ .
- تهافت التهافت ، لابن رشد المتوفى سنة ٥٩٥ هـ ، بتحقيق الدكتور / سليمان دنيا ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر .
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تأليف علامه القصيم الأستاذ الجليل الشيخ / عبد الرحمن بن ناصر السعدي ١٣٧٥ هـ ، المطبعة السلفية ومكتبتها .
- التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة ، تأليف عبد الرحمن الناصر السعدي .
- تكميلة شرح الصدور ، تأليف محمد أمين بن محمد البرديسي (مخطوط) .
- التفسير الواضح ، تأليف الدكتور محمد محمود حجازي ، الطبعة الخامسة سنة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م ، مطبعة الاستقلال الكبرى .
- كتاب تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين للإمام أبي القاسم الحسين بن

- محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني، المتوفى في رأس المائة الخامسة، طبع في بيروت ١٣١٩ هـ.
- تحقيق ما للهند من مقوله مقبولة أو مرذولة، تأليف أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، المتوفى سنة ٤٤٠ هـ ١٠٤٨ م، طبع بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الدكن، بالهند ، سنة ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، للإمام اللغوي محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزيدى، الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية المنشأة بحملية مصر سنة ١٣٠٦ هـ.
- كتاب التوحيد، تأليف الأستاذ محمود أبو دقique، دار الطباعة الحديثة ١٣٥٦ - ١٣٥٧ هـ ، ١٩٣٧ - ١٩٣٨ م.
- التفسير الكبير، للإمام الفخر الرازى أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين المولود سنة ٣ أو ٤ أو ٥ وأربعين وخمسمائة، المتوفى سنة ٦٠٦ هـ. الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- تفسير القرآن العظيم للإمام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقى، المتوفى سنة ٧٧٤ هـ، الناشر دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، تأليف الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، المتوفى سنة ١٢٣٣ هـ ، الطبعة الرابعة ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
- التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ، للحافظ أبي الفرج زين الدين

- عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي ٧٣٦ - ٧٩٥ هـ، مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، دمشق.
- تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، تأليف محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.
- تفسير النسفي للعلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت.
- تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، ٢٨٢ - ٣٧٠ هـ، بتحقيق عبد السلام هارون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- تقريب التهذيب للعلامة أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ٧٧٣ هـ - ٨٥٢ هـ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، الناشر محمد سلطان النمنكاني صاحب المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م، مطبع دار الكتاب العربي بمصر.
- تحفة المودود بأحكام المولود، تأليف الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ٦٩١ - ٧٥١ هـ، ١٢٩١ - ١٣٥٠ م. الناشر المكتبة القيمة بالقاهرة، مطبعة المدنى ٦٨ شارع العباسية.
- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل للإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة بتعليق محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

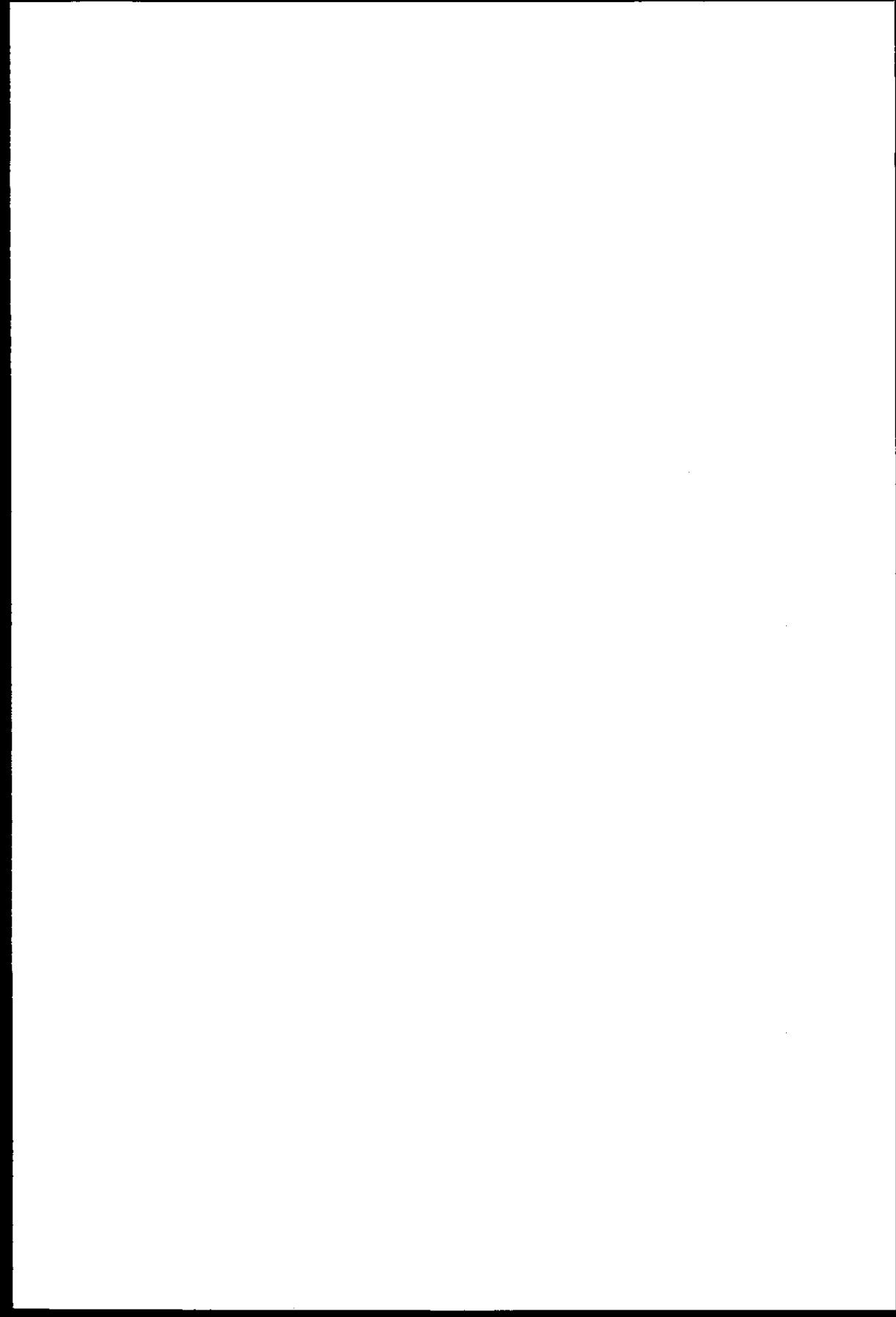
(خ)

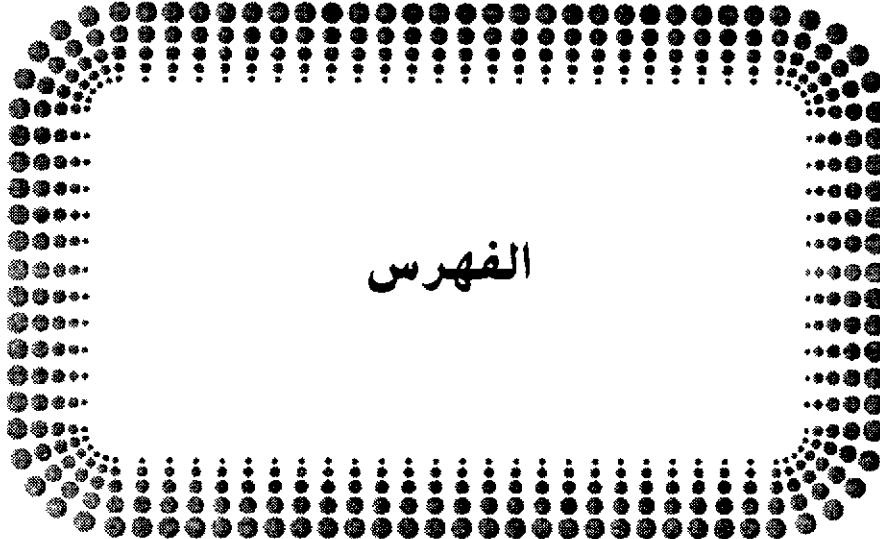
- كتاب خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، ١٩٤ - ٢٥٦ هـ، نشره أبو خالد عبد الوكيل، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة، ١٣٨٩ هـ - ١٣٩٠ هـ.
- الخوارج تأريخهم وآراؤهم الاعتقادية و موقف الإسلام منها، رسالة ماجستير للباحث.

(غ)

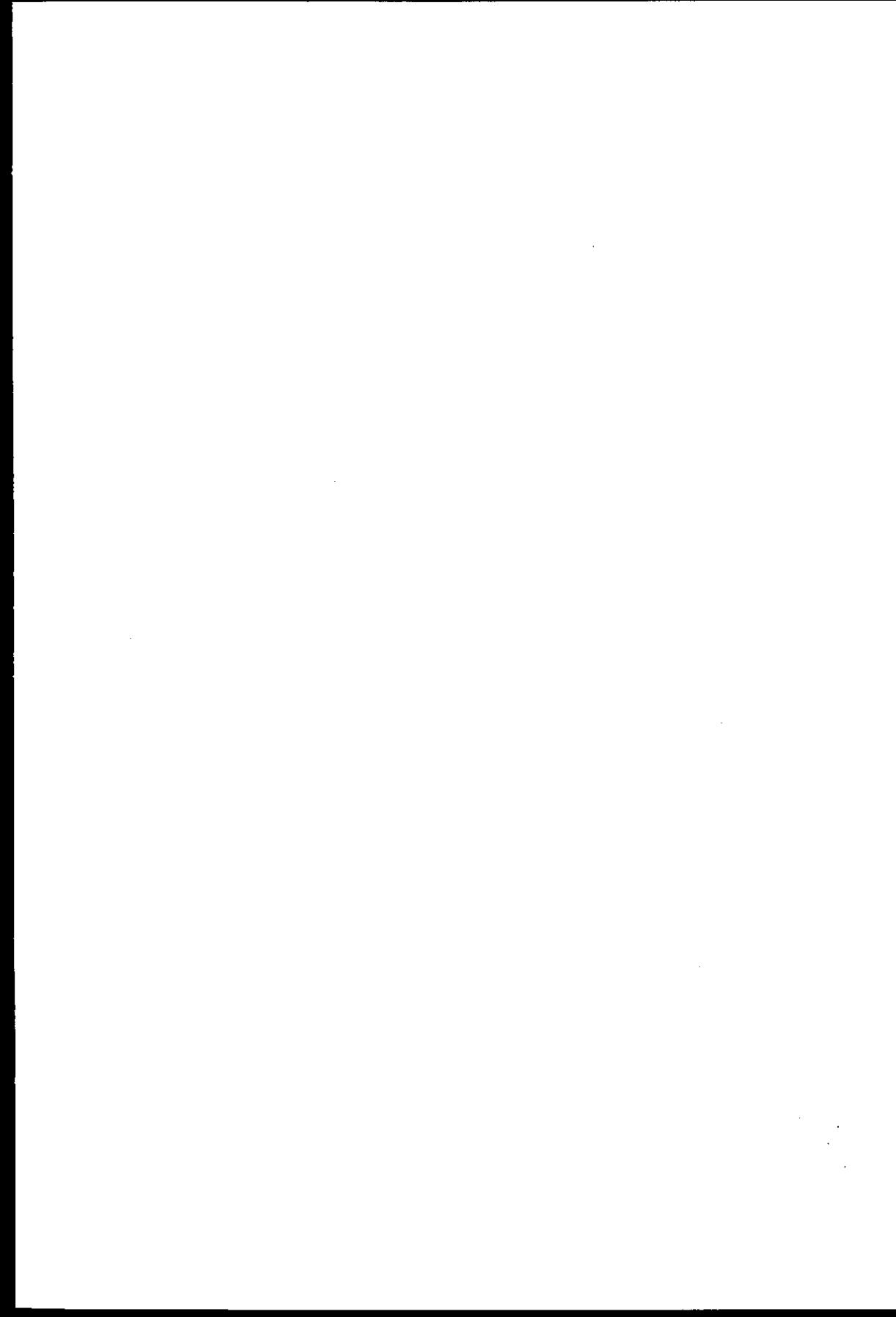
- الغنية لطالبي طريق الحق في الأخلاق والتصوف والأدب الإسلامية، للشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني ٤٧٠ - ٥٦١ هـ، الطبعة الثالثة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بصر.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري.

* * *





الفهرس



الفهرس

٧	المقدمة
٢٩	الباب الأول : البعث والحضر ووقف الخلق في الموقف
٣١	الفصل الأول : الإيمان بالغيب
٣٢	مدخل
٣٣	معنى الغيب في اللغة
٣٤	معنى الغيب في الاصطلاح
٣٦	الإيمان بالغيب وأدله
٤٣	الفصل الثاني : أسماء يوم القيمة
٥٧	الفصل الثالث : التعريف بالبعث
٥٩	تعريف البعث في اللغة
٦١	المراد بالبعث في الشرع
٦٢	اللفاظ ينبغي التنبه إليها
٦٣	الشور
٦٥	المعاد
٦٧	الحضر
٦٩	مراتب الموقف
٧١	الفصل الرابع : أدلة البعث
٧٣	عناية الكتاب والستة بالإيمان باليوم الآخر

بعض أسباب العناية باليوم الآخر	٧٥
أدلة البعث من القرآن	٧٨
أدلة البعث من السنة	٩٤
دلالة العقل على البعث	٩٦
الفصل الخامس : المنكرون للبعث وأقسامهم	١٠٥
الفصل السادس : أسباب إنكار البعث	١٣١
الفصل السابع : كيفية البعث كما في الكتاب والسنة	١٣٧
كيفية البعث في القرآن الكريم	١٣٩
كيفية البعث في السنة النبوية	١٤٤
الفصل الثامن : أقوال علماء الإسلام في كيفية البعث	١٥١
الرد على الفلاسفة وإبطال حججهم في إنكار البعث	١٦٥
الفصل التاسع : النفح في الصور - نفحۃ البعث	١٨١
نفحۃ البعث	١٨٣
معنى النفح في اللغة	١٨٣
معناه في الاصطلاح	١٨٤
عدد النفحات	١٨٦
الخلاف في عدد النفحات	١٨٩
الأدلة على إثبات النفح في الصور	١٩٨
١- الأدلة من القرآن الكريم على إثبات النفح في الصور	١٩٨
٢- الأدلة من السنة على إثبات النفح في الصور	١٩٩

٢٠٢ مقدار ما بين النجترين
٢٠٥ الفصل العاشر : صفة حشر الخلق وأنهم على صور شتى
٢٠٧ ١- حشرهم حفاة عراة غرلاً
٢٠٨ ٢- حشر بعض الناس من الكفار على وجوههم
٢١٠ ٣- حشر المتكبرين
٢١١ ٤- حشر السائلين
٢١٢ ٥- حشر أصحاب الغلول
٢١٤ ٦- حشر أهل الوضوء؛ أهل الغرة والتحجيل
٢١٤ ٧- حشر الشهداء
٢١٨ مسائل
٢١٨ ١- الحكمة في إعادة الخلق غرلاً
٢٢١ ٢- بعث الموتى في أكفانهم
٢٢٣ ٣- هل تحشر بقية المخلوقات غير الجن والإنس
٢٢٧ ٤- دفع تعارض
٢٣٤ فوائد
٢٣٤ ١- أول من يحشر من الخلق
٢٣٤ ٢- أول من يكسى من الخلق
٢٣٩ الفصل الحادى عشر : الموقف
٢٤١ تعريفه : في اللغة والاصطلاح
٢٤٢ صفة حالة الناس وهم في الموقف

٢٤٢	١ - صفتة في القرآن الكريم
٢٤٦	٢ - صفتة في السنة النبوية
٢٥٠	صفة الأرض التي يقف الخلق عليها
٢٥٢	بيان الخلاف في أرض المحسن
٢٥٥	مدة وقوف الخلق في الموقف
٢٥٦	١ - ما جاء في القرآن الكريم
٢٦٥	٢ - ما جاء في السنة النبوية
٢٧٣	الباب الثاني: في الشفاعة
٢٧٧	الفصل الأول : تعريف الشفاعة في اللغة وفي الشرع
٢٧٩	تمهيد
٢٨٠	معنى الشفاعة في اللغة
٢٨٣	معنى الشفاعة في الشرع
٢٨٧	الفصل الثاني : أقسام الشفاعة
٢٨٩	الشفاعات المثبتة والشفاعات المتفقة
٢٩٧	الفصل الثالث : أقسام الشفاعات الثابتة
٣٠٢	النوع الأول: من أنواع الشفاعات المثبتة «الشفاعة العظمى»
٣٢٦	الشفاعة لأناس قد أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها
٣٣٠	الشفاعة في أهل الكبائر
٣٣٠	تمهيد
٣٣١	آراء الفرق في الشفاعة لأهل الكبائر وإخراجهم من النار

٣٣٧	- أدلة إثبات الشفاعة لأهل الكبار من القرآن الكريم
٣٣٨	- وجه استدلالهم بالأيات السابقة على ثبوت الشفاعة
٣٤٥	- أدلة إثبات الشفاعة لأهل الكبار من السنة
٣٥٢	- آراء الفرق الأخرى في تلك الشفاعة
٣٦٦	- أدلة نفاة الشفاعة في أهل الكبار من القرآن الكريم والجواب عنها
٣٦٩	- وجه استدلالهم بالأيات السابقة والجواب عنها
٣٩٠	- أدلة نفاة الشفاعة في أهل الكبار من السنة والجواب عنها
٤٠٣	- شفاعة الرسول ﷺ لطائفة من المؤمنين بدخول الجنة بغير حساب
٤٠٧	- شفاعة الرسول ﷺ لمن سكن في المدينة الموردة ومات فيها
٤١١	- شفاعته ﷺ للمؤمنين بدخول الجنة
٤١٣	- شفاعة الرسول ﷺ في رفع درجات أهل الجنة
٤١٨	- شفاعة الرسول ﷺ لعمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه
٤٢٣	الفصل الرابع : ثبوت الشفاعة في بعض الأعمال
٤٣١	الفصل الخامس : الشفاعات التي لم يثبت بها نص صحيح
٤٥١	الفصل السادس : الأمور التي تمنع الشفاعة
٤٥٧	الفصل السابع : ذنوب لم يثبت نفي الشفاعة فيها
٤٦٥	الفصل الثامن : أقسام الشفاعة
٤٦٧	أقسام الشفاعة الذين ثبتت صحة شفاعتهم
٤٦٩	١ - شفاعة نبينا محمد ﷺ
٤٧٠	٢ - شفاعة الأنبياء الآخرين غير نبينا محمد ﷺ

٤٧٣	٣- شفاعة الملائكة
٤٨٠	٤- شفاعة الشهداء
٤٩٤	٥- شفاعة الولدان
٥٠٨	٦- شفاعة المؤمنين بعضهم لبعض
٥٢٠	٧- شفاعة القرآن الكريم
٥٢٤	الشفاء الذين وردت بهم روايات لم تبلغ درجة الصحة فلم تثبت شفاعتهم
٥٣١	الباب الثالث : مجيء الله تبارك وتعالى لفصل القضاء
٥٣٣	تمهيد
٥٣٩	الفصل الأول : الأدلة على نزول الله تعالى لفصل القضاء
٥٣٩	١- الأدلة على نزول الله تعالى لفصل القضاء من القرآن الكريم
٥٤٠	٢- الأدلة من السنة النبوية على نزول الله عز وجل لفصل القضاء
٥٥١	الفصل الثاني : معنى مجيء الله تبارك وتعالى
٥٥٤	مذهب السلف
٥٦٢	مذهب المؤولين
٥٧٩	الخلاصة
٥٨٣	الباب الرابع : رؤية الله تعالى في عرصات القيمة
٥٨٥	تمهيد
٥٨٩	الفصل الأول : الأدلة على إمكان وقوع رؤية الله تعالى
٥٨٩	أ- الأدلة من القرآن الكريم ، وفيه تفصيل شامل لأدلة أهل السنة وأدلة المخالفين والرد عليهم

بـ . الأدلة من السنة على إثبات وقوع رؤية الله تعالى وذكر شبه المخالفين	
٦٤٥ والرد عليهم	
الفصل الثاني : آراء الفرق في إمكان وقوع رؤية الله تعالى	٦٨٥
الفصل الثالث : الخلاف في رؤية غير المؤمنين لربهم	٦٩٧
بيان الخلاف بين المبتين للرؤية والنافذين لها وهل هو خلاف حقيقي أم هو خلاف لفظي	٧٠٧
الفصل الرابع : هل تستلزم رؤية الله تعالى الجهة أم لا ؟	٧١١
ورود النفي والإثبات في جهة العلو	٧٢٣
الباب الخامس : كلام الله تعالى في يوم القيمة (كلامه في الموقف)	٧٢٧
تمهيد	٧٣١
الفصل الأول : إثبات صفة الكلام لله تعالى	٧٣٣
إثبات صفة الكلام من القرآن الكريم	٧٣٦
إثبات صفة الكلام من السنة النبوية	٧٣٨
إجماع المسلمين على أن الله تعالى متalking	٧٤٢
الفصل الثاني : إثبات صفة كلام الله تعالى للخلق في يوم القيمة في موقف فصل القضاء	٧٤٥
١ - الأدلة من القرآن الكريم لإثبات كلام الله تعالى خلقه يوم القيمة	٧٤٨
٢ - الأدلة من السنة لإثبات كلام الله تعالى خلقه يوم القيمة	٧٥٢
الفصل الثالث : إثبات أن الله تعالى لا يكلم بعض خلقه في يوم القيمة بكلام الرضى والسرور	٧٧١
١ - أدلة ذلك من القرآن الكريم	٧٧٣

٧٧٦	٢. أدلة ذلك من السنة النبوية
٧٧٩	الفصل الرابع : بيان أقوال أهم المذاهب في كلام الله تعالى
٧٩٥	شبيه المعتزلة في نفيهم كلام الله تعالى
٧٩٧	الرد على المعتزلة في نفيهم الكلام عن الله تعالى
٨٠٧	مسألة : بأي لغة يخاطب الله عز وجل الخلق يوم القيمة؟
٨٠٩	الباب السادس : العرض على الله جل وعلا في موقف فصل القضاء
٨١١	تمهيد
٨١٣	الفصل الأول : معاني العرض لغة واصطلاحاً
٨١٧	الفصل الثاني : الأدلة على حصول العرض على الله
٨١٩	١ - من القرآن الكريم
٨٢٠	٢ - الأدلة من السنة على وقوع العرض على الله
٨٢٥	الفصل الثالث : بيان دلالة تلك النصوص على كيفية العرض على الله ، وبيان أقوال أهل الحق وأقوال من خالفهم في ذلك والقول الصحيح
٨٣٨	الباب السابع : الصحف أو كتاب الأعمال
٨٣٩	تمهيد
٨٤١	الفصل الأول : الأدلة على كتابة الملائكة لكل ما يصدر عن العباد
٨٤٤	١ - الأدلة من القرآن الكريم
٨٤٧	٢ - الأدلة من السنة على كتابة الملائكة لأعمال العباد
٨٥١	الفصل الثاني : المنكرون كتابة الملائكة لأعمال العباد

الفصل الثالث : إثبات أن كل إنسان يقرأ كتابه في يوم القيمة	
٨٥٧ والأدلة على ذلك	
٨٥٩ ١ - الأدلة من القرآن الكريم	
٨٦٥ ٢ - الأدلة من السنة النبوية	
٨٧١ الفصل الرابع : كيفية أخذ الكتاب	
٨٧٧ الفصل الخامس : وجوب الإعنان بالصحف وإبطال قول من أنكرها	
٨٨٢ ملاحظات	
٨٨٧ الفصل السادس : ما قيل من الحكمة في إيتاء الصحف	
٨٩١ الفصل السابع : ما معنى تبديل السينات بالحسنات الواردة في الصحف	
٨٩٩ الباب الثامن : الحساب	
٩٠٣ الفصل الأول : تعريف الحساب في اللغة وفي الشرع	
٩٠٥ ١ - تعريف الحساب في اللغة	
٩٠٨ ٢ - تعريفه في الشرع	
٩١١ الفصل الثاني : أدلة إثبات الحساب	
٩١٣ تمهيد	
٩١٣ ١ - أدلة إثبات الحساب من كتاب الله عز وجل	
٩١٦ ٢ - الأدلة من السنة النبوية على إثبات وفرع الحساب	
٩٢٣ الفصل الثالث : متى يكون الحساب وأين يكون المحاسبون ؟	
٩٣١ الفصل الرابع : من يتولى حساب الخلق ؟	
٩٣٧ الفصل الخامس : كيفية الحساب	

الفصل السادس : من هم الذين يشملهم الحساب ؟ ٩٤٣	
فائلدة ٩٥١	
الفصل السابع : أول من يحاسب من الناس ٩٦٧	
الفصل الثامن : أول ما يسأل عنه العبد ٩٧٥	
الفصل التاسع : تقرير الله لعباده في الحساب ٩٨١	
الفصل العاشر : الشهود في الحساب ٩٩١	
الفصل الحادي عشر : عدل الله تعالى في القصاص بين الخلق ١٠٠٩	
أ- الأدلة من القرآن الكريم ١٠١٢	
ب- الأدلة من السنة ١٠١٣	
الفصل الثاني عشر : الجزاء في يوم القيمة يكون من جنس العمل ١٠٢٥	
١- الأدلة من القرآن الكريم ١٠٢٧	
٢- الأدلة من السنة النبوية ١٠٢٨	
الفصل الثالث عشر : رحمة الله بعباده في الحساب ١٠٤٥	
١- الأدلة من القرآن الكريم ١٠٤٧	
٢- الأدلة من السنة النبوية ١٠٤٨	
الفصل الرابع عشر : المنكرون للحساب والرد عليهم ١٠٥٩	
الفصل الخامس عشر : دور العمل في دخول الجنة ١٠٦٥	
الباب التاسع: الميزان ١٠٧٩	
الفصل الأول : تعريف الميزان لغة واصطلاحاً ١٠٨١	
١- تعريفه في اللغة ١٠٨٣	

١٠٨٥	٢ - تعريفه في الاصطلاح
١٠٨٧	الفصل الثاني : أدلة إثبات الميزان
١٠٨٩	أ - من القرآن الكريم
١٠٩٠	ب - من السنة النبوية
١٠٩٩	الفصل الثالث : وجوب الإيمان بالميزان وإجماع الأمة على ذلك
١١٠٥	الفصل الرابع : المكررون للميزان والرد عليهم
١١١٧	الفصل الخامس : صفات الميزان
١١٣١	الفصل السادس : ما الذي يوزن في الميزان ؟
١١٣٣	١ - أدلة وزن العامل
١١٣٦	٢ - أدلة وزن العمل
١١٣٩	٣ - كيفية وزن العمل
١١٤٦	أدلة وزن صحائف الأعمال
١١٥١	الفصل السابع : حكمة الله تعالى في وزن أعمال العباد والرد على من ينكروه
١١٥٩	الفصل الثامن : مرجحات الميزان
١١٦٣	الفصل التاسع : متى تنصب الموازين ؟
١١٦٧	الفصل العاشر : من ينصب الميزان ؟
١١٧٣	هل توزن أعمال الكفار ؟
١١٨١	الفصل الحادي عشر : كيفية الوزن
١١٨٧	الفصل الثاني عشر : هل هو ميزان واحد في يوم القيمة أم موازين متعددة ؟

الفصل الثالث عشر : هل توزن أعمال الجن؟	١١٩٣
وتفصيل أحكامهم التي تتعلق باليوم الآخر	١٢٠٠
الباب العاشر : الصراط	١٢١١
تمهيد	١٢١٣
الفصل الأول : تعريف الصراط	١٢١٥
١ - تعريف الصراط في اللغة	١٢١٧
٢ - تعريفه في الاصطلاح	١٢١٩
الفصل الثاني : الأدلة على إثبات الصراط	١٢٢٣
١ - من القرآن الكريم	١٢٢٥
٢ - من السنة النبوية	١٢٢٨
الفصل الثالث : وصف الصراط والمرور عليه	١٢٤١
الفصل الرابع : متى يتم المرور على الصراط	١٢٦١
الفصل الخامس : الحكمة في نصب الصراط	١٢٦٥
الفصل السادس : مسافة الصراط	١٢٦٩
الفصل السابع : المنكرون للصراط	١٢٧٧
الفصل الثامن : هل يمر جميع الخلق على الصراط؟	١٢٨٥
الفصل التاسع : أول من يجوز الصراط	١٢٩٥
الفصل العاشر : شعار المؤمنين على الصراط	١٣٠١
الفصل الحادي عشر : الأعمال الموجبة للجواز على الصراط	١٣٠٧
الفصل الثاني عشر : هل الصراط قد خلق أم سيخلق في يوم القيمة؟	١١٣١

الفصل الثالث عشر : هل يبقى الصراط إلى خروج عصاة الموحدين	
١٣١٥ من النار أم لا ؟	
الباب العادي عشر : القنطرة	
١٣١٩ تمهيد	
الفصل الأول : أدلة إثبات القنطرة	١٣٢٣
الفصل الثاني : موضع تلك القنطرة	١٣٢٧
الفصل الثالث : هل هي قنطرة واحدة أم هي قناطر متعددة والراجح	
في ذلك	١٣٣٣
الفصل الرابع : لماذا أخر الله حساب هؤلاء إلى القنطرة	١٣٤١
الباب الثاني عشر : الورود	١٣٤٥
تمهيد	١٣٤٧
أقوال العلماء في معنى الورود	١٣٤٨
القول الراجح في معنى الورود	١٣٥٨
مسألة في هل الأنبياء يشملهم هذا الورود	١٣٥٩
مسألة	١٣٦٠
الباب الثالث عشر : أصحاب الأعراف	١٣٦٣
الفصل الأول : ما ورد في القرآن الكريم بشأن أصحاب الأعراف	١٣٦٥
الفصل الثاني : ما هو المراد بالأعراف لغة واصطلاحاً	١٣٦٩
الفصل الثالث : الخلاف في تعين أصحاب الأعراف	١٣٧٥
الفصل الرابع : ما هو الراجح في أهل الأعراف ؟	١٣٨٩

الفصل الخامس : سورة الأعراف ، الحاجز بين الجنة والنار يكون دائمًا أم في فترة من الفترات ؟ ١٣٩٥
الباب الرابع عشر : الحوض المورود ١٣٩٩
١٤٠١ تمهيد
الفصل الأول : تعريف الحوض في اللغة والاصطلاح ١٤٠٣
الفصل الثاني : الأدلة على إثبات الحوض ١٤٠٧
١- من القرآن الكريم ١٤٠٩
٢- من السنة النبوية ١٤٠٩
إجابة عن إشكال ١٤١٥
إجابة عن إشكال آخر ١٤٢٠
معنى قول الرسول ﷺ ومنبرى على حوضي ١٤٢٢
هل يشرب أهل الكبار من الحوض ١٤٢٢
الفصل الثالث : أقوال علماء الإسلام في إثبات الحوض ١٤٢٥
الفصل الرابع : مسافة الحوض ١٤٣١
الفصل الخامس : الجمع بين الروايات التي وردت في تحديد مسافة الحوض ١٤٤٥
الفصل السادس : صفات الحوض ومتزاياه ١٤٥٣
الفصل السابع : متى يرد الناس الحوض ؟ ١٤٥٧
الفصل الثامن : المكررون للحوض ١٤٦٩
الفصل التاسع : الرد على من ينكر الحوض ١٤٧٧

الفصل العاشر : هل ثبت أن لكل نبي حوضاً يخصه؟ ١٤٨١	
الباب الخامس عشر : الكوثر ١٤٨٧	
لماذا أثبتت بحث الكوثر وهو من الأمور التي في داخل الجنة ١٤٨٩	
الفصل الأول : تعريف الكوثر ١٤٩١	
الفصل الثاني : الأدلة على إثبات الكوثر ١٤٩٩	
١- من القرآن الكريم ١٥٠١	
٢- من السنة النبوية ١٥٠١	
الفصل الثالث : تسمية الكوثر بالحوض والمحوض بالكوثر وبيان وجه الاتصال بينهما ١٥٠٧	
أقوال العلماء ١٥١٢	
الفصل الرابع : اختصاص الرسول ﷺ بالكوثر دون غيره من الأنبياء ١٥١٣	
الفصل الخامس : صفات الكوثر ١٥١٧	
سبب تأخير بحث الحوض والكوثر إلى آخر البحث ١٥٢٠	
الخاتمة ١٥٢٣	
أسماء المراجع ١٥٣٥	
الفهرس ١٥٦٥	

